193

Iḥyā' ʿulūmi'd-dīn p. I.

(Muhammadan theology).

وشبكة للحطام فاما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله
تعالى في كتابه حكمة وعلما وضياء ونورا وهدى ورشدا فقد اصبح من بين
الخلق مطويا وصار نسيا منسيا فلما كان هذا ثلمة في الدين وخطبا مدلهما رأيت
تحرير هذا الكتاب مهما لاحياء علوم الدين وكشفا عن مناهج الائمة المتقدمين
ومنهاجا لما هو من العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين سلام الله عليهم
اجمعين ولقد اسسته على اربعة ارباع ربع العبادات وربع العادات
وربع المهلكات وربع المنجيات وصدرت الجملة بكتاب العلم لانه غاية
المهم لاكشف اولا عن العلم الذي تعبد الله عز وجل الاعيان بطلبه على لسان رسوله
صلى الله عليه وسلم اذ قال عليه الصلوة والسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم
ومسلمة واميز فيه العلم النافع من العلم الضار اذ قال صلى الله عليه وسلم نعوذ
بالله من علم لا ينفع واحقق ميل اهل العصر عن شاكلة الصواب وانخداعهم بلامع
السراب واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب فاما ربع العبادات فيشتمل على
عشرة كتب كتاب العلم كتاب قواعد العقائد كتاب اسرار الطهارة كتاب
اسرار الصلوة كتاب اسرار الزكاة كتاب اسرار الصيام كتاب اسرار الحج
كتاب آداب تلاوة القرآن كتاب الاذكار والدعوات كتاب ترتيب الاوراد في
الاوقات كتاب ربع العادات يشتمل على عشرة كتب كتاب آداب الاكل والشرب
كتاب آداب النكاح كتاب احكام الكسب كتاب الحلال والحرام كتاب آداب
الصحبة والمعاشرة مع اصناف الخلق كتاب العزلة كتاب آداب السفر كتاب السماع
والوجد كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كتاب اخلاق النبوة وآداب المعيشة
واما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب كتاب شرح عجائب القلب كتاب رياضة
النفس كتاب آفة الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج كتاب آفات اللسان
كتاب آفة الغضب والحقد والحسد كتاب ذم الدنيا كتاب ذم المال والبخل
كتاب ذم الجاه والريا كتاب ذم الكبر والعجب كتاب ذم الغرور واما ربع
المنجيات فيشتمل على عشرة كتب كتاب التوبة كتاب الصبر والشكر كتاب الخوف
والرجا كتاب الفقر والزهد كتاب التوحيد والتوكل كتاب المحبة والشوق
والانس والرضا كتاب النية والصدق والاخلاص كتاب المراقبة والمحاسبة
كتاب التفكر والاعتبار كتاب ذكر الموت وما بعده واما ربع العبادات
فاذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها واسرار معانيها ما يضطر العالم العامل اليه بل لا
يكون من علماء الآخرة من لم يطلع عليه واكثر ذلك مما اهمل في فن الفقهيات واما

ربع العادات فاذكر فيه اسرار المعاملات الجارية بين الخلق واغوارها ودقائق سننها و
خفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغني متدين عنها واما ربع المهلكات
فاذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن باماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب
منه واذكر في كل واحد من تلك الاخلاق حده وحقيقته ثم اذكر سببه الذي
منه يتولد ثم الآفات التي عليها تترتب ثم العلامات التي بها تتعرف ثم طرق المعالجة
التي منها يتخلص كل ذلك مقرونا بشواهد الايات والاخبار والاثار فاما ربع
المنجيات فاذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين
والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين واذكر في كل خصلة حدها
وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب وثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها
تعرف وفضيلتها التي لاجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل
ولقد صنف في بعض هذه المعاني كتب كثيرة ولكن يتميز عنها هذا الكتاب بخمسة
امور الاول حل ما عقدوه وكشف ما ستروه وتفصيل ما اجملوه والثاني ترتيب
ما بددوه ونظم ما فرقوه والثالث ايجاز ما طولوه وضبط ما قرروه والرابع
حذف ما كرروه والخامس تحقيق امور غامضة اعتاصت على الافهام ولم يتعرض
لها في الكتب اصلا اذ الكل وان تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر ان يتفرد كل
واحد من السالكين بالتنبيه لامر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه او لا يغفل
احدهم عن التنبيه له ولكن يسهو عن ايراده في الكتب او لا يسهو ولكن يصرفه
عن كشف الغطاء عنه صارف فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاويا لمجامع هذه
العلوم وانما حملني على تاسيس هذا الكتاب على اربعة ارباع امران احدهما وهو
الباعث الاصلي ان هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضروري لان العلم الذي به
يتوجه الى الآخرة ينقسم الى علم المعاملة والى المكاشفة واعني بالمكاشفة ما يطلب
منه كشف المعلوم فقط واعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به و
المقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في
ايداعها الكتب وان كانت غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين وعلم المعاملة
طريق اليه ولكن لم يتكلم الانبياء مع الخلق الا في علم الطريق والارشاد اليه واما علم
المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور
افهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الانبياء فما لهم سبيل الى العدول عن نهج التاسي
والاقتداء ثم ان علم المعاملة ينقسم الى شطرين ظاهر وباطن والشطر الظاهر المتعلق
بالجوارح انقسم الى علم ظاهر اعني العلم باعمال الجوارح والى علم باطن اعني العلم باعمال

القلوب

القلوب والجارى على الجوارح والى علم باطن اما عباده واما عادة والوارد على
القلوب التى هى بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم
فبالواجب انقسم هذا العلم الى شطرين ظاهر وباطن والشطر الظاهر المتعلق
بالجوارح انقسم الى عباده وعاده والشطر الباطن المتعلق باحوال القلوب و
اخلاق النفوس انقسم الى محمود ومذموم فكان المجموع اربعة اقسام ولا
يشذ نظر فى علم المعاملة عن هذه الاقسام **الباعث** الثانى انى رايت
الرغبة من طلبة العلم صادقة فى الفقه الذى صلح عند من لا يخاف الله سبحانه
للتدرع به الى المباهات والاستظهار بجاهه ومنزلته فى المنافسات وهو مرتب
على اربعة ارباع والمتزيى بزى المحبوب محبوب فلم ابعد ان يكون تصوير الكتاب
بصورة الفقه تلطفا فى استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استماله
قلوب الرؤساء الى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعا فى الجداول والرقوم
وسماه تقويم الصحة ليكون انسهم بذلك الجنس جاذبا لهم الى المطالعة والتلطف
فى اجتذاب القلوب الى العلم الذى يفيد حياة الابد اهم من التلطف فى اجتذابها
الى الطب الذى لا يفيد الا صحة الجسد وثمرة هذه العلوم طب القلوب والارواح
المتوصل به الى حياة تدوم ابد الاباد فاين منها الطب الذى يعالج به الاجساد وهى معرضة
بالضرورة للفساد فى اقرب الآماد فنسال الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد انه
الكريم الجواد الرحيم على العباد **كتاب العلم** وهو الكتاب الاول من ربع
العبادات من كتب احياء علوم الدين وفيه سبعة ابواب **الباب الاول** فى
فضل العلم والتعليم والتعلم **الباب الثانى** فى بيان فرض العين وفرض
الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه والكلام فى علم الدين وبيان علم الاخرة من
علم الدنيا **الباب الثالث** فيما تعده العامة من علوم الدين وليس منه وفيه بيان
جنس العلم المذموم وقدره **الباب الرابع** فى افات المناظرة وسبب اشتغال الناس
بالخلاف والجدل **الباب الخامس** فى اداب المعلم والمتعلم **الباب السادس**
فى آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والاخرة **الباب
السابع** فى العقل وفضيلته واقسامه وما جاء فيه من الاخبار **الباب الاول**
فى فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل فى فضيلة العلم اما
شواهدها من القرآن فقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة واولو العلم قائما
بالقسط فانظر كيف بدا بنفسه وثنى بالملئكة وثلث باهل العلم وناهيك بهذا شرفا
وفضلا وجلاء ونبلا وقال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات

درجات قال ابن عباس رضي الله عنهما للعلماء درجات فوق درجات المؤمنين بسبعمائة
درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك
به تنبيها على انه اقتدر عليه بقوة العلم وقال تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب
الله خير بين ان قدر عظم الاخرة يعلم بالعلم وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس
وما يعقلها الا العالمون وقال تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم رد حكمه في الوقائع الى استنباطهم والحق رتبتهم برتبة الانبياء
في كشف حكم الله وقيل في قوله تعالى يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم
يعني العلم وريشا يعني اليقين ولباس التقوى الحيا وقال تعالى ولقد جئناهم
بكتاب فصلناه على علم وقال تعالى فلنقصن عليهم بعلم وقال تعالى بل هو آيات بينات
في صدور الذين اوتوا العلم وقال تعالى خلق الانسان علمه البيان وانما ذكر ذلك
في معرض الامتنان واما الاخبار قال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا
يفقهه في الدين ويلهمه رشده وقال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء
ومعلوم انه لا رتبة فوق رتبة النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة
وقال صلى الله عليه وسلم يستغفر للعالم ما في السموات والارض واي منصب يزيد على
منصب من تشتغل ملائكة السموات والارض بالاستغفار له فهو مشغول
بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال صلى الله عليه وسلم . تزيد
الشريف شرفا ويرفع العبد المملوك حتى يجلسه مجالس الملوك وقد نبه بهذا على ثمرته
في الدنيا ومعلوم ان الآخرة خير وابقى وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يكونان
في منافق حسن سمت وفقه في الدين ولا تشكن في الحديث لنفاق بعض الفقهاء
اهل الزمان فانه ما اراد به الفقه وادنى درجات الفقيه ان يعلم ان الاخرة عنده
خير من الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت برأته عن النفاق والريا وقال
صلى الله عليه وسلم افضل الناس المؤمن العالم الذي ان احتيج اليه نفع وان استغني
عنه اغنى نفسه وقال صلى الله عليه وسلم الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحيا
وثمرته العمل بالعلم وقال صلى الله عليه وسلم اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم
والجهاد اما اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيا
فهم على ما جاءت به الرسل وقال صلى الله عليه وسلم لموت قبيلة ايسر من موت عالم
وقال صلى الله عليه وسلم الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم في الجاهلية

خيارهم

خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وقال صلى الله عليه وسلم يوزن يوم القيمة مداد العلما
بدم الشهداء وقال صلى الله عليه وسلم من حفظ اربعين حديثا من السنة
حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من
حمل من امتي اربعين حديثا لقي الله عز وجل يوم القيمة فقيها عالما وقال صلى الله عليه
وسلم من تفقه في دين الله عز وجل كفاه الله ما اهمه ورزقه من حيث لا يحتسب وقال
صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى ابرهيم صلوات الله عليه يا ابراهيم اني عليم
احب كل عليم وقال صلى الله عليه وسلم العالم امين الله تعالى في الارض وقال صلى الله عليه
وسلم صنفان من امتي اذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس الامراء والفقهاء وقال صلى
الله عليه وسلم اذا اتى علي يوم لا ازداد فيه علما يقربني الى الله تعالى فلا بورك لي
في طلوع شمس ذلك اليوم وقال صلى الله عليه وسلم في تفضيل العلم على العبادة
والشهادة فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فانظر كيف جعل
العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وان كان العابد
لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة وقال صلى الله عليه وسلم
فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال صلى الله
عليه وسلم يشفع يوم القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم برتبة هي
تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة وقال صلى الله عليه وسلم ما
عبد الله بشيء افضل من فقه في دين الله ولفقيه واحد اشد على الشيطان من
من الف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه وقال صلى الله عليه وسلم
خير دينكم ايسره وافضل العبادة الفقه وقال صلى الله عليه وسلم فضل المؤمن
العالم على المؤمن العابد سبعون درجة وقال صلى الله عليه وسلم انكم اصبحتم في زمن
كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم و
سياتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم
فيه خير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين
كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وقيل يا رسول الله اي الاعمال افضل فقال
صلى الله عليه وسلم العلم بالله فقيل اي الاعمال تريد قال العلم بالله تعالى فقيل نسال
عن العمل وتجيب عن العلم فقال صلى الله عليه وسلم ان قليل العمل ينفع مع العلم
وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل وقال صلى الله عليه وسلم يبعث الله العباد يوم القيمة
ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء اني لم اضع علمي فيكم الا لعلمي بكم ولم اضع
علمي فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم **الآثار** قال علي رضي الله عنه

لكميل يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه
والمال ينقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق وقال ايضا العالم افضل من الصائم القائم
المجاهد واذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه وقال ايضا نظما
ما الفخر الا لاهل العلم انهم ۞ على الهدى لمن استهدى ادلاء ۞ وقدر كل امرئ ما كان
يحسنه ۞ والجاهلون لاهل العلم اعداء ۞ ففز بعلم ولا تطلب به بدلا ۞ فالناس موتى
واهل العلم احياء وقال ابو الاسود ليس شيء اعز من العلم الملوك حكام على الناس و
العلماء حكام على الملوك وقال ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمن بن داود عليهما الصلوة
والسلام بين العلم والملك والمال فاختار العلم فاعطي المال والملك معه وسئل ابن المبارك
من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك فقال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذي ياكل
بدينه ولم يجعل غير العلماء من الناس لان الخاصية التي بها يتميز الناس عن سائر
البهائم هي العلم والانسان انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك بقوة شخصه فان
الجمل اقوى منه ولا بعظمه فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان السبع اشجع منه ولا بالا
كل فان الجمل اوسع بطنا منه ولا ليجامع فان اخس العصافير اقوى على السفاد منه بل
لم يخلق الا للعلم ولا شرف الا به وقال بعض الحكماء ليت شعري اي شيء ادرك
من فاته العلم واي شيء فاته من ادرك العلم وقال فتح الموصلي اليس المريض اذا منع
الطعام والشراب والدوا يموت قالوا نعم قال كذلك القلب اذا منع عنه الحكمة والعلم
ثلثة ايام يموت ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته كما ان
غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم والحكمة فقلبه
مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به اذ حب الدنيا وشغله بها ابطل احساسه كما ان
غلبة الخوف قد تبطل احساس الم الجرح في الحال وان كان واقعا فاذا حط الموت عنه
اعباء الدنيا احس بهلاكه وتحسر تحسرا لا ينفعه وذلك كاحساس الامن من خوفه والمفيق
من سكره بما اصابه من الجراحات في حال السكر والخوف نعوذ بالله من يوم كشف
الغطا فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن يوزن مداد العلماء بدم الشهدا
فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء وقال ابن مسعود عليكم بالعلم قبل ان يرفع
ورفعه موت رواته فوالذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهدا
ان يبعثهم الله تعالى علماء لما يرون من كرامتهم وان احدا لم يولد عالما وانما العلم با
لتعلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما تذاكر العلم بعض ليلة احب الي من احيائها و
كذلك عن ابي هريرة رضي الله عنه واحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وقال الحسن في قوله تعالى
ربنا آتنا في الدنيا حسنة ان الحسنة في الدنيا هي العلم والعبادة وفي الاخرة هي الجنة

وقد

وقيل لبعض الحكماء اي الاشياء تقتني قال الاشياء التي اذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني العلم
وقيل اراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما
اتخذه الناس اماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وقال الشافعي رضي الله عنه
من شرف العلم ان كل من نسب اليه ولو في شيء حقير فرح ومن دفع عنه حزن وقال
عمر رضي الله عنه ايها الناس عليكم بالعلم فان لله تعالى رداء محبة فمن طلب بابا من
العلم رداه الله تعالى بردائه فان اذنب ذنبا استعتبه فان اذنب ذنبا استعتبه
فان اذنب ذنبا استعتبه لئلا يسلبه رداءه ذلك فان تطاول به ذلك الذنب حتى يموت
وقال الاحنف كاد العلماء ان يكونوا اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل يصير وقال
سالم ابن ابي الجعد اشتراني مولاي بثلثمائة درهم واعتقني فقلت باي حرفة احترف فا
حترفت بالعلم فما تمت لي سنة حتى اتاني امير المدينة زائرا فلم اذن له وقال الزبير بن ابي
بكر كتب الي ابي بالعراق عليك بالعلم فانك ان افتقرت كان لك مالا وان استغنيت كان لك جمالا
وحكي ذلك في وصايا لقمان لابنه وقال ايضا يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله
تعالى يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل السماء وقال بعض الحكماء اذا مات العالم
بكاه الحوت في الماء والطير في الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره وقال الزهري العلم ذكر
و[illegible]ه الا ذكور الرجال **فضيلة** التعلم اما الآيات فقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة
منهم طائفة ليتفقهوا في الدين وقوله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
الاخبار فقوله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة
وقال صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع وقال صلى الله
عليه وسلم لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير لك من ان تصلي مائة ركعة وقال
صلى الله عليه وسلم باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم
طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين وقال
صلى الله عليه وسلم العلم خزائن ومفاتيحها السؤال فاسألوا فانه يؤجر فيه اربعة السائل
والعالم والمستمع والمحب لهم وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للجاهل ان يسكت على جهله
ولا للعالم ان يسكت عن علمه وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه حضور مجلس علم افضل من
صلاة الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن
فقال صلى الله عليه وسلم وهل ينفع القرآن الا بالعلم وقال صلى الله عليه وسلم من جاءه الموت
وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فبينه وبين الانبياء في الجنة درجة واحدة واما
الآثار فقال ابن عباس ذللت طالبا فعززت مطلوبا وكذلك قال ابن ابي مليكة ما رأيت مثل
ابن عباس اذا رأيته رأيت احسن الناس وجها فاذا تكلم فاعرب الناس لسانا فاذا افتى فاكثر النا

علما وقال ابن المبارك عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة وقال بعض الحكما اني
لا ارحم رجالا كرحمتي لرجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم ولا يطلب العلم وقال ابو
الدرداء رضي الله عنه لان اتعلم مسئلة احب الي من قيام ليلة وقال ايضا العالم والمتعلم
شريكان في الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم وقال ايضا كن عالما او متعلما او مستمعا
ولا تكن الرابع فتهلك وقال عطا مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه موت الف عابد قائم الليل صائم النهار اهون على الله تعالى من موت عالم
بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعي رضي الله عنه طلب العلم افضل من النافلة وقال ابن عبد
الحكم كنت عند مالك اقرا عليه العلم فدخل وقت الظهر فجمعت الكتب لاصلي فقال يا هذا
ما الذي قمت اليه بافضل مما كنت فيه اذا صحت النية وقال ابو الدرداء رضي الله عنه من راى ان الغدو
الى العلم ليس بجهاد فقد نقص في رايه وعقله **فضيلة** التعليم اما الايات فقوله تعالى
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وهو ايجاب للتعليم وقال
تعالى وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وهو تحريم للكتمان كما قال سبحانه في
الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقال صلى الله عليه وسلم ما اتى الله عالما علما الا واخذ عليه
من الميثاق ما اخذ من النبيين ان يبينه للناس ولا يكتمه وقال تعالى ومن احسن قولا
ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقال تعالى
يعلمهم الكتاب والحكمة **واما** الاخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا
الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم
من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين نبيا وصديقا وقال عيسى عليه الصلوة
والسلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السموات وقال النبي صلى الله عليه وسلم
اذا كان يوم القيمة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل
علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله تعالى انتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا
فيشفعون فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون للعلم المتعدي بالتعليم لا اللازم
الذي لا يتعدى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس بعد ان يؤ
تيهم اياه ولكن يذهب العلم بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم
حتى اذا لم يبق الا رؤسا جهالا ان سئلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون وقال صلى الله عليه
وسلم من علم علما فكتمه الجمه الله يوم القيمة بلجام من نار وقال صلى الله عليه وسلم نعم العطية
ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوي عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة
سنة وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله تعالى وما والاه
او معلما او متعلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وملائكته واهل السموات والارض

حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلمي الناس الخير وقال صلى الله عليه وسلم
ما افاد المسلم اخاه المسلم فائده افضل من حديث بلغه فبلغه وقال صلى الله عليه وسلم كلمة من
الخير يسمعها المومن فيعمل بها او يعلمها خير له من عبادة سنة وخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذات يوم فراى مجلسين احدهما يدعون الله تعالى ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس
فقال اما هولاء فيسالون الله تعالى فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما هولاء فيعلمون الناس
وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم وقال صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثني الله به من
العلم والهدى كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فانبتت الكلا
والعشب الكثير وكانت منها بقعة امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا
وزرعوا وكانت منها بقعة لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فالاول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه
والثاني للنافع والثالث للمحروم منهما وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن ادم انقطع
عمله الا من ثلاث علم ينتفع به او صدقة جارية او ولد صالح يدعو له بالخير وقال صلى الله عليه
وسلم الدال على الخير كفاعله وقال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله
عز وجل حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس ورجل اتاه الله مالا فسلطه على انفاقه في الحق
فهو ينفق منه في سبيل الله كثيرا سرا وجهرا وقال صلى الله عليه وسلم على خلفائي رحمة
الله فقيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي من بعدي ويعلمونها عباد الله عز وجل
الاثار قال عمر رضي الله عنه من حدث بحديث فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل
وقال ابن عباس رضي الله عنهما معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر و
قال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل وروي
ان سفيان الثوري رحمه الله تعالى قدم عسقلان فمكث اياما لا يساله انسان عن مسالة
فقال اكروا لي لاخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وانما قال ذلك حرصا
على فضيلة التعليم واستبقاء للعلم به وقال عطا دخلت على سعيد بن المسيب وهو
يبكي فقلت له ما يبكيك فقال ليس احد يسالني عن شيء وقال بعض العلماء سرج الازمنة
كل واحد منهم مصباح زمانه يستضيء به اهل عصره وقال الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل
البهائم اي انهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية الى حد الانسانية وقال عكرمة ان
لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال ان تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه يحيى بن
معاذ العلماء ارحم بامة محمد صلى الله عليه وسلم من ابائهم وامهاتهم قيل وكيف ذلك
قال لان اباءهم وامهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الاخرة وقيل اول
العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره وقيل علم علمك من يجهل وتعلم
ممن يعلم فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال معاذ بن جبل رضي الله

عنه في التعليم والتعلم كل الخير قال معاذ ابن جبل ايضا مرفوعا تعلموا العلم فان تعلمه لله عز وجل
خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله
لاهله قربة وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على الدين
والمصبر على السراء والضراء والوزير عند الاخلاء والقريب عند الغرباء والسلاح عند الاعداء
ومنار سبيل الجنة يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخلق قادة هداة يقتدى بهم ادلة
في الخير تقتص اثارهم وترمق افعالهم وترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم
وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها
لان العلم حياة القلوب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ به
العبد منازل الابرار والدرجات العلى التفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به
يطاع الله وبه يعبد وبه يوحد وبه يتورع وبه توصل الارحام وبه يعرف الحلال من الحرام وهو
امام والعمل تابعه يلهمه الله السعداء ويحرمه الا

الشواهد العقلية

اعلم ان المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته وما لم تفهم الفضيلة
في نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن ان تعلم وجودها صفة للعلم او لغيره من الخصال
فلقد ضل عن الطريق من طمع ان يعرف ان زيدا حكيم ام لا وهو بعد لم يفهم معنى
الحكمة وحقيقتها فالفضيلة ماخوذة من الفضل وهي الزيادة فاذا تشارك شيئان
في امر واختص احدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك
الشيء كما يقال الفرس افضل من الحمار بمعنى انه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة
الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل
انه افضل من الفرس لان تلك زيادة في الجسم ونقصان في المعنى وليس من الكمال في شيء
والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه فاذا فهمت هذا لم يخف عليك ان العلم
فضيلة في ذاته ان اخذته بالاضافة الى سائر الاوصاف كما ان للفرس فضيلة ان اخذته
بالاضافة الى سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة في الفرس وليس فضيلة على الاطلاق
والعلم فضيلة في ذاته على الاطلاق من غير اضافة فانه وصف كمال الله تعالى وبه شرف
الملائكة والانبياء بل الكيس من الخيل خير من البليد فهي فضيلة على الاطلاق من غير
اضافة واعلم ان الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب لذاته والى ما يطلب لغيره
والى ما يطلب لذاته ولغيره وما يطلب لذاته اشرف وافضل مما يطلب لغيره وما يطلب
لذاته ولغيره اشرف مما يطلب لذاته فحسب فالمطلوب لغيره كالدراهم والدنانير فانهما
حجران لا منفعة فيهما ولولا ان الله تعالى يسر قضاء الحاجات بهما لكانت والحصباء بمثابة
واحدة والذي يطلب لذاته فالسعادة في الاخرة ولذة النظر لوجه الله تعالى والذي يطلب

لذاته

لذاته ولغيره كسلامة البدن فان سلامة الرجل مطلوبه من حيث انها سلامة عن الالم و
مطلوبة للمشي بها والتوصل للمآرب والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رايته
لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى دار الآخرة وسعادتها وذريعة
الى القرب من الله تعالى ولا يتوصل اليه الا به واعظم الاشياء في حق الادمي السعادة الابدية
وافضل الاشياء ما هو وسيلة اليها ولا يتوصل اليها الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل
ايضا الا بالعلم بكيفية العمل فاصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو اذا افضل
الاعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشي بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب
من رب العالمين والالتحاق بافق الملائكة ومقاربة الملاء الاعلى هذا في الاخرة واما في
الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان اغبياء
الترك واجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم
بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتميز الانسان
بكمال مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سيأتي بيانه
وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها اما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة
مما ذكرناه فان العلم اذا كان افضل الامور كان تعلمه طلبا للافضل وكان تعليمه افادة
للافضل وبيانه ان مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين الا بنظام الدنيا
فان الدنيا مزرعة الاخرة وهي الالة الموصلة الى الله تعالى لمن اتخذها آلة ومنزلا لا لمن
اتخذها مستقرا ووطنا وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال الآدميين واعمالهم وحرفهم
وصناعاتهم تنحصر في ثلثة اقسام احدها اصول لا قوام للعالم دونها وهي اربعة
الزراعة وهي للمطعم والحياكة وهي للملبس والبناء وهو للمسكن والسياسة وهي للتاليف
والاجتماع والتعاون على اسباب المعيشة وضبطها الثانية ما هو مهيئة لكل
واحدة من هذه الصناعات وخادم لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة وجملة من
الصناعات باعداد الاتها وكالحلاجة والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد عملها
الثالث ما هي متممة للاصول ومزينة لها كالطحن والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة
للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام امر العالم الارضي مثل اجزاء الشخص بالاضافة
الى البدن فانها ثلثة اضرب المصول كالقلب والكبد والدماغ واما خادمة لها كالمعدة والعروق
والشرايين والاعصاب والاوردة واما مكملة لها ومزينة لها كالاظفار والاصابع والحاجبين
واشرف هذه الصناعات اصولها واشرف اصولها السياسة بالتاليف والاستصلاح في
ذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا يستدعيه سائر الصناعات
ولذلك يستخدم صاحب السياسة لا محالة سائر الصناع والسياسة في استصلاح الخلق وار

تادم

الى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والاخرة على اربعة مراتب الاولى وهي العليا سياسة
الانبيا الثانية على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم الثالثة سياسة
الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لا
على باطنهم الرابعة سياسة العلماء بالله وبدينه الذين هم ورثة الانبياء عليهم السلام
وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة الى الاستفادة منهم ولا تنتهي
قوتهم الى التصرف في ظواهرهم بالالزام والمنع الرابعة سياسة الوعاظ وحكمهم على
بواطن العوام فقط فاشرف هذه السياسات الاربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب
نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى الاخلاق المحمودة المسعدة وهو
المراد بالتعليم وانما قلنا ان هذا افضل من سائر الحرف والصناعات لان شرف الصناعة
تعرف بثلثة امور اما بالالتفات الى الغريزة التي بها يتوصل الى معرفتها كفضل العلوم
العقلية على اللغوية اذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل اشرف من
السمع واما بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة واما بملاحظة المحل الذي
فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة اذ محل احدهما الذهب ومحل الاخر جلد الميتة
وليس يخفى ان العلوم الدينية وهي فقه طريق الاخرة انما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء
والعقل اشرف صفات الانسان كما سياتي بيانه اذ به تقبل امانة الله تعالى اذ به يتوصل
الى جوار الله سبحانه واما عموم النفع فلا يستراب فيه فان نفعه
وثمرته سعادة الاخرة واما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم
واشرف موجود على الارض جنس الانس واشرف جزء من جواهر الانسان قلبه والمعلم
مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيره وسياقته الى القرب من الله سبحانه عز وجل فتعليم
العلم من وجه عبادة لله تعالى ومن وجه خلافة لله انها لمقاصد ففتح الاحكام
سبحانه انه تدفع في قلب العالم العلم الذي هو اخص صفاته فهو كالخازن لانفس
خزائنه ثم هو ماذون له في الانفاق على كل محتاج اليه فاي رتبة اجل من كون
العبد واسطة بين ربه وبين خلقه في تقريبهم من الله سبحانه عز وجل الى وسيا
قتهم الى جنة المأوى الباب الثاني في العلم المحمود والمذموم واقسامهما واحكامهما
وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان ان موقع الفقه والكلام من
علم الدين الى اي حد هو وتفضيل علم الاخرة بيان العلم الذي هو فرض عين قال النبي صلى
الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين
فاختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم وتحزبوا فيه اكثر من عشرين فرقة
ولا نطول بنقل التفصيل ولكن حاصله ان كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده

فقال

فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله سبحانه
وتعالى وصفاته وقال الفقهاء هو علم اذ به تعرف العبادات والحلال والحرام
وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج اليه الاحاد دون الوقائع النادرة
وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها
وقال المتصوفة المراد به هذا العلم اي علمنا فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه
من الله تعالى وقال بعضهم العلم بالاخلاص آفات النفوس وتمييز لمة الملك من
لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على اقوام مخصوصين هم اهل ذلك
وصرفوا اللفظ عن عمومه وقال ابو طالب المكي هو العلم بما فيه ومنه الحديث الذي
فيه مباني الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس لان الواجب هذه
الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب والذي ينبغي ان يقطع به المحصل
ولا يستريب فيه ما نذكره وهو ان العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم الى علمين
علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم الا علم المعاملة والمعاملة التي
كلف الله العبد البالغ العاقل انها ثلثة اقسام اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ الرجل
العاقل بالاحتلام او السن ضحوة نهار مثلا فاول عليه تعلم كلمتي الشهادة
وفهم معناهما وهو قوله لا اله الا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه ان يحصل كشف ذلك
لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الادلة بل يكفيه ان يصدق به ويعتقده جزما من غير
اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث
ولا برهان اذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجلاف العرب بالتصديق والاقرار
من غير تعلم دليل فاذا فعل ذلك فقد ادى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض
عين عليه في الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما وليس يلزمه امر وراء هذا في الوقت بدليل
انه لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله تعالى غير عاص وانما يجب غير ذلك بعوارض تعرض
وليس ذلك ضروريا في حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنها وتلك العوارض اما ان
تكون في الفعل واما في الترك واما في الاعتقاد اما الفعل فبان يعيش من ضحوة النهار
الى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة فان كان صحيحا
وكان بحيث لو صبر الى زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج
الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد ان يقال الظاهر بقاؤه عليه تقديم التعلم
على الوقت ويحتمل ان يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب
قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فان عاش الى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم
الصوم وهو ان يعلم ان وقته من الصبح الى غروب الشمس وان الواجب فيه النية والامساك

عن الاكل والوقاع وان ذلك يتمادى روية الهلال فان تجدد له مال او كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم
ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه في الحال انما يلزمه عند تمام الحول من وقت الاسلام
فان لم يملك الا الابل لم يلزمه تعلم زكاة كذلك في سائر الاصناف فاذا دخل اشهر
الحج فلا يلزمه المبادرة الى علم الحج مع ان فعله على التراخي فلا يكون تعلمه على الفور ولكن
ينبغي لعلماء الاسلام ان ينبهوه على ان الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة اذا
كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم
كيفية الحج ولم يلزمه الا تعلم اركانه وواجباته دون نوافله وان فعل ذلك نفل فعلمه ايضا
نفل فلا يكون فرض عين وفي تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب اصل الحج في الحال
نظر يليق بالفقه وهكذا التدريج في علم سائر الافعال التي هي فرض عين واما التروك
فيجب علم تعلم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص اذ لا يجب على
الابكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوي تعلم ما
يحل الجلوس فيه من المساكن فذلك ايضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم انه
ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له فيجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الاسلام لابسا
للحرير او جالسا في غصب او ناظرا الى غير محرم فيجب تعريفه ذلك وما ليس ملابسا له ولكنه
بصدد التعرض له على القرب كالاكل فيجب تعليمه ذلك حتى انه اذا كان في بلد يتعاطى فيه
شرب الخمر واكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب
عليه تعلمه واما الاعتقادات واعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فان خطر له
شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به الى زوال الشك
فان لم يخطر له ذلك ومات قبل ان يعتقد ان كلام الله قديم وانه مرئي وانه تعالى ليس محل
الحوادث الى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعا ولكن هذه
الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها يخطر بالسماع من اهل البلد
فان كان في بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي ان يصان في اول بلوغه
عنها بتلقين الحق فانه لو القي اليه الباطل لوجب ازالته من قلبه
وربما عسر ذلك كما انه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع في البلد الذي هو به معاملة الربا
عليه تعلم الحذر من الربا فهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم
بكيفية العمل الواجب فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو
فرض عين عليه وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولمة الملك حق ايضا ولكن
في حق من يتصدى له فاذا كان الغالب ان الانسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد
فيلزمه ان يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا اليه وكيف لا يجب وقد قال

صلى الله عليه

8

صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه ولا ينفك
عنها بشر وبقية ما سنذكره من مذمومات احوال القلب كالكبر والعجب واخواتهما تتبع هذه
الثلاث المهلكات وازالتها فرض عين ولا يمكن الا بمعرفة حدودها ومعرفة اسبابها ومعرفة
علاجها فان من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده فكيف يمكن دون معرفة
السبب والمسبب واكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الاعيان وقد تركه الناس كافة
اشتغالا بما لا يعني ومما ينبغي ان يبادر في القائه اليه اذا لم يكن قد انتقل عن ملة اخرى
الايمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق وهو من تتمة كلمتي الشهادة
فانه بعد التصديق بكونه رسولا ينبغي ان يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو ان من
طاع الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم فله الجنة ومن عصاه فله النار فاذا انتبهت
لهذا التدريج علمت ان المذهب الحق هو هذا وتحققت ان كل عبد فهو في مجاري احواله
في يومه وليلته لا يخلو عن وقايع في عباداته ومعاملاته تجدد عليه لوازم فيلزمه السؤال
عن كل ما يقع له من النوادر وتلزمه المبادرة الى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا
فاذا تبين انه صلى الله عليه وسلم انما اراد بالعلم المعرف بالالف واللام في قوله صلى الله عليه
وسلم طلب العلم فريضة علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير وقد اتضح
وجه التدريج في وقت وجوبه **بيان العلم** الذي هو فرض كفاية اعلم ان الفرض
لا يتميز عن غيره الا بذكر اقسام العلوم والعلوم بالاضافة الى الغرض الذي نحن بصدده
تنقسم الى شرعية وغير شرعية واعني بالشرعية ما استفيد من الانبياء صلوات الله
عليهم ولا يرشد اليها مثل الحساب والهندسة ولا التجربة مثل الطب ولا السماع
مثل اللغة فالعلوم التي ليست شرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ما هو
مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم الى ما هو فرض
الكفاية والى ما هو فضيلة وليس بفريضة **اما** فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى
عنه في قوام امور الدنيا كالطب اذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان على الصحة وكالحساب
فانه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها وهذه هي العلوم التي لو خلى
البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الاخرين
ولا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان اصول الصناعات ايضا
من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة فانه لو خلا البلد عن الحجام
لتسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك فان الذي انزل الداء انزل الدواء
وارشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله واما ما يعد فضيلة
لا فريضة فالتعمق في دقايق الحساب وخفايا الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد

زيادة قوة في القدر المحتاج اليه واما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة
والتلبيسات واما المباح منه فعلم الاشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وما
يجري مجراه اما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس
بها ما يظن انها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم الى المحمودة والمذمومة اما المحمودة
فلها اصول وفروع ومقدمات ومتممات وهي اربعة اضرب الضرب الاول الاصول
وهي اربعة كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجماع الامة واثار
الصحابة والاجماع اصل انه يدل على السنة فهو اصل في الدرجة الثانية وكذلك
الاثر فانه يدل ايضا على السنة لان الصحابة رضي الله عنهم قد شاهدوا الوحي والتنزيل
وادركوا بقرائن الاحوال ما غاب عن غيرهم عيانه وربما لا تحيط العبارات بما ادرك بالقرائن
فمن هذا الوجه راى العلماء الاقتداء بهم والتمسك باثارهم وذلك بشرط مخصوص على وجه
مخصوص عند من يراه ولا يليق بيانه بهذا الفن الضرب الثاني الفروع وهو ما فهم من
هذه الاصول لا بموجب الفاظها بل بمعان تنبهت لها العقول فاتسع بسببها الفهم
من اللفظ الملفوظ غيره كما فهم من قوله صلى الله عليه وسلم لا يقضي القاضي وهو
غضبان انه لا يقضي اذا كان حاقنا او جائعا او متالما بمرض او عطشان وذا توقان وشوق
وما اشبهها مما يشغله عن الاحتياط في استيفاء ما هو بصدده من امور القضاء وفصل الخصومات
وهذا على ضربين احدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه فن الفقه والمتكفل به الفقهاء
وهم علماء الدنيا والثاني ما يتعلق بالاخرة وهو علم احوال القلب واخلاقه المذمومة والمحمودة
وما هو مرضي عند الله تعالى وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الاخير من هذا الكتاب
اعني جملة كتاب احياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها
وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر الاول من هذا الكتاب الضرب الثالث المقدمات
وهي التي تجري منها مجرى الالات كعلم اللغة والنحو فانهما الة لعلم كتاب الله تعالى وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم وليس اللغة والنحو من العلوم الشرعية في انفسهما ولكن لزوم
الخوض فيهما بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة فلا تظهر الا بلغة
فيصير تعلم تلك اللغة الة ومن الالات علم كتاب الخط الا ان ذلك ليس ضروريا اذ كان صلى الله
عليه وسلم اميا ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار
بحكم العجز في الغالب ضروريا الضرب الرابع المتممات وذلك في علم القران فانه
ينقسم الى ما يتعلق باللفظ كعلم القراءة ومخارج الحروف والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان
اعتماده ايضا على النقل اذ اللغة بمجردها لا تستقل به والى ما يتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ
والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم

الذي يسمى

الذي يسمى اصول الفقه ويتناول السنة ايضا واما المتممات في الاخبار والاثار فالعلم
بالرجال واسامیهم واسامي الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم باحوالهم
ليميز الضعيف عن القوي والعلم باعمارهم ليميز المرسل عن المسند وكذلك ما يتعلق
به فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات فان قلت فلم
الحقت الفقه بعلم الدنيا والحقت الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم ان الله سبحانه اخرج
ادم من التراب واخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فاخرجهم من الاصلاب
الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض ثم الى الجنة او الى النار فهذا مبدأهم
وهذه غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود
فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها با
لشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان
الى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق
اذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده الى طريق سياسة الخلق
وضبطهم لينتظم باستقامتهم امورهم في الدنيا ولعمري هو متعلق ايضا بالدين ولكن
لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا والملك
والدين توأمان والدين اصل والسلطان حارس وما لا اصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع
ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الخصومات بالفقه وكما ان
سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الاولى بل هو معين على ما لا يتم الدين
الا به فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم ان الحج لا يتم الا ببذرقة تحرس من العرب في
الطريق ولكن الحج شيء وسلوك الطريق الى الحج شيء ثان والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج
الا بها شيء ثالث ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء رابع وحاصل فن الفقه معرفة
طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روي مسندا لا يفتي الناس الا ثلثة امير او
مامور او متكلف فالامير هو الامام وقد كانوا هم المفتين والمامور نائبه والمتكلف غيرهما
وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحترزون
عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون اذا سئلوا عن علم
القرآن وطريق الآخرة وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائي فان من تقلد خطر الفتوى
وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به الا طلب الجاه والمال فان قلت هذا ان استقام لك في
احكام الحدود والجراحات والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع
العبادات من الصيام والصلوة ولا فيما يشتمل عليه ربع المعاملات من بيان الحلال والحرام
فاعلم ان اقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الاعمال التي هي اعمال الآخرة ثلاثة الاسلام والصلوة

والحلال والحرام اذا تاملت منتهى نظر الفقيه علمت انه لا يجاوز حدود الدنيا الى الاخرة فاذا
عرفت هذا في هذه الثلثة فهي في غيرها اظهر اما الاسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما
يفسده وفي شروطه وليس يلتفت فيه الا الى اللسان اما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال هلا شققت عن
قلبه في الذي قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذرا بانه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم
الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف مع انه يعلم ان السيف لم يكشف له عن نيته ولم
يرفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف فان السيف ممتد الى رقبته
واليد ممتدة الى ماله وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما دام له رقبة ومال وذلك
في الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله
فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم جعل اثر ذلك في الدم والمال واما الاخرة فلا
ينفع فيها الاقوال بل انوار القلوب واسرارها واخلاقها وليس ذلك من فن الفقه ولو
خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض في الكلام او الطب وكان خارجا عن فنه اما الصلاة فا
لفقيه يفتي بالصحة اذا اتى بصورة الاعمال مع ظاهر الشروط وان كان غافلا في جميع صلاته
من اولها الى اخرها مشغولا بالتفكر في حساب معاملاته في السوق الا عند التكبير وهذه
الصلوة لا تنفع في الاخرة كما ان القول باللسان في الاسلام لا ينفع ولكن الفقيه
يفتي بالصحة اي ما فعله حصل به امتثال صيغة الامر وانقطع به عنه القتل والتعزير
فاما الخشوع واحضار القلب الذي هو عمل الاخرة وبه ينفع العمل الظاهر فلا يتعرض
له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجا عن فنه واما الزكاة فالفقيه ينظر الى ما يقطع مطالبة
السلطان حتى انه اذا امتنع واخذها السلطان منه قهرا حكم بانه برئت ذمته وحكي
ان ابا يوسف كان يهب ماله لزوجته في اخر الحول ويستوهب مالها لاسقاط الزكاة فحكي ذلك
لابي حنيفة رضي الله عنه فقال ذلك من فقهه وصدق فان ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته في الاخرة
اعظم من كل جناية ومثل هذا العلم هو الضار واما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين
ولكن الورع له اربع درجات **الاولى** الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة وهو الذي
لا يخرج بعدمه الانسان عن اهلية الشهادة وهو الذي لا يخرج بعدمه الانسان والقضاء
والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر **الثانية** ورع الصالحين وهو التوقي من الشبهات
التي يتقابل فيها الاحتمالات قال صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال صلى الله
عليه وسلم الاثم حزاز القلوب **الثالثة** ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذي
يخاف منه اداؤه الى الحرام قال صلى الله عليه وسلم لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا
باس به مخافة ما به باس وذلك مثل التورع عن التحدث باحوال الناس خيفة من الانجرا

الى الغيبة

الى الغيبة والتورع عن اكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدي الى مقارفة
المحظورات الرابعة ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله تعالى خوفا من
صرف ساعة من العمر الى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله تعالى وان كان يعلم ويتحقق
انه لا يفضي الى الحرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه الا الدرجة الاولى
وهي ورع الشهود والقضاة د   ح في العدالة والقيام بذلك لا ينفي الاثم في الآخرة
وقال صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وان افتوك والفقيه لا يتكلم
في حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح في العدالة فقط فاذا جميع نظر
الفقيه مرتبطة بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة فان تكلم في الاثم وصفات القلب
واحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شيء من
الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام وكما يدخل الحكمة في النحو والشعر وكان سفيان الثوري
وهو امام في علم الظاهر يقول ان طلب هذا ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على ان
الشرف في العلم العمل به فكيف يظن انه علم اللعان والظهار والسلم والاجارة والصرف ومن
تعلم هذه الامور ليتقرب بتعاطيها الى الله تعالى فهو مجنون وانما العمل بالقلب والجوارح
في الطاعات والشرف هو علم تلك الاعمال فان قلت فقد سويت بين الفقه والطب اذ
الطب ايضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به ايضا اصلاح الدين وهذه
التسوية تخالف اجماع المسلمين فاعلم ان التسوية غير لازمة بل بينهما فرق وذلك ان الفقه
احدها اشرف منه من ثلثة اوجه احدها انه علم شرعي اذ هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فانه
ليس من علم الشرع والثاني انه لا يستغني عنه احد من سالكي طريق الآخرة البتة
لا الصحيح ولا المريض واما الطب فلا يحتاج اليه الا المرضى وهم الاقلون والثالث ان
علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لانه نظر في اعمال الجوارح ومصدر الاعمال ومنشؤها
صفات القلوب فالمحمود من الاعمال يصدر من الاخلاق المحمودة المنجية في الآخرة والمذموم
يصدر من المذموم وليس يخفى   ل الجوارح بالقلب واما الصحة والمرض فمنشاهما
صفات في المزاج والاخلاط وذلك من اوصاف البدن لا من اوصاف القلب فمهما اضيف
الفقه الى الطب ظهر شرفه واذا اضيف علم طريق الآخرة الى الفقه ظهر ايضا شرف
علم الآخرة فان قلت فصل لي علم طريق الآخرة تفصيلا يشير الى تراجمه وان لم يمكن استقصا تفا
صيله فاعلم انه قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة القسم الاول علم المكاشفة وهو
علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا
العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله وقال
آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم بدعة او كبر وقيل من كان

محبا للدنيا او مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم واقل عقوبة من ينكره
ان لا يذوق منه شيئا فهو علم الصديقين والمقربين اعني علم المكاشفة وهو عبارة
عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من
ذلك النور امور كثيرة كان يسمع من قبل اسمائها فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة
فيتضح اذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى وبصفاته الباقيات التامات
وبافعاله وبحكمه في خلق الدنيا والاخرة ووجه ترتيبه للاخرة على الدنيا والمعرفة
بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة
الشيطان للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء وكيفية وصول الوحي اليهم والمعرفة
بملكوت السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه
ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الاخرة والجنة والنار وعذاب القبر
والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله عز وجل كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى
قوله تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله تعالى والنظر الى
وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة
الملا الاعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات اهل الجنة حتى يرى بعضهم
البعض كما يرى الكوكب الدري في جو السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله اذ للناس في معنى
هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات شتى فبعضهم يرى ان جميع ذلك امثلة وان الذي
اعده الله لعباده الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانه ليس
مع الخلق من الجنة الا الصفات والاسماء وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها يوافق
حقائقها المفهومة من الفاظها وكذا يرى بعضهم ان منتهى معرفة الله تعالى الاعتراف
بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعي امورا عظيمة في المعرفة بالله تعالى وبعضهم يقول حد معرفة
الله تعالى ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو انه تعالى موجود عالم قادر سميع بصير
متكلم فنعني بعلم المكاشفة ان يرتفع الغطاء حتى يتضح له جلية الحق في هذه
الامور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه وهذا ممكن في جوهر الانسان لولا
ان مراة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا وانما نعني بعلم طريق الاخرة العلم
بكيفية تصقيل هذه المراة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه وعن معرفة صفاته
وافعاله وانما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبياء عليهم السلام في
جميع احوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلالا فيه حقائقه ولا
سبيل اليه الا بالرياضة التي نفصلها في موضعه وبالعلم وبالتعلم وهذه هي العلوم التي
لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من انعم الله سبحانه عليه بشيء منها الا مع اهلها وهو المشارك

فيه

فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا العلم الخفي هو الذي اراده النبي صلى الله عليه
وسلم : ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم
يجهله الا اهل الاغترار بالله عز وجل فلا تحقروا عالما اتاه الله تعالى علما فان الله عز وجل
لم يحقره اذ اتاه العلم   القسم الثاني وهو علم المعاملة فهو علم احوال القلب
اما ما يحمد منها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة
والسخاوة ورؤية المنة لله تعالى في جميع الاحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق
وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص فمعرفة حقائق هذه الاحوال وحدودها و
اسبابها التي بها تكتسب وثمرتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال
حتى يعود من علم الآخرة واما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد و
الحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والريا
والغضب والانفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر
والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة
والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق
والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من
القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها الذل وضعف الانتصار للحق
واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله تعالى في سلب ما اعطى
والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل والقسوة والفظاظة
والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفا
والطيش والعجلة وقلة الحيا وقلة الرحمة فهذه وامثالها من صفات القلب مغارس
الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة في فتوى علماء الآخرة واضدادها وهي الاخلاق
المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقائقها واسبابها
وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة والمعرض عنها
هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة كما ان المعرض عن الاعمال الظاهرة هالك بسيف سلا طين
الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض العين بالاضافة الى صلاح الدنيا
وهذا بالاضافة الى صلاح الآخرة ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص
مثلا او عن التوكل او عن وجه الاحتراز عن الريا لتوقف فيه مع انه فرض عينه الذي في
اهماله هلاكه في الآخرة ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات من
التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج الى شيء منها وان احتيج لم تخل البلد
عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهارا في

في حفظه وتدريسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين واذا روجع فيه قال اشتغلت به
لانه غاية علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلله والفطن يعلم انه
لو كان غرضه اداء الامر في فروض الكفاية لتقدم عليه فرض العين بل لتقدم عليه كثيرا
من فروض الكفايات فكم من بلدة ليس فيها طبيب الا من اهل الذمة ولا يجوز قبول
شهادتهم فيما يتعلق بالاطباء من احكام الفقه لا نرى احدا يشتغل به ويتهاترون على
علم الفقه لاسيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء ممن يشتغل بالفتوى
والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف ترخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية
قد قام به جماعة واهمال ما لا به هل لهذا سبب الا ان الطب ليس يتيسر به التوصل الى
تعاطي الاوقاف والوصايا وحيازة مال الايتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على
الاقران والتسلط به على الاعداء هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس علماء
السوء والله المستعان واليه الملاذ في ان يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن
ويضحك الشيطان وقد كان اهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن
وارباب القلوب كان الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدي شيبان الراعي كما
يقعد الصبي في المكتب ويساله كيف يفعل في كذا وكذا فيقال له مثلك يسال هذا
البدوي فيقول ان هذا وفق لما اغفلناه وكان احمد بن حنبل ويحيى بن معين يختلفان
الى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسالانه كيف كذا وكذا وقد
قال صلى الله عليه وسلم لما قيل له كيف نفعل اذا جاءنا امر لم نجده في كتاب ولا سنة
فقال صلى الله عليه وسلم سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولذلك قيل علماء
الظاهر زينة الارض والملك وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت وقال الجنيد قال لي
السري شيخي اذا قمت من عندي فمن تجالس قلت المحاسبي فقال نعم خذ من علمه وادبه ودع
تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب
حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث اشار الى ان من حصل الحديث والعلم ثم
تصوف افلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه فان قلت لم لم تورد في اقسام العلوم
الكلام والفلسفة ولم تبين انهما مذمومان او محمودان فاعلم ان حاصل ما يشتمل عليه
علم الكلام من الادلة التي ينتفع بها فالقرآن والاخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما
فهو اما مجادلة مذمومة وهي من البدع كما سياتي بيانه واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات
الفرق وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع
وتمجها الاسماع وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء من ذلك مالوفا في العصر
الاول فكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن تغير الان حكمه اذ حدثت البدع الصارفة

عن مقتضى القرآن والسنة وانبعث جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها كلاما مولفا فصار ذلك
المحذور بحكم الضرورة ماذونا فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل
به المبتدع اذا قصد الدعوة الى البدعة وذلك الى حد محدود سنذكره في الباب
الذي يلي هذا واما الفلسفة فليست علما برأسها بل هي اربعة اجزاء احدها الهندسة
والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما الا من يخاف عليه ان يتجاوز بهما الى علوم مذمومة
فان اكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما الى البدع فيصان الضعيف عنهما لا لعينهما
كما يصان الصبي عن شاطئ النهر خيفة من الوقوع في النهر وكما يصان الحديث العهد
بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه مع ان القوي لا يندب الى مخالطتهم والثاني
المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه وهما داخلان في علم الكلام والثالث
الالهيات وهو بحث عن ذات الله وصفاته وهو ايضا داخل في الكلام والفلاسفة
لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة
وكما ان الاعتزال ليس علما برأسه بل اصحابه طائفة من المتكلمين واهل البحث والنظر
انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة والرابع الطبيعيات وبعضها
مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد في اقسام العلوم وبعضها
بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر
الاطباء الا ان الطبيب ينظر في بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم
ينظرون في جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو انه
محتاج اليه واما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة اليها فاذا الكلام صار من جملة
الصناعات الواجبة على الكفايات حراسة لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة
وانما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة استيجار البذرقة في طريق الحج بحدوث
ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استيجارا [illegible] من
طريق الحج فكذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر الى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة
رضي الله عنهم فليعلم المتكلم حده من الدين وان موقعه منه موقع الحارس في طريق
الحج فان تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج والمتكلم ان تجرد للمناظرة والمدافعة
ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين
اصلا اذ ليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة التي يشاركه سائر العوام فيها وهي
من جملة اعمال ظاهر القلب واللسان وانما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة
واما معرفة الله تعالى وصفاته وافعاله وجميع ما اشرنا اليه في علم المكاشفة
فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد ان يكون الكلام حجابا ومانعا عنه وانما الوصول اليه

بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال سبحانه وتعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا فان قلت قد رددت حد المتكلم الى حراسة عقيدة العوام عن
تشويش المبتدعة كما ان حد البذرقة حراسة اقمشة الحجيج عن نهب العرب ورددت
حد الفقيه الى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شر بعض اهل العدوان عن
بعض فهاتان رتبتان نازلتان بالاضافة الى علم الدين وعلماء الامة المشهورون
بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم افضل الخلق عند الله فكيف تنزل درجاتهم
الى هذه المنزلة السافلة بالاضافة الى علم الدين فاعلم ان من عرف الحق بالرجال
تحير في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف اهله ان كنت سالكا طريق الحق وان
قنعت بالتقليد والنظر الى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل
عن الصحابة وعلو مناصبهم فقد اجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم وانهم لا
يدرك في الدين شاوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم
الاخرة وسلوك طريقها وما فضل ابو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة
صيام ولا بكثرة رواية وفتوى وكلام ولكن بسر وقر في صدره كما شهد له سيد البشر
صلى الله عليه وسلم فليكن حرصك في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون
ودع عنك ما تطابق اكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لاسباب ودواع يطول
تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاف من الصحابة رضي الله
عنهم كلهم علماء بالله واثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم احد
يحسن صنعة الكلام ولم ينصب نفسه للفتوى منهم احد الا بضعة عشر رجلا وكان
ابن عمر منهم وكان اذا سئل عن الفتوى يقول اذهب الى هذا الامير الذي تقلد
امور الناس ووضعها في عنقه اشارة الى ان الفتوى في القضايا والاحكام من
توابع الولاية والسلطنة ولما مات عمر رضي عنه قال ابن مسعود مات تسعة اعشار
العلم فقيل له اتقول ذلك وفينا اجلة الصحابة فقال لست اريد علم الفتوى والاحكام
انما اريد العلم بالله تعالى افترى انه اراد صنعة الكلام والجدل فما لك لا تحرص على
معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر رضي الله عنه فهو الذي سد باب الكلام والجدل
وضرب صبيغا بالدرة لما اورد عليه سؤالا في تعارض ايتين في كتاب الله تعالى
وهجره وامر الناس بهجرانه فاما قولك ان المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون
فاعلم ان ما ينال به الفضل عند الله شي وما ينال به الشهرة عند الناس الشهرة عند
عند الناس فهو شي اخر فلقد كان شهرة ابي بكر رضي الله عنه بالخلافة وكان
فضله بالسر الذي وهو في صدره وكان شهرة عمر رضي الله عنه بالسياسة وكان

فضله بالعلم

فشغله بالعلم الذي مات قسطه اعتباره بموته فيقصده التقرب الى الله تعالى ولا يبه
وعدله وشفقته على خلقه وهو امر باطن في سره فاما سائر اشغاله الظاهرة فيتصور
صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب في الشهرة فتكون الشهرة فيما
هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه احد فالفقهاء المتكلمون مثل الخلفاء
والقضاة والعلماء وقد انقسموا فمنهم من اراد الله بعلمه وفتواه وذب عن سنته ولم يطلب
فيه رياء ولا سمعة فاولئك اهل رضوان الله وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولارادتهم
وجه الله تعالى بفتواهم ونظرهم فان كل علم عمل فانه فعل مكتسب فليس كل عمل
علما والطبيب يقدر على التقرب الى الله تعالى بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث انه عامل
لله تعالى به والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله تعالى ومثابا لا من
حيث انه متكفل بعلم الدين بل هو متقلد لعمل يقصد به التقرب الى الله تعالى واقسام ما
تقرب به الى الله تعالى ثلاث علم مجرد وهو علم المكاشفة وعمل مجرد كعدل السلطان مثلا
وضبطه للناس ومركب من علم وعمل وهو علم طريق الآخرة فان صاحبه من العلماء والعمال
جميعا فانظر الى نفسك اتكون يوم القيمة في حزب عمال الله عز وجل او علماء الله سبحانه
او في حزبهما جميعا فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا اهم لك من التقليد لمجرد الا
شتهار كقول الشاعر خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل
على انا سننقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به ان الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وانهم
من اشد خصمائهم يوم القيمة فانهم ما قصدوا بالعلم الا وجه الله تعالى وقد شوهد من احوالهم
ما هو من علامات علماء الآخرة كما سياتي بيانه في باب علامات علماء الآخرة فانهم ما كانوا متجردين
لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التصنيف والتدريس
فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس في الفقه مع انهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم
الفتاوى والصوارف والدواعي متيقنة ولا حاجة الى ذكرها ونحن الآن نورد من احوال فقهاء
الاسلام ما تعلم به ان ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن اظهر الاقتداء بهم منتحلا مذهبهم
وهو مخالف لهم في علمهم وسيرتهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق اعني الذين
كثر اتباعهم في المذاهب خمسة الشافعي ومالك وابو حنيفة واحمد بن حنبل وسفيان الثوري
رحمهم الله تعالى وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وفقيها في مصالح
الخلق في الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء الفرق من جملتها
على خصلة واحدة وهي والمبالغة في تفاريع الفقه لان الخصال الاربع لا تصلح الا للآخرة
وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة ان اريد بها الآخرة فصلاحها للدنيا تشمروا لها
وادعوا بها مشابهة اولئك الائمة وهيهات فلا تقاس الملائكة بالحدادين فلنورد من

التصنيف

من احوالهم ما يدل على هذه الخصال الاربع فان معرفتهم بالفقه ظاهرة اما الشافعي رضي الله
عنه فيدل على كونه عابدا ما روي انه كان يقسم الليل ثلثة اجزاء ثلثا للعلم وثلثا للصلاة
وثلثا للنوم وقال الربيع كان الشافعي رضي الله عنه يختم القرآن في رمضان ستين مرة
كل ذلك في الصلوة وكان البويطي احد اصحابه وكان يختم القرآن في كل يوم مرة وقال حسين
الكرابيسي بت مع الشافعي غير ليلة فكان يصلي نحو من ثلث الليل فما رايته يزيد على خمسين
اية واذا اكثر فمائة وكان لا يمر باية رحمة الا سال الله لنفسه ولجميع المؤمنين ولا باية عذاب
الا تعوذ منها وسال الله النجاة لنفسه ولجميع المؤمنين فكانما جمع له الرجا والرهبة معا فا
نظر كيف يدل اقتصاره على خمسين اية على تبحره في اسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعي
رضي الله عنه ما شبعت منذ ست عشرة سنة لان الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل
الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر الى حكمته في ذكر آفات الشبع
ثم في جده في العبادة اذ طرح الشبع لاجله وراس التعبد تقليل الطعام وقال الشافعي رضي
الله عنه ما حلفت بالله تعالى لا صادقا ولا كاذبا فانظر الى احترامه وتوقيره لله تعالى
ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه وتعالى ظاهر وسئل الشافعي عن مسئلة فسكت فقيل
الا تجيب رحمك الله فقال حتى ادري ان الفضل في سكوتي او في الجواب فانظر الى مراقبته للسا
ن مع انه اشد الاعضا تسلطا على الفقها واعصاها على الضبط والقهر وبه يستبين انه كان
لا يتكلم ولا يسكت الا لنيل الفضل وطلب الثواب وقال احمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعي
يوما من سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من اهل العلم فالتفت الشافعي
الينا فقال نزهوا اسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون السنتكم عن النطق به فان المستمع
شريك القائل وان السفيه لينظر الى اخبث شي في وعائه فيحرص ان يفرغه في اوعيتكم ولو
ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقي بها قائلها وقال الشافعي رضي الله عنه كتب حكيم
الى حكيم قد اوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل
العلم بنور علمهم واما زهده فقد قال الشافعي رضي الله عنه من ادعى انه جمع بين حب
الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب وقال الحميدي خرج الشافعي الى اليمن مع بعض الولاة
فانصرف الى مكة بعشرة الاف درهم فضرب خباه في موضع خارج من مكة فكان الناس ياتونه فما
برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها وخرج من الحمام مرة فاعطى الحمامي مالا كثيرا وسقط سوط
ه من يده فدفعه اليه انسان فاعطاه جزاء عليه خمسين دينارا وسخاوة الشافعي رضي الله
عنه اكثر من ان تحكى وراس الزهد السخا لان من احب شيئا امسكه ولا يفارق المال
الا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى
واشتغال همه بالآخرة ما روي ان سفيان بن عيينة روى حديثا من الرقائق فغشي على الشا

فقيل له قد مات فقال ان مات فقد مات افضل اهل زمانه وروي عن عبد الله بن محمد البلوي قال
كنت انا وعمر بن نباتة جلوسا نتذاكر العباد والزهاد فقال لي عمر ما رايت اورع ولا افصح من
محمد بن ادريس الشافعي خرجت انا وهو والحارث بن لبيد الى الصفا وكان الحارث تلميذا للصا
لح المري فافتتح الحارث يقرا وكان حسن الصوت فقرا هذه الاية هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم
فيعتذرون فرايت الشافعي قد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا
عليه فلما افاق جعل يقول اعوذ بك من مقام الكاذبين واعراض الغافلين اللهم لك خضعت
قلوب العارفين وذلت هيبة المشتاقين الهي هب لي جودك وجللني بسترك واعف عن تقصيري
بكرم وجهك قال ثم قمنا فانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط
اتهيا للصلوة اذ مر بي رجل فقال يا غلام احسن وضوءك احسن الله اليك في الدنيا والاخرة
فالتفت فاذا انا برجل يتبعه جماعة فاسرعت في وضوئي وجعلت اقفو اثره فالتفت
الي فقال هل لك حاجة فقلت نعم تعلمني مما علمك الله شيئا فقال لي اعلم ان من صدق الله تعالى
نجا ومن اشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما يرى
من ثواب الله غدا افلا ازيدك قلت نعم قال من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الايمان
من امر بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله تعالى الا ازيدك قلت
بلى فقال كن في الدنيا زاهدا وفي الاخرة راغبا واصدق الله في جميع امورك تنجو مع الناجين
ثم مضى فسالت من هذا فقالوا هو الشافعي فانظر الى سقوطه مغشيا عليه ثم الى وعظه
كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد الا من معرفة الله
تعالى فانما يخشى الله من عباده العلماء ولم يستفد الشافعي هذا الخوف من علم كتاب
السلم والاجارة وسائر كتب الفقه بل من علوم الاخرة التي هي مستخرجة من القرآن والاخبار
اذ حكم الاولين والاخرين مودعة فيهما واما كونه عالما باسرار القلوب وعلوم الاخرة فتعرف
من الحكم المأثورة عنه روي انه سئل عن الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة عقدها الهوى
حيال ابصار قلوب العلماء فنظروا اليها بسوء اختيار النفوس فاحبطت اعمالهم وقال الشافعي
رضي الله عنه اذا انت خفت على عملك العجب فاذكر رضا من تطلب وفي اي نعيم ترغب ومن
اي عقاب ترهب واي عافية تشكر واي بلاء تذكر فانك اذا تفكرت في واحدة من هذه الخصال
صغر في عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب
وقال الشافعي رضي الله عنه من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وقال من اطاع الله عز وجل
بالعلم نفعه سره وقال ما من احد الا وله محب ومبغض فاذا كان كذلك فكن مع اهل طاعة الله
تعالى وروي ان عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسال الشافعي عن مسائل
في الورع والشافعي يقبل عليه لورعه فقال للشافعي يوما ايما افضل الصبر او المحنة او التمكين

فقال الشافعي التمكين درجة الانبياء ولا يكون التمكين الا بعد المحنة فاذا امتحن صبر واذا صبر مكن الا ترى ان الله تعالى امتحن ابرهيم عليه السلام ثم مكنه وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه وامتحن ايوب عليه السلام ثم مكنه وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه واتاه الله ملكا والتمكين افضل الدرجات قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض وايوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكن قال الله تعالى واتيناه اهله ومثلهم معهم الاية فهذا الكلام من الشافعي يدل على تبحره في اسرار القران واطلاعه على مقامات السائرين الى الله تعالى من الانبياء والاولياء وكان ذلك من علوم الاخرة وقيل للشافعي متى يكون الرجل عالما قال اذا تحقق في علم فعلمه وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فانه عند ذلك يكون عالما وقيل لجالينوس انك تامر للداء الواحد بالادوية الكثيرة المجتمعة قال انما المقصود منها واحد انما يجعل معه غيره لتسكن حدته لان الافراد   فهذا وامثاله مما لا يحصى يدل على عظم رتبته في معرفة الله تعالى وعلوم الاخرة واما ارادته بالفقه خاصة وبالمناظرة فيه وجه الله تعالى فيدل عليه ما روي عنه انه قال وددت ان الناس انتفعوا بهذا العلم وما ينسب الي منه شيء فانظر كيف اطلع على افة العلم وطلب الاسم به وكيف كان منزها للقلب عن الالتفات اليه متجردا للنية فيه لوجه الله تعالى وقال الشافعي رضي الله عنه ما ناظرت احدا قط فاحببت ان يخطئ وقال ما كلمت احدا قط الا احببت ان يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ وما كلمت احدا قط وانا ابالي ان يبين الله الحق على لسانه او على لساني وقال ما اوردت الحق والحجة على احد فقبلها مني الا هبته واعتقدت مودته ولا كابرني احد على الحق ودافع الحجة الا سقط من عيني ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على ان ارادته الله تعالى بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها ايضا ولهذا قال ابو ثور ما رايت ولا راى الراؤون مثل الشافعي وقال احمد بن حنبل رضي الله عنه ما صليت صلاة منذ اربعين سنة الا وانا ادعو للشافعي فانظر الى انصاف الداعي والمدعو له وقس الاقران والامثال من العلماء في هذه الاعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه له قال له ابنه اي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء فقال احمد يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف وقال احمد ما مس احد محبرة بيده الا وللشافعي في عنقه منة وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلاة منذ اربعين سنة الا وانا ادعو فيها للشافعي لما فتح الله عليه من العلم ووفقه للسداد فيه ولنقتصر على هذه النبذة من احواله فان ذلك خارج عن الحصر واكثر هذه المناقب نقلناها من الكتاب الذي صنفه الشيخ نصر بن ابراهيم المقدسي في مناقب الشافعي

رضي الله عنه

رضي الله عنه واما مالك رحمه الله تعالى فانه كان ايضا متحليا بهذه الخصال الخمس فانه
سئل ما تقول يا مالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر الى الذي يلزمك من حين تصبح
الى حين تمسي فالزمه وكان رحمه الله في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان اذا اراد ان يحدث
توضا وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن في جلوسه على وقار
وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير
يشهد بقوة معرفته بجلال الله تعالى واما ارادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله
الجدال في الدين ليس بشيء ويدل عليه قول الشافعي رحمه الله تعالى اني شهدت مالكا وسئل عن
ثمان واربعين مسئلة فقال في اثنتين وثلاثين منها لا ادري ومن يريد غير وجه الله تعالى
بعلمه فلا تسمح نفسه بان يقر على نفسه بانه لا يدري ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه اذا
ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب وما احد امن علي من مالك وروي ان ابا جعفر المنصور من
الخلفاء منعه من رواية الحديث في طلاق المكره ثم دس عليه من يسأله فروى على ملأ من الناس
ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث وقال مالك رضي الله عنه
ما كان رجل صادقا في حديثه لا يكذب الا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف واما
زهده في الدنيا فيدل عليه ما روي ان المهدي امير المؤمنين سأله وقال له هل لك دار فقال لا
ولكن احدثك فيه حدثنا سمعت ربيعة بن ابي عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وسأل الرشيد
هل لك دار فقال لا فاعطاه ثلثة الاف دينار وقال اشتر بها دارا فاخذها ولم ينفقها فلما اراد
الرشيد الشخوص قال لمالك ينبغي ان تخرج معنا فاني عزمت ان احمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان
الناس على القرآن فقال له مالك اما حمل الناس على الموطأ فليس الى ذلك سبيل لان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده في الامصار فحدثوا فعند كل اهل مصر علم وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اختلاف امتي رحمة واما الخروج فلا سبيل اليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال صلى الله عليه وسلم المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث
الحديد وهذه دنانيركم كما هي ان شئتم فخذوها وان شئتم فدعوها يعني انك انما تكلفني مفارقة
المدينة بما اصطنعته لدي فلا اوثر الدنيا على مفارقة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهكذا كان
زهد مالك في الدنيا ولما حملت اليه الاموال الكثيرة من اطراف الدنيا لانتشار علمه واصحابه كان يفرقها
في وجوه الخير ودل تفرقته على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد فقد المال وانما الزهد فراغ القلب عنه
فلقد كان سليمان عليه السلام في ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره من الدنيا ما روي عن الشافعي
رضي الله عنه انه قال رايت على باب مالك كراعا من افراس خراسان وبغال مصر ما رايت احسن منه فقلت
لمالك ما احسنه فقال هو هدية مني اليك يا ابا عبد الله فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال انا استحي

من الله ان اطار تربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم كاشفا بها فانظر الى سخاوته اذ وهب جميع ذلك دفعة
واحدة والى توقيره لتربة المدينة ويدل على ارادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاره للدنيا ما روي عنه
انه قال دخلت على هارون الرشيد فقال لي يا ابا عبد الله ينبغي ان تختلف الينا حتى يسمع صبياننا
منك الموطا قال فقلت اعز الله الامير ان هذا العلم منكم خرج فان انتم اعززتموه عز وان انتم اذللتموه
ذل والعلم يؤتى ولا ياتي فقال صدقت اخرجوا الى المسجد حتى تسمعوا مع الناس واما ابو حنيفة
رضي الله عنه فلقد كان ايضا عابدا زاهدا عارفا بالله تعالى خائفا منه مريدا وجه الله تعالى
بعلمه فاما كونه عابدا فيعرف بما روي عن ابن المبارك انه قال كان ابو حنيفة له مروءة وكثرة صلاة
وروي حماد بن ابي سليمان انه كان يحيي الليل كله وروي انه كان يحيي نصف الليل فاشار اليه انسان وهو
يمشي فقال لغيره هذا هو الذي يحيي كل الليل فلم يزل بعد ذلك يحيي كل الليل وقال انا استحيي
من الله ان اوصف بما ليس في من عبادته واما زهده فقد روي عن الربيع بن عاصم قال ار
سلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بابي حنيفة رضي الله عنه عليه فاراده على بيت المال فابى
فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب عن الولاية واحتمل العذاب وقال الحكم بن هشام
الثقفي حدثت بالشام عن ابي حنيفة انه كان من اعظم الناس امانة واراده السلطان على
ان يتولى مفاتيح خزائنه او يضرب ظهره فاختار عذابهم على عذاب الله وروي انه ذكر ابو حنيفة
عند ابن المبارك فقال اتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وروي عن محمد بن
شجاع عن بعض اصحابه انه قيل لابي حنيفة قد امر لك ابو جعفر امير المؤمنين بعشرة الاف درهم
قال فما رضي ابو حنيفة فلما كان اليوم الذي توقع ان يؤتى بالمال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم
فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض من حضر ما يكلمنا الا بالكلمة بعد الكلمة
اي هذه عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم اوصى بعد ذلك ابو حنيفة
بمتاع بيته فقال لابنه اذا انا مت ودفنتموني فخذ هذه البدرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة
فقل له هذه وديعتك التي اودعتها ابا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على
ابيك فقد كان شحيحا على دينه وروي انه دعي الى ولاية القضا فقال انا لا اصلح لهذا فقيل له لم فقال ان كنت
صادقا فما اصلح لها وان كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضا واما علمه بطريق الاخرة وطريق الدين ومعرفته
بالله عز وجل فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا وقد قال ابن جريج قد بلغني
عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت انه شديد الخوف من الله تعالى وقد قال شريك النخعي كان ابو حنيفة
طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس وهذا من اوضح الامارات على العلم الباطن والاشتغال
بمهمات الدين فمن اوتي الصمت والزهد فقد اوتي العلم كله فهذه احوال الائمة الثلثة واما احمد
بن حنبل وسفيان الثوري فاتباعهما اقل من هؤلاء وسفيان اقل اتباعا من احمد ولكن اشتهارهما بالورع
والزهد اظهر وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات افعالهما واقوالهما فلا حاجة الى التفصيل فانظر

الان في سيرهم

الان في سير هؤلاء الائمة وتاملنا ان هذه الاحوال والاقوال والاعمال في الاعراض عن الدنيا والتجرد لله هل
تثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار واللعان او يثمرها علم اخر اعلى
واشرف منه فانظر الى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء اصدقوا في دعواهم او لا والله اعلم

الباب الثالث

فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي به يكون بعض العلوم مذموما
وبيان تبديل اسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود
من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها علة ذم العلم المذموم لعلك تقول العلم هو
معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما
مذموما فاعلم ان العلم لا يذم لعينه وانما يذم في حق العباد لاحد اسباب ثلاثة ان
يكون مؤديا الى ضرر ما اما بصاحبه واما بغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق اذ
شهد القرآن له فانه سبب يتوصل به الى التفرقة بين الزوجين وقد سحر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومرض بسببه حتى اخبره جبريل عليه الصلوة والسلام بذلك واخرج السحر من تحت حجر في
قعر بئر وهو نوع علم يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبامور حسابية في مطالع النجوم
فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويترصد له وقت مخصوص في
المطالع ويقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بسببها الى الا
ستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجراء الله تعالى العادة احوال غريبة في الشخص
المسحور ومعرفة هذه الاسباب من حيث انها معرفة ليست مذمومة ولكنها لا تصلح الا للا
ضرار بالخلق والوسيلة الى الشر شر فكان ذلك هو السبب في كونه مذموما بل من اتبع وليا
من اولياء الله ليقتله وقد اختفى منه في موضع حريز اذا سال الظالم عن محله لم يجز تنبيهه
عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه ارشاد وافادة علم بالشيء على ما هو عليه ولكنه مذموم
لادائه الى الضرر **الثاني** ان يكون مضرا بصاحبه في غالب الامر كعلم النجوم فانه في نفسه غير
مذموم لذاته اذ هو قسمان قسم حسابي وقد نطق القرآن بان مسير الكواكب محسوب اذ قال
تعالى الشمس والقمر بحسبان وقد قال تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم
والثاني الاحكام وحاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب وهو يضاهي
استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض وهو معرفة لمجاري سنة الله تعالى وعادته
في خلقه ولكنه مذموم في الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر
النجوم فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال صلى الله عليه وسلم اخاف على امتي بعدي ثلاثا حيف
الائمة والايمان بالنجوم والتكذيب بالقدر وقال عمر رضي الله عنه تعلموا من النجوم ما تهتدون به
في البر والبحر ثم امسكوا وانما زجر عنه من ثلاثة اوجه **احدها** انه مضر باكثر الخلق فانه اذا
القي اليهم ان هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم ان الكواكب هي المؤثرة وانها الالهة

المدورة لا لانها جواهر شريفة سماوية تعظم وقعها في القلوب فيبقى القلب ملتفتا اليها ويرى الخير
والشر محذورا او مرجوا من جهتها وينمحي ذكر الله تعالى عن القلب فان الضعيف يقصر نظره على
الوسايط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره سبحانه وتعالى
ومثال نظر الضعيف الى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت
على سطح قرطاس وهي تنظر الى سواد الخط يتجدد فتعتقد انه فعل القلم ولا تترقى في نظرها الى مشاهدة
الاصابع ثم منها الى اليد ثم منها الى الارادة المحركة لليد ثم منها الى الكاتب القادر المريد ثم منه الى
خالق اليد والقدرة والارادة فاكثر نظر الخلق مقصور على الاسباب القريبة السافلة مقطوع عن
الترقي الى مسبب الاسباب فهذا احد اسباب النهي عن النجوم **وثانيها** ان احكام النجوم تخمين محض
ليس يدرك في حق احاد الاشخاص لا يقينا ولا ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من
حيث انه جهل لا من حيث انه علم ولقد كان ذلك معجزة لادريس عليه الصلوة والسلام فيما يحكى
وقد اندرس ذلك العلم وانمحى وما يتفق من اصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لانه قد
يطلع على بعض الاسباب ولا يحصل المسبب عقيبها الا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع
عليها فان اتفق ان قدر الله تعالى بقية الاسباب وقعت الاصابة وان لم يقدر اخطا ويكون ذلك
كتخمين الانسان في ان السماء تمطر اليوم مهما راى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه
بذلك وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم بخلافه وبمجرد الغيم ليس كافيا في مجيء المطر
وبقية الاسباب لا تدرى وكذلك تخمين الملاح ان السفينة تسلم اعتمادا على ما الفه من العادة في
الرياح ولتلك الرياح اسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطئ ولهذا
السبب يمنع القوي عن النجوم ايضا **وثالثها** انه لا فائدة فيه فاقل احواله انه خوض في فضول لا
يغني وتضييع العمر الذي هو انفس بضاعة الانسان بغير فائدة وذلك غاية الخسران فقد مر رسول الله صلى الله
عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا فقالوا بالشعر
وانساب العرب فقال صلى الله عليه وسلم علم لا ينفع وجهل لا يضر وقال انما العلم آية محكمة او سنة قائمة
او فريضة عادلة فاذا الخوض في النجوم وما يشبهها اقتحام خطر وخوض جهالة من غير فائدة فان
ما قدر كائن والاحتراز منه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة ماسة اليه واكثر ادلته مما يطلع عليها
وبخلاف التعبير وان كان تخمينا لانه جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة ولا خطر فيه **السبب
الثالث** الخوض في علم لا يستفيد الخائض فيه فائدة علم فهو مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها
وخفيها قبل جليها وكالبحث عن اسرار الالهية اذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون اليها ولم يستقلوا بها ولا
يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها الا الانبياء والاولياء فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم
الى ما نطق الشرع به ففي ذلك مقنع للموفق فكم من شخص خاض في العلوم فاستضر بها ولو لم يخض
فيه لكان حاله في الدين احسن مما صار اليه ولا ننكر كون بعض العلوم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم

الطير وانواع

الطير وانواع الحلاوات اللطيفة بالطفل الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الامور ولقد حكى
ان بعض الناس شكى الى طبيب عقم زوجته وانها لا تلد فجس الطبيب نبضها وقال لها لا حاجة بك
الى دواء الولادة فانك ستموتين الى اربعين يوما وقد دل النبض عليه فاستشعرت المرأة خوفا عظيما
وتنغص عليها عيشها واخرجت اموالها وفرقتها واوصت وبقيت لا تاكل ولا تشرب حتى انقضت
المدة فلم تمت فجاء زوجها الى الطبيب فقال لم تمت فقال الطبيب قد علمت ذلك فجامعها الان فانها
تلد فقال كيف ذلك فقال رايتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها فعلمت انها لا تهزل الا بخوف
الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض
العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع فاعتبر بهذه الحكاية
ولا تكن بحاثا عن علوم قد ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم
واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث والاستقلال ولا تكثر اللجج برأيك
ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك اني ابحث عن الاشياء لاعرفها على ما هي عليه فاي ضرر في
التفكر في العلم فان ما يعود عليك من ضرره اكثر وكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك ضررا يكاد
يهلكك في الاخرة ان لم يتداركك الله سبحانه برحمته واعلم انه كما يطلع الطبيب الحاذق على اسرار في
المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فهكذا الانبياء اطباء القلوب والعلماء باسباب الحياة الاخروية
فلا تتحكم على سننهم بمعقولك فتهلك فكم من شخص يصيبه عارض في اصبعه فيقتضي عقله
ان يطليها حتى ينبهه الطبيب الحاذق ان علاجها ان يطلى الكتف من الجانب الاخر من البدن
فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الاعصاب ومنابتها ووجه التفافها
على البدن فهكذا الامر في طريق الاخرة وفي دقائق سنن الشرع وادابه وفي عقائده التي تعبد
الناس بها اسرار ولطائف ليست في سعة العقل وقوته الاحاطة بها كما ان في خواص الاحجار
امورا غاب عن اهل الصنعة علمها حتى لم يقدر احد على ان يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس
الحديد والعجائب والغرائب في العقائد والاعمال وافادتها صفاء القلب ونقاءه وطهارته وتزكيتها
وتزكيته واصلاحه للترقي الى جوار الله تعالى وتعريضها لنفحات فضله اكثر واعظم مما في الادوية
والعقاقير وكما ان العقول تقصر عن ادراك منافع الادوية مع ان للتجربة سبيلا اليها فكذلك
العقول تقصر عن ادراك ما ينفع في حياة الاخرة مع ان التجربة غير متطرقة اليها وانما كانت التجربة
تتطرق اليها لو رجع الينا بعض الاموات فاخبرنا عن الاعمال المقبولة النافعة المقربة الى الله تعالى
زلفا وعن الاعمال المبعدة عنه وكذا عن العقائد وذلك مما لا يطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل
ان يهديك الى صدق النبي صلى الله عليه وسلم ويفهمك موارد اشاراته فاعزل العقل بعد ذلك
عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم الا به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم جهلا وان
من القول عيا ومعلوم ان العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تاثير الجهل في الاضرار وقال صلى الله عليه وسلم

قليل من التوفيق خير من كثير من العلم وقال عليه الصلوة والسلام ما اكثر الشجر وليس كلها
وبمثمر وما اكثر   وليس كلها بطيب وما اكثر العلوم وليس كلها بنافع والله اعلم بيان ما بدل
من الفاظ العلوم اعلم ان منشا التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الاسامي
المحمودة وتبديلها ونقلها بالاغراض الفاسدة الى معان غير ما اراده السلف الصالح والقرن الاول
وهي خمسة الفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه اسامي محمودة والمتصفون
بها ارباب المناصب في الدين ولكنها الان نقلت الى معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن
مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع اطلاق هذه الاسامي عليهم اللفظ الاول الفقه فقد تصرفوا
فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل اذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف
على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان اشد تعمقا
فيها واكثر اشتغالا بها يقال هو الافقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الاول مطلقا على علم
طريق الاخرة ومعرفة دقائق افات النفوس ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا
وشدة التطلع   نعيم الاخرة واستيلاء   على القلب ويدلك قال الله تبارك وتعالى
ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وما به الانذار والتخويف هو هذا العلم
وهذا الفقه دون تفريعات الطلاق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به انذار
ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد من المتجردين
له وقال الله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها واراد به معاني الايمان دون الفتاوى ولعمري
الفقه والفهم في اللغة اسمان لمعنى واحد وانما نتكلم في عادة الاستعمال قديما وحديثا
وقال تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون فاحال قلة
خوفهم من الله عز وجل واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان ذلك نتيجة
عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى والاقضية او هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم
وقد قال صلى الله عليه وسلم علماء حكماء فقهاء للدين وفدوا عليه وسئل سعد بن ابراهيم اي
اهل المدينة افقه فقال اتقاهم فكانه اشار الى ثمرة الفقه والتقوى
ثمرة العلم الباطن دون الفتاوى والاقضية وقال صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بالفقيه
كل الفقيه قالوا   قال صلى الله عليه وسلم من لم يقنط الناس من رحمة الله تعالى
ولم يؤمنهم من مكر الله عز وجل ولم يؤيسهم من روح الله عز وجل ولم يدع القرآن رغبة
عنه الى ما سواه ولما روى انس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم لان اقعد مع قوم يذكرون
الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب قال فالتفت الى
يزيد الرقاشي وزياد النميري فقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص احدكم
وعظه على اصحابه ويسرد الحديث سردا انما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القرآن ونتفقه

في الدين

في الدين وقد نعم الله علينا فسمى تدبر القرآن وعلم النعم تفقها وقال صلى الله عليه وسلم لا
يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة ثم
وروي ايضا موقوفا على ابي الدرداء رضي الله عنه مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها
اشد مقتا وسال فرقد السبخي الحسن عن شيء فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن ثكلتك
امك فريقد هل رايت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه
المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم
ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست اقول ان اسم الفقه لم يكن متناولا
للفتاوى في الاحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول او بطريق الاستتباع وكان
اطلاقهم له على علم الآخرة اكثر فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والاعراض
عن علم الآخرة واحكام القلوب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض
والعمل به عسير والتوصل به الى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان
مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع
به **اللفظ الثاني** العلم وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وافعاله
في عباده وخلقه حتى انه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رضي الله عنه مات تسعة
اعشار العلم فعرفه بالالف واللام ثم فسره بالعلم بالله سبحانه وقد تصرفوا فيه ايضا با
لتخصيص حتى شهروه في الاكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها
فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد
من جملة الضعفاء ولا يعدونه في زمرة اهل العلم وهذا ايضا تصرف بالتخصيص ولكن
ما ورد من فضائل العلم والعلماء اكثره في العلماء بالله تعالى وباحكامه وافعاله وصفاته
وقد صار الآن يطلق على من لا يحيط من علوم الشرع بشيء سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية
فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والاخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك
سببا مهلكا لخلق كثير من طلبة العلم **اللفظ الثالث** التوحيد وقد جعل الآن
عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بمناقضات الخصوم والقدرة
على التشدق فيها بتكثير الاسئلة واثارة الشبهات وتاليف الالزامات حتى لقب طوائف
منهم انفسهم باهل العدل والتوحيد وسمي المتكلمون العلماء بالتوحيد مع ان جميع ما هو
خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف شيء منها في العصر الاول بل كان يشتد النكير منهم على من
يفتح ابواب الجدل والمماراة فاما ما يشتمل عليه القرآن من الادلة الظاهرة التي تسبق الاذهان
المقبول لها في السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كله و
التوحيد عندهم عبارة عن علم آخر لا يفهمه اكثر المتكلمين وان فهموه لم يتصفوا به

وهو   يرى الامور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الاسباب والوسائط فلا يرى
خيرا والشر الا منه جل جلاله فهذا مقام شريف احدى ثمراته التوكل كما سيأتي بيانه في كتاب
التوكل ومن ثمراته ترك شكاية الخلق وترك   عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى وكان
احدى ثمراته قول الصديق رضي الله عنه لما قيل له في مرضه اطلب لك طبيبا فقال الطبيب امرضني
وقول آخر لما مرض فقيل له ما قال لك الطبيب في مرضك فقال قال اني فعال لما اريد وسيأتي شواهد
في كتاب التوكل ان شاء الله تعالى وكان التوحيد جوهرا نفيسا وله قشران احدهما ابعد عن اللب
من الآخر فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر واهملوا اللب بالكلية فالقشر
الاول ان تقول بلسانك لا اله الا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذي صرح به
النصارى ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره والقشر الثاني ان لا يكون في
القلب مخالفة وانكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده والتصديق
به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة
والثالث وهو اللباب ان يرى الامور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط
وان يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى
فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد في الارض عند الله تعالى هو الهوى
وعلى التحقيق من تأمل عرف ان عابد الصنم ليس يعبد الصنم انما يعبد هواه اذ نفسه
مائلة الى دين آبائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس الى المألوفات احد المعاني التي يعبر عنه
بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات اليهم فان من يرى
الكل من الله تعالى كيف يتسخط على غيره فقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو من
مقامات الصديقين فانظر الى ماذا حول وبأي قشر قنع وكيف اتخذوا هذا معتصما في التمدح
والتفاخر بما اسمه محمود مع الافلاس عن المعنى الذي يستحق به الحمد الحقيقي وذلك كافلاس
من يصبح بكرة و   الى القبلة ويقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وهو
اول كذب يفاتح الله به سبحانه كل يوم ان لم يكن وجه قلبه متوجها الى الله تعالى على الخصوص فانه
ان اراد بالوجه وجه الظاهر فما وجه الا الى الكعبة وما صرفه عن سائر الجهات والكعبة ليست
جهة للذي فطر السموات والارض حتى يكون المتوجه اليها متوجها اليه تعالى عن ان تحده
الجهات والاقطار وان اراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق قوله و
وقلبه متردد في اوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل وجمع الاموال والجاه ومستكثر
الاسباب ومتوجه بالكلية اليها فمتى وجه للذي فطر السموات والارض وهذه الكلمة خبر عن
حقيقة التوحيد فالموحد هو الذي لا يرى الا الواحد ولا يتوجه وجهه الا اليه وهو امتثال

قوله تعا

قوله تعالى قل الله ثم ذرهم وليس المراد به القول باللسان انما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب
اخرى وانما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه وهو القلب فهو معدن التوحيد ومنبعه
اللفظ الرابع الذكر والتذكير وقد قال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين
وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر والتذكير اخبار كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم
برياض الجنة فارتعوا فيها قيل يا رسول الله وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفي الحديث ان
لله ملائكة سياحين في الهواء سوى ملائكة الخلق اذا راوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا
هلموا الى بغيتكم فياتونهم ويحفون بهم ويستمعون الا فاذكروا الله وذكروا بانفسكم
فنقل ذلك الى ما ترى اكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه من القصص والاشعار
والطامات اما القصص فهي بدعة وقد ورد نهي السلف عن الجلوس الى القصاص وقالوا لم يكن
ذلك في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في زمان ابي بكر وعمر رضي الله عنهما حتى ظهرت
الفتنة فظهر القصاص وروي ان ابن عمر رضي الله عنهما خرج من المسجد وقال ما اخرجني الا
القاص ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت للثوري نستقبل القصاص بوجوهنا فقال ولوا
البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت
نهى الامير القصاص ان يقصوا فقال وفقه لذلك ودخل الاعمش جامع البصرة فراى قاصا يقص
ويقول حدثنا الاعمش فتوسط الحلقة واخذ ينتف شعر ابطه فقال القاص يا شيخ الا تستحي
فقال انا في سنة وانت في كذب انا الاعمش وما حدثتك به وقال احمد اكثر الناس كذبا
القصاص والسؤال واخرج علي رضي الله عنه القصاص من مسجد البصرة ولما سمع كلام
الحسن البصري لم يخرجه اذ كان يتكلم في علم الاخرة والتذكير بالموت والتنبيه على
عيوب النفس وآفات الاعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه
وتقصير العبد في شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها وقلة عهدها وخطر
الاخرة واهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذي روي الحث عليه في حديث ابي
ذر قال حضور مجلس ذكر افضل من صلاة الف ركعة وحضور مجلس علم افضل من عيادة
الف مريض وحضور مجلس علم افضل من شهود الف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة
القرآن فقال وهل ينفع قراءة القرآن الا بالعلم وقال عطاء مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا
من مجالس اللهو فقد اتخذ المزخرفون هذه الاحاديث حجة على تزكية انفسهم ونقلوا
اسم التذكير الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا بالقصص التي تطرق
اليها الاختلاف والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليها
فان القصص ما ينفع سماعه ومنها ما يضر سماعه وان كان صادقا ومن فتح ذلك الباب على
نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار فلهذا نهي عنه ولذلك قال احمد بن حنبل رضي الله

عنه ما احوج الناس الى قاص صادق فان كانت القصص من قصص الانبياء عليهم السلام فيما
يتعلق بامور دينهم وكان صحيح الرواية فلست ارى به باسا فليحذر الكذب وحكاية احوال
تومي الى هفوات او مساهلات تقصر فهم العوام عن درك معانيها او عن كونها هفوة نادرة
مردفة بتكفيرات ومتداركة بحسنات تغطي عليها فان العامي يعتصم بذلك في مساهلاته
وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيه ويحتج بانه حكي كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض
الاكابر وكلنا بصدد المعاصي فلا غرو ان عصيت الله فقد عصاه من هو اكبر مني ويفيده
ذلك جراة على الله من حيث لا يدري فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا باس به
وعند ذلك ترجع القصص المحمودة الى ما يشتمل عليه القرآن ويصح في الكتب الصحيحة من
الاخبار ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات ويزعم ان قصده
فيه دعوة الخلق الى الحق وهذا من نزغات الشيطان فان في الصدق مندوحة عن الكذب
وفيما ذكره الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع في الوعظ كيف
وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع قال سعد بن ابي وقاص لابنه عمر وقد سمعه
يسجع هذا الذي يبغضك الي لا قضيت حاجتك ابدا حتى تتوب وقد كان جاءه في حاجة وقد قال
صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة في سجع بين ثلاث كلمات اياك والسجع يا ابن
رواحة فكان السجع المحذور المتكلف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال ذلك الرجل
في دية الجنين كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل مثل ذلك يطل فقال
صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الكهان او كسجع الاعراب واما الاشعار فتكثيرها
في المواعظ مذموم قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل
واد يهيمون وقال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له واكثر ما اعتاده الوعاظ من الا
شعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال والم الفراق
والمجلس لا يحوي الآن الا اجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة
عن الالتفات الى الصور المليحة فلا تحرك الاشعار من قلوبهم الا ما هو مستكن فيها ان
فتشتعل فيها نيران الشهوات فيزعقون ويتواجدون واكثر ذلك او كله يرجع
الى نوع فساد فلا ينبغي ان يستعمل من الشعر الا ما فيه موعظة وحكمة على سبيل
استشهاد واستيناس فقد قال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ولو حوى
المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن
معهم غيرهم فان اولئك لا يضر معهم الشعر الذي يشير ظاهره الى الخلق فان المستمع
ينزل كل ما يسمعه على ما يستولي على قلبه كما سياتي تحقيق ذلك في كتاب السماع
ولذلك كان الجنيد يتكلم على بضعة عشر رجلا فان كثروا لم يتكلم وما تم اهل مجلسه

عشرين ومحضرته باب دار ابن سالم فقيل له تكلم فقد حضر اصحابك فقال ما هؤلاء اصحابي
المجلس لان اصحابي هم الخواص الشطح فنعني به صنفين من الكلام احدثه
بعض المتصوفة احدهما الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله والوصال المغني
عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة
بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين الحلاج
الذي صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله انا الحق وبما يحكى
عن ابي يزيد البسطامي انه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام
حتى ترك جماعة من اهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا مثل هذه الدعاوى فان هذا كلام
يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال
فلا يعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة
ومهما انكر عليهم ذلك لم يعجزوا ان يقولوا ان هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب
والكلام والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا
وقد جاء قد استطار في بعض البلاد شرره وعظم ضرره ومن نطق بشيء منه فقتله
افضل في دين الله من احياء عشرة انفس واما ابو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى فلا
يصح عنه ما حكي عنه وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله تعالى في كلام يردده في
نفسه كما لو سمع وهو يقول انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني فانه ما كان ينبغي ان يفهم منه
ذلك الا على سبيل الحكاية الصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر
رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها بل وذلك اما ان تكون غير مفهومة عند
قائلها بل يصدرها عن خبطة في عقله وتشويش في خياله لقلة احاطته بمعنى كلام
قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما ان تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وايرادها
بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم وعدم طريق التعبير عن المعاني بالالفاظ
الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من كلام الا انه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير
الاذهان او يحمل على ان يفهم منها معاني غيرها اريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى
هواه وطبعه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما حدث احدكم قوما بحديث لا يفهمونه الا كان
فتنة عليهم وقال صلى الله عليه وسلم كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون اتريدون
ان يكذب الله ورسوله وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه
قائله فان كان يفهمه القائل دون السامع فلا يحل ذكره وقال عيسى عليه الصلوة والسلام لا
تضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق
يضع الدواء في موضع الداء وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير اهلها جهل ومن منعها اهلها

علم ان للحقيقة حقا وان لها فاعطا كل ذي حق حقه   الطامات فيدخلها ما ذكرناه في
الشطح وامر آخر يخصها وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى امور
باطنة لا يسبق منها الى الافهام كداب الباطنية في التاويلات وهذا ايضا حرام وضرره
عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب
الشرع ومن غير ضرورة تدعو اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالا
لفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله فان ما يسبق منه الى الفهم لا يوثق
به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا
ايضا من البدع الشائعة العظيمة ضررها وانما قصد اصحابها الاغراب فان النفوس
مائلة الى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة
بتاويل ظواهرها وتنزيلها على رايهم كما حكيناه من مذهبهم في الكتاب المستظهري المصنف
في الرد على الباطنية ومثال تاويل اهل الطامات قول بعضهم في تاويل قوله تعالى اذهب الى
فرعون انه طغى انه اشارة الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل انسان وفي قوله
الق عصاك اي كل ما تتوكا عليه وتعتمده مما سوى الله تعالى فينبغي ان تلقيه وفي قوله صلى الله
عليه وسلم تسحروا فان في السحور بركة اراد به الاستغفار بالاسحار وامثال ذلك
يحرفون القرآن من اوله الى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس رضي الله
عنهما وسائر العلماء وبعض هذه   ويلات يعلم بطلانها قطعا كتنزيل فرعون على القلب
فان فرعون اسم لشخص محسوس تواتر الينا وجوده ودعوة موسى له كابي جهل وابي لهب
وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التا
ويل الى الفاظه وكذلك حمل السحور على الاستغفار فانه كان صلى الله عليه وسلم يتناول الطعام
ويقول تسحروا فان في السحور بركة وهلموا الى الغداء المبارك فهذه امور يدرك بالتواتر والحس
بطلانها وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في   ور لا يتعلق بها الاحساس وكل ذلك حرام وضلاله
وافساد للدين على الخلق ولم ينقل من ذلك شيء عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري
مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم ولا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برايه
فليتبوا مقعده من النار معنى الا هذا النمط وهو ان يكون غرضه ورايه تقرير امر وتحقيقه
فيستجر شهادة القرآن اليه ويحمله عليه من غير ان يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية
او نقلية ولا ينبغي ان يفهم منه انه يجب ان لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر فان من الآيات ما نقل
فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ونعلم ان جميعها غير مسموع من
صلى الله عليه وسلم فانها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل ومن يستجيز من اهل

الطامات

الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالا ويزعم انه يقصد به دعوة الخلق
الى الحق فيضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو في نفسه
حق ولكنه لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسألة يراها حقا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم من كذب علي
متعمدا فليتبوأ مقعده من النار بل الشر في تأويل هذه الالفاظ أطم وأعظم لانها مبطلة للثقة
بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان
دواعي الخلق من العلوم المحمودة الى المذمومة وكل ذلك بتلبيس علماء السوء بتبديل الاسامي
فان اتبعت هؤلاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير التفات الى ما عرف في العصر الاول كنت كمن
طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيما في هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل الالفاظ **اللفظ**
الخامس وهو الحكمة فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذي يدحرج
القرعة على أكف السوادية في شوارع الطرق والحكمة هي التي أثنى الله عز وجل عليها ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وقال صلى الله عليه وسلم كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من
الدنيا وما فيها فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه والى ماذا انتقل وقس به بقية الالفاظ واحترز
عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم أعظم على الدين من شر الشياطين اذ الشيطان بو
اسطتهم يتدرج الى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن شر الخلق أبى وقال اللهم غفرا حتى كرروا عليه فقال هم علماء السوء فقد عرفت المحمود
والمذموم ومثار الالتباس واليك الخيرة في ان تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف او تتدلى
بحبل الغرور وتتشبه بالخلف وكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما اكب الناس
عليه فاكثره مبتدع محدث وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ الاسلام غريبا و
سيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء فقيل ومن الغرباء يا رسول الله فقال الذين يصلحون ما افسده
الناس من سنتي والذين يحيون ما اماتوه من سنتي وفي خبر آخر هم المتمسكون بما انتم عليه اليوم
وفي حديث آخر الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم اكثر ممن يحبهم وقد
صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك قال الثوري اذا رأيت العالم كثير الا
صدقاء فاعلم انه مخلط لانه ان نطق بالحق ابغضوه **بيان القدر المحمود** من العلوم
المحمودة اعلم ان العلم بهذا الاعتبار ثلاثة اقسام قسم هو مذموم قليله وكثيره وقسم هو
محمود قليله وكثيره وكلما كان اكثر كان احسن وافضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية
ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه وهو مثل احوال البدن فان منه ما يحمد قليله وكثيره
كالصحة والجمال ومنه ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ومنه ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال
فان التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فان التهور لا يحمد فيها وان كان من جنس الشجاعة

فكذلك العلم فالقسم المذموم قليله وكثيره لا فائدة فيه في دين ولا دنيا وفيه ضرر يغلب
نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فائدة فيه اصلا وصرف العمر الذي هو انفس
ما يملكه الانسان اليه اضاعة والنفائس مذمومة ومنه ما فيه ضرر يربي على ما يظن انه يحصل
به من قضاء وطر في الدنيا فان ذلك لا يعتد به بالاضافة الى الضرر الحاصل منه
والقسم المحمود الى اقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله عز وجل وبصفاته وافعاله وسنته
في خلقه وحكمته في ترتيب الاخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته وللتوسل به الى سعادة
الاخرة وبذل المقدور فيه الى اقصى غايات الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر الذي لا يدرك
غوره وانما يحوم الحائمون على سواحله واطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض اطرافه الا الانبياء
صلوات الله عليهم والاولياء والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم و
وتفاوت تقدير الله عز وجل في حقهم وهذا هو العلم المكنون الذي لا في الكتب
ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة احوال علماء الاخرة المجاهدة والرياضة وتصفية القلب
وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيه بانبياء الله تعالى واوليائه ليتضح منه لكل ساع الى
طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنا فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح
لها سواها واما العلوم التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص فهي العلوم التي اوردناها في فروض
الكفايات فان في كل علم منها اقتصارا وهو الاقل واقتصادا وهو الوسط واستقصاء وراء الاقتصاد
مرد له الى اخر العمر فكن احد رجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا الى غيرك بعد الفراغ من نفسك
واياك ان تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي
هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة
والصوم وانما الاهم الذي اهمله الكل علم صفات القلب ما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات
المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر واخواتها وجميع ذلك مهلكات واهمالها مع الا
شتغال بالاعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التاذي بالجرب والدما
ميل والتهاون باخراج المادة بالفصد والحجامة والاسهال فحشوية العلماء يشيرون بالاعمال
الظاهرة كما يشير الطرقية من الاطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الاخرة لا يشيرون الا بتطهير
الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابتها وقلع مغارسها وهي في القلب وانما فزع الاكثرون
الى الاعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة اعمال الجوارح واستصعاب اعمال القلوب
كما يفزع الى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الادوية المرة [illegible] فلا يزال يتعب
في الطلاء ويزيد في المواد وتتضاعف به الامراض فان كنت مريدا للاخرة وطالبا للنجاة وهاربا
من هلاك الابد فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم
ينجر بك ذلك الى المقامات المحمودة المذكورة في ربع المنجيات لا محالة فان القلب اذا فرغ

من المذموم

من المذموم امثل من المحمود كالارض اذا نقيت من الحشيش نبت فيها اصناف الزروع والرياحين
وان لم تفرغ من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات لاسيما وفي الخلق من به فان مهلك
نفسه في طلب صلاح غيره سفيه فما اشد حماقة من دخلت الافاعي والعقارب تحت ثيابه وهمت
بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك
الحيات والعقارب اذا به وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر
الاثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما ابعد ذلك فاشتغل بفروض الكفايات
وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير
وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك
في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون علم الخلاف ثم باصول
الفقه وهكذا الى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن
واحد منه طالبا للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم الات ومقدمات وليست
مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي ان ينسى فيه المطلوب لعينه ويستكثر
منه فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم به كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب
القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم
الا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير اليها في الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس
بها غيرها فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار كما صنفه علي الواحدي
النيسابوري وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة اضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه
وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه ولا مرد له الا انتهاء العمر واما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل
ما في الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث واما حفظ اسامي الرجال
فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك ان تعول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون
الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر على طلب ما تحتاج اليه عند الحاجة واما الاقتصاد فيه
فبان تضيف اليه ما خرج عنهما مما ورد في المسندات الصحيحة واما الاستقصاء فما
وراء ذلك الى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوي والصحيح والسقيم مع معرفة
الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة احوال الرجال واساميهم واوصافهم واما الفقه فالا
قتصار فيه ما يحويه مختصر المزني رحمه الله وهو الذي رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد
فيه ما يبلغ ثلاثة امثاله وهو القدر الذي اوردناه في الوسيط من المذهب والاستقصا
ما اوردناه في البسيط الى ما وراء ذلك من المطولات واما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات
التي نقلها اهل السنة من السلف لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الامور من غير طريقها
ومقصود حفظ السنة تحصل برتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذي اوردناه

في كتاب قواعد العقايد من جملة هذه الكتب والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة وهو
القدر الذي اوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ومعارضة
بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامي وذلك لا ينفع الا مع العوام قبل اشتداد
تعصبهم واما المبتدع بعد ان يعلم من الجدل ولو شيئا يسيرا فقلما ينفع معه الكلام فانك
ان افحمته لم يترك مذهبه واحال بالقصور على نفسه وقدر ان عنده جوابا ما وانما انت عاجز عنه وانما انت
ملبس بقوة المجادلة عليه واما العامي اذا صرف عن الحق بنوع جدل فيمكن ان يرد اليه بمثله
قبل ان يشتد التعصب للاهواء فاذا اشتد تعصبهم وقع الياس منهم اذ التعصب سبب يرسخ
العقايد في النفوس وهذا ايضا من آفات علماء السوء فانهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون
الى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم الدعوى بالمكافاة والمقابلة وتتوفر
بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا اليه ولو جاوا من جانب
اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لا في معرض التعصب والتحقير لانجحوا فيه ولكن لما كان الجاه
لا يقوم الا بالاستتباع ولا يستميل الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب
عادتهم والتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ور
سوخ البدعة في النفوس واما الخلافيات التي احدثت في هذه الاعصار المتاخرة وابدع
فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها في وقت السلف فاياك وان
تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فانه الداء العضال وهو الذي رد الفقهاء كلهم الى
طلب المنافسة والمباهاة على ما سياتيك تفصيلها غوائلها وآفاتها وهذا الكلام ربما يسمع
من قائله فيقال الناس اعداء ما جهلوا ولا تظنن ذلك فعلى الخبير سقطت فاقبل هذه النصيحة
ممن ضيع العمر فيه زمانا وزاد فيه على الاولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم الهمه الله
تعالى رشده واطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه ولا يغرنك قول من يقول الفتوى
عماد الشرع ولا تعرف علله الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة فيه والزيادة على ذلك
مجادلات لم يعرفها الاولون ولا الصحابة رضي الله عنهم اجمعين وقد كانوا اعلم بعلل الفتوى
من غيرهم بل هي مع انها غير مفيدة في علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه فان
الذي يشهد له حدس المفتي اذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل في اكثر
الامر فمن الف طبعه رسوم الجدل اذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لذوق
الفقه وانما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بانه يطلب به علل المذهب
وقد ينقضي عليه العمر ولا ينصرف همته الى علم المذهب فكن من شياطين الجن في امان واحترز
من شياطين الانس فانهم اراحوا شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال وبالجملة فا
المرضي عند العقلاء ان تقدر نفسك في العالم وحدك مع الله تعالى وبين يديك الموت والعرض

والحساب والج

والحساب والجنة والنار وتامل فيهما بعقلك وابن يديك ودع عنك ما سواه والسلام ورئي بعض
الشيوخ بعض العلماء في المنام فقال له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده
ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا وما انتفعت الا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل وفي الحديث
ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرا ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وفي
الحديث في معنى قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ هم اهل الجدل الذين عناهم الله تعالى بقوله فا
حذرهم وقال بعض السلف يكون في اخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح عليهم
باب الجدل وفي بعض الاخبار انكم في زمان الهمتم فيه العمل وسياتي قوم يلهمون الجدل وفي الخبر
المشهور ابغض الخلق الى الله تعالى الالد الخصم وفي الخبر ما اوتي قوم المنطق الا منعوا العمل وعن علي
بن بصير عن ابيه قال رايت الخليل بن احمد في النوم بعد موته فقلت ما احد اعقل من الخليل الا
سالته فقال لي رايت ما كنا فيه فاني لم ار شيئا خيرا انفع من قول سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر **الباب الرابع** في سبب اقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات
المناظرة والجدل وشروط اباحتها اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها
الخلفاء الراشدون وكانوا ائمة وعلماء بالله وفقهاء في احكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى في الاقضية فكانوا
لا يستعينون بالفقهاء الا نادرا في وقايع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا
لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق باحكام الخلق من الدنيا واقبلوا على الله بكنه اجتهادهم
كما نقل من سيرهم فلما افضت الخلافة بعدهم الى اقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال
بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في جميع احوالهم لا
ستفتائهم في مجاري احكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول
وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا اذا طلبوا هربوا واعرضوا فاضطر
الخلفاء الى الالحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فراى اهل تلك الاعصار عز العلماء و
اقبال الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرابوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك
الجاه من قبل الولاة فاكبوا على علم الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم و
طلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح لم يخل من ذل الطلب و
مهانة الابتذال فاصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض
عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا من وفقه الله تعالى في كل عصر من علماء دينه وقد كان اكثر
الاقبال في تلك الاعصار على علم الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة اليها في الولايات والحكومات
ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت
نفسه الى سماع الحجج فيها فعلمت رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام فاكب الناس على علم الكلام
واكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيها طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات

وزعموا ان غرضنا الذب عن دين الله تعالى والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان غرضهم
الاشتغال بفتاوى الدين وتقلد احكام الدين اشفاقا على خلق الله تعالى ونصيحة لهم ثم ظهر
بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد
من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الناشئة المفضية الى اهراق الدماء وتخريب
البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة رضي الله
عنهما على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم واقبلوا على المسائل الخلافيات بين
الشافعي وابي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك واحمد وسفيان
الثوري رضي الله عنهم وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل
المذهب وتمهيد اصول الفتاوى واكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها
انواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون على ذلك الى الآن ولسنا ندري ما الذي
يقدر الله تعالى فيما بعدنا من الاعصار فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلافيات والمناظرة
لا غير ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة او الى علم آخر من
العلوم لمالوا ايضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به هو علم الدين وان لا
مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين **بيان التلبيس** في تشبيه هذه المناظرات
بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضي الله عنهم اجمعين اعلم ان هؤلاء قد
يستدرجون الناس الى ذلك بان غرضنا من المناظرة المباحثة عن الحق ليتضح فان الحق
مطلوب والتعاون على النظر وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر هكذا كانت عادة الصحابة
رضي الله عنهم في مشاوراتهم كتشاورهم في مسئلة الجد والاخوة وحد شرب الخمر ووجوب
الغرم على الامام اذا اخطأ كما نقل عن اجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر رضي الله عنه
وكما نقل في مسائل الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعي ومحمد بن الحسن ومالك وابي
يوسف وغيرهم من العلماء ويطلعك على هذا التلبيس ما اذكره وهو ان التعاون على
طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات **الاول** ان لا يشتغل به وهو من
فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الاعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض
الكفاية وزعم ان مقصوده الحق فهو كذاب ومثاله مثال من يترك الصلوة في نفسه ويتجرد
في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي بها ستر عورة من يصلي عريانا ولا يجد الثوب فان
ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع النوادر التي عنها البحث في الخلاف
ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون لامور هي فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد
وديعة في الحال فقام وتحرم بالصلاة التي هي اقرب القربات الى الله تعالى كان عاصيا بذلك
فلا يكفي في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط

والترتيب

والترتيب **الثاني** ان لا يرى فرض كفاية اهم من المناظرة فان راى ما هو اهم عصى بفعله وكان مثاله
مثال من يرى جماعة من العطاش قد اشرفوا على الهلاك وقد اهملهم الناس وهو قادر على احيائهم
بان يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم انها من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس
واذا قيل له في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض
كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطشى من المسلمين كحال
المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها واما الفتوى فقد قام بها جماعة
ولا يخلو بلد عن جملة من الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء اليها واقربها الطب اذ لا يوجد في اكثر
البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرعا ولا يرغب احد من
الفقهاء في الاشتغال به وكذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من فروض الكفايات وربما
يكون المناظر في مجلس مناظرته شاهدا للحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت ويناظر في مسئلة
لا يتفق وقوعها قط وان وقعت قام بها جماعة من الفقهاء ثم يزعم انه يريد ان يتقرب الى الله
تعالى بفرض الكفاية وقد روى انس رضي الله عنه انه قيل يا رسول الله متى يترك الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر فقال صلى الله عليه وسلم اذا ظهرت المداهنة في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول
الملك في صغاركم والفقه في اراذلكم **الثالث** ان يكون المناظر مجتهدا يفتي برايه لا بمذهب
الشافعي وابي حنيفة رضي الله عنهما وغيرهما حتى اذا ظهر له الحق في مذهب ابي حنيفة ترك ما يوافق
الشافعي وافتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة والائمة رضي الله عنهم فاما من ليس له رتبة الا
جتهاد وهو حكم كل العصر وانما يفتي فيما يسئل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف
مذهبه لم يجز له ان يتركه فاي فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل
عليه يلزمه ان يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فاني لست مستقلا بالاجتهاد في اصل
الشرع ولو كانت مباحثته عن المسائل التي فيها وجهان او قولان لصاحبه لكان اشبه فانه ربما يفتي باحدهما
فيستفيد من البحث ميلا الى احد الجانبين ولا ترى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك المسئلة
التي فيها وجهان او قولان وطلب مسئلة يكون الخلاف فيها مبتوتا **الرابع** ان لا يناظر الا في مسئلة
واقعة او قريبة الوقوع غالبا فان الصحابة رضي الله عنهم ما تشاوروا الا فيما تجدد من الوقائع
او ما يغلب وقوعه كالفرائض ولا ترى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التي تعم البلوى بالفتوى
فيها بل يطلبون الطبوليات التي تتسع مجال الجدل فيها كيف ما كان الامر وربما يتركون ما يكثر وقوعه
ويقولون هذه مسئلة خبرية او هي من الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجائب ان يكون المطلب
هو الحق ثم يترك المسئلة لانها خبرية ومدرك الحق هو الاخبار او لانها ليست من الطبوليات فلا يطول
الكلام فيها والمقصود في الحق ان يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب والقصر لا ان يطول **الخامس**
ان يكون المناظرة في الخلوة احب اليه واهم من المحافل وبين اظهر الاكابر والسلاطين فان الخلوة

اجمع لهم واحرى لصفا الفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الريا ويوجب الحرص على نصرة
كل واحد من المناظرين نفسه محقا كان او مبطلا وانت تعلم ان حرصهم على المحافل والمجامع اكثر
الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب فاذا ظهر مقدم او انتظم
جمع لم يغادر في قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام السادس ان يكون
في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين ان تظهر الضالة على يده او على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا
لا خصما ويشكره اذا عرفه الخطا واظهر له الحق كما لو اخذ طريقا في طلب ضالته فنبهه صاحبه على
ضالته في موضع آخر فانه كان يشكره ولا يذمه ويفرح به ويكرمه وهكذا كانت مشاورات الصحابة رضي
الله عنهم حتى ردت امراة على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملا من الناس
فقال اصابت امراة واخطا رجل وسال رجل عليا رضي الله عنه فاجابه فقال ليس كذلك يا امير المومنين
ولكن كذا وكذا فقال اصبت واخطات وفوق كل ذي علم عليم واستدرك ابن مسعود على ابي
موسى الاشعري رضي الله عنهما فقال ابو موسى لا تسالوني عن شي وهذا الحبر بين اظهركم
وذلك لما سئل ابو موسى الاشعري رضي الله عنهما عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة
وكان امير الكوفة فقال ابن مسعود اعده على الامير فلعله لم يفهم فاعيد فاعاد الجواب فقال
ابن مسعود انا اقول ان قتل فاصاب الحق فهو في الجنة فقال ابو موسى الحق ما قال فهكذا يكون
انصاف طالب الحق ولو ذكر الآن مثل هذا لاقل فقيه لانكره واستبعده وقال لا يحتاج الى ان
يقال اصاب الحق فان ذلك معلوم لكل احد فانظر الى مناظري زمانك اليوم كيف يسود وجوههم
اذا اتضح الحق على لسان خصمهم وكيف يخجل لذلك وكيف يجتهد في مجاحدته باقصى قدرته
وكيف يذم من افحمه طول عمره ثم لا يستحيي من تشبيه نفسه بالصحابة رضي الله عنهم في تعاونهم
على النظر السابع ان لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال
الى اشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما له
وعليه كقوله هذا لا يلزمني ذكره وهذا يناقض كلامك الاول فلا يقبل منك فان الرجوع
الى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله وانت ترى ان جميع المجالس تنقضي في المدافعات
والمجادلات حتى يقيس المستدل على اصل بعلة يظنها فيقال له وما الدليل على ان الحكم في الاصل
معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو اوضح واولى منه فاذكره حتى
انظر فيه فيصر المعترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا اذكرها اذ لا يلزمني
ذكرها ويقول المستدل عليك ابراز ما تدعيه وراء هذا ويصر المعترض على انه لا يلزمه ويتوخى
مجالس المناظرة بهذا الجنس من السوال وامثاله ولا يعرف هذا المسكين ان قوله اني اعرف ولا
اذكره اذ لا يلزمني كذب على الشرع فانه ان كان لا يعرف معناه وانما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق
كذاب عصى الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها وان كان صادقا فقد فسق باخفائه

ما عرفه

ماعرفه من امر الشرع وقد يسأل عن اخوة المسلم ليفهمه وينظر فيه فان كان ثم ما رجع اليه وان كان
ضعيفا اظهر له ضعفه واخرجه عن ظلمة الجهل ولا خلاف ان اظهار ما علم من علم الدين بعد السؤال
عنه واجب لازم فمعنى قوله لا يتمارى في الشرع الجدل الذي ابتدعناه بحكم التشهي والرغبة في
طرف الاحتيال والمقارعة بالكلام لا يلزمنا الا فهو لانه من الشرع ناظر بامتناعه عن الذكر اما كان
واما فاسق فنتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضي الله عنهم هل سمعت فيها ما
يضاهي هذا الجنس وهل منع احد من الانتقال من دليل الى دليل ومن قياس الى اثر ومن خبر الى آية
بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس اذ كانوا يذكرون كلما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه
التاسع ان يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم والغالب انهم يحترزون من
مناظرة الفحول والاكابر خوفا من ظهور الحق على لسانهم ويرغبون فيمن دونهم طمعا في ترويج الباطل
عليهم ووراء هذا شروط دقيقة ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك الى من يناظر لله تعالى
ومن يناظر لعلة واعلم بالجملة ان من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو اعدى
عدو له ولا يزال يدعوه الى الهلاك ثم يشتغل بمناظرة غيره في مسائل المجتهد فيها مصيب
او مساهم للمصيب في الاجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك شمت الشيطان
به لغمسه فيه من ظلمات الآفات التي نعددها ونذكر تفصيلها **بيان آفات المناظرة**
وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق اعلم وتحقق ان المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة
والافحام واظهار الفضل والشرف عند الناس وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه
الناس هي منبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله تعالى المحمودة عند عدو الله ابليس ونسبتها
الى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والرياء والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب
الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة
وكان الذي خير بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فاقدم عليه فدعاه ذلك الى
ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة في المناظرة
وطلب الجاه والمباهاة به دعاه ذلك الى اضمار … كلها في النفس وهيج فيه جميع
الاخلاق المذمومة وهذه الاخلاق ستأتي ادلة مذمتها من الاخبار والآيات في ربع
المهلكات ولكنا نشير الآن الى مجامع ما تهيجه المناظرة فمنها الحسد وقد قال صلى الله عليه
وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ولا ينفك المناظر عن الحسد فانه تارة يغلب
وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه واخرى يحمد كلام غيره فما دام يبقى في الدنيا واحد يذكر بقوة
العلم والنظر او يظن انه احسن منه كلاما واقوى نظرا فلا بد ان يحسده ويحب زوال النعم عنه
وانصراف الوجوه والقلوب عنه اليه والحسد نار محرقة فمن بلي به فهو في العذاب الاليم في
الدنيا ولعذاب الآخرة اشد واعظم ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما خذوا العلم حيث

وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقها بعضهم في بعض فانهم يتغايرون كما تتغاير التيوس
في الزريبة ومنها التكبر والترفع على الناس وقد قال صلى الله عليه وسلم من تكبر وضعه الله
ومن تواضع رفعه الله وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله سبحانه وتعالى العظمة
ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته ولا ينفك المناظر عن التكبر على الاقران
والامثال والترفع الى فوق قدره حتى انهم ليقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه
في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدور والبعد منه والتقدم في الدخول
عند مضايق الطرق وربما يتعلل الغبي والمكار الخداع منهم بانه يبغي صيانة عز العلم
وان المؤمن منهي عن اذلال نفسه فيعبر عن التواضع الذي اثنى الله تعالى عليه وسائر
انبيائه بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله تعالى بعز الدين تحريفا للاسم واضلالا للخلق
كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرهما ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه وقد قال
صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود وورد في ذم الحقد ما لا يخفى ولا ترى مناظرا يقدر
على ان لا يضمر حقدا على من يحرك راسه على كلام خصمه ويتوقف في كلامه فلا يقابله بحسن
الاصغا بل يضطر اذا شاهد ذلك الى اضمار الحقد وتربيته في النفس وغاية تماسكه الا
خفا بالنفاق ويترشح منه الى الظاهر لا محالة في غالب الامر فكيف ينفك عن هذا ولا يتصور
اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع احواله في ايراده واصداره ثم
لو صدر من خصمه ادنى تشبيب فيه قلة مبالاة بكلامه لانغرس في صدره حقد لا يقلعه ابدا
الى اخر العمر ومنها الغيبة وقد شبهها الله تعالى باكل الميتة ولا يزال المناظر مثابرا
على اكل الميتة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه ان يصدق
فيما يحكيه عليه ولا يكذب في الحكاية فيحكي عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه
ونقصان فضله وهو الغيبة فاما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على ان يحفظ لسانه
عن التعرض لمن يعرض عن كلامه ويصغي الى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه الى الجهل والحماقة
وقلة الفهم والبلادة ومنها تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم وقيل
لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو المناظر عن الثنا على نفسه بالقوة
والغلبة والتقدم بالفضل على الاقران ولا ينفك في اثناء المناظرة عن قوله لست ممن يخفى
عليه امثال هذه الامور وانا المتفنن في العلوم والمستقل بالاصول وحفظ الاحاديث وغير
ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة الى ترويج كلامه ومعلوم ان الصلف
والبذخ مذمومان شرعا وعقلا ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال الله
تعالى ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات اقرانه وتتبع
عورات خصومه حتى انه ليخبر بورود مناظر الى البلد فيطلب من يخبره بباطن احواله

ويستخرج

ويستخرج بالسؤال والتفحص حتى يعده ذلك ذخيرة لنفسه في افضاحه وتخجيله اذا مست
اليه حاجته حتى انه ليستكشف عن احوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة او على
عيب به من قرع او غيره ثم اذا احس بادنى غلبة من جهته عرض به ان كان متماسكا ويستحسن
ذلك منه ويعده من لطائف التسبيب ولا يمتنع عن الافضاح به ان كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء
كما يحكى عن اقوام من اكابر المناظرين المعدودين من فحولهم ومنها الفرح بمساآت الناس
والغم بمسارهم ومن لا يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد عن اخلاق المؤمنين
وكل من طلب المباهات باظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء اقرانه واشكاله الذين يسامونه
في الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرات فكما ان احدى الضرات اذا رات صاحبتها
من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها فهكذا ترى المناظر اذا راى مناظرا تغير لونه
واضطرب عليه فكره فكانه شاهد شيطانا ماردا او سبعا ضاريا فاين الاستئناس والاسترواح
الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المواخاة والتناصر والتساهم في
السراء والضراء حتى قال الشافعي رضي الله عنه العلم بين اهل العقل رحم متصل فلا ادري
كيف يدعي الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور ان
ينتسب الانس بينهم مع طلب الغلبة والمباهات هيهات هيهات فناهيك بالشيء شرا ان يلزمك
اخلاق المنافقين ويبريك عن اخلاق المؤمنين المتقين ومنها النفاق ولا يحتاج الى ذكر
الشواهد في ذمه وهم مضطرون اليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم واشياعهم ولا يجدون
بدا من التودد باللسان واظهار الشوق والاعتداد بمكانهم واحوالهم ويعلم المخاطب والمخاطب
وكل من يسمع ذلك منهم ان ذلك كذب وزور ونفاق وفجور فانهم متوددون بالالسنة متباغضون
بالقلوب نعوذ بالله من ذلك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تعلم الناس
العلم وتركوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الارحام لعنهم الله عند
ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم رواه ا وقد صح ذلك بمشاهدة الحال ومنها الاستكبار
عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه حتى ان ابغض شيء الى المناظر ان يظهر الحق
على لسان خصمه ومهما ظهر تشمر لجحده وانكاره باقصى جهده وبذل غاية امكانه في المخادعة
والمكر والحيلة لدفعه ثم تصير المماراة عادة فيه طبيعية فلا يسمع كلاما الا وينبعث من
طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في ادلة القرآن والفاظ الشرع فيضرب
البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور اذ ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى ترك المراء بالحق على الباطل فقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربض
الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت في اعلى الجنة وقد سوى الله تعالى بين من افترى
على الله كذبا وبين من كذب بالحق لما جاءه وقال فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق

اذا جاء. ومنها الرياء وهو ملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم اليه والرياء هو
الداء العضال الذي يدعو الى اكبر الكبائر كما سياتي في كتاب الرياء والمناظر لا يقصد الا الظهور
عند الخلق واطلاق السنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خلال من امهات الفواحش الباطنة سوى ما
يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المودي الى الضرب واللكم وتمزيق الثياب والاخذ با
للحى وسب الوالدين وشتم الاستاذين والقذف الصريح فان اوليك ليسوا معدودين في
زمرة المعتبرين وانما الاكابر والعقلاء منهم لا ينفكون عن هذه الخصال العشر نعم قد يسلم
بعضهم عن بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه او ظاهر الارتفاع عليه او هو بعيد عن
بلده واسباب معيشته ولا ينفك احد منهم عنه مع اشكاله المقارنين له في الدرجة ثم يتشعب
من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر اخرى من الرذائل لم نطول بذكرها وتفصيل آحادها
مثل الانفة والغضب والبغضاء والطمع وحب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهات
والاشر والبطر وتعظيم الاغنيا والسلاطين والتردد اليهم والاخذ من حرامهم والتجمل بالخيول
والمراكب والثياب المحظورة واستحقار الناس بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعني و
وكثرة الكلام وخروج الخشية والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري
المصلي منهم في صلاته ما الذي يقراه ومن الذي يناجيه ولا يحس بالخشوع من قلبه و
استغراق العمر في العلوم التي تعين في المناظرة مع انها لا تنفع في الآخرة حتى تحسين
العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر الى غير ذلك من امور لا تحصى والمناظرون يتفا
وتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك اعظمهم دينا واكثرهم
عقلا عن جمل من مواد هذه الاخلاق وانما غايته اخفاوها ومجاهدة النفس فيها واعلم
ان هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ ايضا اذا كان قصده طلب القبول
واقامة الجاه والثروة والعز وهي لازمة ايضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوي
اذا كان قصده طلب القضاء وولاية الاوقاف والتقدم على الاقران وبالجملة هي لازمة لكل من
يطلب بالعلم غير ثواب الآخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الابد او يحييه حياة الابد
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لا ينفعه الله بعلمه
فلقد ضره مع انه لم ينفعه وليته نجا منه راسا براس هيهات هيهات فخطر العلم عظيم وطالبه
طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك او الهلك وهو كطالب الملك في
الدنيا فان لم يتفق له الاصابة لم يطمع في السلامة من الاذلال بل لا بد من لزوم افضح الاحوال فان قلت
في الرخصة في المناظرة فائدة وهي ترغيب الناس في طلب العلم اذ لولا حب الرياسة لاندرس
العلم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد اذ لولا الوعد بالكرة والصولجان
واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان في المكتب وذلك لا يدل على ان الرغبة فيه محموده ولا

حب الرياسة

حب الرياسة لا لامر من العلم ولا يدل ذلك على ان طالب الرياسة ناج من الفتنة بل هو من الذين قال
فيهم النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وقال صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه
غيره ان كان يدعو الى ترك الدنيا وذلك فيمن كان حاله في ظاهر الامر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه
فمثاله مثال الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه واما اذا كان
يدعو الى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التي تاكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلثة اما مهلك نفسه
وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها فالعلماء ثلثة اما مهلك نفسه وغيره واما مسعد
نفسه وغيره وهم الداعون الى الله عز وجل المعرضون عن الدنيا ظاهرا وباطنا واما مهلك نفسه
مسعد غيره وهو الذي يدعو الى الاخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق
واقامة الجاه فانظر من اي الاقسام انت ومن الذي اشتغلت بالاعتداد له ولا تظنن ان الله تعالى
يقبل غير الخالص لوجهه من العلم والعمل وستاتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربع المهلكات
ما ينفي عنك الريبة فيه انشاء الله تعالى **الباب الخامس** في اداب المتعلم والمعلم
اما المتعلم فادابه ووظائفه كثيرة ولكن ينظم تفاريقها تسع جمل **الوظيفة** الاولى تقديم طهارة
النفس عن رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن
الى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث
فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق وانجاس
الاوصاف قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة وهو كذلك باطنا وظاهرا قال
الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر
المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس جوهره اي باطنه ملطخ
بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات البا[illegible] فانها
مع خبثها في الحال مهلكات في المال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب
بيت وهو منزل الملائكة ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم والصفات الردية مثل الغضب و
الشهوة والحقد والكبر واخواتها كلاب نابحة فانى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم
لا يقذفه الله في القلب الا بواسطة الملائكة لقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء
حجاب او [illegible] ولا وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب انما تتولاه الملائكة الموكلون بها
وهم المقدسون المطهرون المبرؤن عن المذمومات فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعمرون بما عندهم
من خزائن رحمة الله الا طاهرا ولست اقول ان المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات
المذمومة ولكني اقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر الى البواطن وبين التنبه للبواطن
من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فان هذا طريق الاعتبار وهو

وهو سلك العلماء والابرار اذ معنى الاعتبار ان يعبر مما ذكر الى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة
لغيره فيكون له فيها عبرة بان يعبر منها الى التنبه لكونه ايضا عرضة للمصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب
فعبوره من غيره الى نفسه ومن نفسه الى اصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر انت ايضا من البيت الذي هو بنا
الخلق الى البيت الذي هو بيت من بنا الله سبحانه وتعالى ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو
ما فيه من سبعية ونجاسة الى روح الكلبية وهي السبعية واعلم ان القلب المشحون بالغضب والشره
الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على التمزيق لاعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة و
نور البصيرة يلاحظ المعاني دون الصور والصور في هذا العالم غالبة على المعاني والمعاني باطنة فيها
وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني الصور فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية
فيحشر الممزق لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره الى اموال الناس ذئبا عاديا والمتكبر عليهم في صورة نمر
وطالب الرياسة في صورة اسد وقد وردت بذلك الاخبار وشهد به الاعتبار عند ذوي البصائر
والابصار فان قلت كم من طالب ردي الاخلاق حصل العلوم فهيهات ما ابعدك عن العلم الحقيقي
النافع في الآخرة الجالب للسعادة فان من اوائل ذلك العلم ان يظهر له ان المعاصي سموم مهلكة
وهل رايت من يتناول سما مع علمه بكونه سما انما الذي تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه
يرددونه بالسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم اخرى وليس ذلك من العلم في شيء قال ابن مسعود
رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم [illegible] يقذف في القلب وقال بعضهم انما العلم
الخشية اذ قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكانه اشارة الى اخص ثمرات العلم ولذلك
قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله ان العلم
ابى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه والفاظه فان قلت اني ارى جماعة
من الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والاصول وعدوا من جملة الفحول واخلاقهم ذميمة
لم يتطهروا منها فيقال اذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك ان ما اشتغلوا به
قليل الغناء من حيث كونه علما وانما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى اذا قصد به التقرب الى الله
تعالى وقد سبق الى هذا اشارة وسياتيك فيه مزيد بيان وايضاح الوظيفة الثانية ان يقلل
علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الاهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة وما
جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك
قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من عطائه اياك بعضه على
خطر والفكرة المتوزعة على امور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الارض بعضه واختطفت
الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع الوظيفة الثالثة ان لا يتكبر على العلم
ولا يتامر على المعلم بل يلقي اليه زمام امره بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصحه اذعان
المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي ان يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته

قال الشعبي

قال الشعبي رحمه الله تعالى صلى زيد بن ثابت رضي الله عنه على جنازة فقربت له بغلته ليركبها
فجاء ابن عباس رضي الله عنهما فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ابن عباس رضي الله عنهما هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت رضي الله
عنه يده وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه
وسلم ليس من اخلاق المؤمن التملق الا في طلب العلم فلا ينبغي للطالب ان يتكبر على العلم ومن
تكبره على العلم ان يستنكف من الاستفادة الا من المرموقين المشهورين فهو عين الحماقة
فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين
ان يرشده الى المهرب مشهور او خامل وضراوة سباع النار بالجهال بالله عز وجل اشد من ضراوة كل
سبع فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كائنا من كان ولذلك
قيل العلم حرب للفتى المتعالي كالسيل حرب للمكان العالي فلا ينال العلم الا بالتواضع والقاء السمع
قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ومعنى كونه ذا قلب
ان يكون قابلا للعلم فهما ثم لا يغنيه القدرة على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر
القلب مستقبل كلما يلقى اليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة فليكن المتعلم
لمعلمه كارض دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت بجميع اجزائها واذعنت بالكلية لقبوله ومهما
اشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رايه فان خطا مرشده انفع له من صوابه
في نفسه اذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع انه يعظم نفعها فكم من مريض محرور
يعالجه الطبيب في بعض اوقاته بالحرارة ليزيد في قوته الى حد يحتمل صدمة العلاج فيتعجب منه من لا خبرة له فيه وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما الصلوة و
السلام حيث قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط
عليه السكوت والتسليم فقال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا ثم
لم يصبر ولم يزل في مراودته الى ان كان ذلك سبب الفراق بينهما وبالجملة كل متعلم استبقى
لنفسه رايا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران فان قلت فقد قال
الله تعالى فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فالسؤال مامور به فاعلم انه كذلك ولكن فيما ياذن
المعلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم يبلغ رتبتك الى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى عليهما
السلام عن السؤال اي دع السؤال قبل اوانه فالمعلم اعلم بما انت اهله وبما وان انكشفه وما لم يبد خلا ان
الكشف في كل درجة من مراتب الدرجات لا يبتدا بما ان السؤال عنه وقال علي كرم الله وجهه ان من
حق العالم ان لا تكثر عليه السؤال ولا تعنته في الجواب ولا تلح عليه اذا كسل ولا تاخذ بثوبه اذا
نهض ولا تفشي له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا تطلبن عثرته وان زل قبلت معذرته وعليك
ان توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ امر الله تعالى ولا تجلس امامه وان كانت له حاجة سبقت القوم

الحذر منه **الوظيفة** الرابعة ان يحترز الخائض في العلم في مبدا الامر عن الاصغاء الى اختلاف
الناس سوا كان ما خاض فيه من علوم الدنيا او من علوم الاخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير
ذهنه ويفتر رايه ويؤيسه عن الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن اولا الطريقة الواحدة
الحميدة المرضية عند استاذه ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن استاذه
مستقلا   ای واحد وانما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحترز منه فان اضلاله
اكثر من ارشاده ولا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا حاله يعد في عمى الحيرة
وتيه الجهل ومنع المبتدي عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار وندب
القوي الى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوي على مخالطة الكفار ولهذا يمنع العاجز عن
التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له الى ذلك ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض
الضعفا ان الاقتدا بالاقويا فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدر ان و   ظائف الاقويا
تخالف وظائف الضعفا ولذلك قال بعضهم من رآني في البداية صار صديقا ومن رآني
في النهاية صار زنديقا اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الا عن رواتب الفرايض
فيتراءى الى الناظر انه بطالة وكسل واهمال وهيهات فذلك مرابطة للقلب في عين الشهود والحضور
وملازمة الذكر الذي هو افضل الاعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوي فيما يرى في
ظاهره انه هفوة يضاهي اعتذار من يلقي نجا[سة يسيرة] في كوز ماء ويتعلل بان اضعاف هذه
النجاسة قد ألقي في البحر والبحر اعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز اجوز ولا يدري المسكين
ان البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتنقلب النجاسة باستيلائه الى وصفه والقليل يغلبه
الكوز تحيله الى صفته ومثل هذا جوز للنبي صلى الله عليه وسلم ما لا يجوز لغيره حتى ابيح له
تسع نسوة اذ كان له صلى الله عليه وسلم من القوة ما يتعدى منه صفة العدل الى نسائه وان
كثرن فاما غيره فلا يقدر على العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرار اليه حتى ينجر الى معصية الله
تعالى في طلب رضاهن فما افلح من قاس الملائكة بالحدادين **الوظيفة** الخامسة ان لا يدع طالب
العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من انواعه الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده
العلم وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالاهم منه   فاه وتطرف
من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط بالبعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك
عن عداوة ذلك العلم بجهله فان الناس اعداء ما جهلوا قال الله تعالى واذ لم يهتدوا به
فسيقولون هذا افك قديم قال الشاعر ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فالعلوم
على درجاتها اما سالكة بالعبد الى الله تعالى او معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل
مرتبة في القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظة كحفظة الرباطات والثغور ولكل
واحد رتبة وله بحسب درجته اجر في الاخرة اذا قصد به وجه الله تعالى **الوظيفة** السادسة

ان لا ياخذ في فن من العلوم دفعة واحدة بل يراعي الترتيب فان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم
فالحزم ان ياخذ من كل شي احسنه ويكتفي منه بشمه ويصرف جمام قوته في الميسور من علمه
الى استكمال العلم الذي هو اشرف العلوم وهو علم الآخرة اعني قسمي المعاملة والمكاشفة فغاية
المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ولست اعني به الاعتقاد الذي يتلقفه العا
وراثة او تلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصين ذلك عن مراوغات الخصوم
كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد طهر بالمجاهدة
باطنه عن الخبائث ينتهي الى رتبة ايمان ابي بكر رضي الله عنه الذي لو وزن بايمان العالمين
لرجح كما شهد له بذلك سيد البشر عليه الصلوة والسلام فما عندي انما يعتقده العامي الامي الا كلا
ولاجله سميت صناعته كلاما كان يعجز عنه عثمان وعلي وساير الصحابة رضي الله عنهم حتى كان
يفضلهم ابو بكر رضي الله عنه بالسر الذي وقر في صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الاقوال
من صاحب الشرع عليه الصلوة والسلام ثم يزدري ما يسمعه على وفقه ويزعم انه من
ترهات الصوفية فان ذلك غير معقول فينبغي ان تتانق في هذا فعنده ضيعت راس المال
وكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقها والمتكلمين فلا يرشدك اليه الا
حرصك في الطلب وعلى الجملة فاشرف العلوم وغايتها معرفة الله تعالى وهو بحر لا يدرك منتهى
غوره واقصى درجات البشر فيه رتبة الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين ثم الاولياء ثم
الذين يلونهم وقد روي انه راى صورة حكيمين من الحكما المتقدمين في مسجد في يد احدهما
رقعة فيها ان احسنت كل شي فلا تظنن انك احسنت شيا حتى تعرف الله تعالى وتعلم انه
مسبب الاسباب وموجد الاشيا وفي يد الآخر كنت قبل ان اعرف الله تعالى اشرب واظما حتى اذا عرفته
رويت بلا شرب الوظيفة السابعة ان تعرف السبب الذي به يدرك شرف العلوم وان ذلك
يراد به شيان احدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان
ثمرة احدهما الحياة الابدية وثمرة الآخر الحياة الفانية فيكون علم الدين اشرف ومثل علم الحساب
وعلم النجوم فان الحساب اشرف لوثاقة ادلته وقوتها فاذا نسب الحساب الى الطب كان الطب
اشرف باعتبار ثمرته والحساب اشرف باعتبار ادلته وملاحظة الثمرة اولى ولذلك كان الطب اشرف
وان كان اكثره بالتخمين وبهذا تبين ان اشرف العلوم العلم بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله
والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم فاياك ان ترغب الا فيه وتحرص الا عليه الوظيفة
الثامنة ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب من الله
تعالى والترقي الى جوار الملا الاعلى من الملائكة والمقربين ولا يقصد به الرياسة والمال
ومماراة السفها ومباهات الاقران واذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الاقرب الى مقصوده
وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي ان ينظر بعين الحقارة الى ساير العلوم اعني علم الفتاوى

وعلم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما اوردناه في
المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية ولا تفهمن من غلونا في الثناء
على الاخرة تهجين هذه العلوم فالمتكلمون بهذه العلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين
لها والغزاة فمنهم المجاهدون في سبيل الله ومنهم المقاتل ومنهم الرد ومنهم الذي يسقيهم
الما ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك واحد منهم عن اجر اذا كان قصده
اعلى كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم فكذلك العلما قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات وقال الله تعالى هم درجات عند الله والفضيلة نسبية و
استحقارنا الصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم اذا قيسوا بالكناسين ولا
تظنن ان ما نزل عن الرتبة القصوى فهو ساقط القدر بل الرتبة العليا للانبيا ثم للاوليا
ثم للعلما الراسخين ثم للصالحين على تفاوت درجاتهم وبالجملة من يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن قصد الله تعالى بالعلم اي علم كان نفعه ورفعه لا محالة **الوظيفة**
التاسعة ان تعلم نسبة العلوم الى المقصد كي تؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على
غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك الا شانك في الدنيا والاخرة واذا لم يمكن الجمع بين
ملاذ الدنيا ونعيم الاخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى العيان
فالاهم ما يبقى ابد الاباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال سعيا الى المقصد
ولا مقصد الا لقا الله تعالى ففيه النعيم كله وان كان لا يعرف في هذا العالم قدره الا الا
قلون وهم الاقلون فالعلوم بالاضافة الى سعادة لقا الله تعالى والنظر الى وجهه
الكريم اعني النظر الذي طلبه الانبيا صلوات الله عليهم وفهموه دون ما يسبق الى
فهم العوام والمتكلمين على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو ان العبد الذي
علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل له ان حججت وتممت وصلت الى العتق والملك جميعا
وان ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضروري فلك العتق
والخلاص من شقا الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلثة اصناف من الشغل **الاول**
تهيئة الاسباب بكشف الناقة وخرز الراوية واعداد الزاد والراحلة و **والثاني**
السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه الى الكعبة منزلا بعد منزل **والثالث**
الاشتغال باعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد النزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع
استحق التعرض للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من اول اعداد الاسباب الى آخرها
ومن اول اركان الحج الى اخره وليس قرب من ابتدا باركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد في
اعداد الزاد والراحلة كقرب من ابتدا بالسلوك بل هو اقرب منه فالعلوم ايضا ثلاثة
اقسام قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة وشرا الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق

بمصالح البدن في الدنيا وقسم يجري مجرى سلوك الوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن
عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التي عجز عنها الاولون والآخرون الا الموفقون
فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يغني علم
علم المنازل وطرق البوادي دون سلوكها فكذلك لا يغني علم تهذيب الاخلاق دون مباشرة
التهذيب ولكن المباشرة دون العلم غير ممكن وقسم يجري مجرى نفس الحج واركانه وهو العلم
بالله وصفاته وملائكته وافعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة وههنا النجاة و
الفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق اذا كان غرضه المقصود وهو السلامة واما
الفوز بالسعادة فلا ينالها الا العارفون وهم المقربون المنعمون في جوار الله تعالى بالروح
والريحان وجنة نعيم واما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال تعالى
فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك
من اصحاب اليمين وكل من لم يتوجه الى المقصد ولم ينتهض له او انتهض الى جهته لا على
قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من اصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل
من حميم وتصلية جحيم واعلم ان هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين اعني انهم
ادركوه بمشاهدة من الباطن هي اقوى واجلى من مشاهدة الابصار وترقوا فيه عن حد
التقليد لمجرد السماع وحالهم حال من اخبر فصدق ثم شاهد فتحقق وحال غيرهم
حال من قبل بحسن التصديق والايمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم
المكاشفة وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التي هي سلوك طريق الاخرة وقطع العقبات
الصعاب وطريق سلوكه محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات المحمودة وعلم طريق
المعالجة وكيفية السلوك وذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة اسباب الصحة وسلامة
البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوسل به الى الملبس والمطعم والمسكن وهو
منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على نهج العدل والسياسة في ناحية الفقيه
واما اسباب الصحة ففي ناحية الطبيب ومن قال العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان
واشار الى الفقيه واراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم الباطنة فان
قلت فلم شبهت علم الفقه والطب باعداد الزاد والراحلة فاعلم ان الساعي الى الله تعالى
لينال قربه هو القلب دون البدن ولست اعني بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من اسرار
الله تعالى لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح واخرى بالنفس المطمئنة
والشرع يعبر عنه بالقلب لانه المطية الاولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية
وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به بل لا
رخصة في ذكره وغاية المأذون فيه ان يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز اشرف من هذه الاجرام

لمشيئة يا نما هو امر الهي كما قال الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وكل المخلوقات
منسوبة الى الله تعالى ولكن نسبة اشرف من نسبة سائر اعضاء البدن فلله الخلق والامر جميعا والامر
اعلى من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لامانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على
السموات والارضين والجبال اذ ابين ان يحملنها واشفقن منها هي من عالم الامر ولا تفهم من
هذا تعريضا بقدمها فان القائل بقدم الارواح مغرور جاهل لا يدري ما يقوله فلنقبض عنان
البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده والمقصود ان هذه اللطيفة هي الساعية الى قرب
الرب تعالى لانها من امر الرب فمنه مصدرها واليه مرجعها واما البدن فمطيتها التي تركبها وتسعى
بواسطتها فالبدن لها في طريق الله كالناقة للبدن في طريق الحج وكالراوية الحاوية للماء
الذي يفتقر اليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية
ولا يخفى ان الطب كذلك فانه يحتاج اليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان
وحده لاحتاج اليه والفقه يفارقه في انه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغني عنه
ولكنه خلق على وجه لا يمكنه ان يعيش وحده اذ لا يستقل بالسعي في تحصيل طعامه الا
بالحراثة والزرع والطبخ وفي تحصيل الملبس والمسكن وفي اعداد الآت ذلك كله فا
ضطر الى المخالطة والاستعانة ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا اسباب
الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من
خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط من داخل وبالطب يحفظ الاعتدال في
الاخلاط المتنازعة من داخل وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال في التنا
من خارج وعلم طريق الاعتدال في الاخلاط طب وعلم طريق اعتدال احوال الناس
المتناظرين في المعاملات والافعال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية فالمتجرد
لعلم الفقه او الطب اذا لم يجاهد نفسه ولم يصلح قلبه كالمتجرد بشراء الناقة وعلفها
وشراء الراوية وخرزها اذا لم يسلك بادية الحج فالمستغرق عمره في دقائق الكلمات
التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في   الاسباب التي بها تستحكم
الخيوط التي بها تخرز راوية الحج ونسبة هؤلاء من السالك لطريق الآخرة واصلاح القلب
الموصل الى علم المكاشفة كنسبة اولئك الى سالك طريق الحج او ملابس اركانه فتأمل
هذا اولا واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه ذلك غاليا ولم يصل اليه الا بعد جهد جهيد
وجراءة تامة على مباينة الخلق عامتهم وخاصتهم في التزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا
القدر كاف في وظائف المتعلم   وظائف المرشد المعلم اعلم ان للانسان في علمه
اربعة احوال كحاله في اقتناء الاموال اذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبا وحال
ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال انفاق على نفسه فيكون به منتفعا وحال

يبذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو اشرف احواله فكذلك العلم يقتنى كالمال فله حال طلب
واكتساب وحال تحصيل يغني عن السؤال وحال استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به وحال تبصير
وهو اشرف الاحوال فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السما فانه كالشمس تضيء لغيرها
وهي مضيئة وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره
وهو خال عن العلم وكالمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع والابرة التي تكسو غيرها وهي عارية وذبالة
المصباح تضيء غيرها وهي تحترق ما هي الا ذبالة وقدت تضيء للناس وهي
تحترق ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد امرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ ادابه ووظائفه

الاولى الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيه قال عليه الصلاة والسلام انما انا لكم
مثل الوالد لولده وان يقصد انقاذهم من نار الآخرة وهو اهم من انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا
ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية و
المعلم سبب الحياة الباقية ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الوالدين الى الهلاك الدائم وانما
المعلم هو المفيد للحياة الاخروية الدائمة اعني معلم علوم الآخرة او علوم الدنيا على قصد الاخرة لا على
قصد الدنيا فاما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله منه وكما ان حق ابناء
الرجل الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد فحق تلامذة الرجل الواحد التحاب ولا يكون
الا كذلك ان كان مقصودهم الاخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصودهم الدنيا
فان العلماء وابناء الاخرة مسافرون الى الله عز وجل وسالكون اليه الطريق والدنيا وسنوها و
شهورها منازل الطريق والترافق في الطريق بين المسافرين الى الامصار سبب التوادد
والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الاعلى والترافق في طريقه ولا ضيق في سعادات الآخرة
فكذلك لا يكون بين ابناء الاخرة تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق
التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى انما المؤمنون
اخوة وداخلون في مقتضى قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين

الثانية ان يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه فلا يطلب على افاضة العلم اجرا ولا
يقصد به جزاء ولا شكورا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب الى الله تعالى فلا يرى الفضل لهم
اذ هذبوا قلوبهم لان يتقرب الى الله تعالى بزراعة العلوم فيها كالذي يعيرك الارض لتزرع فيها
زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الارض فكيف تقلده منة وثوابك
في التعليم اكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر
الا من الله تعالى قال الله تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا فان المال وما في الدنيا خادم للبدن والبدن
مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح اسفل
مداسه بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على

شمعك

ام الراى وسلمه هو الذي يقوم في العرض الاكبر مع المجرمين ناكسي رؤسهم عند ربهم وعلى الجملة فا
الفضل والمنة للمعلم فانظر كيف امر الذين يزعمون ان مقصودهم التقرب الى الله تعالى بما هم
فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي غيرهما فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون
اصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف ثم
يتوقع المعلم من المتعلم ان يقوم له في كل نائبة وينصر وليه ويعادي عدوه وينهض حمارا له
في حاجاته ومسخرا بين يديه في اوطاره فان قصر في حقه ثار عليه وصار من اعدا اعدائه فاخس بعالم
يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحيي من ان يقول غرضي من التدريس نشر العلم
تقربا الى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى صنوف الاغترارات الثالثة
ان لا يدخر من نصح المتعلم شيئا وذلك بان يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل
بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على ان طلب العلوم القرب من الله تعالى دون الرياسة
والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في نفسه باقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر باكثر
مما يفسده فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم
الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والاحكام فيمنعه من ذلك فان هذه
العلوم ليست من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وانما ذلك
علم التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون يشتغلون به من علم الاخرة ومعرفة اخلاق النفس
وكيفية تهذيبها فاذا تعلمها الطالب وقصده الدنيا فلا باس ان يتركه فانه يتثمر له طمعا في الوعظ
والاستتباع ولكن يتنبه في اثنا الامر او اخره اذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحقرة للدنيا
المعظمة للاخرة وذلك يوشك ان يرد الى الصواب بالاخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجري حب
القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حوالي الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده اذ خلق
الشهوة ليصل الخلق بها الى بقا النسل وخلق ايضا حب الجاه ليكون سببا لاحيا العلوم وهذا متوقع
في هذه العلوم فاما الخلافيات المحضة ومجادلات المتكلمين ومعرفة التفريعات الغريبة فلا يزيد
التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة في القلب وغفلة عن الله تعالى وتماديا في الضلال وطلبا
للجاه الا من تداركه الله تعالى برحمته او مزج بها غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة
والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله المستعان وقد
رؤي سفيان الثوري حزينا فقيل له ما لك فقال صرنا متجرا لابناء الدنيا يلزمنا احدهم حتى اذا تعلم
جعل عاملا او قاضيا او قهرمانا الرابعة وهي من دقائق صناعة التعليم ان يزجر
المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ
فان التصريح حجاب الهيبة ويورث الجراة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار
قال عليه الصلاة والسلام وهو مرشد كل معلم لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه

الا وفيه

الا وفيه شيء وتنبهك عليه قصة ادم وحوا عليهما الصلاة والسلام وما نهيا عنه وما ذكرت القصة معك
لتكون سمرا بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ولان التعريض ايضا يميل النفوس الفاضلة والاذهان الزكية
الى استنباط معانيه فذلك يفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العمل به ليعلم ان ذلك مما لا يعزب عن فطنته

الخامسة ان المتكفل ببعض العلوم لا ينبغي ان يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم
اللغة اذ عادته تقبيح الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وان ذلك نقل محض
وسماع مجرد وهو شان العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك
فرع وهو كلام في حيض النسوان فاين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه اخلاق مذمومة
للمعلمين ينبغي ان تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي ان يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره
وان كان متكفلا بعلوم فينبغي ان يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة

السادسة ان يقتصر بالمتعلم على فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله فينفره او يخبط
عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال نحن معاشر الانبيا امرنا ان
ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم فليبث اليه الحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمها
وقال عليه الصلاة والسلام ما احد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم
وقال علي رضي الله عنه واشار الى صدره ان ها هنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وصدق رضي الله
عنه فقلوب الابرار قبور الاسرار فلا ينبغي ان يفشي العالم كل ما يعلمه الى كل احد هذا اذا كان
يفهمه المتعلم ولم يكن اهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقال عيسى عليه الصلاة والسلام لا
تعلقوا الجوهر في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير
ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان علمه حتى تسلم منه وينتفع بك والا وقع
الانكار لتفاوت المعيار وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل اما سمعت قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كتم علما نافعا جاء يوم القيمة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب
فان جاء من يفقه وكتمته فليلجمني وقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم تنبيه على ان حفظ العلم ممن
يفسده ويضره اولى وليس الظلم في اعطاء المستحق باقل من الظلم في منع المستحق كما قال
الامام الشافعي رضي الله عنه اانثر درا بين سارحة النعم وانظم منثورا لراعية الغنم
لانهم امسوا جاهلين لقدره فلا انا اضحى اطوقه البهم لئن سهل الله اللطيف بلطفه وصادفت
اهلا للعلوم وللحكم بثثت مفيدا واستفدت مودة والا فمخزون لدي ومكتتم ومن منح الجهال
علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم السابعة ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقى
اليه الجلي اللائق به ولا يذكر له ان وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته في الجلي
ويشوش عليه قلبه ويوهم اليه البخل به عنه اذ يظن كل احد انه اهل لكل علم دقيق فما من احد الا وهو
راض عن الله تعالى في كمال عقله واشد الناس حماقة واضعفهم عقلا هو افرحهم بكمال عقله

وبهذا يعلم ان من تقييد العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقائد المأثورة عن السلف
من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله اكثر من ذلك فلا ينبغي
ان يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي ان يخلّى وحرفته فانه لو ذكر له تاويلات الظواهر انحل عنه
قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع السد الذي بينه وبين المعاصي وينقلب
شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي ان يخاض بالعوام في حقائق العلوم الدقيقة بل
يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الامانة في الصناعة التي هم بصددها ويملأ قلوبهم
من الرغبة والرهبة بالجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تعلق الشبهة
بقلبه ويعسر حلها فيشقى ويهلك وبالجملة فلا ينبغي ان يفتح للعوام باب البحث فانه يعطل عليهم
صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص الثامنة ان يكون المعلم عاملا
بعلمه فلا يكذب قوله فعله لان العلم يدرك بالبصائر والعمل بالابصار وارباب الابصار اكثر فاذا
خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس
به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا انه اطيب الاشياء والذها لما كان يستأثر
به ومثل المعلم المرشد من المتعلم المسترشد مثل النقش من الطين والعود من الظل وكيف
ينتقش الطين بما لا نقش فيه وكيف يستوي الظل والعود اعوج ولذلك قيل لا تنه عن
خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وقال تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم ولذلك كان وزر العالم في معاصيه اكبر من وزر الجاهل اذ يزل بزلته عالم كثير فيقتدون به ومن سن
سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال علي رضي الله عنه قصم ظهري رجلان
عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه
في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء قد ذكرنا ما ورد من فضائل
العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على انهم اشد الخلق عذابا يوم
القيمة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامة الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعني
بعلماء الدنيا علماء السوء الذين يقصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة
عند اهلها قال عليه الصلاة والسلام ان اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه
وروي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال ايضا
العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع
وقال صلى الله عليه وسلم ايضا يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال ايضا لا تعلموا العلم
لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار
وقال عليه الصلاة والسلام من كتم علما عنده ألجمه الله بلجام من نار وقال ايضا لانا من غير الدجال
اخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذاك فقال صلى الله عليه وسلم ائمة مضلون وقال ايضا من ازداد

علما ولم يزدد

وعلما لم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عيسى عليه الصلاة والسلام الى متى تصفون الطريق
للمدلجين وانتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الاخبار يدل على عظيم خطر العلم فان
العالم اما متعرض لهلاك الابد او لسعادة الابد وانه بالخوض في العلم قد حرم السلامة ان لم
يدرك السعادة واما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه ان اخوف ما اخاف على هذه الامة المنافق
العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن لا تكن ممن
يجمع علم العلما وطرائف الحكما ويجري في العمل مجرى السفها وقال رجل لابي هريرة رضي الله عنه
اني اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال كفى بتركك العلم اضاعة له وقيل لابراهيم
ابن عيينة اي الناس اطول ندامة قال اما في عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره واما
عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل بن احمد الرجال اربعة رجل يدري ويدري انه يدري فذلك
عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك نائم فايقظوه ورجل لا يدري ويدري
انه لا يدري فذلك مسترشد فعلموه ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه
وقال الثوري هتف العلم بالعمل فان اجابه والا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما
طلب العلم فاذا ظن انه قد علم فقد جهل وقال الفضيل بن عياض اني لارحم عزيز قوم
ذل وغنيا افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلما موت القلب وانشدوا فيه
عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين اعجب واعجب من هذين من باع
دينه بدنيا سواه فهو اعجب وقال عليه الصلاة والسلام ان العالم ليعذب عذابا يطيف به
اهل النار استعظاما لشدة عذابه واراد به العالم الفاجر وقيل ليحيى بن معاذ الرازي متى يذهب
بها العلم والحكمة قال اذا طلبت الدنيا بهما وقال الحسن عقوبة العلما موت القلوب وموت
القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وقال سعيد بن المسيب اذا رايت العالم يغشى الامرا فهو لص وقال
اسامة بن زيد رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالعالم يوم القيمة
فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيطوف به اهل النار فيقولون مالك
فيقول كنت امر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وانما يضاعف عذاب العالم في معصيته لانه
عصى عن علم ولذلك قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لانهم جحدوا بعد العلم
وجعل اليهود شرا من النصارى مع انهم ما جعلوا لله ولدا ولا قالوا انه ثالث ثلاثة ولكنهم انكروا
بعد المعرفة اذ قال تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقال عز وجل فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال
تعالى في قصة بلعم بن باعورا واتل عليهم نبا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى قال تعالى فمثله كمثل
الكلب وكذلك العالم الفاجر فان بلعم اوتي كتاب الله تعالى فاخلد الى الشهوات فشبه بالكلب اي
سواء اوتي الحكمة او لم يؤت فهو يلهث الى الشهوات وقال عيسى عليه الصلاة والسلام مثل علماء
السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع ومثل علماء

السوء مثل قناة كمثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام
الموتى فهذه الاخبار والآثار تبين ان العالم الذي هو من ابناء الدنيا اخس حالا واشد عذابا من الجاهل
وان الفائزين المقربين هم علماء الاخرة ولهم علامات فمنها ان لا يطلب الدنيا بعلمه فان اقل درجات
العالم ان يدرك حقارة الدنيا وخستها   وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفا نعيمها
وجلالة ملكها ويعلم انهما متضادتان وانهما كالضرتين مهما ارضيت احديهما اسخطت الاخرى
وانهما ككفتي الميزان مهما رجحت احداهما خفت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من
احديهما بعدت من الاخرى وانهما كقدحين احدهما مملو والاخر فارغ فبقدر ما تصب منه في
الاخر حتى يمتلى يفرغ من الاخر فان من لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذاتها بالمها ثم
انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل فان المشاهدة والتجربة ترشد الى ذلك فكيف
من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم امر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الايمان فكيف يكون من
العلماء من لا ايمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للاخرة وان الجمع بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل
بشريعة الانبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن من اوله الى اخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم
هذا كله ثم لم يؤثر الاخرة على الدنيا فهو اسير الشيطان قد اهلكته شهوته وغلبت عليه
شقوته فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته وفي اخبار داود عليه الصلاة والسلام ان
ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتي ان احرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسال عني عالما
نيا فيصدك عن طريق محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي يا داود اذا رايت
لي طالبا فكن له خادما يا داود من رد الي هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا لم اعذبه ابدا
ولذلك قال الحسن رحمه الله تعالى عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الاخرة
ولذلك قال يحيى بن معاذ الرازي انما يذهب بهاء الحكم والحكمة اذا طلب الدنيا بهما وقال عمر رضي الله
عنه اذا رايتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما احب وقال مالك
بن دينار قرات في بعض الكتب ان الله تعالى يقول ان اهون ما اصنع بالعالم اذا احب الدنيا ان
اخرج حلاوة مناجاتي من قلبه وكتب رجل الى اخ له انك قد اوتيت علما فلا تطفئن نور علمك
بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم في نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازي
يقول لعلماء الدنيا يا اصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية واثوابكم ظاهرية
واخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية واوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم
شيطانية فاين المحمدية وانشدوا ۞ وراعي الشاة يحمي الذئب عنها ۞ فكيف اذا الرعاة لها ذ
ئاب ۞ وقيل يا معشر القرا يا ملح البلد ۞   اذا الملح فسد ۞ وقد قيل لبعض العارفين
اترى ان من تكون المعاصي قرة عينه لا يعرف الله قال ما اشك ان من تكون الدنيا اثر عنده
من الاخرة انه لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك بكثير ولا تظن ان ترك المال يكفي للحوق بعلماء

الآخرة

الاخرة فان الجاه اضر من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب من ابواب الدنيا   سمعت الرجل يقول حدثنا
فانما يقول اوسعوا لي وتشدد دفن بشر الحافي بضعة عشر ما بين قمطر وقوصرة من الكتب وكان
يقول انا اشتهي ان احدث ولو ذهبت عني شهوة الحديث حدثت وقال هو وغيره اذا اشتهيت
ان تحدث فلا تحدث فاذا لم تشته فحدث وهذا لان التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد اعظم
من كل تنعم في الدنيا فمن اجاب شهوته فيه فهو من ابناء الدنيا ولذلك قال الثوري فتنة الحديث
اشد من فتنة الاهل والمال والولد وكيف لا يخاف فتنته وقد قيل لسيد البشر عليه الصلوة و
السلام ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقال سهل العلم كله دنيا والاخرة
منه العمل به والعمل كله هبا الا الاخلاص وقال الناس موتى الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين
والعاملون مغرورون الا المخلصين والمخلص على وجل   ليما الداراني
اذا طلب الرجل الحديث او تزوج او سافر في طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا   اراد به طلب
سانيد العالية او طلب الحديث الذي لا يحتاج اليه في طريق الاخرة وقال عيسى عليه الصلاة
والسلام كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى الاخرة وهو مقبل على دنياه وكيف يكون من اهل
العلم من يطلب الكلام ليخبر به   به وقال صالح بن حسان البصري ادركت الشيوخ وهم
يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة وروى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام
قال من طلب علما مما يبتغى به وجه الله تعالى ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة
وقد وصف الله تعالى علماء السوء باكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الاخرة بالخشوع والزهد فقال
في علماء الدنيا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس الى قوله ثمنا قليلا وقال
في علماء الاخرة وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله ا
فلا اجرهم عند ربهم وقال بعض السلف العلماء يحشرون في زمرة الانبياء والقضاة يحشرون
في زمرة السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه وروى ابو الدرداء رضي الله
عنه انه عليه الصلاة   الله تعالى الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير
الدين ويتعلمون   لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة ويلبسون للناس مسوك
الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزءون
لافتحن لهم فتنة تذر الحليم حيران وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال علماء هذه الامة رجلان فرجل اتاه الله علما فبذله للناس ولم ياخذ عليه طمعا ولم
يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم
على الله تعالى يوم القيمة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل اتاه الله علما في الدنيا فضن
به على عباد الله تعالى فاخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا فذلك ياتي يوم القيمة ملجما بلجام من نار ينادي
مناد على رؤس الخلائق هذا فلان بن فلان اتاه الله علما في الدنيا فضن به على عباد الله فاخذ به

لمحاولة استتر فيه بما نعذب حتى يفرغ من حساب الناس واشد من هذا ما روي ان رجلا كان يخدم
موسى عليه الصلاة والسلام فجعل يقول حدثني موسى صفي الله حدثني موسى نجي الله حدثني
موسى كليم الله حتى اثرى وكثر ماله ففقده موسى فجعله   يحيلوا اثراحتى جاءه
رجل ذات يوم وفي   وفي عنقه حبل اسود فقال له موسى   ف فلانا قال نعم هو هذا
الخنزير فقال موسى يا رب اسالك ان ترده الى حاله حتى اساله فيما اصابه هذا فاوحى الله تعالى
اليه لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما اجبتك فيه ولكن اخبرك لم صنعت هذا به لانه
كان يطلب الدنيا بالدين واغلظ من هذا ما روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه موقوفا و
مرفوعا في رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه
من الاستماع وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطا وفي الصمت سلامة وعلم
ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب ان يوجد عند غيره وذلك في الدرك الاول من النار ومن
العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان فان رد عليه شيء من علمه او تهون بشيء من حقه
غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لاهل
الشرف واليسار ولا يرى اهل الحاجة له اهلا فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلماء
من ينصب نفسه للفتوى فيفتي بالخطا والله يبغض المتكلفين فذلك في الدرك الرابع من
النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك في الدرك الخامس
من النار ومن العلماء من   وذكر له في الناس فذلك في الدرك السادس
من النار ومن العلماء من   الزهو والعجب فان وعظ عنف وان وعظ انف فذلك
في الدرك   عليك بالصمت فيه تغلب الشيطان واياك ان تضحك من غير عجب او
تمشي في غير ارب وفي خبر آخر ان العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن
عند الله تعالى جناح بعوضة وروي ان الحسن انصرف من مجلسه فجاء اليه رجل من خراسان
بكيس فيه خمسة آلاف درهم وعشرة اثواب من دقيق البز وقال يا ابا سعيد هذه نفقة وهذه
كسوة فقال الحسن عافاك الله ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مثل
مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم يلقاه ولا خلاق له وروي عن جابر رضي الله
عنه موقوفا او مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تجلسوا عند كل عالم الا عالم يدعو
كم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الريا الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد
ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته
قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون الى قوله وقال الذين اوتوا العلم
ويلكم ثواب الله خير لمن امن فعرف اهل العلم بايثار الاخرة على الدنيا
تعلم بلا بالا لشيء ما لم يكن هو اول عامل به قال الله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم

وقال تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال في قصة شعيب وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله واتقوا الله واعلموا
واتقوا الله واسمعوا وقال تعالى   عليه الصلوة والسلام يا ابن مريم عظ نفسك فان
اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري
بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض   من نار فقلت من انتم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله
وننهى عن الشر ونفعله وقال عليه الصلاة والسلام هلاك امتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر
الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء وقال الاوزاعي شكت النواويس ما تجد من
جيف الكفار فاوحى الله تعالى اليها بطون علماء السوء انتن مما انتم فيه وقال الفضيل بن عياض
رضي الله عنه بلغني ان الفسقة من العلماء يبدا بهم يوم القيمة قبل عبدة الاوثان وقال ابو
الدرداء رضي الله عنه ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال
الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة الى قوم من اهل النار فيقولون لهم ما ادخلكم النار وانما
ادخلنا الله الجنة بفضل تاديبكم   فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا
نفعله وننهى عن الشر ونفعله وقال   ليس في القيمة اشد حسرة من رجل علم
الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو   وهلك وقال مالك بن دينار ان العالم
اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما تزل القطر عن الصفا وانشدوا يا واعظ
الناس قد اصبحت متهما اذ عبت منهم امورا انت تاتيها وقيل لا تنه عن خلق وتاتي مثله
عار عليك اذا فعلت عظيم وقال ابراهيم بن ادهم مررت بحجر مكتوب عليه اقلبني تعتبر
فقلبته فاذا عليه مكتوب انت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لا تعلم وقال ابن السماك
كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جرئ على الله وكم من مقرب الى الله بعيد
من الله وكم من داع الى الله فار من الله وكم من تال لكتاب الله منسلخ من آيات الله
وقال ابراهيم بن ادهم لقد اعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في اعمالنا فلم نعرب وقال
الاوزاعي اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم انه قال حدثني
عشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كنا ندرس العلم في مسجد قباء اذ خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن ياجركم الله حتى تعملوا
عليه الصلاة والسلام مثل الذي يتعلم   ولا يعمل به كمثل امراة زنت
في السر فاستظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيمة
على رؤس الاشهاد وقال معاذ احذروا زلة العالم لان قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه
على زلته وقال عمر رضي الله عنه اذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال ثلاثة بهن يهدم
الزمان احدها زلة العالم وقال ابن مسعود رضي الله عنه سياتي على الناس زمان تملح فيه

عذوبة القلوب فلا ينتفع يومئذ بالعلم عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ
من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة وذلك اذا مالت قلوب العلماء
الى حب الدنيا وايثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفي مصابيح الهدى
من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه انه يخشى الله بلسانه والفجور بين في عمله فما اخصب
الالسن يومئذ واجدب القلوب فوالله الذي لا اله الا هو ما ذلك الا لان المعلمين علموا لغير الله
والمتعلمين تعلموا لغير الله وفي الانجيل مكتوب لا تطلبوا علم ما لا تعلموا حتى تعملوا بما علمتم
وقال حذيفة انكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك وسياتي زمان من عمل بعشر ما علم
نجا وذلك لكثرة واعلم ان مثل العالم مثل القاضي وقد قال عليه الصلاة والسلام
القضاة ثلثة قاضي بالحق وهو يعلم فذاك في الجنة وقاضي بالجور وهو يعلم او لا
يعلم فهو في النار وقال كعب يكون في اخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون
ويخوفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم يؤثرون الدنيا على يا
كلون بالسنتهم يقربون الاغنياء دون الفقراء يتغايرون على الرجال يغضب احدهم على جليسه
اذا جالس غيره اولئك الجبارون اعداء الرحمن وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال
ان الشيطان ربما يسبقكم بالعلم فقيل يا رسول وكيف ذاك قال يقول اطلب العلم ولا تعمل
حتى تعلم فلا يزال في العلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل قال سري السقطي اعتزل
للتعبد رجل كان حريصا على طلب علم الظاهر فسالته فقال رايت في النوم قائلا يقول لي
كم تضيع العلم ضيعك الله تعالى فقلت اني لاحفظه فقال ان حفظ العلم العمل به فتركت
الطلب واقبلت على العمل قال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم
الخشية قال الحسن اعلموا ما شئتم ان تعلموا فوالله لا ياجركم الله حتى تعملوا فان السفهاء
همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية وقال مالك ان طلب العلم لحسن وان نشره لحسن اذا
صحت الى ما يلزمك من حين تصبح الى حين عليه
شيئا قال ابن مسعود رضي الله عنه فاتخذتم دراسة عملا وسياتي قوم
يتثقفونه مثل القنا ليسوا بخياركم والعالم الذي لا يعمل كالمريض الذي يصف الدواء
ولا يتداوى به والجائع الذي يصف لذائذ الاطعمة ولا يجدها ففي مثله يقال ولكم الويل مما
تصفون وفي الخبر مما اخاف على امتي زلة عالم وجدال منافق في القرآن ومنها ان يكون
عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة المرغب في طاعة الله سبحانه وتعالى متجنبا العلوم
التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال فمثال من يعرض عن علم الاعمال ويشتغل
بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشى فواته
فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والادوية وغرايب الطب وترك مهم الذي هو

مواضر

يؤاخذ به وذلك محض السفه وقد روي ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
علمني من غرائب العلم فقال له ما صنعت في راس العلم قال وما راس العلم قال هل عرفت الرب
قال نعم قال وما صنعت في حقه قال ما شاء الله قال هل عرفت الموت قال نعم قال فما اعددت
له قال ما شاء الله قال اذهب فاحكم ما هناك ثم تعالى نعلمك غرائب العلم بل ينبغي ان يكون التعلم
من جنس ما روي عن حاتم الاصم تلميذ   له شقيق منذ كم صحبتني
فقال حاتم الاصم تلميذ منذ ثلث وثلثين سنة فقال   ني في هذه المدة فقال
ثماني مسائل قال شقيق انا لله وانا اليه راجعون عمري معك ولم تتعلم الا ثماني مسائل
قال يا استاذ لم اتعلم غيرها ولا احب ان اكذب فقال هات هذه الثماني مسائل حتى اسمعها
قال حاتم الاولى نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه الى
القبر فاذا وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فاذا دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال احسنت
يا حاتم فما قال نظرت في قوله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة
هي المأوى فعلمت ان قوله سبحانه هو الحق فاجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت
على طاعة الله تعالى الثالثة اني نظرت الى هذا الخلق فرايت كل من معه شيء له
قيمة عنده ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت في قوله تعالى ما عندكم ينفد وما
عند الله باق فكل ما وقع معي شيء له مقدار وقيمة وجهته اليه ليبقى عنده الرابعة
الرابعة اني نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يرجع الى المال والحسب والشرف
والنسب فنظرت فاذا هي لا شيء ثم نظرت في قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم
فعملت في التقوى حتى اكون عند الله كريما الخامسة اني نظرت الى هذا الخلق
وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا واصل هذا كله [illegible] ثم
نظرت فرجعت الى قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا فتركت
الحسد واجتنبت الخلق وعلمت ان القسمة من عند الله تعالى وتركت عداوة الخلق
عني نظرت الى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت الى
قوله سبحانه وتعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فعاديته وحده واجتهدت
في اخذ حذري منه لان الله تعالى شهد عليه انه عدوي فتركت عداوة الخلق السابعة
نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل نفسه ويدخل فيما
لا يحل له ثم نظرت الى قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فعلمت
اني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله علي وتركت ما لي
عنده الثامنة نظرت الى هذا الخلق فرايتهم متوكلين هذا على ضيعته وهذا على
تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق فرجعت

الثانية

السادسة

الا قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت عليه فهو حسبي قال شقيق يا حاتم وفقك
الله تعالى فاني نظرت في التوراة والانجيل والزبور والقران العظيم فوجدتها تدور على
هذه الثمان مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الاربعة فهذا الفن من العلم لا يهتم
بادراكه والتفطن له الا علماء الاخرة واما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال
والجاه ويهملون امثال هذه العلوم التي بها بعث الله الانبياء كلهم وقال الضحاك بن مزاحم
ادركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض الا الورع وهم اليوم يتعلمون الكلام ومنها ان يكون غير
مائل الى الترفه في المطعم والتنعم في الملبس والتجمل في الاثاث والمسكن بل يؤثر الاقتصاد
في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف ويميل الى الاكتفاء بالاقل في جميع ذلك وكلما ازداد الى طرف القلة
ميله ازداد من الله تعالى قربه وارتفع في علماء الاخرة حزبه ويشهد لذلك ما حكي عن ابي عبد الله
الخواص وكان من اصحاب حاتم الاصم قال دخلت مع حاتم الري ومعنا ثلثمائة وعشرون
رجلا يريد الحج وعليهم الزرمانقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من
التجار متقشف يحب المساكين فاضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم الك حاجة
فاني اريد ان اعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم عيادة المريض فيها فضل والنظر الى الفقيه
عبادة فانا ايضا اجي معك وكان   محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا الى
مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا   باب عالم على هذه الحال   اذن لهم فدخلوا
فاذا دار قوراء واذا بزة وسعة وستور فبقي حاتم متفكرا   من الذي
هو فيه فاذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند راسه غلام وبيده مذبة فقعد الزائر
على وسادته وحاتم قائم فاومى اليه ابن مقاتل ان اجلس فقال لا اجلس فقال لعل لك
حاجة فقال نعم فقال ما هي قال مسألة اسالك عنها قال سلني قال قم فاستو حتى اسالك
فاستوى فقال حاتم علمك هذا من اين اخذته قال من الثقات حدثوني به قال عمن قالوا عن
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال واصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عمن قال عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن جبريل قال وجبريل
عمن قال عن الله سبحانه قال حاتم ففيما اداه جبريل عن رسول الله واداه رسول الله الى اصحابه
واصحابه ادوه الى الثقات وادوه الثقات اليك هل سمعت في العلم من كان داره دار امير
وكانت سعته اكثر كان له عند الله المنزلة اكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت من
زهد في الدنيا ورغب في الاخرة واحب المساكين وقدم لاخرته كان له عند الله المنزلة
قال حاتم فانت بمن اقتديت ابالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الصالحين ام بفرعون
ونمرود اول من بنى بالجص والاجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب   نيا
الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة لا اكون انا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن

مقاتل مرضا

متماثل مرضا وبلغ اهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له ان الطنافسي بقزوين اكثر
شأنا منه فسار حاتم اليه متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله انا رجل عجمي احب ان تعلمني مبتدا ديني
ومفتاح صلاتي كيف اتوضأ للصلوة قال نعم وكرامة يا غلام هات اناء فيه ماء فاتى به فقعد الطنافسي
فتوضأ ثلثا ثلثا ثم قال هكذا فتوضأ قال حاتم مكانك حتى اتوضأ بين يديك فيكون اوكد لما اريد
فقام الطنافسي فقعد حاتم فتوضأ ثم غسل الذراعين اربعا فقال الطنافسي هذا اسرفت قال
له حاتم فيماذا قال غسلت ذراعيك اربعا قال حاتم يا سبحان الله انا في كف من ماء اسرفت و
انت في هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسي انه قصد ذلك دون التعلم فدخل بيته ولم يخرج
الى الناس اربعين يوما فلما دخل حاتم بغداد اجتمع اليه اهل بغداد فقالوا يا ابا عبد الرحمن انت
رجل الكن اعجمي وليس يكلمك احد الا قطعته قال معي ثلث خصال اظهر بهن على خصمي افرح اذا اصاب
واحزن اذا اخطا واحفظ نفسي ان لا اجهل عليه فبلغ ذلك احمد بن حنبل فقال يا سبحان الله ما
فلما دخلوا عليه قالوا يا ابا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا فان ابا عبد الله
لا تسلم من اربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع ومنعك منهم
شيئا وتكون من شيئهم ايسا فاذا كنت هكذا فقد سلمت ثم سار الى المدينة فاستقبله اهل المدينة
فقال يا قوم اي مدينة هذه فقالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاين قصر رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى اصلي فيه قالوا ما كان له قصر انما كان له بيت لاطئ بالارض قال فاين قصور اصحابه قالوا
ما كان لهم قصور انما كانت لهم بيوت لاطئة بالارض فقال حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون
فاخذوه وذهبوا به الى السلطان وقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون قال الوالي ولم
ذلك قال حاتم لا تعجل علي انا رجل عجمي غريب دخلت هذا البلد فقلت مدينة من هذه
فقالوا مدينة الرسول فقلت اين قصره وقص القصة ثم قال وقد قال الله تعالى لقد كان لكم
في رسول الله اسوة حسنة فانتم بمن تاسيتم برسول الله ام بفرعون اول من بنى بالجص والاجر فخلوا
عنه وتركوه فهذه حكاية حاتم وسيأتي من سيرة السلف في البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك
في مواضعه والتحقيق فيه ان التجمل في المباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الانس به
حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا تمكن الا بمباشرة اسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب
المعاصي من المداهنة ومراعاة الخلق ومراياتهم وامور اخرى محظورة والحزم اجتناب ذلك لان
من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض لكان النبي صلى الله عليه وسلم
لا يبالغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص المعلم ونزع خاتم الذهب في اثناء الخطبة الى غير ذلك مما سياتي بيانه
وقد حكي ان يحيى بن يزيد النوفلي كتب الى مالك بن انس بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على محمد في الاولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك الى مالك بن انس اما بعد فقد بلغني
انك تلبس الدقاق وتاكل الرقاق وتجلس على الوطاء وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم

وضربت اليك الطي وارتحل اليك الناس واتخذتك اماما ورضوا بقولك فاتق الله يا مالك وعليك بالتواضع كتبت
اليك بالنصيحة كتابا ما اطلع عليه الا الله والسلام فكتب اليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم
من مالك بن انس الى يحيى بن يزيد سلام عليك اما بعد فقد وصل الي كتابك فوقع مني موقع النصيحة والشفقة
والادب بالنصيحة خيرا واسال الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم فاني آكل الرقاق والبس الرقاق واحتجب واجلس على فنحن نفعل
ذلك ونستغفر الله تعالى وقد قال عز من قائل قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من
الرزق واني لاعلم ان ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندع ذلك من كتابنا والسلام
فانظر الى انصاف مالك اذا اعترف بان ترك ذلك خير من الدخول فيه وافتى بانه مباح وقد صدق فيهما
جميعا ومثل مالك في منصبه اذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى
ايضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحمله ذلك على المراياة والمداهنة والتجاوز الى
المكروهات واما غيره فلا يقدر عليه فالتعريج على التنعم في المباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف
والخشية وخاصية علماء الله الخوف والخشية التابع من سلطان الخطر ومنها ان يكون منقبضا عن
السلاطين لا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي ان يحترز من مخالطتهم
وان جاؤا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بايدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف
في طلب مرضاتهم واستمالة على كل متدين الانكار عليهم وتفسيق
صدورهم باظهار ظلمهم فالداخل عليهم اما ان يلتفت الى تجملهم فيزدري
نعمة الله الانكار عليهم فيكون مداهنا او يتكلف في كلامه كلاما لمرضاتهم
وتحسين احوالهم وذلك هو البهت الصريح او يطمع من ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت
وسياتي في كتاب الحرام والحلال ما يجوز ان يوخذ من اموال السلاطين وما لا يجوز من الادرار والجوائز
وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح الشرور وعلماء الاخرة طريقهم الاحتياط وقد قال صلى الله عليه
وسلم من بدا جفا يعني من سكن البادية ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن وقال
صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم امراء تعرفون منهم وتنكرون فمن انكر فقد برئ ومن كره فقد سلم
ولكن من رضي وتابع ابعده الله قيل افلا نقاتلهم قال لا ما صلوا وقال سفيان في جهنم واد لا
يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وقال حذيفة رضي الله عنه اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي
قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال النبي صلى الله عليه
وسلم العلماء امناء الرسل على عباد الله عز وجل ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل
فاحذروهم واعتزلوهم رواه قد اصحبت العلم الكثير منذ اخذ عنك فقال
ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون الحلق والثلث الباقي
لا يفلح منهم الا القليل ولذلك قال سعيد بن المسيب اذا رايتم العالم يغشى الامراء فاحترزوا منه فانه

لص وقال

نص وقال الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله عز وجل من عالم يزور عاملا قال صلى الله عليه وسلم شرار
العلماء الذين ياتون الامراء وخيار الامراء الذين ياتون العلماء، وقال مكحول الدمشقي من تعلم القرآن
وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا لما في يديه خاض في نار جهنم بعدد خطاه وقال
سحنون ما اسمجه بالعالم ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسال عنه فيقال انه عند الامير قال
وكنت اسمع انه يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت على
هذا السلطان قط الا حاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك وانتم ترون ما القاه به من
الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت ان انجو من الدخول كفافا مع اني لا
اخذ منهم شيئا ولا اشرب لهم شربة ماء قال وعلماؤنا شر من علماء بني اسرائيل يخبرون
السلاطين بالرخص وبما يوافق هواهم ولو اخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم
وكره دخولهم عليه لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم
رجل له قدم في الاسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن المبارك عنى به
سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال وكان لا يغشى السلطان فتقصد عنهم فقال له بنوه ياتي
هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم في الاسلام فلو اتيتهم فقال يا بني آتي جيفة قد
احاط بها قوم والله لئن استطعت لا اشاركهم فيها قالوا يا ابانا اذا نهلك هزلا فقال يا بني
لان اموت مؤمنا مهزولا احب الي من ان اموت منافقا سمينا قال الحسن رحمه الله تعالى خصمهم
والله اذ علم ان التراب ياكل اللحم والسمن دون الايمان وفي هذا اشارة الى ان الداخل على
السلطان لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد للايمان وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب
السلطان فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وهذه فتنة عظيمة
للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقي
اليه ان في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع الى ان يخيل
اليه ان الدخول عليهم من الدين ثم اذا دخل لم يلبث ان يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في الثناء
والاطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال اعلموا فاذا اعملوا شغلوا فاذا شغلو
فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن رحمهما الله تعالى اما بعد
فاشر علي بقوم استعين بهم على امر الله تعالى فكتب اليه اما اهل الدين فلن يريدوك واما اهل
الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف فانهم يصونون شرفهم ان يدنسوه بالخيانة هذا في عمر
بن عبد العزيز وكان ازهد اهل زمانه فاذا كان شرط اهل الدين الهرب منه فكيف يستتب طلبه
ومخالطته ولم يزل السلف مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وابراهيم بن ادهم و
يوسف بن اسباط يتكلمون في علماء الدنيا من اهل مكة والشام اما لميلهم الى الدنيا او لمخالطتهم السلاطين
حتى قال بعضهم لو قيل لي من احمق الناس لاخترت بعد القاضي وقلت هذا ومنها ان لا يكون مسارعا الى

ان الفتوى لم تكن سقيما ومحترزا وهاربا الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب

الله تعالى او نص حديث او اجماع او قياس جلي افتى وان سئل عما يشك فيه قال لا ادري وان سئل عما

يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان في غيره غنية هذا هو

الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي   كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري

قال الشعبي لا ادري نصف   سكت حيث لا يدري لله سبحانه فليس بأقل اجرا ممن نطق لان الا

عتراض   وهكذا كانت عادة الصحابة رضي الله عنهم والسلف قال ابن عمر

اذا سئل عن الفتوى قال اذهب الى الامير الذي تقلد امر الناس فضعها في عنقه وقال ابن

مسعود رضي الله عنه ان الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا ادري

فاذا اخطاها اصيبت مقاتله وقال ابراهيم بن ادهم ليس شيء اشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم

ويسكت بعلم ويقول انظروا الى هذا سكوته اشد علي من كلامه ووصف بعضهم الابدال فقال اكلهم

فاقة وكلامهم ضرورة اي ما يتكلمون حتى يسألوا واذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا فان

اضطروا اجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ومر علي وعبد الله

رضي الله عنهما برجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اعرفوني وقال بعضهم انما العالم الذي اذا

سئل عن المسألة فكانما يقلع ضرسه وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول تريدون ان تجعلونا

جسرا تعبرون علينا الى جهنم وقال ابو حفص النيسابوري العالم هو الذي يخاف عند السؤال

ان يقال له يوم القيمة   ان ابراهيم التيمي اذا سئل عن مسألة يبكي   ويقول

لم تجد واغيري حتى احتجتم الي وكان ابو   وابراهيم النخعي والثوري وابن

ادهم يتكلمون على اثنين وثلثة والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا وقال صلى الله عليه

وسلم ما ادري اعزير نبي ام لا وما ادري اتبع ملعون ام لا وذو القرنين نبي ام لا ولما سئل

صلى الله عليه وسلم عن خير البقاع وشرها قال صلى الله عليه وسلم لا ادري حتى نزل جبرئيل

عليه الصلاة والسلام فسأله عن ذلك فقال لا ادري الى ان اعلمه الله عز وجل ان خير البقاع المساجد

وشرها الاسواق وكان ابن عمر رضي الله عنهما يسال عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت

عن تسع وكان ابن عباس رضي الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان في الفقهاء

من يقول لا ادري اكثر ممن يقول ادري منهم سفيان الثوري ومالك بن انس واحمد بن حنبل والفضيل

بن عياض وبشر بن الحارث وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين

من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم احد يسال عن حديث او فتوى الا ود ان اخاه كفاه

ذلك وفي لفظ آخر كانت المسألة تعرض على احدهم فيردها الى الآخر ويردها الآخر الى الآخر حتى

حتى تعود الى الاول وروي ان   اهدي الى واحد منهم راس مشوي وهو في

غاية الضر فاهداه الى اخر فاهده   الى الاخر وهكذا دار بينهم حتى رجع الى الاول فانظر

احجم

الامر

الان كيف   فضاء المهذب عند سلطها والمطلوب مهد باعنه ويشهد لحق الاحترا
من تقلد الفتوى ما روى مسند الا يفتي الناس الا ثلثة امير او مامور او متكلف وقال بعضهم كانت الصحابة
رضي الله عنهم يتدافعون اربعة اشيا الامامة والوديعة والوصية والفتوى وقال بعضهم كان اسرعهم
الى الفتوى اقلهم علما واشدهم دفعا لها اورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين في خمسة اشيا قراة
القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوه من قوله
صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن ادم عليه لا له الا ثلثا امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى
وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وراى
بعض العلما بعض اصحاب الراي من اهل الكوفة في المنام فقال ما رايت فيما كنت عليه من الفتوى
والراي فكره وجهه واعرض وقال ما وجدناه شيئا ولا حمدنا عاقبته وقال ابن حصين ان احدهم
ليفتي في مسئلة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها
اب اهل العلم الا عند الضرورة وفي   سحد فواد في صمنا منزهما فاقتربوا منه
وقيل العالم اذا با السعا مستوهو المفتي وهم اصحاب الاساتين او عالم خاصة
وهو العالم بالتوحيد واعمال القلوب وهم ارباب الزوايا المنفردون وكان يقال مثل احمد بن حنبل
رضي الله عنه مثل دجلة كل احد يغترف منها ومثل بشر بن الحارث مثل بير عذبة مغطاة لا يقصدها
الا واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان اكثر كلاما وفلان اكثر علما وقال ابو سليمان
المعرفة الى السكوت اقرب منها الى الكلام وقال بعضهم اذا كثر العلم قل الكلام وكتب سلمان الى ابي
الدردا رضي الله عنهما وكان قد اخا بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اخي بلغني انك قعدت
طبيبا تداوي المرضى فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفا وان كنت متطبيا فالله الله لا
تقتل مسلما فكان ابو الدردا رضي الله عنه يتوقف بعد ذلك اذا سئل وكان انس رضي الله عنه
اذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول سلوا جابر بن زيد وابن عمر
رضي الله عنهما يقول سلوا سعيد بن المسيب ويحكى انه روى صحابي في حضور الحسن رحمه الله تعالى
عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها   ما رويت انا ما اعرف الا الرواية
ولست اعرف تفسيرها فاخذ الحسن في تفسيرها حديثا فتعجبوا من حسن حفظه و
تفسيره فاخذ الصحابي كفا من حصا وحصبهم وقال تسالوني   وهذا الحبر بين
اظهركم ومنها ان تكون اكثر اهتمامه بعلم الباطن بمراقبة القلب ومعرفة طريق الاخرة وسلوكه
وصدق الرجا في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تفضي الى المشاهدة في دقائق
علم القلوب وتتفجر منها ينابيع الحكمة من القلب اما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك بل الحكمة الخارجة
عن الحصر والعد انما تفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله
تعالى في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكر والانقطاع الى الله تعالى عما سواه فذلك مفتاح الالهام

وشبع الكثير منهم من مستعمل طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم
في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله تعالى له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي
الالباب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وفي بعض
الكتب السالفة يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السما من ينزل به ولا في تخوم الارض من يصعد به
ولا من وراء البحر من يعبر يأتي به العلم مجعول في قلوبكم تادبوا بين يدي باداب الروحانيين
وتخلقوا باخلاق الصد بكم حتى يغطيكم ويغمركم وقال سهل
رضي الله عنه خرج العلما والعباد والزهاد متقفلة ولم تفتح الا قلوب الصديقين
والشهداء ثم تلى قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب ولولا ان ادراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم
على علم الظاهر لما قال صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان افتوك وافتوك وقال صلى الله عليه
وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت
له سمعا الحديث فكم من معان دقيقة من اسرار القرآن تخطر على قلب المتجرد للذكر
والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها افاضل المفسرين واذا انكشف ذلك للمراقب
وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا ان ذلك من تنبيهات القلوب الزكية والطاف الله تعالى
بالهمم المتوجهة اليه وكذلك في علوم المكاشفة واسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب
فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وانما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق منه وبحسب
ما وفق له من حسن العمل وفي وصف هولاء العلماء قال علي كرم الله وجهه في حديث طويل القلوب
اوعية وخيرها اوعاها للخير الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع
اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق العلم خير
سك وانت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال ينقصه النفقة
محبة العالم دين يدان به يكسبه الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته العلم حاكم
والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الاموال وهم احيا والعلماء باقون
ما بقي الدهر ثم تنفس الصعدا فقال هاه ههنا علما جما لو وجدت له حملة بلى اجد طالبا لقنا
غير مامون يستعمل الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله تعالى على اوليائه ويستظهر بحججه على
خلقه او منقادا لاهل الحق ينزرع الشك في قلبه باول عارض من شبهة لا بصيرة له وليس من
رعاة الدين في شي لا ذا ولا ذاك فمنهوم باللذة سلس القياد في طلب الشهوات او مغري بجمع الا
موال والادخار منقادا للهواه اقرب شبها بهم الانعام السائمة اللهم هكذا يموت العلم اذا مات
حاملوه بل لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهر مكشوف واما خائف مقهور لئلا تبطل حجج الله
وبيناته وكم واين اولئك الاقلون عددا الاعظمون قدرا اعيانهم مفقودة وامثالهم في
القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب اشباههم

هجم بهم العلم

بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استو حش

منه الغافلون ٥ صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك اولياء الله من خلقه وعماله

في ارضه والدعاة   واشوقاه الى روٴيتهم فهذا الذي ذكر   وصف

علم الاخرة وهو العلم الذي اكثر   المواظبة على المجاهدة ومنها ان يكون

شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين هو راس المال في الدين قال صلى الله عليه وسلم

اليقين الايمان كله ولا بد من تعلم علم اليقين اعني اوائله ثم ينفتح للقلب طريقه ولذلك قال

صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا

على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل قال صلى الله

عليه وسلم لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين

فقال صلى الله عليه وسلم ما من ادمي الا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم

تضره الذنوب لانه كلما اذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم   ما فاته

من قيام الليل وصيام النهار وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا

بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وان

نور التوحيد احرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات   ادبر اليقين وقد اشار

القران الى ذكر الموقنين في مواضع دل به على ان اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات فان قلت

فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه اولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان ما لا

يفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم ان اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين اما النظار

والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك اذ ميل النفس الى التصديق بالشيء له اربع مقامات الاول ان يعتدل

التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما اذا سئلت عن شخص معين ان الله تعالى يعاقبه ام لا وهو مجهول

الحال عندك فان نفسك لا تميل الى الحكم فيه باثبات ونفي بل يستوي عندك امكان الامرين جميعا فيسمى هذا

شكا الثاني ان تميل نفسك الى احد الامرين مع الشعور بامكان نقيضه ولكنه امكان لا يمنع ترجيح الاول

كما اذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى انه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب فان نفسك

تميل الى انه لا يعاقب اكثر من ميلها الى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فانت تجوز اختفاء

امر موجب للعقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز مساو لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه

الحالة تسمى ظنا الثالث ان تميل النفس الى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر   ولو

خطر بالبال لتأبت النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك   عن معرفة محققة اذ لو احسن صاحب هذا

المقام التأمل والاصغاء الى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقادا مقاربا

لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها اذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع حتى ان كل فرقة تثق

بصحة مذهبهما واصابة امامهما وسنوعهما ولو ذكر لاحدهم امكان خطا امامه نفر عنه فتبوله الوضع الموقر
الحقيقة الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور التشكيك فيه فاذا امتنع وجود الشك
وامكانه يسمى يقينا عند هؤلاء ومثاله انه اذا قيل للعاقل هل في الوجود شي هو قديم فلا يمكنه
التصديق به بالبديهة لان القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فانه يصدق بوجودهما بالحس وليس
العلم بوجود شي قديم اوليا ضروريا مثل العلم بان الاثنين اكثر من الواحد مثل العلم بان حدوث
حادث بلا سبب محال فان هذا ايضا ضروري فحق غريزة العقل ان يتوقف عن التصديق بوجود
القديم على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقا جازما
ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق بالبرهان وهو
ان يقال له ان لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة فان كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب
او فيها حادث بلا سبب وذلك محال والمودي الى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شي قديم
ضروري بالضرورة لان الاقسام ثلثة وهو ان تكون الموجودات كلها قديمة او كلها حادثة او بعضها قديما
وبعضها حادثا فان كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب اذ ثبت على الجملة قديم وان كان الكل حادثا
فهو محال اذ يودي الى حدوث بغير سبب فيثبت القسم الثالث والاول وكل علم حصل على هذا الوجه
يسمى يقينا عند هولاء سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه او حصل بحس او بغريزة العقل كالعلم باستحالة
حادث بلا سبب او بتواتر كالعلم بوجود مكة او بتجربة كالعلم بان المطبوخ مسهل او بدليل كما ذكرنا فشرط
اطلاق الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا عند هولاء وعلى هذا لا يوصف اليقين
بالضعف اذ لا تفاوت في نفي الشك الاصطلاح الثاني للفقهاء والمتصوفة واكثر العلماء وهو ان
لا يلتفت فيه الى اعتبار التجويز والشك بل الى استيلائه وغلبته على القلب حتى يقال فلان ضعيف
اليقين بالموت مع انه لا يشك فيه ويقال فلان قوي اليقين في اتيان الرزق مع انه قد يجوز انه لا ياتيه
فمهما مالت النفس الى التصديق بالشي وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم و
و المتصرف سمي ذلك يقينا ولا شك فان الناس ن في القطع بالموت
والانفكاك عن الشك فيه منه لا يلتفت اليه ولا الى الاستعداد له وكانه غير موقن
به ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره فيعبر
عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رايت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه
من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن اردنا بقولنا ان من شان
علماء الآخرة صرف العناية الى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا وهو نفي الشك ثم تسليط اليقين
على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم عليها وهو المتصرف فيها واذا فهمت هذا علمت المراد من قولنا
اذا قلنا ان اليقين ينقسم ثلث انقسامات بالقوة والضعف والقلة والكثرة والخفاء والجلاء فاما
بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك في الغلبة والاستيلاء على القلب درجة معاني اليقين

في القوة

في القوة والضعف لا يتناهى وتفاوت الخلق في استعدادهم للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه
المعاني واما التفاوت بالخفاء والجلاء فلا ننكر ايضا اما فيما يتطرق اليه التجويز فلا ننكر اعني الاصطلاح الثاني
وفيما انتفى   ايضا لا سبيل الى انكاره فانك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود
وجود مكة مثلا وبين تصديقك بوجود موسى صلى الله عليه وسلم
مع انك لا تشك في الامرين جميعا اذ مستندهما التواتر ولكن ترى احدهما في قلبك اوضح واجلى
من الثاني لان السبب في احدهما اقوى من الآخر وهو كثرة المخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا في النظر
يات المعلومة بالادلة فانه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح بادلة كثيرة مع تساويهما
في نفي الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذي ياخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه
من تفاوت الاحوال واما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال فلان اكثر علما اي
معلوماته اكثر ولذلك قد يكون العالم قوي اليقين فيما ورد الشرع به وقد يكون قوي اليقين
في بعضه **فان قلت** فقد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وخفاءه وجلاءه
بمعنى نفي الشك وبمعنى الاستيلاء على القلب فما معنى متعلقات اليقين ومجاريه وفيما ذا يطلب اليقين
فاني ما لم اعرف ما يطلب فيه اليقين لم اقدر على طلبه **فاعلم** ان جميع ما ورد عن الانبياء صلوات الله
عليهم من اوله الى آخره هو من مجاري اليقين   عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلق
معلومات التي وردت بها الشرايع ولا مطمع في احصائها   اشير الى بعض امهاتها فمن
ذلك التوحيد وهو ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى الوسائط
مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا مؤمن فان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن باحد
المعنيين فان غلب على قلبه غلبة ازالت منه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل
الوسائط في قلبه بمنزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب
عليهما بل يراهما آلتين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثاني وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين
الاول وروحه وفائدته ومهما تحقق ان الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان
وكل مخلوق فهي مسخرات بامره حسب تسخير القلم في يد الكاتب وان القدرة الازلية هي المصدر
للكل استولى على قلبه التوكل والرضا والتسليم وصار بريا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذا
احد ابواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله تعالى للرزق في قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله
رزقها واليقين بان ذلك ياتيه وان ما قدر له سيساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا في
الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتا   واثمر هذا اليقين ايضا جملة من
الطاعات والاخلاق الحميدة   يغلب على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره   بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب
نسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصي الى العقاب كنسبة السموم والافاعي الى الهلاك فكما يحرص على

على تحصيل الخبز طالب الشبع فيحفظ قليله وكثيره نكذلك يحرص على الطاعات قليلها وكثيرها وكما
يتجنب قليل السموم وكثيرها فيجتنب قليل المعاصي وكثيرها وصغيرها وكبيرها واليقين
بالمعنى الاول قد يوجد لعموم المومنين واما بالمعنى الثاني فيختص بالمقربين وثمرة هذا اليقين
صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والاحتراز عن كل
السيآت وكلما كان اليقين اغلب كان الاحتراز اشد والتشمر ابلغ ومن ذلك اليقين بان الله
مطلع عليك في كل حال وشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك وهذا مستيقن عند كل
مومن بالمعنى الاول وهو عدم الشك واما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون
وثمرته ان يكون الانسان في خلوته متادبا في جميع احواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر اليه فانه
لا يزال مطرقا متادبا متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الادب ويكون في فكرته الباطنة
كهو في اعماله الظاهرة اذ يتحقق ان الله تعالى مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فيكون
مبالغته في عمارة باطنه   ومن تيسر له معنى الله الكاملة اشد من مبالغته في
ظواهره لسائر الناس وهذا المقام في اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذلة والاستكانة
والخضوع وجملة من الاخلاق المحمودة وهذه الاخلاق تورث انواعا من الطاعات رفيعة
فاليقين في كل باب من هذه الابواب مثل الشجرة وهذه الاخلاق في القلب كالاغصان المتفرعة عنها
منها وهذه الاعمال والطاعات الصادرة من الاخلاق كالثمار والانوار المتفرعة من الاغصان
فاليقين هو الاساس والاصل وله مجاري وابواب اكثر مما عددناه وسياتي ذلك في ربع المنجيات
وهذا القدر كاف في تفهيم معنى اللفظ الان ومنها ان يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا
يظهر اثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر اليه
ناظر الا كان نظره مذكرا لله تعالى وكانت صورته دليلا على علمه وعمله فالجواد عينه فراره
فعلما الاخرة يعرفون بسيماهم في السكينة والذلة والتواضع وقد قيل ما البس الله عبدا لبسة
احسن من خشوع في سكينة فهي لبسة الانبيا وسيما الصديقين والعلما فاما التهافت في
الكلام والتشدق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك
الغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهو داب ابنا الدنيا
عن الله دون العلما به وهذا لان العلما ثلثة كما قال   بامر الله
لا بايام الله وهم المفتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم بالله لا بامر الله
ولا بايام الله وهم عموم المومنين وعالم بالله وبامر الله وبايام الله وهم الصديقون والخشية
والخشوع انما تغلب عليهم واردنا بايام   انواع عقوباته الغامضة ونقمه الباطنة التي
افاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن احاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه قال
عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تعلمون

منه ولتتواضع لكم من تتعلمون منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم ويقال
ما آتى الله تعالى عبدا علما الا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع وفي الاثر
من آتاه الله عز وجل علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق ورفقا فهو امام المتقين وفي الخبر ان من خيار
امتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله تعالى ويبكون سرا من خوف عذابه ابدانهم في الارض
وقلوبهم في السماء ارواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة
وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق سرباله وقال بشر بن الحارث من طلب
بالعلم فتقرب الى الله يبغضه فانه ممقوت في السماء والارض ويروى في الاسرائيليات
ان حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصنفا في الحكمة حتى وصف بالحكيم فاوحى الله تعالى
الى نبيهم قل لفلان قد ملأت الارض نفاقا ولم تردني بشيء من ذلك واني لا اقبل من
ذلك شيئا فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الاسواق وواكل بني اسرائيل
وتواضع في نفسه فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل الآن وافقت رضاي وحكي الاوزاعي عن بلال
بن سعد انه كان يقول ينظر احدكم الى الشرطي فيستعيذ بالله منه وينظر الى علماء الدنيا المتصنعين
للخلق المتشوفين الى الرياسة فلا يمقتهم وهم احق بالمقت من ذلك الشرطي وروي انه قيل
يا رسول الله اي الاعمال افضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله تعالى قيل فاي
الاصحاب خير قال صاحب ان نسيت لم يذكرك وان ذكرت الله اعانك وان نسيت ذكرك قيل فاي
الاصحاب شر قال صاحب ان نسيت لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك قيل فاي الناس اعلم قال اشدهم
لله خشية قالوا فاخبرنا بخيارنا نجالسهم قال من اذا رؤوا ذكر الله تعالى قالوا فاي الناس شر قال اللهم غفرا
قالوا اخبرنا يا رسول الله قال العلماء اذا فسدوا وقال صلى الله عليه وسلم ان اكثر الناس امانا يوم القيامة
اكثرهم فكرا في الدنيا واكثرهم ضحكا في الآخرة اكثرهم بكاء في الدنيا واشدهم فرحا في
الآخرة اطولهم حزنا في الدنيا وقال علي كرم الله وجهه في خطبة ذمتي رهينة وانا به زعيم لمن
صرحت له العبر انه لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ اصل وان اجهل الناس
من لا يعرف قدره وان ابغض الخلق الى الله تعالى رجل قمش علما اغار في اغباش الفتنة سماه
اشباه الناس واراذلهم عالما ولم يغن في العلم يوما سالما تكثر فاستكثر فما قل منه خير مما كثر
حتى اذا ارتوى من ماء آجن واكثر من غير طائل جلس للناس معلما لتخليص ما التبس على غيره وان
نزلت به احدى المبهمات هيأ لها حشو الرأي من رأيه فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت
لا يدري اخطأ ام اصاب ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على
العلم بضرس قاطع فيغنم يذري الروايات ذرو الريح الهشيم تبكي منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج
الحرام ولا ملي والله باصدار ما ورد عليه ولا هو اهل لما فرط به اولئك الذين حلت عليهم المثلات وحقت
عليهم النياحة والبكاء ايام الحياة الدنيا وقال علي كرم الله وجهه اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه

فلا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب وقال بعض السلف العالما العلم بلا
وقيل اذا جمع العالم ثلثا على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق
علم ثلثا تمت النعمة به على المتعلم العقل والادب وحسن الفهم وعلى الجملة فالاخلاق
التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لانهم يتعلمون القرآن للعمل لا للدراسة وقال
ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وان احدنا يؤتى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم
حلالها وحرامها وامرها وزجرها وما ينبغي ان يقف عنده منها ولقد رايت رجالا يؤتى احدهم
القرآن قبل الايمان فيقرا ما بين فاتحته الى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره وما ينبغي ان يقف
عنده وينثره نثر الدقل وفي خبر آخر بمثل معناه كنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتينا
الايمان قبل القرآن وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون
حدوده يقولون قرانا فمن اقرا منا وعلمنا فمن اعلم منا فذلك حظهم وفي لفظ اخر اولئك
شرار هذه الامة وقيل خمس من الاخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات الخشية
والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد اما الخشية فمن قوله تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء واما الخشوع فمن قوله تعالى بآيات الله
ثمنا قليلا واما التواضع فمن قوله تعالى واخفض جناحك من المؤمنين واما حسن الخلق
فمن قوله تعالى فيما رحمة من الله الزهد فمن قوله تعالى وقال الذين اوتوا
العلم ويلكم ثواب الله خير ولما تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فمن يرد الله
ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقيل ما هذا الشرح فقال صلى الله عليه وسلم ان النور اذا
قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل وهل لذلك من علامة قال صلى الله عليه وسلم نعم
التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ومنها ان يكون
اكثر بحثه في علم الاعمال عن ما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوساوس ويثير الشر
فان اصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف
الشر من الناس يقع فيه ولان الاعمال الفعلية قريبة واقصاها المواظبة على ذكر الله تعالى
بالقلب واللسان وانما الشان في معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما يكثر شعبه ويطول
تفريعه وكل ذلك مما يغلب فيه مسيس الحاجة اليه وتعم به البلوى في سلوك طريق الآخرة
واما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريع في الحكومات والاقضية ويتعبون في وضع
صور تنقضي الدهور ولا تقع لغيرهم لا لهم واذا وقعت
كانت في الدهارة به كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر
خواطرهم ووساوسهم واعمالهم وما ابعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره
النادر ايثارا للقبول والتقرب من الخلق على التقرب من الله تعالى وشرها في ان يسميه البطالون

من آفات الدنيا

من ابنا الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق ونحوه جزاؤه من الله تعالى ان لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل
يتكدر عليه صفوه بنوايب الزمان ثم يرد يوم القيمة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح
العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ولقد كان الحسن البصري رحمه الله تعالى اشبه
الناس كلاما بكلام الانبيآء صلوات الله عليهم واقربهم هديا من الصحابة اتفقت الكلمة في حقه
على ذلك وكان اكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية
الغامضة من شهوات النفس وقد قيل له يا ابا سعيد انك تتكلم بكلام ليس يسمع من
غيرك فمن اين اخذته فقال من حذيفة بن اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع
من غيرك من الصحابة فمن اين اخذته فقال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس
يسالونه عن الخير وكنت اساله فيه فعلمت ان الخير لا يسبقني وقال
مرة فعلمت ان من لا يعرف الشر لا يعرف وفي لفظ آخر كان الناس يقولون يا ر
سول الله ما لمن عمل كذا وكذا فيسالوا فضائل الاعمال وكنت اقول يا رسول الله ما يفسد
كذا وكذا فلما راني اسال عن آفات الاعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة ايضا قد خص بعلم
المنافقين وافرد بمعرفة علم النفاق واسبابه ودقائق الفتن فكان عمر وعثمان واكابر الصحابة
رضي الله عنهم يسالونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسال عن المنافقين فيخبر باعداد
من بقي منهم ولا يخبر باسمائهم وكان عمر رضي الله عنه يساله عن نفسه هل يعلم به شيا من
النفاق فبرأه عن ذلك وكان عمر اذا دعي الى جنازة نظر فان حضر حذيفة صلى عليها والا ترك
وكان يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب واحواله هو دأب علما الآخرة لان القلب هو
الساعي الى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا واذا تعرض العالم لشي منه استغرب
واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فاين التحقيق ويرون التحقيق في دقائق المجادلات
ولقد صدق من قال الطرق شتى وطرق الحق مفردة
والسالكون طريق الحق افراد ∴ لا يعرفون ولا تدري مقاصدهم ∴ فهم على مهل يمشون قصاد
∴ والناس في غفلة عما يراد بهم ∴ فجلهم عن سبيل الحق رقاد وعلى الجملة لا يميل اكثر
الخلق الا الى الاسهل والاوفق له والوقوف عليه صعب وادراكه شديد
ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره فان ذلك نزع للروح على
الدوام وصاحبه ينزل منزلة شارب الدوا يصبر على مرارته رجا الشفا وينزل منزلة من جعل
مدة العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت ومتى تكثر الرغبة في هذا الطريق
ولذلك قيل انه كان في البصرة ماية وعشرون متكلما في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم
اليقين واحوال القلوب وصفات الباطن الا ثلثة منهم سهل التستري والصبيحي وعبد الرحيم
رضي الله عنهم وكان يجلس الى اولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى والى هولا عدد يسير قلما يجاوز

العزة لأن النفيس العزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص وما يبذل للعموم فأمره قريب وهمنا أن يكون اهتمام
في علمه على بصيرة وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره
وإنما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله وإنما تقلد الصحابة من
حيث إن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إذا قلد صاحب الشرع صلوات
الله عليه وسلامه في تلقي أفعاله وأقواله بالقبول فينبغي أن يكون حريصا على فهم أسراره
فإن المقلد إنما يفعل الفعل لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله فالرسول صلى الله عليه
لم فعله لا بد وأن يكون فعله لسر فيه فينبغي أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأ
قوال فإنه إن اكتفى بحفظه   وعاء للعلم ولم يكن عالما ولذلك كان يقال فلان
من أوعية العلم وكان لا يسمى عالما إذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار
ومن انكشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا مقتدى فلا ينبغي
أن يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبي بن كعب ثم
خالفهما في الفقه والقراءة جميعا وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة فنأخذ ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم
رجال ونحن رجال وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم
واعتلاق قلوبهم أمورا أدركت بالقرائن فسددهم ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية
والعبارة إذ فاض عليهم بنور النبوة ما يحرسهم في الأكثر عن الخطأ وإذا كان الاعتماد على المسموع
من الغير تقليدا غير مرضي فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد بل الكتب والتصانيف
محدثة لم يكن شيء منها في زمان الصحابة وصدر التابعين وإنما حدثت بعد سنة
الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين رضي الله عنهم وبعد وفاة سعيد
بن المسيب   التابعين رضي الله عنهم بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث
وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتفكر
وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره أبو بكر الصديق رضي الله عنه وجماعة من الصحابة
تصحيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا نترك القرآن يتلقاه الناس بعضهم من بعض بالتلقين
والإقراء ليكون هو شغلهم وهمهم حتى أشار عمر وبقية الصحابة رضي الله عنهم بكتبه
القرآن خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذرا من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه
في كلمة وقراءة من المتشابهات فانشرح صدر أبي بكر لذلك فجمع القرآن في مصحف واحد وكان
أحمد بن حنبل ينكر على مالك تصنيفه الموطأ ويقول لا ابتدع ما لم يفعله الصحابة وقيل أول

كتاب صنف

كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطا واصحاب
ابن عباس بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سننا ماثورة نبوية
ثم كتاب الموطا بالمدينة لمالك بن انس ثم جامع سفيان   الرابع
حدث مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والخوض في   المقالات ثم مال
الناس اليه والى القصص والوعظ بها فاخذ علم اليقين في   ذلك
فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان
واعرض عن ذلك جميع الناس الا الاقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه
بالعبارات المسجعة عالما وهذا لان العوام هم المستمعون اليهم وكان لا يتميز لهم حقيقة
العلم عن غيره ولم تكن سيرة الصحابة وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة
هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلما وتوارث اللقب خلف عن سلف واصبح علم الاخرة مطويا وغاب
عنهم الفرق بين العلم والكلام الا عن الخواص منهم حتى كانوا اذا قيل لاحدهم فلان اعلم ام فلان وكان
يقول فلان اكثر علما وفلان اكثر كلاما فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على
الكلام هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الامر الى ان مظهر الانكار
يستهدف للنسبة الى الجنون فالاولى ان يشتغل الانسان بنفسه ويسكت ومنها ان يكون شديد
التوقي من محدثات الامور وان اتفق عليه الجمهور فلا يغرنه اطباق الخلق على ما احدث بعد
الصحابة وليكن حريصا على التفتيش عن احوال الصحابة   ما كان
فيه اكثر همهم اكان في التدريس   والمناظرة والقضا والولاية وتولي
ومال الايتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة او في الخوف والحزن
والتفكر والمجاهدة ومراقبة الباطن والظاهر واجتناب دقيق الاثم وجليه والحرص على
ادراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان الى غير ذلك من علوم الباطن واعلم تحقيقا
ان اعلم اهل الزمان واقربهم الى الحق اشبههم بالصحابة واعرفهم بطريق السلف فمنهم اخذ
الدين ولذلك قال علي كرم الله وجهه خيرنا اتبعنا لهذا الدين لما ان قيل له خالفت فلانا فلا
ينبغي ان يكترث بمخالفة اهل العصر في موافقة اهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان
الناس راوا رايا فيما هم فيه لميل طباعهم اليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بان ذلك سبب
الحرمان من الجنة فادعوا انه لا سبيل الى الجنة سواه ولذلك قال الحسن محدثان احدثا في الاسلام
رجل ذو راي سوء يزعم ان الجنة لمن راى مثل رايه ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها
يرضى واياها يطلب فارفضهما الى   ان رجلا اصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعوه
الى دنياه وصاحب هوى يدعوه الى هواه قد عصمه الله تعالى منهما يحن الى السلف الصالح يسال
عن افعالهم ويقتص اثارهم متعرض لاجر عظيم   وقد روي عن ابن

مسعود موقوفا ومرفوعا انه قال انما هما اثنتان الكلام فاحسن الكلام كلام الله تعالى
واحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم الا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها
وان كل محدثة بدعة وان كل بدعة ضلالة الا لا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم الا كل
ما هو آت قريب الا ان البعيد ما ليس بآت وفي خطبة النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن
شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط اهل الفقه
والحكمة وجانب اهل الزلة والمعصية طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت
سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل
من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة وكان ابن مسعود يقول حسن الهدي في آخر
الزمان خير من كثير العمل وقال انتم في زمان خيركم فيه المسارع في الامور وسيأتي
بعدكم زمان يكون خيرهم المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات وقد صدق فمن لم يتثبت
في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا هلك كما هلكوا وقال حذيفة اعجب
من هذا ان معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم معروف زمان قد اتى وانكم
لن تزالوا بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق رضي الله عنه
فاكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في عصر الصحابة اذ من غرر المعروفات في زماننا
تزيين وتجصيصها وانفاق الاموال العظيمة في دقائق عماراتها وفرش
البسط الرفيعة فيها وقد كان يعد فرش البواري في المسجد بدعة وقيل انه من محدثات
الحجاج فقد كان الاولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقائق
الجدل والمناظرة من اجل علوم هذا الزمان ويزعمون انه من اجل القربات وقد كان ذلك
من المنكرات ومن ذلك التلحين في القرآن والاذان ومن ذلك التنظف في الطهارة والوسوسة
في الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في اكل الاطعمة وتحريمها
الى نظائر ذلك ولقد صدق ابن مسعود حيث قال انتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم
وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابع للهوى وكان احمد يقول تركوا العلم واقبلوا على الغرائب
ما اقل الفقه فيهم والله المستعان وقال مالك بن انس لم يكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه
الامور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ادركتهم يقولون مكروه
ومستحب ومعناه انهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهية والاستحباب فاما الحرام فكان فحشه
ظاهرا عروة يقول لا تسألوهم اليوم عما احدثوا فانهم قد اعدوا له جوابا
ولكن عن السنة فانهم لا يعرفونها وكان ابو سليمان الداراني يقول لا ينبغي
الخيرات بعلمه حتى يسمع به في الاثر فيحمد الله تعالى اذا وافق ما في نفسه وانما
قال هذا لان ما ابدع من الآراء قد قرع الاسماع وتعلق بالقلوب وربما يشوش صفاء القلب فيتخيل

الباطل

بسبب الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار ولهذا لما احدث مروان المنبر في صلاة
العيد عند المصلى قام اليه ابو سعيد الخدري رضي الله عنه وقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انها ليست
بدعة هي خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فاردت ان يبلغهم الصوت فقال ابو سعيد والله لا
تاتون بخير مما اعلم ابدا والله لا صليت ورائك اليوم وانما انكر ذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يتوكا في خطبة العيد والاستسقا على قوس او عصى لا على المنبر وفي الحديث المشهور من احدث
في ديننا ما ليس فيه فهو رد وفي خبر آخر من غش امتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
قيل يا رسول الله ما غش امتك قال ان يبتدع بدعة يحمل الناس عليها وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته ومثال
الجاني على الدين بابداع ما يخالف السنة بالنسبة   فمثال من عصى الملك في
قلب دولته بالنسبة   من خالف امر الملك في خدمة معينة وذلك   يغفر فاما قلب
الدولة فلا وقال بعض العلما ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفا وما سكت عنه السلف فالكلام فيه
تكلف وقال اخر الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال صلى الله عليه
وسلم عليكم بالنمط الاوسط الذي يرجع اليه العالي ويرتفع اليه التالي وقال ابن عباس رضي الله
عنهما ان الضلالة لها حلاوة في قلوب اهلها قال الله تعالى اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال تعالى
افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فكل ما احدث بعد الصحابة مما جاوز قدر الضرورة او الحاجة
فهو من اللهو واللعب وحكي عن ابليس لعنه الله انه بث جنوده في وقت الصحابة فرجعوا اليه
فرجعوا اليه محسورين فقال ما شانكم فقالوا ما راينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيا قد اتعبونا
فقال انكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سياتي بعدهم
قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسرين قالوا ما
راينا اعجب من هؤلاء نصيب منهم الشي بعد الشي من الذنوب فاذا كان آخر النهار اخذوا
في الاستغفار فيبدل الله سياتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء شيا لصحة
هم اتباعهم سنة نبيهم ولكن سياتي بعد هؤلاء اقوام تقر اعينكم بهم وتقودوا
الهوى تلعبون بهم لعبا كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون
حسنات قال فجاء قوم بعد القرن الاول فبث فيهم الاهوا وزين لهم   واتخذوها
دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الاعدا وقادوهم اين شاوا فان قلت من
اين عرف نقله هذا ما قاله ولم يشاهد ابليس ولا حدثه بذلك فاعلم ان ارباب القلوب يكاشفون
باسرار الملكوت تارة على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون
وتارة على سبيل الرويا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الامثلة كما
يكون في النوم وهذا اعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما ان الرويا الصادقة

جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فاياك ان يكون حظك من العلم انكار كل ما جاوز حد
قصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلما الزاعمين بانهم احاطوا بعلوم المعقولات فالجهل خير
من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الامور لاوليا الله تعالى ومن انكر ذلك للاوليا لزمه انكاره للا
نبيا وكان خارجا عن الدين بالكلية وقال بعض العارفين انما انقطع الابدال في اطراف الارض
واستتروا عن اعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علما الوقت لانهم عندهم جهال بالله
تعالى وهم عند انفسهم وعند الجاهلين علما وقال التستري رحمه الله تعالى ان من اعظم
المعاصي الجهل بالجهل الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة وكل عالم خاض في
الدنيا فلا ينبغي ان يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما يقول لان كل انسان يخوض فيما
احبه ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع
هواه وكان امره فرطا والعوام العصاة اسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقد
ين انهم من العلما لان العامي العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه
عالم وانما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسيلة الى الدنيا عن سلوك طريق الاخرة فلا يتوب
ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه الى الموت واذا غلب هذا على اكثر الناس الا من عصمه الله تعالى
وانقطع الطمع من اصلاحهم فالاسلم لذي الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم كما سياتي في كتاب
العزلة بيانه ولذلك كتب يوسف بن اسباط الى حذيفة المرعشي ما ظنك بمن بقي لا يجد احدا
يذكر الله تعالى معه الا كان اثما وكانت مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد اهله ولقد صدق فان
مخالطة الناس لا تنفك عن غيبة او عن سماع غيبة او عن سكوت على منكر واحسن احواله ان
يفيد علما او يستفيد ولو تامل هذا علم ان المستفيد انما يريد طلب
الدنيا او وسيلة الى الشر فيكون هو معينا له ردءا وظهيرا له به كالذي
يبيع السيف من قاطع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للغزو وذلك
لا يرخص في البيع ممن يعلم بقراين احواله انه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه
اثنتا عشرة علامة من علامات علما الاخرة تجمع كل واحدة منها جملا من اخلاق علما السلف
فكن احد رجلين اما متصفا بهذه الصفات او معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك ان
تكون الثالث فتلبس على نفسك بان تبدل الة الدنيا بالدين وسيرة البطالين بسيرة العلما
الراسخين وتلحق بجهلك وانكارك بزمرة الهالكين الايسين نعوذ بالله من خدع الشياطين
فبها هلك الجمهور فنسال الله تعالى ان يجعلنا ممن لا تغره الحيوة الدنيا ولا يغره بالله الغرور

الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته واقسامه بيان شرف العقل اعلم ان هذا
مما لا يحتاج الى تكلف في اظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه
واساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين

كاشف

وكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والاخرة او كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور
تمييزها تحتشم العقل حتى ان اعظم البهائم بدنا ما   لضراوة واقواها سطوة اذا را
صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه   ادراك الحيل
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الشيخ في قومه كالنبي في امته وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر
شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى الاتراك والاكراد
واجلاف العرب وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من البهائم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك حين
قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت اعينهم عليه واكتحلوا
بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة وان كان
ذلك باطنا في نفسه بطون العقل وشرف العقل مدرك بالضرورة وانما القصد ان نورد
ما وردت به الاخبار والايات في ذكر شرفه وقد سماه الله تعالى نورا في قوله تعالى الله نور
السموات والارض وسمى العلم المستفاد منه روحا وحياة فقال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا
من امرنا وقال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وحيث ذكر النور والظلمة اراد به العلم والجهل كقوله
تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور وقد قال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم
وتواصوا بالعقل تعرفوا به ما امرتم به   عنه واعلموا انه ينجدكم عند ربكم واعلموا
ان العاقل من اطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطر دني المنزلة رث الهيئة وان الجاهل
من   الله تعالى وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا
فالقردة والخنازير اعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم اهل الدنيا اياكم فانكم من الخاسرين
وقال صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال الله
وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك اخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب فان قلت
فهذا العقل ان كان عرضا فكيف خلق قبل الاجسام وان كان جوهرا فكيف يكون جوهرا قائما بنفسه
لا يتحيز فاعلم ان هذا من علم المكاشفة ولا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا الان ذكر علوم المعاملة
وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال اثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا
في الثنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في
العبادة واصناف الخير وتسالنا عن عقله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاحمق يصيب
بجهله اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم
انه صلى الله عليه وسلم قال ما اكتسب رجل مثل فضل عقل   يهدي صاحبه
الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان   دينه حتى يكمل عقله وقال صلى الله عليه
وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند
ذلك تم ايمانه واطاع ربه وعصى عدوه ابليس وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم

قال لكل شي دعامة ودعامة المومن عقله فبقدر عقله يكون عبادته اما سمعتم قول الفاجر كما
اخبر الله تعالى عنهم في النار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وعن عمر رضي الله عنه
انه قال لتميم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما سالتك فقال كما قلت ثم قال سالت جبريل ما السودد فقال العقل وعن البرا بالاوثبت
المسائل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس ان لكل شي مطية ومطية
المرء العقل واحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة احسنكم عقلا وعن ابي هريرة رضي الله عنه
لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة احد سمع الناس يقولون كان فلان اشجع
من فلان وفلان ابلى ما لم يبل غيره ونحو هذا فقال صلى الله عليه وسلم اما هذا فلا علم لكم
به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال انهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكا
نت نصرتهم ونيتهم على قدر عقو   صيب منهم من اصيب على منازل شتى فاذا كان
يوم القيمة اقتسموا المنا   وقدر عقولهم وعن البراء بن عازب
رضي الله عنه ان صلى الله عليه وسلم قال حسن الملائكة واجتهدوا في طاعة الله تعالى بالعقل
العقل وجد المؤمنون من بني ادم على قدر عقولهم فاعملهم بطاعة الله اوفرهم عقلا
وعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله باي شي تفاضل الناس في الدنيا قال
بالعقل قلت وفي الآخرة قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم فقال يا عائشة وهل
عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله تعالى من العقل فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر
ما عملوا يجزون وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شي
آلة وعدة وان آلة المؤمن وعدته العقل ولكل شي مطية ومطية المرء العقل ولكل شي
دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم داعي وداعي
العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل اهل بيت قيم وقيم
بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب اليه ويذكر
به وعقب الصديقين الذي ينسبون اليه ويذكرون   ولكل سفر فسطاط وفسطاط
المؤمنين العقاب قال صلى الله عليه وسلم ان احب المؤمنين الى الله   في
طاعة الله تعالى ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فابصر وعمل به ايام حياته فافلح وانجح
وقال صلى الله عليه وسلم اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر به ونهى عنه نظرا وان كان
وان كان اقلكم تطوعا **بيان** حقيقة العقل واقسامه اعلم ان الناس قد اختلفوا في
حد العقل وحقيقته وذهل الاكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار
ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف فيه ان العقل اسم يطلق بالاشتراك على اربعة معان
كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة عدة وما يجري هذا المجرى فلا ينبغي ان يطلب لجميع اقسامه

حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه فالاول هو الوصف الذي يفارق الانسان به سائر البهائم
وهو الذي به استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي
اراده الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيا بها ادراك العلوم
النظرية وتدبير الصناعات وكانه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشياء ولم ينصف
من انكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن العلوم والنائم يسميان
عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم وكان الحياة غريزة بها يتهيا الجسم
للحركات الاختيارية والا   لحسية فكذلك العقل غريزة بها يتهيا بعض الحيوانات
للعلوم ان يسوى بين الانسان والحمار في الغريزة ويقال لا فرق بينهما الا ان الله تعالى بحكم
اجرا العادة يخلق في الانسان علوما وليس يخلقها في الحمار والبهائم لجاز ان يسوى بين الجماد
والحمار في الحياة ويقال سائر لا فرق الا ان الله تعالى يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء
العادة فانه لو قدر الحمار جمادا ميتا لوجب القول بان كل حركة تشاهد منه فالله قادر على خلقها
فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب ان يقال لم يكن مفارقته للجماد في الحركة الا بغريزة
اختصت به عبر عنها بالحياة فكذا مفارقة الانسان للبهيمة في ادراك العلوم النظرية بغريزة
يعبر عنها بالعقل وهو كالمراة التي تفارق غيرها من الاجسام في حكاية الصور والالوان
بصفة اختصت بها وهي الصقالة وكذلك العين تفارق الجبهة في هيئات وصفات بها استعدت
للرؤية فنسبة هذه الغريزة الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية ونسبة القران والشرع الى هذه
الغريزة في سياقها الى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس الى البصر فهكذا ينبغي ان تفهم هذه
الغريزة الثاني عبارة العلوم التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات
واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون في
مكانين في وقت   وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث   انه
بعض العلوم الضرورية بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهو ايضا صحيح في نفسه
لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وانما الفاسد ان تنكر تلك الغريزة ويقال
لا موجود الا هذه العلوم الثالث علوم تستفاد من التجارب بمجاري الاحوال فان من حنكته التجارب
وهذبته المذاهب يقال انه عاقل في العادة ومن لا يتصف به يقال انه غبي جاهل فهذا نوع
اخر من العلوم يسمى عقلا والرابع ان تنتهي قوة تلك الغريزة الى ان يعرف عواقب الامور و
يقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا
من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة
وهذه ايضا من خواص الانسان التي بها يتميز عن سائر الحيوانات فالاول هو الاساس والسنخ
والمنبع والثاني هو الفرع الاقرب اليه والثالث هو فرع الاول والثاني اذ بقوة الغريزة

والعلوم الضرورية ويستفاد علوم التجارب والرابع هي الثمرة الاخيرة وهي الغاية القصوى فالاول
بالطبع والاخير بالاكتساب ولذلك قال علي كرم الله وجهه شعر رايت العقل عقلان فمطبوع
ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا تنفع نور الشمس وضوء العين ممنوع
صلى الله عليه وسلم ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والاخير هو المراد بقو
صلى الله عليه وسلم اذا تقرب الناس بابواب البر فتقرب انت بعقلك وهو المراد بقوله رسول الله
صلى الله عليه وسلم لابي الدرداء رضي الله عنه ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بابي انت
وامي وكيف لي بذلك فقال صلى الله عليه وسلم اجتنب محارم الله وادّ فرائض الله تكن عاقلا واعمل
بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك القرب والعز
وعن سعيد بن المسيب قال ان عمر وابي بن كعب وابا هريرة رضي الله عنهم دخلوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس فقال العاقل قالوا فمن اعبد الناس فقال
العاقل قالوا فمن افضل الناس قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت مروته وظهرت فصاحته
وجادت كفه وعظمت منزلته فقال صلى الله عليه وسلم وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة
عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقي وان كان في الدنيا دنيا خسيسا وقال صلى الله عليه وسلم في
حديث اخر انما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ويشبه ان يكون الاسم في اصل
اللغة لتلك الغريزة وكذا في الاستعمال وانما اطلق على العلوم من حيث انها ثمرتها كما يعرف
الشيء بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله تعالى فان الخشية ثمرة
لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود ان هذه
الاقسام الاربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها الا في القسم الاول
والصحيح وجودها بل هي الاصل وهذه العلوم كانها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر
الى الوجود اذا جرى سبب يخرجها الى الوجود حتى كان هذه العلوم ليست شيا واردا عليها من خارج
وكانها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثال ذلك الماء في الارض فانه يظهر بحفر القني ويجتمع ويتميز
بالحس لا بان يساق اليه شي جديد وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد في الورد ولذلك قال تعالى
واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى
فالمراد به اقرار نفوسهم لا اقرار الالسنة فانهم انقسموا في اقرار الالسنة حيث وجدت الالسنة
والاشخاص الى مقر والى جاحد ولذلك قال الله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن
الله معناه ان اعتبرت احوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم فطرة الله التي فطر الناس
عليها اي كل ادمي فطر على الايمان بالله تعالى بل على معرفة الاشياء على ما هي عليه اعني انها
كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك ثم لما كان الايمان مركوزا في النفوس بالفطرة
انقسم الناس الى من اعرض فنسي وهم الكفار فتذكر فكان كمن حمل

شهادة نفسها

تنبه

شهادة نفسها بالفعل ثم تذكرها ولذلك قال الله تعالى لعلهم يتذكرون وليتذكر اولوا الالباب واذكروا
نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وتسمية هذا
النمط تذكرا ليس ببعيد وكان التذكر ضربان احدهما ان يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في القلب
لكن غابت بعد الوجود والاخر ان يكون عن صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق ظاهرة
للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من مستروحه السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك
تراه يتخبط في مثل هذه الآيات ويتعسف في تأويل التذكر واقرار النفوس انواعا من التعسفات
ويتخايل اليه في الاخبار والآيات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها بعين
الاستحقار ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الاعمى الذي يدخل دارا فيتعثر فيها بالاواني المصفوفة
في الدار فيقول ما لهذه الاواني لا ترفع من الطريق وترد الى مواضعها فيقال له انها في مواضعها وانما
الخلل في بصرك فكذلك خلل البصيرة يجري هذا المجرى واظهر منه واعظم اذ النفس كالفارس والبدن
كالفرس وعمى الفارس اضر من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى
ما راى وقال تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وسمى ضده عمى
فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال تعالى ومن كان في هذه اعمى
فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا وهذه الامور التي كشفت للانبياء بعضها كان بالبصر وبعضها با
البصيرة وسمي الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين الا قشوره
وامثلته دون لبابه وحقائقه فهذه اقسام ما ينطلق اسم العقل عليها بيان تفاوت الناس في العقل
قد اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الاولى والاهم
المبادرة الى التصريح بالحق والحق الصريح فيه ان التفاوت يتطرق الى الاقسام الاربعة سوى القسم الثاني
وهو العلم الضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فان من عرف ان الاثنين اكثر من الواحد
عرف ايضا استحالة كون الشخص الواحد في مكانين وكون الشيء الواحد قديما حادثا وكذا سائر النظائر
وكل ما يدركه فانه يدركه ادراكا محققا غير مشكوك فيه واما الاقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق اليها اما
القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت احوال
الشخص الواحد فيه وهذا التفاوت تارة يكون لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات
دون بعض لكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا واذا كبر وتم عقله قدر عليه
والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت في العلم المعرف لغائلة
تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه في العقل
المعرف اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن اذا كان علم الطبيب اتم كان خوفه اشد
فيكون الخوف جندا للعقل وعدة في قمع الشهوة وكسرها ولذلك يكون العالم اقدر على ترك المعاصي
من الجاهل لقوة علمه بضرر المعاصي واعني به العالم الحقيقي دون ارباب الطيالسة واصحاب الهذيان فان كان

التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع الى تفاوت العقل وان كان من جهة العلم فقد سمينا هذا النوع
من العلم عقلا فانه يقوي غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية اليه وقد يكون بمجرد
التفاوت في غريزة العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة اشد واما القسم الثالث وهو
علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وسرعة الادراك ويكون
سببه اما تفاوتا في الغريزة واما تفاوتا في الممارسة اما الاول فهو الاصل اعني الغريزة والتفاوت
فيه لا سبيل الى جحده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادي اشراقه عند سن التمييز
ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا خفي التدريج الى ان يتكامل [illegible] الاربعين سنة ومثاله نور الصبح
فان اوائله تخفى خفاء يشق ادراكه ثم يتدرج الى الزيادة الى ان يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت
نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الاعمش وبين حاد البصر بل سنة الله جارية في
جميع خلقه بالتدريج في الايجاد حتى ان غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبغتة بل
تظهر شيئا شيئا على التدريج وكذا جميع القوى والصفات ومن انكر تفاوت الناس في هذه الغريزة
فانه منخلع من ربقة العقل ومن ظن ان عقل النبي صلى الله عليه وسلم مثل عقل احاد السوادية و
اجلاف البادية فهو اخس في نفسه من احاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس
في فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل من المعلم والى ذكي يفهم
بادنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من نفسه حقائق الامور دون التعليم يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار وذلك مثل الانبياء صلوات الله عليهم اذ يتضح لهم في باطنهم امور غامضة من غير تعلم
وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبر نبينا صلى الله عليه وسلم حيث قال ان روح القدس
نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك
مجزي به وهذا النمط من تعريف الملائكة للانبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت
بحاسة البصر ولذلك اخبر عن هذا بالنفث في الروع ودرجات الوحي كثيرة والخوض فيها لا
يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظنن ان معرفة درجات الوحي يستدعي منصب
الوحي اذ لا يبعد ان يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم الفاسق درجات العدالة وان
كان خاليا عنها فالعلم شيء ووجود المعلوم شيء آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ووليا
ولا كل من عرف الورع والتقوى ودقائقه كان تقيا وانقسام الناس الى من يتنبه من نفسه ويفهم
والى من لا يفهم الا بتنبيه وتعليم والى من لا ينفعه التعليم ايضا ولا التنبيه كانقسام الارض الى ما يجتمع
فيه الماد ويقوى فيتفجر بنفسه عيونا والى ما يحتاج الى الحفر ليخرج في القنوات والى ما لا ينفع فيه
الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الارض في صفاتها فكذلك هذا الاختلاف النفوس في غريزة
العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روي ان ابن سلام سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حديث طويل في اخره وصف عظم العرش وان الملائكة قالت يا رب هل خلقت شيئا اعظم من العرش قال

نعم قالوا وما هو قال العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط بعلمه هل تدرون عدد الرمل قالوا

لا قال فان في خلقت العقل اصنافا   مثل النار من اعطي حبة ومن الناس من

اعطي حبتين ومنهم الثلاث ومنهم الاربع ومنهم من اعطي فرقا ومنهم من اعطي وسقا ومنهم من

اعطي اكثر من ذلك فان قلت فما بال اقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول فاعلم ان السبب

فيه ان الناس نقلوا اسم العقل والمعقول الى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والالزامات

وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على ان يقرروا عندهم انكم اخطاتم في التسمية اذ كان ذلك

لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الالسنة به ورسوخه في القلوب فذموا العقل والمعقول وهو المسمى

عندهم فاما نور البصيرة الباطنة التي يعرف بها الله عز وجل ويعرف عليه صدق رسله صلوات الله

عليهم فكيف يتصور ذمه وقد اثنى الله تعالى وان ذم فالذي يحمد فان كان المحمود هو الشرع

فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع ايضا مذموما ولا

يلتفت الى من يقول انه يدرك بعين اليقين ونور الايمان لا بالعقل فانا نريد بالعقل ما يريده

وهو بعين اليقين ونور الايمان وهي الصفة الباطنة التي يتميز بها الادمي عن البهائم حتى ادرك

بها حقائق الامور فاكثر هذه التخبيطات انما ثارت من جهل اقوام طلبوا الحقائق من الالفاظ

فتخبطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس في الالفاظ وهذا القدر كاف في بيان العقل والله

تم كتاب العلم وهو الكتاب الاول من كتاب احيا علوم الدين ويتلوه كتاب قواعد العقائد فهو

وهو الثاني من ربع العبادات من كتاب احيا علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب قواعد العقائد وفيه اربعة فصول الفصل الاول في ترجمة عقيدة اهل السنة في

في كلمتي الشهادة التي هي احد مباني الاسلام فنقول وبالله التوفيق الحمد لله المبدئ المعيد

الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي صفوة العبيد الى المنهج الرشيد والمسلك

السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقايدهم عن ظلمات التشكيك والتردد

السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم واقتفاء اثار صحبه الاكرمين المكرمين بالتاييد

التاييد والتسديد المتجلي لهم في ذاته وافعاله بمحاسن اوصافه التي لا يدركها الا من القى السمع

وهو شهيد المعرف لهم انه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له

وانه قديم لا اول له ازلي لا بداية له ابدي لا نهاية له مستمر الوجود لا اخر له قيوم لا انقطاع له دايم لا انصرام له

لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضا   الا

باد وانقراض الاجال بل هو الاول من غير بداية والاخر من غير نهاية والظاهر من غير تحديد

والباطن من غير تخصيص بل هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شي عليم التنزيه

وانه تعالى ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وانه لا يماثل الاجسام لا في التقدير ولا في

التصوير ولا في قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل

موجود او لا بانه موجود ليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء وانه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار
ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الارضون والسموات وانه مستو على العرش على الوجه الذي قاله
وبالمعنى الذي اراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله
العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش
والسما وفوق كل شيء الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسما كما لا تزيده بعدا
عن الارض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما انه رفيع الدرجات عن الثرى
وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو اقرب الى العبد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد
اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا تماثل ذاته ذات الاجسام وانه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى
عن مكان كما تقدس عن ان يحده زمان بل كان قبل ان يخلق الزمان والمكان وهو الآن
على ما عليه كان وانه تعالى بائن عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته وانه
مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت
جلاله منزها عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وانه في ذاته معلوم
الوجود بالعقول مرئي الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار في دار القرار واتماما
للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم **الحياة** والقدرة وانه تعالى حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور
ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فنا ولا موت وانه ذو الملك والملكوت والعزة و
الجبروت له السلطان والقهر والخلق والامر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون
في قبضته وانه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق واعمالهم وقدر
ارزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور لا تحصى مقدوراته
ولا تتناهى معلوماته **العلم** وانه تعالى عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم
الارضين الى اعلى السموات وانه لا يعزب   في الارض ولا في السموات بل يعلم
دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم
السر واخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم ازلي لم يزل
موصوفا به في ازل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال **الارادة** وانه تعالى
مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليل او كثير صغير او كبير خير او شر
نفع او ضر ايمان او كفر عرفان او نكر فوز او خسران زيادة او نقصان طاعة او عصيان الا بقضائه وقدره
وحكمه ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل
هو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا راد لامره ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا
بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمشيئته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين
على ان يحركوا في العالم ذرة او يسكنوها دون ارادته ومشيئته لعجزوا عنه وان ارادته

قائمة

تعالى قائمة بذاته لجلت صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا لكائنات لوجود الاشيا في اوقاتها التي
قدرها فوجدت في اوقاتها كما اراد ها في ازله من غير تقدم ولا تاخر بل وقعت على وفق علمه
وارادته من غير تبدل ولا تغير دبر الامور لا بترتيب افكار ولا تربص زمان فلذلك لم يشغله شان
شان **السمع** والبصر وانه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي ولا يغيب
عن رؤيته شي وان دق لا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة واجفان ويسمع
من غير اصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا يشبه صفاته
صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق **الكلام** وانه تعالى متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام
ازلي قديم قائم بذاته تعالى لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء واصطكاك
اجرام ولا بحرف ينقطع باطباق شفة او تحريك لسان وان القرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه
المنزلة على رسله عليهم الصلوة والسلام وان القرآن مقروء بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ
في القلوب وانه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال الى
القلوب والاوراق وان موسى عليه الصلوة والسلام سمع كلام الله تعالى بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار
ذات الله تعالى من غير جوهر ولا عرض واذا كانت له هذه الصفات كان سبحانه حيا عالما قادرا مريدا
سميعا بصيرا متكلما بالحياة والقدرة والعلم والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات
الافعال وانه لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على احسن الوجوه و
اكملها واتمها واعدلها وانه حكيم في افعاله عادل في اقضيته ولا يقاس عدله بعدل العباد اذ العباد
يتصور منهم الظلم بتصرفهم في ملك غيرهم ولا يتصور الظلم من الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى
يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من جن وانس وشيطان وملك وسماء وارض وحيوان ونبات وجماد
وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وانشاه انشاء بعد ان
لم يكن شيئا اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق بعد ذلك اظهارا ل
لقدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق في الازل من كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته وانه
متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن
لزوم فله الحمد والفضل والاحسان والنعمة والامتنان اذ كان قادرا على ان يصب على عباده
انواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والاوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن قبيحا
ولا ظلما وانه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم اذ لا
يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب عليه لاحد حق وان حقه في الطاعات وجب على
الخلق بايجابه على لسان لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة
فبلغوا امره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤا به من عند الله تعالى معنى الكلمة
الثانية وهي الشهادة بالرسول صلى الله عليه وسلم وانه بعث النبي الامي القرشي محمدا صلى الله عليه وسلم

برسالته الى كافة الخلق من العرب والعجم والجن والانس فنسخ بشريعته الشرائع الا ما قرر منها وفضله على سائر الانبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد وهو قول لا اله الا الله ما لم تقترن بها الشهادة بالرسول وهو قولك محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والزم الخلق تصديقه في جميع ما اخبر عنه في الدنيا والاخرة وانه لا يقبل الله ايمان عبد حتى يؤمن بما اخبر عنه بعد الموت واوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد في قبره سويا ذا روح وجسد ويسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك وهما فتانا القبر وسؤالهما اول فتنة بعد الموت وان يؤمن بعذاب القبر وانه حق وحكمه عدل على الجسم والروح على ما يشاء ويؤمن بالميزان ذي الكفتين واللسان وصفته في العظم مثل طبقات السموات والارض توزن فيه الاعمال بقدرة الله مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل فتطرح صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان بقدر درجاتها عند الله تعالى بفضل الله تعالى وتطرح صحائف السيئات في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله تعالى ويؤمن بان الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم احد من السيف وادق من الشعر تزل عليه اقدام الكافرين بحكم الله فتهوي بهم في النار وتثبت عليه اقدام المؤمنين فيساقون الى دار القرار ويؤمن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا عرضه مسيرة شهر ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل حوله اباريق عددها كعدد نجوم السماء فيه ميزابان يصبان من الكوثر ويؤمن بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى مناقش في الحساب والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسأل من شاء من المرسلين عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ويسأل المبتدعة عن السنة ويسأل المسلمين عن الاعمال ويؤمن باخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله ويؤمن بشفاعة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين كل على حسب جاهه ومنزلته ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع اخرج بفضل الله تعالى فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من مثقال ذرة من ايمان وان يعتقد فضل الصحابة رضي الله عنهم وترتيبهم وان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم وان يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما اثنى الله تعالى ورسوله عليهم اجمعين فكل ذلك مما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من اهل الحق وعصابة اهل السنة وفارق رهط الضلالة وحزب البدعة فنسأل الله تعالى كمال اليقين والثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين انه ارحم الراحمين

الفصل الثاني

في وجه التدريج الى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد اعلم ان ما ذكرناه من ترجمة العقيدة ينبغي ان يقدم الى الصبي اول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئا فشيئا فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والا

يقان والتصديق

والايقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله تعالى على قلب الانسان ان شرحه
في اول نشوه للايمان من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقايد العوام مباديها التلقين
المجرد والتعليم المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتدا
على معنى انه يقبل الازالة بنقيضه لو القي اليه ولا بد من تقويته واثباته في نفس الصبي والعامي
حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته واثباته ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل
بتلاوة القران وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظايف العبادات فلا يزال اعتقاده
يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من ادلة القران وحججه وبما يرد عليه من شواهد الاحاديث وفوايدها
وبما يسطع عليه من انوار العبادات ووظايفها وبما يسري اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم
وسيماهم وهياتهم في الخضوع لله والخوف منه والاستكانة له فيكون اوله كالقا بذر
في الصدر وتكون هذه الاسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة
طيبة راسخة اصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي ان يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة
فان ما يشوشه الجدل اكثر مما يمهده وما يفسده اكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل يضاهي ضرب الشجرة
بالمدقة من الحديد رجا تقويتها بان تكثر اجزاوها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الاغلب
والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا فناهيك بالعيان بيانا فقس عقيدة اهل الصلاح والتقى من
عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه
وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهوى
تفيه الريح مرة هكذا ومرة هكذا الا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس
الاعتقاد تقليدا اذ لا فرق في التقليد بين تعلم الدليل او تعلم المدلول فتلقين الدليل شي والاستدلال با
لنظر شي آخر بعيد عنه ثم الصبي اذا وقع نشوه على هذه العقيدة ان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له
غيرها ولكنه يسلم في الاخرة باعتقاده الحق اذ لم يكلف الشرع اجلاف العرب اكثر من التصديق
بالجزم بظاهر هذه العقايد فاما البحث والتفتيش وتكلف نظم الادلة فلم يكلفوه اصلا وان اراد ان
يكون من سالكي طريق الاخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى
واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتح له ابواب من الهداية تكشف عن حقايق هذه العقيدة بنور
الهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده تعالى اذ قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية ايمان الصديقين والمقربين واليه الاشارة بالسر الذي وقر في
صدر ابي بكر الصديق رضي الله عنه حيث فضل به الخلق وانكشاف ذلك السر بل تلك الاسرار لها درجات
بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى وفي الاستضا
بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في اسرار الطب والفقه وساير العلوم اذ يختلف ذلك باختلاف
الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكا والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه مسألة

فان قلت فعلم الجدل والكلام مذموم كعلم النجوم او هو مباح او مندوب اليه فاعلم ان للناس
في هذا غلوا واسرافا في اطراف فمن قائل يقول انه بدعة وحرام وان العبد ان يلقى الله بكل ذنب
سوى الشرك خير له من ان يلقاه بالكلام ومن قائل انه واجب وفرض اما على الكفاية او على الاعيان
وانه افضل الاعمال واعلى القربات فانه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله والى التحريم
ذهب الشافعي ومالك واحمد بن حنبل وسفيان وجميع اهل الحديث من السلف قال ابن عبد الاعلى
سمعت الشافعي يوما ناظر حفص الفرد وكان من متكلمي المعتزلة لان يلقى الله عز وجل العبد
بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من ان يلقاه بشيء من الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا اقدر
ان احكيه وقال ايضا قد اطلعت من اهل الكلام على شيء ما ظننته قط ولان يبتلي العبد بكل ما نهى الله
عنه ما عدا الشرك خير له من ان ينظر في الكلام وحكى الكرابيسي ان الشافعي رضي الله عنه سئل
عن شيء من الكلام فغضب وقال سل عن هذا يعني حفص الفرد واصحابه اخزاهم الله
ولما مرض الشافعي رضي الله عنه دخل عليه حفص الفرد وقال من انا فقال حفص الفرد لا حفظك
الله ولا رعاك حتى تتوب مما انت فيه وقال ايضا لو علم الناس ما في الكلام من الاهواء لفروا منه
فرارهم من الاسد وقال ايضا اذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى او غير المسمى فاشهد
بانه من اهل الكلام ولا دين له وقال الزعفراني قال الشافعي رضي الله عنه حكمي في اصحاب الكلام
ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب و
السنة واخذ في الكلام وقال احمد بن حنبل رحمه الله لا يفلح صاحب كلام ابدا ولا تكاد ترى
احدا نظر في الكلام الا وفي قلبه دغل وبالغ فيه حتى هجر الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى
مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا في الرد على المبتدعة وقال ويحك الست تحكي بدعتهم
اولا ثم ترد عليهم الست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات
فيدعوهم ذلك الى الراي والبحث وقال احمد رحمه الله تعالى علماء الكلام زنادقة وقال مالك
رحمه الله تعالى ارايت ان جاءه من   اجدل منه   دينه كل يوم لدين جديد يعني
ان اقوال المتجادلين تتفاوت وقال مالك لا يجوز شهادة اهل البدع والاهواء وقال بعض
اصحابه في تاويله انه اراد باهل الاهواء اهل الكلام على اي مذهب كانوا وقال ابو يوسف
من طلب العلم بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجالسوا اهل الاهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا
منهم وقد اتفق اهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه
وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع انهم اعرف بالحقائق وافصح بترتيب الالفاظ من غيرهم
الا لعلمهم بما يتولد منه من الشر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون
هلك المتنطعون هلك المتنطعون اي المتعمقون في البحث والاستقصاء واحتجوا ايضا بان
ذلك لو كان من الدين لكان ذلك اهم ما يامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه

ويثني

ويثني على اربابه وقد نقلنا الاستحيا وقسمهم الى علم الفرايض واثنى عليهم ونهاهم عن الكلام
في القدر وقال امسكوا عن هذا استمر الصحابة فالزيادة على الاستاذ طغيان وظلم وهم الاستاذون
والقدوة ونحن الاتباع والتلامذة واما الفرقة الاخرى احتجوا فقالوا بان المحذور من الكلام ان
ان كان هو لفظ العرض والجوهر وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم يعهدها الصحابة فالامر
فيه قريب اذ ما من علم الا وقد فيه اصطلاحات لاجل التفهيم كالحديث و
والتفسير والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع الى
جميع الاسولة التي تورد على القياس لما كانوا يفهمونه فاحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح
كاحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح وان كان هو المحذور هو المعنى فنحن لا نعني به الا
معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء به الشرع فمن اين تحرم معرفة الله
بالدليل فان كان المحذور هو التشعب والتعصب والعداوة والبغضا وما يفضي اليه الكلام فهو محرم
ويجب الاحتراز عنه كما ان الكبر والريا وطلب الرياسة مما يفضي اليه علم الحديث والتفسير والفقه
وهو محرم الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لاجل ادائه اليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة
بها والبحث عنها محظورا وقد قال الله تعالى قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين وقال تعالى
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وقال تعالى هل عندكم من سلطان اي حجة
وبرهان وقال تعالى فلله الحجة البالغة وقال تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الى قوله تعالى
فبهت الذي كفر اذ ذكر احتجاج ابراهيم في مجادلته وافحامه خصمه في معرض الثناء عليه وقال
تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وقال تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت
جدالنا وقال في قصة فرعون وما رب العالمين الى قوله تعالى اولو جئتك بشيء مبين وعلى
الجملة فالقرآن من اوله الى اخره محاجة مع الكفار فعمدة ادلة المتكلمين في التوحيد قوله تعالى
ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي البعث قوله تعالى قل يحييها الذي انشاها اول مرة
الى غير ذلك من الادلة ولم تزل الرسل يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال تعالى وجادلهم
بالتي هي احسن والصحابة كانوا ايضا يجادلون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة اليه قليلة
في زمانهم واول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة الى الحق علي كرم الله وجهه اذ بعث ابن
عباس رضي الله عنهما الى الخوارج فكلمهم فقال ما تنقمون من علي امامكم قالوا قاتل ولم
يسب ولم يغنم فقال ذلك في قتال الكفار ارايتم لو سبيت عايشة رضي الله عنها في يوم
الجمل فوقعت في سهم احدكم اكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي امكم في نص
الكتاب فقالوا لا فرجع عن القتال وناظر علي بن ابي طالب كرم الله وجهه رجلا من القدرية وناظر
عبد الله بن مسعود في الايمان قال عبد الله لو قلت اني مؤمن لقلت اني
في الجنة فقال له يزيد بن عميرة يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه زلة منك وهل الايمان

الا ان نومن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان ونقيم الصلوة والصوم والزكاة
ولنا ذنوب لو نعلم انها تغفر لنا لعلمنا انا من اهل الجنة فمن اجل ذلك نقول انا مومنون ولا
نقول انا من اهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله انها منزلة ينبغي ان يقال كان خوضهم
فيه قليلا لا كثيرا لقصير الاقاويل وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذه صناعة
فيقال اما قلة خوضهم اذ كان لقلة الحاجة اذ لم تكن البدعة تظهر في ذلك الزمان واما القصر فقد
كان الغاية افحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق وازالة الشبهة فلو طال اشكال الخصم او لجاجه
لطال لا محالة الزامهم وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيها واما عدم مكيال
تصديهم للتدريس والتصنيف فهكذا كان دابهم في الفقه والتفسير والحديث ايضا فان جاز
تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تتفق الا على الندور اما ادخارا ليوم وقوعها وان
كانت نادرة او تشحيذا للخاطر فنحن ايضا نرتب طريق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران
شبهة وهيجان مبتدع او لتشحيذ الخاطر او لادخار الحجة حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة
والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا غاية ما يمكن ان يذكر للفريقين
فان قلت فالمختار فيه عندك فاعلم ان الحق فيه ان اطلاق القول بذمه في كل حال او بحمده في
كل حال خطا بل لا بد فيه من تفصيل فاعلم اولا ان الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة و
اعني بقولي لذاته ان علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار والموت وهذا اذا سئلنا
عنه اطلقنا القول بانه حرام ولا يلتفت الى اباحة الميتة عند الاضطرار واباحة تجرع الخمر
اذا غص الانسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها به سوى الخمر والى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع
اخيك في وقت الخيار والبيع وقت النداء وكاكل الطين فانه يحرم لما فيه من الاضرار وهذا
ينقسم الى ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه بانه حرام كالسم الذي يقتل قليله وكثيره
والى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالاباحة كالعسل فان كثيره يضر بالمحرور
وكاكل الطين وكان اطلاق التحريم على الخمر والتحليل على العسل التفاتا الى اغلب الاحوال
فان تصدى شيء تقابلت فيه الاحوال فالاولى والابعد عن الالتباس ان يفصل فنعود الى
علم الكلام وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع
او مندوب اليه او واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار
ومحله حرام اما مضرته فاثارة الشبهات وتحريك العقائد وازالتها عن الجزم والتصميم
فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الاشخاص فهذا
ضرره في الحق الاعتقاد لاهل الحق وله ضرر آخر في تاكيد اعتقاد المبتدعة وتثبيته
في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الاصرار عليه ولكن هذا الضرر
بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن ان يزال اعتقاده

باللطف

باللطف في اسرع زمان الا اذا كان نشوه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب فانه لو اجتمع عليه الاولون
والاخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين
وفرقة المخالفين تستولي على قلبه وتمنعه من ادراك الحق حتى لو قيل له هل تريد ان يكشف الله
لك الغطاء فيعرفك بالعيان هو ان الحق مع خصمك لكره ذلك خيفة من ان يفرح به خصمه وهذا
الداء العضال الذي استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا
ضرره واما منفعته فقد يظن ان فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات
فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل فيه اكثر من الكشف
والتعريف وهذا اذا سمعته من محدث او حشوي ربما خطر ببالك ان الناس اعدا ما جهلوا
فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه الى منتهى درجة
المتكلمين وجاوز ذلك الى التعمق في علوم اخر تناسب نوع الكلام وتحقق ان الطريق الى
حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري ان الكلام لا ينفك عن كشف وتعريف وايضاح
لبعض الامور ولكن على الندور وفي امور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام
بل منفعته شي واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات
المبتدعة بانواع الجدل فان العامي ضعيف يستفزه جدل المبتدع وان كان فاسدا ومعارضة
الفاسد بالفاسد تدفعه والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها اذ ورد الشرع بها
لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم واجمع السلف الصالح عليها والعلما متعبدون بحفظ ذلك
على العوام من تلبيسات المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ اموالهم عن تهجمات الظلمة
والغصاب واذا وقعت الاحاطة بضرره ومنفعته فينبغي ان يكون كالطبيب الحاذق في استعمال
الدوا الخطر اذ لا يضعه الا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة وتفصيله ان
العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب ان يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها
مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فان تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم اذ ربما يثير لهم
شكا ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالاصلاح واما العامي المعتقد البدعة
فينبغي ان يدعى الى الحق بالتلطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر في القلب
القريب من سياق ادلة القران والحديث والممزوج بفن الوعظ والتحذير والتنكير
فان ذلك انفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين اذ العامي اذا سمع ذلك اعتقد انه نوع
صنعة يعلمها المتكلم ليستدرج الناس الى اعتقاده فان عجز عن الجواب قدر ان المجادلين من
اهل مذهبه ايضا يقدرون على دفعه فالجدل مع هذا ومع الاول حرام وكذا مع من وقع له شك
اذ يجب ازالته باللطف والوعظ والادلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام واستقصا
الجدل وانما ينفع هذا في موضع واحد وهو ان يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل

ذلك الجدل بمثله فيعود الى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الانس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا الحال لا يشفيه منها الا دواء الجدل فجاز ان يلقى اليه وهنا في بلاد يقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للادلة ويتربص وقوع شبهة فان وقعت ذكر بقدر الحاجة فان كانت البدعة شايعة وكان يخاف على الصبيان ان يخدعوا فلا باس ان يعلموا القدر الذي اودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تاثير مجادلات اهل البدعة ان وقعت اليهم وهذا مقدار مختصر وقد اودعناه هذا الكتاب لاختصاره فان كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال او ثارت في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا باس ان يرقى منه الى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقايد الى غير ذلك من مباحث المتكلمين فان اقنعه ذلك كف عنه وان لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر امكانه ولينتظر قضاء الله فيه الى ان ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه او يستمر على الشك والشبهة الى ما قدر له فالقدر الذي يحويه ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذي يرجى نفعه فاما الخارج منه فقسمان احدهما البحث عن غير قواعد العقايد كالبحث عن الاعتمادات والاكوان وعن الادراكات والخوض في ان الرؤية هل لها ضد يسمى المنع او العمى وان كان فهل هو منع عن جميع ما لا يرى او ثبت لكل مرئي يمكن رؤيته او منع بحسب عدده الى غير ذلك من الترهات المضلة والقسم الثاني زيادة تقرير لتلك الادلة في غير تلك القواعد وزيادة اسئلة واجوبة وذلك ايضا استقصاء لا يزيد الا ضلالا وجهلا في حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيده الاطناب والتقرير غموضا ولو قال قائل البحث عن حكم الادراكات والاعتمادات فيها فائدة تشحيذ الخواطر والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا باس بتشحيذه كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين وذلك هوس فان الخاطر يتشحذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف منه

فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحال الذي يذم فيها والحال الذي يحمد فيها والشخص الذي ينتفع به والذي لا ينتفع به فان قلت مهما اعترفت بالحاجة اليه [illegible] في دفع المبتدعة فالان قد ثارت البدع وعم البلوى وارهقت الحاجة فلا بد ان يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الاموال وساير الحقوق كالقضاء والولاية وغيرهما وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبهة المبتدعة ما لم يتعلم فينبغي ان يكون التدريس فيه ايضا من فروض الكفاية بخلاف زمان

الصحابة رضي الله عنهم فان الحاجة لم تكن ماسة اليه فاعلم ان الحق انه لا بد في كل بلد من قائم بهذا
العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من
الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فان هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء
وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من انواع الضرر فالعالم به ينبغي ان
يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلث خصال احدها التجرد للعلم والحرص عليه فان المحترف
يمنعه الشغل عن الاستتمام وازالة الشكوك اذا عرضت والثانية الذكاء والفطنة والفصاحة
فان البليد لا ينتفع بفهمه والفدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه
نفعه والثالث ان يكون في طبعه الصلاح والديانة ولا تكون الشهوات غالبة عليه فان الفاسق
بادنى شبهة ينخلع عن الدين فان ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد بينه وبين الملاذ فلا يحرص
على ازالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من اعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم
اكثر مما يصلحه واذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك ان الحجة المحمودة في الكلام انما هي من
جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل
في التقسيمات والتدقيقات التي لا يفهمها اكثر الناس واذا فهموها اعتقدوا انها شعوذة
وصنعة تعلمها صاحبها للتلبيس فاذا قابله مثله في الصنعة قاومه وعرفت ان الشافعي رحمه الله
وكافة السلف انما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي نبهنا عليه وان
ما نقل عن ابن عباس من مناظرة الخوارج وما نقل عن علي رضي الله عنه من المناظرة في القدر
وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل الحاجة وذلك محمود في كل حال نعم قد تختلف الا
عصار في كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد ان يختلف الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي
تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها فاما ازالة الشبه وكشف الحقائق ومعرفة
الاشياء على ما هي عليها وادراك الاسرار التي يترجمها ظاهر الفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح لها الا
المجاهدة وقمع الشهوات والاقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر الصافي عن شوائب المجاد
لات وهي رحمة من الله تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض
وبحسب قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله مسئلة
فان قلت هذا الكلام يشير الى ان هذه العلوم لها ظواهر واسرار وبعضها جلي يبدو اولا وبعضها
خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافي والسر الخالي عن كل شيء من
اشغال الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع اذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر
وعلن بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد فيه فاعلم ان انقسام هذه العلوم الى خفية وجلية
لا ينكرها ذو بصيرة وانما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا في اول الصبا شيئا وجمدوا عليه
فلم يكن لهم ترق الى شأو العلا ومقامات العلماء والاولياء وذلك ظاهر من ادلة الشرع قال صلى الله عليه وسلم

ان للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا وقال علي رضي الله عنه واشار الى صدره ان هاهنا علوما جمة
لو وجدت لها حملة وقال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبيا امرنا ان نكلم الناس على قدر
عقولهم وقال صلى الله عليه وسلم ما حدث احد قوما لم يبلغه عقولهم الا كان فتنة عليهم
وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان من العلم كهيئة المكنون لا يعرفها الا العالمون بالله الحديث الى اخره كما اوردناه في كتاب
العلم وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فليت شعري
ان لم يكن ذلك سرا منع من افشائه لقصور الافهام عن دركه او لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم
ولا شك انهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى الله
الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لو ذكرت تفسيره لرجمتموني
وفي لفظ آخر لقلتم انه كافر وقال ابو هريرة رضي الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعائين اما احدهما فبثثته واما الآخر لو بثثته لقطع هذا الحلقوم وقال صلى الله عليه
وسلم ما فضلكم ابو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسر وقر في صدره ولا شك في ان ذلك
السر كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا
بظواهره على غيره وقال سهل التستري رحمه الله تعالى للعالم ثلثة علوم علم ظاهر
يبذله لاهل الظاهر وعلم باطن لا يسعه اظهاره الا لاهله وعلم هو بينه وبين الله تعالى
لا يظهره لاحد وقال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر وقال بعضهم للربوبية
سر لو اظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله سر لو اظهروه
لبطلت الاحكام وهذا القائل ان لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفاء لقصور بذلك
فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح انه لا تناقض فيه وان الكامل من لا يطفي نور معرفته
نور ورعه وملاك الورع النبوة **مسئلة** فان قلت هذه الآيات والاخبار
تتطرق اليها تاويلات فبين كيفية اختلاف الظاهر والباطن فان الباطن ان كان مناقضا
للظاهر ففيه ابطال الشرع وهو قول من قال ان الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لان
الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن وان كان لا يناقضه
ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي
واحدا فاعلم ان هذا السؤال يحرك خطبا عظيما وينجر الى علوم المكاشفة ويخرج عن
مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب فان العقايد التي ذكرناها من اعمال القلوب
وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بان نتوصل الى ان ينكشف
لنا حقايقها فان ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا انه من الاعمال لما اوردناه في هذا الكتاب
ولولا انه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما اوردناه في الشطر الاول من الكتاب وانما الكشف

ثم نرجع الى تتمة اقسام
القسم الاول

الحقيق هو صفة سر القلب وباطنه ولكن اذا انجر الكلام الى تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن
فذلك من كلام وجيز في حله فمن قال ان الحقيقة تخالف الشريعة او الباطن يخالف الظاهر فهو الى
الكفر اقرب منه للايمان بل الاسرار التي يختص المقربون بدركها ولا يشاركهم الاكثرون في علمها و
يمتنعون
عن افشائها ان يكون الشي في نفسه دقيقا تكل اكثر الافهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم
ان لا يفشوه الى غير اهله اذ يصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر افهامهم عن الدرك واخفاء سر
الروح وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه من هذا القسم فان حقيقته مما تكل الافهام
عن دركه وتقصر الاوهام عن تصور كنهه فلا تظنن ان ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وانه لم يعرف الروح فكانه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه ولا يبعد
ان يكون مكشوفا لبعض الاولياء والعلماء وان لم يكونوا انبياء ولكنهم يتادبون بادب الشرع فيسكتون
عما سكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفات الله تعالى من الخفايا ما تقصر افهام الجماهير
عن دركه ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها الا الظواهر للافهام من العلم والقدرة
وغيرها حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها الى علمهم وقدرتهم اذ كان لهم من الاوصاف
ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه
بعض المناسبة شي لم يفهموه بل لذة الجماع اذا ذكر للصبي او العنين لم يفهمه الا بمناسبة
الى لذة المطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله تعالى
وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم اكثر من المخالفة بين لذة الجماع والاكل وبالجملة فلا يدرك
الانسان الا نفسه وصفات نفسه مما هو حاضر له في الحال او مما كان له من قبل ثم بالمقايسة
اليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بان بينهما تفاوتا في الشرف والكمال فليس في قوة
البشر الا ان يثبت لله ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات
مع التصديق بان ذلك اكمل واشرف فيكون معظم تحويمه على صفات نفسه لا على ما اختص الرب
تعالى به من الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا   ثناء عليك انت كما اثنيت على
نفسك وليس المعنى به اني عجزت عن التعبير عما ادركته بل هو اعتراف بالقصور عن ادراك كنه
جلاله ولذلك قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله وقال الصديق رضي الله عنه
الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته ولنقبض عنان
الكلام عن هذا النمط ولنرجع الى الغرض وهو ان احد الاقسام ما تكل الافهام عن دركه ومن
جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله تعالى ولعل الاشارة الى مثله في قوله صلى الله عليه وسلم
ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره القسم الثاني
من الخفيات التي تمنع الانبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا تكل الافهام
عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين ولا يضر بالانبياء والصديقين وسر القدر الذي منع اهل العلم

به عن اشارته من هذا القسم ولا يبعد ان يكون ذكر بعض الحقايق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور
الشمس بابصار الخفافيش وكما يضر ريح الورد بالجعل وكيف يبعد هذا وقولنا ان الكفر والزنا
والمعاصي والشر كله بقضا الله تعالى وارادته ومشيته وذلك حق في نفسه وقد ضر سماعه بقوم
اذ اوهم ذلك عندهم دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم وقد الحد ابن
الراوندي وطايفة من المخذولين بمثل ذلك وكذلك سر القدر لو افشي لاوهم عند اكثر الخلق عجزا
اذ تقصر افهامهم عن درك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ولو قال قايل ان القيمة لو ذكر ميقاتها وانها
بعد الف سنة او اكثر او اقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة
اليها بعيدة فيطول الامل واذا استبطات النفوس وقت العقاب قل اكتراثها ولعلها كانت
قريبة في علم الله تعالى ولو ذكرت لعظم الخوف واعرض الناس عن الاعمال وخربت الدنيا فهذا
المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم **القسم الثالث** ان يكون الشي بحيث لو ذكر
صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في
قلب المستمع اغلب وله مصلحة في ان يعظم وقع ذلك الامر في قلبه كما لو قال قايل رايت
فلانا يقلد الدر في اعناق الخنازير فكنى به عن افشا العلم وبث الحكمة الى غير اهلها
فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهره والمحقق اذا نظر وعلم ان ذلك الانسان لم يكن معه در
ولا كان في موضعه خنزير تفطن لدرك ذلك السر الباطن فيتفاوت الناس بذلك ومن
هذا قول الشاعر رجلان خياط وآخر حايك ۞ متقابلان على السماك الاعزل ۞ لا زال
ينسج ذاك خرقة مدبر ۞ ويخيط صاحبه ثياب المقبل فانه عبر عن سبب سماوي في الاقبال
والادبار برجلين صانعين فهذا النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن
عين المعنى او مثله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان المسجد لينزوي عن النخامة كما تنزوي
الجلدة في النار وانت ترى ان ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه ان روح المسجد
كونه معظما ورمي النخامة فيه تحقير له فيضاد معنى المسجدية
مضادة النار لاتصال اجزا الجلدة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم اما يخشى الذي يرفع
راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس حمار وذلك من حيث الصورة فقط لم يكن ولا يكون
ولكن من حيث المعنى كاين اذ راس الحمار لم يكن بحقيقته لكونه وشكله بل لخاصيته وهي البلادة
والحمق ومن رفع راسه قبل الامام فقد صار راسه راس حمار في معنى البلادة والحمق وهو
المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق ان يجمع بين الاقتدا وبين التقدم
فانهما متناقضان وانما تعرف ان هذا السر على خلاف الظاهر بدليل عقلي او شرعي اما العقلي
فان يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله صلى الله عليه وسلم قلب المومن بين اصبعين من
اصابع الرحمن اذ لو فتشنا عن صدور المومنين لم نجد فيها اصابع فعلم انه كناية

عن القدرة

عن القدرة التي هي سر الاصابع وروحها الخفي وكنى بالاصابع عن القدرة لان ذلك اعظم وقعا في
تفهيم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل كنايته عن الاقتدار بقوله انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون فان ظاهره ممتنع اذ قوله كن ان كان خطابا مع الشي قبل وجوده فهو محال اذ المعدوم
لا يفهم الخطاب حتى يمتثل وان كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه
الكناية اوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار عدل اليها واما المدرك بالشرع فهو ان يكون
اجراوه على الظاهر ممكنا ولكن يروى انه اريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله انزل من
السماء ماء فسالت اودية بقدرها الاية وان معنى الماء هو القران ومعنى الاودية هي القلوب
وان بعضها احتملت شيئا كثيرا وبعضها شيئا قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل الكفر والنفاق
فانه ظهر وطفا على راس الماء فانه لا يثبت والهداية التي تنفع الناس تمكث وفي هذا القسم تعمق
جماعة فاولوا ما ورد في الاخرة من الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة اذ لم ينقل ذلك
بطريق الرواية واجراوه على الظاهر غير محال فيجب اجراوه على الظاهر القسم الرابع ان
يدرك الانسان الشي جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بان يصير حالا ملابسا له
فيتفاوت العلمان فيكون الاول كالقشر والثاني كاللب والاول كالظاهر والاخر كالباطن وذلك
كما يتمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة او على البعد فيحصل له نوع علم فاذا راه بالقرب او
بعد زوال الظلام ادرك تفرقة بينهما فلا يكون الاخير ضد الاول بل هو استكمال له فكذلك
في العلم والايمان والتصديق اذ قد يصدق الانسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه
ولكن تحققه له عند الوقوع اكمل من تحققه قبل الوقوع بل للانسان في الشهوة والعشق وسائر
الاحوال ثلثة احوال متفاوتة وادراكات متباينة الاول تصديقه بوجوده قبل وقوعه
والاخر عند وقوعه والاخر بعد تصرمه فان تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به
قبل الزوال فكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالاضافة الى ما
قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففي هذه الاقسام الاربعة يتفاوت
الخلق وليس في شي منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر القسم الخامس
ان يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا
والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال
سل من يدقني فلم يتركني وراي الحجر الذي ورائي فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان
المقال ومن هذا قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها
قالتا اتينا طائعين فالبليد يفتقر في فهمه الى ان يقدر لهما حياة وعقلا وفهما للخطاب
وخطابا هو صوت وحرف يسمعه الارض والسماء فيجيبان بحرف وصوت فتقولان اتينا طائعين يعني
والبصير يعلم ان ذلك لسان الحال وانه انباء عن كونهما مسخرة بالضرورة ومضطرة الى التسخير

ومن هنا قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده فان البليد يفتقر فيه الى ان يقدر للجماد حياة وعقلا
ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم انه ما اريد به نطق
اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا بوحدانية الله تعالى كما قيل ٥ ٥ ٥ ٥
فيا عجبا كيف يعصى الاله ام كيف يجحده جاحد وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد وكما
يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لا بمعنى انها تقول اشهد ولكن بالذات
والحال فكذلك ما من شيء الا وهو محتاج في نفسه الى موجد يوجده ويبقيه ويديم اوصافه ويردده في
اطواره وهو بحاجته على الظاهر يشهد لخالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون
الجامدين على الظواهر ولذلك قال تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم اما القاصرون فلا يفقهون
اصلا واما المقربون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله اذ لكل شيء شهادات شتى على تقد
يس الله وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم
المعاملة فهذا الفن ايضا مما يتفاوت ارباب الظواهر وارباب البصائر فيه علمه وتظهر به
مفارقة الباطن للظاهر وفي هذا المقام لارباب المقامات اسراف واقتصاد فمن مسرف في رفع
الظواهر انتهى الى تغيير جميع الظواهر او اكثرها حتى حملوا قوله تعالى وتكلمنا ايديهم وتشهد
ارجلهم وقوله وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وكذلك
المخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفي الميزان والحساب ومناظرات اهل النار واهل الجنة
في قولهم ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله زعموا ان كل ذلك بلسان الحال وغلا
آخرون في حسم الباب منهم احمد بن حنبل حتى منع تأويل قوله كن فيكون وزعموا ان ذلك
خطاب بحرف وصوت يوجد من الله في كل لحظة بعدد كل مكون حتى سمعت بعض اصحابه
يقول انه حسم باب التأويل الا لثلثة الفاظ قوله صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله
في الارض وقوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وقوله صلى الله
عليه وسلم اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن ومال الى حسم الباب ارباب الظواهر والظن
باحمد بن حنبل انه علم ان الاستوى ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع
من التأويل حسما للباب ورعاية لصلاح الخلق فانه اذا فتح الباب اتسع الخرق على الراقع
وخرج الامر عن الضبط وجاوز الاقتصاد اذ حد الاقتصاد لا ينضبط فلا باس بهذا الزجر
ويشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون امروها كما جاءت حتى قال مالك رضي الله عنه امام
دار الهجرة لما سئل عن الاستوى الاستوا معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال
عنه بدعة وذهبت طائفة الى الاقتصاد ففتحوا باب التأويل في كل ما يتعلق بصفات
الله تعالى وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا من التأويل فيه وهم الاشعرية وزاد
المعتزلة عليهم حتى اولوا من صفات الله تعالى تعلق الرؤية به واولوا كونه سميعا بصيرا واولوا

المعراج وزعموا انه لم يكن بالجسد واولوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من احكام الآخرة ولكن
اقروا بحشر الاجساد وبالجنة وباشتمالها على المأكولات والمشروبات والمنكوحات وسائر الملاذ المحسوسة
وبالنار وباشتمالها على جسم محسوس محرق للجلود ومذيب للشحوم ومن ترقيهم الى هذا الحد زاد
الفلاسفة فاولوا كلما ورد في الآخرة وردوها الى آلام عقلية وروحانية ولذات عقلية وانكروا
حشر الاجساد وقالوا ببقاء النفوس وانها تكون اما معذبة واما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك
بالحس وهؤلاء هم المسرفون وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال وبين جمود الحنابلة دقيق غامض
لا يطلع عليه الا الموفقون الذين يدركون الامور بنور الهي لا بالسماع ثم اذا انكشف لهم اسرار الامور
على ما هي عليه نظروا الى السمع والالفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف
اولوه فاما من يأخذ معرفة هذه الامور من السمع المجرد فلا يستقر له فيه قدم ولا يتعين له موقف والا
ليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى والآن فكشف الغطاء عن حد الا
قتصاد في هذه الامور داخل في علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان موافقة
الباطن للظاهر وانه غير مخالف له فقد انكشف بهذه الاقسام الخمسة امور كثيرة واذ رأينا ان نقتصر بكافة
العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها وانهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الاولى الا اذا كان
خوف تشويش لشيوع البدعة فيرقى في الدرجة الثانية الى عقيدة فيها لوائح من الادلة مختصرة من
غير تعمق فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوائح ولنقتصر فيها على ما حررناه لاهل القدس وسميناه
الرسالة القدسية وهي المودعة في هذا الفصل الثالث من الكتاب **الفصل الثالث**
من الكتاب في لوامع الادلة للعقيدة التي ترجمناها فنقول بسم الله الرحمن الرحيم
صل على محمد وعلى آل محمد الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بانوار اليقين وآثر رهط الحق
بالهداية الى دعائم الدين وجنبهم زيغ الزائغين وضلال الملحدين ووفقهم للاقتداء بسيد
المرسلين وسددهم للتأسي بصحبه الاكرمين ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى
اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الاولين وعقائدهم بالمنهج المبين
فجمعوا في القبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا ان النطق بما تعبدوا به
من قول لا اله الا الله محمد رسول الله ليس له طائل ومحصول ان لم يتحقق الاحاطة بما تدور عليه
هذه الشهادة من الاقطاب والاصول وعرفوا ان كلمتي الشهادة على ايجازها تتضمن اثبات ذات
الاله واثبات صفاته واثبات افعاله واثبات صدق الرسل فعلموا ان بناء الايمان على هذه الاركان
وهي اربعة ويدور كل ركن على عشرة اصول الركن **الاول** في معرفة ذات الله سبحانه ومداره
على عشرة اصول وهي العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وانه جل جلاله ليس بجوهر ولا جسم
ولا عرض وانه ليس مختصا بجهة ولا مستقر على مكان وانه يرى وانه واحد الركن **الثاني** في صفاته
عز وجل ويشتمل على عشرة اصول وهي العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها

عن حلول الحوادث وبانه قديم الكلام والعلم والارادة الركن الثالث في افعاله تعالى ومداره
على عشرة اصول وهي ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى وانها مكتسبة للعباد وانها مرادة لله تعالى
وانه متفضل بالخلق والاختراع وان له تكليف ما لا يطاق وله ايلام البريء ولا يجب عليه
رعاية الاصلح وانه لا واجب الا بالشرع وان بعثه الانبياء صلوات الله عليهم جائز وان نبوة نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة مؤيدة بالمعجزات الركن الرابع في السمعيات وهي اثبات الحشر
والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط وخلق الجنة والنار واحكام الامامة
فاما الركن الاول من اركان الايمان في معرفة ذات الله سبحانه وتعالى ومداره على عشرة اصول الاصل
الاول في معرفة وجوده تعالى واولى ما يستضاء به من الانوار ويسلك من طرق الاعتبار ما ارشد اليه
القرآن فليس بعد بيان الله بيان وقد قال الله تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا
وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا
فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا
وجنات الفافا وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك
التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها
من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون وقال
تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله
انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها
سبلا فجاجا وقال تعالى افرايتم ما تمنون أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون الى قوله نحن جعلناها
تذكرة ومتاعا للمقوين وقال تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض الآية فليس يخفى على من
معه ادنى مسكة من العقل اذا تامل بادنى فكره مضمون هذه الآيات وادار نظره على عجائب
خلق الله في الارض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات علم ان هذا الامر العجيب والترتيب
المحكم الغريب لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها
مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى افي الله شك فاطر السموات
والارض ولهذا بعث الانبياء كلهم صلوات الله عليهم لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا لا اله
الا الله وما امروا ان يقولوا لنا اله وللعالم اله فان ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من
مبدا نشوهم وفي عنفوان شبابهم ولذلك قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله وقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا
تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فاذن في فطرة الانسان وشواهد القرآن ما يغني عن اقامة البرهان
ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول من بداية العقول ان الحادث لا
يستغني في حدوثه عن سببه اما قولنا الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب فجلي فان كل حادث

فهمختص

بوقت فهو يختص بوقت يجوز في العقل تقدير تقديمه وتاخيره فاختصاصه بوقته دون ما قبله
وما بعده يفتقر بالضرورة الى المخصص واما قولنا العالم حادث فبرهانه ان اجسام العالم
لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وفي هذا البرهان
ثلث دعاوى الاولى ان الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهي مدركة بالبديهة والاضطرار فلا
يحتاج فيه الى تامل وافتكار فان من عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج
العقل ناكبا الثانية قولنا انهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض
منها بعد البعض وذلك شاهد في جميع الاجسام وما لم يشاهد فما من ساكن الا والعقل قاض
بجواز حركته وما من متحرك الا والعقل قاض بجواز السكون والطارئ حادث لانه لو كان قديما لاستحال
عدمه على ما سياتي برهانه وبيانه في اثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس الثالث قولنا وما لا يخلو
عن الحوادث فهو حادث وبرهانه انه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا اول لها
ولما انقضت تلك الحوادث بجملتها ولا تنتهي النوبة الى وجود الحادث الحاضر في الحال وانقضا
ما لا نهاية له محال ولانه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها من ان تكون
شفعا او وترا او شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا ومحال ان تكون شفعا ووترا
جميعا او لا شفعا ولا وترا فان ذلك جمع بين النفي والاثبات اذ في اثبات احدهما نفي الاخر وفي
نفي احدهما اثبات الاخر ومحال ان تكون شفعا لان الشفع يصير وترا بزيادة واحد فكيف
يعوز ما لا نهاية له واحد ومحال ان تكون وترا اذ الوتر يصير شفعا بواحد فكيف يعوزها
واحد مع انه لا نهاية لاعدادها فيحصل من هذا ان العالم لا يخلو عن الحوادث فهو اذا حادث
واذا ثبت حدوثه كان افتقاره الى المحدث من المدركات بالضرورة الاصل الثاني
العلم بان الباري تعالى قديم لم يزل ازلي ليس لوجوده اول بل هو اول كل شيء وقبل كل ميت
وحي وبرهانه انه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو ايضا الى محدث وافتقر محدثه الى
محدث قديم ولتسلسل ذلك الى غير نهاية وما تسلسل لم يتحصل او ينتهي الى محدث قديم
هو الاول وذلك هو المطلوب الذي سميناه صانع العالم وباريه ومحدثه ومبديه الاصل
الثالث العلم بانه جل جلاله مع كونه ازليا ابديا ليس لوجوده اخر وهو الاول والاخر والظاهر والباطن
لان ما ثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه انه لو انعدم لكان لا يخلو اما ان ينعدم بنفسه او بمعدم
يضاده فلو جاز ان ينعدم شيء يتصور دوامه بنفسه لجاز ان يوجد شيء يتصور انعدامه بنفسه
فكما يحتاج طريان الوجود الى سبب فكذا يحتاج طريان العدم الى سبب وباطل ان ينعدم بمعدم مضاده
لان ذلك المعدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالادلة السابقة وجوده وقدمه
فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده وان كان الضد المعدم حادثا لكان محالا اذ ليس الحادث
في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده باولى من القديم في مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل

الدفع اهون من القطع والقدم اقوى من الحادث **الاصل** الرابع العلم بانه سبحانه ليس بجوهر
يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه ان كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو
من ان يكون ساكنا فيه او متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث
فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فان سماه مسم
جوهرا ولم يرد به المتحيز كان مخطئا من حيث اللفظ لا من حيث المعنى **الاصل** الخامس
العلم بانه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر اذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر واذا بطل كونه
جوهرا مخصوصا بحيز بطل كونه جسما لان كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر فالجوهر يستحيل
خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدوث
ولو جاز ان يعتقد ان صانع العالم جسم لجاز ان يعتقد الالهية للشمس والقمر او لشيء
آخر من اقسام الاجسام فان تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير ارادة التاليف
عن الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة في نفي الجسم **الاصل** السادس العلم
بانه تعالى ليس بعرض قائم بجسم او حال في محل لان العرض ما يحل في الجسم وكل جسم فهو
حادث ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في جسمه وقد كان موجودا في الازل
وحده وما معه غيره ثم احدث الاجسام والاعراض بعده ولانه تعالى عالم قادر مريد خالق
كما سياتي بيانه وهذه الاوصاف تستحيل على الاعراض بل لا يعقل الا لموجود قائم بنفسه
مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الاصول انه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا
عرض وان العالم كله جواهر واعراض واجسام فاذا لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء بل هو الحي
الذي ليس كمثله شيء وانى يشبه المخلوق خالقه والمقدر مقدره والمصور مصوره والاجسام
والاعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمشابهته ومماثلته **الاصل السابع**
العلم بان الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة اما فوق واما اسفل واما
يمين واما شمال وقدام او خلف وهذه الجهات هو الذي خلقها واحدثها بواسطة خلق الانسان
اذ خلق له طرفين احدهما يعتمد على الارض ويسمى رجلا والآخر مقابله ويسمى راسا فحدث اسم
الفوق لما يلي جهة الراس واسم السفل لما يلي جهة الرجل حتى ان النملة التي تدب منكسة
تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتا وان كان في حقنا فوقا وخلق للانسان اليدين
واحدهما اقوى من الاخرى في الغالب فحدث اسم اليمين للاقوى والشمال لما يقابله وسميت
الجهة التي تلي اليمين يمينا والاخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من احدهما ويتحرك اليه فحدث
اسم القدام للجهة التي يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف لما يقابله فالجهات حادثة بحدوث
الانسان ولو لم يخلق الانسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود البتة
فكيف كان في الازل مختصا بجهة حادثة والجهة حادثة او كيف صار مختصا بجهة بعد ان لم يكن بانه

58

خلق العالم بجهته وتعالى ان يكون له فوق اذ تعالى ان يكون له راس والفوق عبارة عما يلي الراس وتعالى
ان يكون له تحت اذ تعالى ان يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل
ولان المعقول من كونه مختصا بجهة انه مختص بحيز اختصاص الجوهر او مختصا بالجوهر اختصاص
العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا او عرضا فاستحال كونه مختصا بالجهة وان اريد بالجهة غير
هذين المعنيين كان غلطا في الاسم مع المساعدة على المعنى ولانه لو كان فوق العالم لكان محاذيا
له وكل محاذ لجسم فاما ان يكون مثله او اصغر منه او اكبر وكل ذلك تقدير يحوج الى مقدر و
يتعالى عنه الخالق المقدر فاما رفع الايدي عند السؤال الى جهة السماء فذلك لانها قبلة الدعا
وفي ذلك اشارة الى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على
صفة المجد والعلى فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء والعظمة والاستعلاء الاصل
الثامن العلم بانه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي اراده تعالى بالاستوا وهو الذي لا ينافي
وصف الكبرياء ولا يتطرق اليه سمات الحدوث والفنا وهو الذي اريد بالاستوا الى السماء
حيث قال عز وجل في القرآن ثم استوى الى السماء وهي دخان وليس ذلك الا بطريق القهر
والاستيلاء كما قال الشاعر شعر قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق
وقد اضطر اهل الحق هذا الى التاويل كما اضطر اهل الباطل الى تاويل قوله تعالى وهو معكم اينما
كنتم اذ حمل بالاتفاق على الاحاطة والعلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين
من اصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله عليه السلام الحجر الاسود يمين الله في ارضه على
التشريف والاكرام لانه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا الاستوا لو ترك على ظاهره على
الاستقرار والتمكن للزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش اما مثله او اكبر او اصغر وذلك محال
وما يؤدي الى المحال فهو محال الاصل التاسع العلم بانه تعالى مع كونه منزها عن الصورة
والمقدار مقدسا عن الجهات والاقطار مرئي بالاعين والابصار في دار القرار لقوله تعالى
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولا يرى في الدنيا تصديقا لقوله تعالى لا تدركه الابصار وهو
يدرك الابصار ولقوله في خطاب موسى عليه السلام لن تراني وليت شعري كيف عرف المعتزلي من
صفة رب الارباب ما جهله موسى صلى الله عليه وسلم او كيف سال موسى الرؤية مع كونها محالا ولعل
الجهل بذوي البدع والاهواء من الجهلة الاغبياء اولى من الجهل بالانبياء واما وجه اجراء الرؤية
على الظاهر انه غير مؤد الى المحال فان الرؤية نوع كشف وعلم الا انه اتم واوضح من العلم فاذا جاز
تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية به وكما يجوز ان يرى الله الخلق وليس في مقابلتهم
جاز ان يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز ان يعلم من غير كيفية وصورة جاز ان يرى كذلك
من غير كيفية ولا صورة الاصل العاشر العلم بان الله تعالى واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد با
لخلق والابداع واستبد بالايجاد والاختراع لا مثل له يشابهه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناف

وبرهانه قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وتقريره بياننا انه لو كان اثنين واراد احدهما امرا فا
الثاني ان كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا ولم يكن الها قادرا وان كان قادرا
على مخالفته ومدافعته كان الثاني قويا قاهرا والاول ضعيفا قاصرا فلم يكن الها قادرا والله اعلم

الركن الثاني العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة اصول الاصل الاول العلم بانه
صانع العالم قادر وانه تعالى في قوله وهو على كل شيء قدير صادق لان العالم محكم في صنعته مرتب في
خلقته ومن رأى ثوبا من ديباج حسن النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريق ثم توهم
صدور نسجه من ميت لا استطاعة له او انسان لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل
ومنخرطا في سلك اهل الغباوة والجهل الاصل الثاني العلم بانه تعالى عالم بجميع الموجودات
ومحيط بكل المخلوقات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض والسموات صادق في قوله
تعالى وهو بكل شيء عليم ومرشد الى صدقه بقوله عز وجل الا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير ارشدك الى الاستدلال بالخلق على العلم لانك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف
والصنع المزين بالترتيب ولو في الشيء الحقير الطفيف على علم الصانع بكيفية الترتيب
والترصيف فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى في الهداية والتعريف الاصل الثالث العلم
بكونه حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر عالم فاعل مدبر دون
ان يكون حيا لجاز ان يشك في حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في
حياة ارباب الحرف والصناعات والمتقلبين في البلاد والعلوات والسافرين في اقطار الارض
للتجارات وذلك انغماس في غمرة الجهالات الاصل الرابع العلم بكونه تعالى مريدا
لافعاله فلا موجود الا وهو مستند الى مشيته وصادر عن ارادته فهو المبدئ المعيد و
الفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه ضده امكن ان يصدر منه ضده وما لا
ضد له امكن ان يصدر منه ذلك بعينه قبله وبعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين
مناسبة واحدة فلا بد من ارادة صارفة للقدرة الى احد المقدورين ولو اغنى العلم عن
الارادة في تخصيص المعلوم حتى يقال انما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز
ان يغني عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لانه سبق العلم بوجوده الاصل الخامس انه
تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكر ولا يشذ
عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف لا يكون له
سميعا بصيرا او السمع والبصر كمال لا محالة وليسا بنقص فكيف يكون المخلوق اكمل من
الخالق والمصنوع اشرف واتم من الصانع وكيف تعتدل القسمة فيهما وقع النقص في جنبه
والكمال في خلقه وصنعه او كيف تستقيم حجة ابراهيم عليه السلام على ابيه اذ كان يعبد
الاصنام جهلا وغيا فقال له لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ولو انقلب عليه ذلك

في معبود

في معبوده لانمحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى وتلك حجتنا اتيناه
ابراهيم على قومه وكما عقل كونه تعالى فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه
بصيرا بلا حدقة وسميعا بلا اذن اذ لا فرق بينهما **الاصل السادس** انه تعالى متكلم
بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بحرف ولا صوت بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده
وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وانما الاصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل
عليها تارة بالحركات والاشارات وكيف التبس هذا على طائفة من الاغبياء ولم يلتبس على جهلة
الشعراء حتى قال قائلهم ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا معناه انه
دليل على ما نطق من خيره وشره ومن لم يعقله عقله ولا زجره نهاه عن ان يقول لساني حادث
ولكن ما يحدث فيه بقدرتي الحادثة قديم فاقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك
فانك من يركض بعقله في نص الكتاب فانقطع عنه الخطاب كما دل عقله على ان وجود الذات
تخالف سائر الموجودات فكذا صفاته تخالف سائر الصفات ومن لم يفهم ان القديم عبارة
عما ليس قبله شيء وان الباء قبل السين في قولك بسم الله فلا يكون السين متاخرا عن البا قد
نزه عن الالتفات اليه قلبك فلله سر في ابعاد بعض العباد ومن يضلل الله فما له من هاد
ومن استبعد ان يسمع موسى في الدنيا كلاما ليس بصوت ولا حرف فليستنكر ان يرى في الآخرة
موجودا ليس بجسم ولا لون فان عقل ان يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية ولا كيفية
وهو الى الان لم ير غيره فليعقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وان عقل ان يكون
له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات وهو كلام بجميع ما دل
عليه بالعبارات وان عقل كون السموات السبع والارض وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة
صغيرة ومحفوظة في مقدار ذرة من القلب وان كل ذلك مرئي في مقدار عدسة من الحدقة من
غير ان تحل ذات السموات والجنة والنار في الحدقة والورقة فليعقل كون الكلام مقروءا
بالسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها اذ لو حلت ذات
الله تعالى بكتبة اسمه في الورق لحلت ذات النار بكتبة اسمها في الورق ولحلت ذات النار
بكتبة ولاحترق ذلك الورق وهذا كلام على اهل الحق فان من يعتقد ان الذات مستوية على
اهل الحق فان من يعتقد ان الذات مستوية على العرش ولا يزال كيف يطلق عليها بالانتقال
بالكلام القديم في الاوراق مكتوبا نظيرا مسموعا بالالسن ومنظورا بالعيون **الاصل السابع**
كلامه القائم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته اذ يستحيل ان يكون محلا للحوادث داخلا
تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا تعتريه التغيرات
ولا تحله الحادثات بل لم يزل في قدمه موصوفا بمحامد الصفات ولا يزال في ابده كذلك منزها
عن تغير الحالات لان محل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث وانما ثبت نعت الحدوث للاجسام

من حيث تعرضها التغاير وتقلب الاوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير
وينبني على هذا ان كلامه قديم قائم بذاته وانما الحادث هي الاصوات الدالة عليه وكما
عقل قيام طلب التعلم وارادته بذات الوالد للولد قبل ان يخلق ولده حتى اذا خلق ولده
وعقل وخلق الله له علما متعلقا بما في قلب ابيه من الطلب صار مامورا بذلك الطلب الذي قام
بذات ابيه ودام وجوده الى وقت معرفة ولده فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله
تعا فاخلع نعليك بذات الله عز وجل ومصير موسى مخاطبا به بعد وجوده اذ خلقت
له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم **الاصل الثامن** ان علمه قديم فلم يزل
عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم
بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الازلي اذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس
ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك
العلم من غير تجدد علم اخر فهكذا ينبغي ان يفهم قدم علم الله تعا **الاصل التاسع** ان ارادته
قديمة وهي في القدم تعلقت باحداث الحوادث في اوقاتها اللائقة بها على وفق ما سبق العلم
الازلي اذ لو كانت حادثة لصار محلا للحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدا لها كما لا
تكون انت متحركا بحركة ليست في ذاتك وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها الى ارادة اخرى
وكذا الارادة الاخرى تفتقر الى اخرى ويتسلسل الامر الى غير نهاية ولو جاز ان يحدث ارادة بغير
ارادة لجاز ان يحدث العالم بغير ارادة **الاصل العاشر** ان الله تعا عالم بعلم حي بحياة
قادر بقدرة ومريد بارادة ومتكلم بكلام وسميع بسمع وبصير ببصر وله هذه الاوصاف
من هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله غني بلا مال وعلم بلا عالم
وعالم بلا معلوم فان العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل وكما لا
يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل فلا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل ولا يتصور قتل بلا قاتل
ولا قتيل فكذلك يستحيل عالم بلا علم وعلم بلا معلوم ومعلوم بلا علم بل هذه الثلثة متلازمة
في العقل لا ينفك بعضها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوز انفكاكه
عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم اذ لا فرق بين هذه الاوصاف **الركن الثالث** العلم
بافعال الله تعا ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول** العلم بان كل حادث في العالم فهو
فعله وخلقه واختراعه لا خالق له سواه ولا محدث له الا اياه خلق الخلق وصنعهم واوجد
قدرتهم وحركتهم فجميع افعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقا له في قوله
تعالى الله خالق كل شيء وفي قوله تعا والله خلقكم وما تعملون وفي قوله تعا واسروا قولكم
او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير امر العباد بالتحرز
في اقوالهم وافعالهم واسرارهم واضمارهم لعلمه بموارد افعالهم واستدل على العلم بالخلق

وكيف

وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركات ابدان العباد
والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون
بعض مع تماثلها او كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر
الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي الالباب فكيف انفردت هي باختراعها
دون رب الارباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات ذلت
المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار الارض والسموات **الاصل الثاني** ان انفراد الله
سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل
الله خلق القدرة والمقدور جميعا وخلق الاختيار والمختار فاما القدرة فوصف للعبد و
خلق للرب وليس بكسب له واما الحركة فخلق للرب ووصف للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة
بقدرة هي وصفه وكانت للحركة نسبة الى صفة اخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا
وكيف تكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية
او كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل اجزاء الحركات المكتسبة و
اعدادها واذا بطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد في الاعتقاد وهو انها مقدورة بقدرة الله
تعالى اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب وليس من ضرورة
تعلق القدرة بالمقدور ان يكون بالاختراع فقط اذ قدرة الله تعالى في الازل كانت متعلقة
بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهي عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق
فبهذا يظهر ان تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها **الاصل الثالث**
ان فعل العبد وان كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله تعالى فلا يجري في الملك
والملكوت طرفة عين ولا لفتة خاطر ولا فلتة ناظر الا بقضاء الله وقدرته وبارادته
ومشيئته ومنه الخير والشر والنفع والضر والاسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز
والخسران والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والايمان لا راد لقضائه ولا
معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدي من يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ويدل
عليه من النقل قول الامة قاطبة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقول الله عز وجل
ولو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ويدل عليه من جهة
العقل ان المعاصي والجرائم ان كان الله يكرهها ولا يريدها وانما هي جارية على وفق ارادة
ابليس لعنه الله مع انه عدو الله فالجاري على وفق ارادة العدو اكثر من الجاري على وفق
ارادته سبحانه وتعالى فليت شعري كيف يستجيز المسلم ان يرد ملك الجبار ذي الجلال والاكرام الى رتبة
لو ردت الى رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها اذ لو كان ما يستمر لعدو الزعيم في القرية
اكثر مما يستمر له لاستنكف من زعامته وتبرأ من ولايته والمعصية هي الغالبة على الخلق وكل ذلك

جائز عند المبتدعة على خلاف ارادة الحق وهذا غاية الضعف والعجز تعالى الله رب الارباب عن
قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهما ظهر ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى صح انها مرادة له فان
قيل فكيف ينهى عما يريد ويامر بما لا يريد قلنا الامر غير الارادة ولذلك لو ضرب السيد عبده
فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فاراد اظهار حجته
بان يامر العبد بفعل ويخالفه بين يديه فقال اسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان
فهو يامره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن امرا لما كان عند السلطان ممهدا ولو كان مريدا
لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال **الاصل الرابع** ان الله تعالى متفضل با
والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب
عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال اذ هو الموجب الامر والناهي وكيف يتهدف
لايجاب او يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب احد امرين اما الفعل الذي في تركه ضرر اما
آجل كما يقال يجب على العبد ان يطيع الله او ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان ان يشرب
الماء حتى لا يموت واما ان يراد به الذي عدمه يؤدي الى محال كما يقال وجود المعلوم واجب اذ عدمه
يؤدي الى المحال وهو ان يصير العلم جهلا فان اراد الخصم بان الخلق واجب على الله بالمعنى الاول فقد
عرضه للضرر وان اراد به المعنى الثاني فهو مسلم اذ بعد سبق العلم لا بد من وجود المعلوم وان
اراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه اذا لم يتضرر بترك
مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى ثم مصلحة العباد في ان يخلقهم في الجنة واما ان
يخلقهم في دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرض والحساب
فما في ذلك غبطة عند ذوي الالباب **الاصل الخامس** انه يجوز على الله تعالى ان يكلف عباده
ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه وقد سالوا ذلك فقالوا
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ولان الله اخبر نبيه عليه السلام بان ابا جهل لا يصدقه ثم
امره بان يصدقه في جميع اقواله وكان من جملة اقواله انه لا يصدقه فكيف يصدقه في انه
لا يصدقه وهل هذا الا محال وجوده **الاصل السادس** ان الله تعالى ايلام الخلق وتعذيبهم
من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لانه متصرف في ملكه ولا يتصور
ان يعدو تصرفه ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير وهو محال على الله تعالى
فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فان ذبح
البهائم ايلام لها وما صب عليها من انواع العذاب من جهة الادميين لم يتقدمها جريمة
فان قيل ان الله يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الالام ويجب ذلك على الله فنقول
من زعم انه يجب على الله احياء كل نملة وطئت وكل بقة عركت حتى يثيبها على آلامها فقد خرج
عن الشرع والعقل اذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه ان كان المراد به انه يتضرر ب

بتركه فهو محال

يتركه فهو محال وان اريد به غير ذلك فقد سبق انه غير مفهوم اذ خرج عن المعاني المذكورة للواجب
الاصل السابع انه يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الاصلح للعباد لما ذكرنا
من انه لا يجب عليه شيء بل لا يعقل في حقه الوجوب فانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
وليت شعري بما يجيب المعتزلي في قوله ان رعاية الاصلح واجب في مسألة نفرضها عليه وهو
ان نفرض مناظرة في الآخرة بين صبي وبالغ ماتا مسلمين فان الله عز وجل يزيد في درجات
البالغ ويفضله على الصبي لانه تعب بالايمان والطاعات بعد البلوغ ويجب عليه
سبحانه ذلك عند المعتزلي فلو قال الصبي يا رب لم رفعت منزلته علي فيقول لانه بلغ
واجتهد في الطاعة فيقول الصبي انت امتني في الصبا فكان يجب ان تديم حياتي حتى ابلغ
فاجتهد فقد عدلت عن العدل في التفضيل عليه بطول العمر دوني فلم فضلته فيقول
الله تعالى لاني علمت انك لو بلغت لاشركت او عصيت فكان لك الاصلح الموت
في الصبى هذا عذر المعتزلي عن الله تعالى وعند هذا ينادي الكفار من دركات فيقولون
اما علمت انا اذا بلغنا اشركنا فهلا امتنا في الصبا فانا رضينا بما دون منزلة الصبي
المسلم فاذا يجاب عن ذلك وهل يجب عند هذا الا القطع بان الامور الالهية تتعالى بحكم
الجلال عن ان توزن بميزان اهل الاعتزال فان قيل مهما قدر على رعاية الاصلح للعباد
ثم سلط عليهم اسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة قلنا معنى القبيح ما لا يوافق
الغرض حتى قد يكون الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند شخص غيره اذا وافق غرض احد
هما دون الآخر حتى يستقبح قتل الشخص اولياؤه ويستحسنه اعداؤه فان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض
الباري سبحانه فذلك محال اذ لا غرض له فلا يتصور منه قبيح كما لا يتصور منه ظلم اذ لا يتصور
منه ظلم اذ لا يتصور منه عز وجل التصرف في ملك الغير وان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض
الغير فلم قلتم ان ذلك عليه محال وهل هذا الا محض تشه يشهد بخلافه ما فرضناه من مخاصمة اهل
النار ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الاشياء والقادر على احكام فعلها على وفق ارادته ومن اين
يوجب رعاية الاصلح نظرا لنفسه ليستفيد بذلك في الدنيا ثناء وفي الآخرة ثوابا او يدفع به عن
نفسه ضررا او يجلب لنفسه رحمة ورقة وكل ذلك على الله محال **الاصل الثامن** ان معرفة
الله تعالى وطاعته واجبة بايجابه وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة لان العقل وان اوجب الطاعة
فلا يخلو اما ان يوجبها لغير فائدة وذلك محال لان العقل لا يوجب العبث واما ان اوجبها لفائدة
وغرض فذلك لا يخلو اما ان يرجع الى المعبود وذلك محال فانه يتقدس عن الاغراض والفوائد
بل الكفر والايمان والطاعة والعصيان في حقه سبحانه سيان واما ان يرجع ذلك الى غرض العبد
العبد وهو ايضا محال لانه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات بسببه وليس
في المال الا الثواب ومن اين يعلم ان الله تعالى يثيب على المعصية والطاعة ولا يعاقب عليه لكن

مع ان الطاعة والمعصية في حقه سيان اذ ليس له الى احدهما اسد ولا لاحدهما به اختصاص
وانما عرف تمييز ذلك بالشرع ولقد زل من اخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث
نفرق بين الشكر والكفران لما فيه من الارتياح والاهتزاز والتلذذ باحدهما دون الاخر فان قيل فاذا
لم يجب النظر والمعرفة الا بالشرع والشرع لا يستقر الا بالنظر ولست اقدم على ما لم ينظر المكلف فيه
فاذن المكلف للنبي ان العقل ليس يوجب علي شيئا والشرع لا يثبت الا بالنظر ولست اقدم على النظر اذ
ذلك الى افحام الرسل قلنا هذا يضاهي قول القائل للواقف في موضع من المواضع ان وراءك سبعا
ضاريا فان لم تبرح عن هذا المكان قتلك وان التفت وراءك فنظر صح فيقول الواقف
لا يثبت صدقك ما لم التفت وراءي ولا التفت وراءي ولا انظر ما لم يثبت صدقك
فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه في الهادي المرشد فكذلك
النبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم ان وراءكم الموت ودونه السباع الضاريات والنيران المحرقة وان
لم تاخذوا منها حذركم وتعرفون صدقي بالالتفات الى معجزتي فمن التفت عرف واحترز
نجا ومن لم يلتفت واصر هلك وتردى ولا ضرر علي ان هلك الناس كلهم اجمعون وانما على الرسول
البلاغ المبين فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه
والاحاطة بامكان ما يقول في المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر ومعنى كون الشيء
واجبا ان في تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا انه معرف للضرر المتوقع فان العقل
لا يهتدي الى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل
وما يترهما في تقرير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما امر به لم يكن الوجوب ثابتا اذ لا معنى
للواجب الا ما يرتبط بتركه ضرر في الاخرة **الاصل التاسع** انه ليس يستحيل بعثة الرسل
صلوات الله عليهم اجمعين خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فائدة في بعثتهم اذ في العقل مندوحة
عنهم وليس كذلك وما قالوه ليس بشيء لان العقل لا يهدي الى الافعال المنجية في الاخرة كما لا يهدي
الى الادوية المفيدة للصحة في الدنيا فحاجة الخلق الى الانبياء كحاجتهم الى الاطباء ولكن يعرف
صدق الاطباء بالتجربة ويعرف صدق الانبياء بالمعجزات **الاصل العاشر** ان الله تعالى
قد ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى
والصابئين وايده بالمعجزات الظاهرة والايات الباهرة كانشقاق القمر وتسبيح الحصا وانطاق
العجماء وما تفجر من بين اصابعه من الماء ومن آياته الظاهرة التي تحدى بها جميع كافة العرب القرآن
فانهم مع كافة العرب القرآن فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا لسبيه
ونهبه وقتله واخراجه كما اخبر الله عنهم ولم يقدروا على معارضة بمثل القرآن اذ لم يكن في
قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من اخبار الاولين مع كونه اميا
غير ممارس للكتب والانباء عن الغيب في امور تحقق صدقه فيها في المستقبل كقوله تعالى

لتدخلن

لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون وكقوله تعالى آلم
غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل
ان كل ما عجز عنه البشر لم يكن الا فعلا لله تعالى فمهما كان مقرونا بتحدي النبي صلى الله عليه
وسلم نزل منزلة قوله تعالى صدقت وذلك مثل القائم بين يدي الملك المدعي
على رعيته انه رسول الملك اليهم فانه متى قال للملك ان كنت صادقا فقم على سريرك ثلاثا
واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بان ذلك نازل منزلة
قوله صدقت **الركن الرابع** في السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به ومداره
على عشرة اصول **الاصل الاول** الحشر والنشر وقد ورد بهما الشرع وذلك حق والتصديق
به واجب لانه في العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الفنا وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الانشاء
قال الله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم
فاستدل بالابتدا على الاعادة وقال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة والاعادة ابتداء
ثان فهو ممكن كالابتدا الاول **الاصل الثاني** سؤال منكر ونكير وقد ورد به الاخبار فيجب
التصديق به ولانه ممكن اذ ليس يستدعي الا اعادة الحياة الى جزء من الاجزاء الذي به فهم الخطاب
وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما نشاهده من سكون اجزاء الميت وعدم سماعنا السؤال له فان
النائم ساكن بظاهره ويدرك من باطنه من الالام واللذات ما يحس باثره عند التنبيه وقد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه
ولا يرونه قال تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والروية لم
يدركوه **الاصل الثالث** عذاب القبر وقد ورد به الشرع قال الله تعالى النار يعرضون عليها
غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب واشتهر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن السلف الصالح رضي الله عنهم الاستعاذة من عذاب القبر وهو ممكن فيجب
التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق اجزاء الميت في بطون السباع وحواصل الطيور
فان المدرك لالام العذاب من الحيوان اجزا مخصوصة يقدر الله تعالى على اعادة الادراك اليها
الاصل الرابع الميزان وهو حق قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وقال
تعالى فمن ثقلت موازينه ووجهه ان الله تعالى يحدث في صحائف الاعمال وزنا بحسب درجات
الاعمال عند الله تعالى فيصير مقادير اعمال العباد معلومة **الاصل الخامس** للعباد حتى يظهر
لهم العدل في العقاب او الفضل في العفو وتضعيف الثواب **الاصل الخامس** الصراط
وهو جسر ممدود على متن النار ادق من الشعر واحد من السيف قال الله تعالى فاهدوهم الى صراط
الجحيم وقفوهم انهم مسئولون ما لكم لا تناصرون وهذا ممكن فيجب التصديق به فان القادر على ان
يطير الطير في الهوا قادر على ان يسير الانسان على الصراط **الاصل السادس** ان الجنة

والنار مخلوقتان قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت
للمتقين فقوله اعدت دليل على انها مخلوقة فيجب اجراؤه على الظاهر اذ لا استحالة فيه ولا يقال لا
فائدة في خلقهما قبل يوم الجزاء لان الله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون الاصل السابع
ان الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم
ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم نص على امام اصلا اذ لو كان لكان اولى بالظهور من
نصب آحاد الولاة والامراء على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا وان ظهر فكيف
اندرس حتى لم ينقل الينا فلم يكن ابو بكر اماما الا بالاختيار والبيعة واما تقدير النص على
غيره فهو نسبة للصحابة كلهم الى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق للاجماع وذلك
مما لم يتجر على اختراعه الا الروافض لعنهم الله واعتقاد اهل السنة تزكية جميع الصحابة
والثناء عليهم كما اثنى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عليهم وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله
عنهما على الاجتهاد ولا منازعة من معاوية رضي الله عنه في الامامة اذ ظن علي رضي الله عنه ان
تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي الى اضطراب
امر الامامة في بدايتها فرأى التأخير اصوب وظن معاوية رضي الله عنه ان تأخير امرهم مع
عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالائمة ويعرض الدماء للسفك وقد قال افاضل العلماء كل مجتهد
مصيب وقال قائلون المصيب واحد ولم يذهب الى تخطئة علي رضي الله عنه ذو تحصيل
اصلا الاصل الثامن ان فضل الصحابة رضي الله عنهم على حسب ترتيبهم في الخلافة
اذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله تعالى وذلك لا يطلع عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد ورد في الثناء عليهم اجمعين اخبار وانما يدرك الفضل والترتيب في ذلك المشاهدون
للوحي والتنزيل بقرائن الاحوال المشرفة الى دقائق التفصيل فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا
الامر هكذا اذ كانوا لا يأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف الاصل التاسع
ان شرائط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة الذكورة والورع والعلم والكفاية ونسب قريش
لقوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش واذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات
فالامام من انعقدت له البيعة من اكثر الخلق والمخالف للاكثر باغ يجب رده الى الانقياد للحق
الاصل العاشر انه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للامامة وكان في صرفه
اثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد امامته لانا بين ان نحرك فتنة بالاستبدال فما يلقاه
المسلمون في ذلك من الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التي اثبتت لمزية
المصلحة فلا نهدم اصل المصلحة شغفا بمزاياها كالذي يبني قصرا ويهدم مصرا وبين ان نحكم
بخلو البلاد عن الامام وبفساد الاقضية وذلك محال ونحن نقضي بنفوذ قضاء اهل البغي في بلادهم
لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضي بصحة الامامة عند الحاجة والضرورة فهذه الاركان الاربعة الحاوية

للاصل الاربعين

فالاصول الاربعين هي قواعد العقائد فمن اعتقدها كان موافقا لاهل السنة ومباينا لاهل
البدعة والله تعالى يسعدنا بتوفيقه ويهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده انه
جواد كريم رؤف رحيم الفصل الرابع من كتاب في قواعد العقائد في الايمان والا
سلام وما بينهما من الانفصال والاتصال وما يتطرق اليه من الزيادة والنقصان ووجه
استثناء السلف فيه وفيه ثلث مسائل مسئلة اختلفوا في ان الاسلام هو الايمان او غيره
وان كان غيره فهو منفصل يوجد دونه او هو مرتبط به يلازمه فقيل انهما شيء واحد
وقيل انهما شيان لا يتواصلان وقيل انهما شيان ولكن يرتبط احدهما بالاخر وقد اورد ابو
طالب المكي في هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلنهجم على التصريح بالحق من غير تعر
يج على نقل ما لا تحصيل له فنقول في هذا ثلث مباحث بحث عن موجب اللفظين في اللغة وبحث
عن المراد بهما في اطلاق الشرع وبحث عن حكمهما في الدنيا والاخرة فالبحث الاول لغوي والثاني
تفسيري والثالث فقهي شرعي البحث الاول في موجب اللغة والحق فيه ان الايمان
عبارة عن التصديق قال الله تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق لنا والاسلام عبارة عن
التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد وللتصديق محل خاص
وهو القلب واللسان ترجمانه واما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق
بالقلب هو تسليم وترك الاباء والانكار والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد
بالجوارح فموجب اللغة ان الاسلام اعم والايمان اخص فكان الايمان عبارة عن اشرف اجزاء
الاسلام فاذا كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا البحث الثاني عن اطلاق الشرع
والحق فيه ان الشرع قد ورد باستعمالهما جميعا على سبيل الترادف والتوارد وعلى سبيل التغاير وورد
على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل اما الترادف ففي قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من
المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ولم يكن بالاتفاق الا بيت واحد وقال تعالى
ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس
وسئل صلى الله عليه وسلم مرة عن الايمان فاجاب بهذه الخمس واما الاختلاف فقوله تعالى قالت الاعراب
امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ومعناه استسلمنا في الظاهر واراد بالايمان ههنا تصديق
القلب فقط وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح وفي حديث جبريل عليه السلام
لما سأله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملئكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت وبالحساب
وبالقدر خيره وشره فقال ما الاسلام فذكر الخصال الخمس فعبر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول
والعمل وفي حديث سعد انه صلى الله عليه وسلم اعطى رجلا عطاء ولم يعط الاخر فقال له سعد يا رسول
الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال صلى الله عليه وسلم او مسلم فاعاد عليه فاعاد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وروي انه صلى الله عليه وسلم سئل اي الاعمال افضل فقال الاسلام فقيل اي

اي الاسلام افضل فقال الايمان وهذا دليل على الاختلاف والتداخل وهو اوفق الاستعمالات للغة
لان الايمان عمل من الاعمال وهو افضلها والاسلام هو تسليم اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح
وافضلها الذي بالقلب وهو التصديق الذي يسمى ايمانا فالاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى
سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كل ذلك غير خارج عن طريق التجوز في اللغة اما الاختلاف
فهو ان يجعل الايمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق اللغة والاسلام عبارة عن
التسليم ظاهرا وهو ايضا موافق اللغة فان التسليم ببعض محال التسليم ينطلق عليه اسم
التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن ان يوجد المعنى فيه فان من لمس
غيره ببعض بدنه يسمى لامسا وان لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر
عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى قالت الاعراب امنا
الاية وقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد او مسلما لانه فضل احدهما على الاخر
ويريد بالاختلاف تفاصيل المسميين واما التداخل فهو ايضا موافق اللغة وهو ان يجعل الاسلام
عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والايمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام
وهو التصديق في القلب وهو الذي عنيناه بالتداخل وهذا موافق اللغة في خصوص الايمان
وعموم الاسلام للكل وعلى هذا خرج قوله الايمان في جواب قول السائل اي الاسلام افضل
لانه جعل الايمان خصوصا من الاسلام فادخله فيه واما استعماله على سبيل الترادف بان يجعل
الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فان كل ذلك تسليم وكذا الايمان ويكون
التصرف في الايمان على الخصوص بتعميمه وادخال الظاهر في معناه وذلك جائز لان تسليم
الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجرة ويراد به الشجرة
مع ثمرها على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا
له فلا يزيد عليه ولا ينقص عنه وعليه خرج قوله تعالى فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
الثالث عن الحكم الشرعي وللاسلام والايمان حكمان اخروي ودنيوي اما الاخروي فهو الاخراج
من النار ومنع التخليد اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه
مثقال ذرة من الايمان وقد اختلفوا في ان هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بان الايمان
ماذا هو فمن قائل يقول انه مجرد العقد ومن قائل يقول انه عقد بالقلب وشهادة باللسان
ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالاركان ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول من جمع بين هذه
الخصال الثلث فلا خلاف في ان مستقره الجنة وهذه درجة الدرجة الثانية ان يوجد اثنان وبعض
الثالث وهو القول والعقد وبعض وبعض الاعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة او بعض الكبائر
فعند هذا قالت المعتزلة خرج بهذا عن الايمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه الفاسق وهو
على منزلة بين المنزلتين وهو مخلد في النار وهذا باطل كما سنذكره

الدرجة

الدرجة الثالثة ان يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الاعمال بالجوارح وقد اختلفوا
في حكمه فقال ابو طالب المكي العمل من الايمان ولا يتم دونه وادعى الاجماع فيه واستدل بادلة تشعر بنقيض
غرضه كقوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات وهو مومن
وقوله ومن يات الله مومنا قد عمل الصالحات اذ هذا يدل على ان العمل وراء الايمان لا من نفس الايمان والا فيكون
العمل في حكم المعاد والعجب انه يدعي الاجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل قول النبي صلى الله عليه وسلم لا
يكفر احد الا بجحوده لما اقر به وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكبائر والقائل
بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة اذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات على الحال فهل
هو في الجنة فلا بد وان يقال نعم وفيه حكم بوجود الايمان دون العمل فنزيد ونقول لو بقي
حيا حتى دخل عليه وقت صلوة واحدة فتركها ثم مات او زنا ثم مات فهل يخلد في النار فان
قال نعم فهو مراد المعتزلة وان قال لا فهو تصريح بان العمل ليس ركنا من نفس الايمان ولا شرطا
في وجوده ولا في استحقاق الجنة به وان قال اردت به ان يعيش مدة طويلة ولا يصلي ولا يقدم
على شيء من الاعمال الشرعية قلنا فما ضبط تلك المدة وما عدد تلك الطاعات التي بتركها يبطل
الايمان وما عدد الكبائر التي بارتكابها يبطل الايمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره بتقديره
ولم يصر اليه صاير اصلا الدرجة الرابعة ان يوجد التصديق بالقلب فقبل ان ينطق باللسان
او يشتغل بالاعمال مات فهل نقول مات مومنا بينه وبين الله تعالى وهذا مما اختلف فيه
ومن شرط القول لتمام الايمان يقول هذا مات قبل الايمان وهو فاسد اذ قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخرج من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف
يخلد في النار ولم يشترط في حديث جبرئيل عليه السلام للايمان الا التصديق بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر كما سبق الدرجة الخامسة ان يصدق بالقلب ويساعده من العمر
مهلة النطق بكلمتي الشهادة وعلم بوجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل ان يجعل امتناعه عن
النطق كامتناعه عن الصلوة ويقال هو مومن غير مخلد في النار والايمان هو التصديق
المحض واللسان ترجمان الايمان فلا بد وان يكون الايمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه
اللسان وهذا هو الاظهر اذ لا مستند الا اتباع موجب الالفاظ ووضع اللسان ان الايمان عبارة
عن التصديق بالقلب وقد قال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال
ذرة من الايمان ولا ينعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت
عن الفعل الواجب وقال قائلون القول ركن اذ ليس كلمتا الشهادة اخبارا عن القلب بل هو انشا
عقد آخر وابتدا شهادة والتزام والاول اظهر وقد غلا في هذا طائفة المرجئة فقالوا هذا لا يدخل
النار اصلا وقالوا ان المومن وان عصى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم الدرجة السادسة ان
يقول بلسانه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لم يصدق بقلبه فلا نشك في

فانه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالائمة والولاة من المسلمين لان قلبه لا يطلع عليه وعلينا ان
نظن به انه ما قاله بلسانه لم يقله الا وهو منطو عليه بقلبه وانما نشك في امر ثالث وهو الحكم الاخروي
الدنيوي فيما بينه وبين الله تعالى وذلك بان يموت له في هذه الحالة قريب ثم يصدق بعد
ذلك بقلبه ثم يستفتي ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الان في
يدي فهل يحل لي بيني وبين الله تعالى او نكح مسلمة ثم صدق هل يلزمه اعادة النكاح هذا في
محل النظر فيحتمل ان يقال احكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل ان
يقال تناط بالظاهر في حق غيره لان باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه
فيما بينه وبين الله تعالى والاظهر والعلم عند الله عز وجل انه لا يحل له ذلك الميراث ويلزمه
اعادة النكاح ولذلك كان حذيفة رضي الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين
وعمر رضي الله عنه كان يراعي ذلك منه فلا يحضر اذا لم يحضر حذيفة والصلوة فعل ظاهر في الدنيا
وان كان من العبادات والتوقي عن الحرام ايضا من جملة ما يجب لله عز وجل كالصلوة
وليس هذا مناقضا لقولنا ان الارث حكم الاسلام وهو الاستسلام بل الاستسلام التام ما
يشمل الظاهر والباطن جميعا وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الالفاظ والعمومات
والاقيسة فلا ينبغي ان يظن القاصر في العلوم ان المطلب فيه القطع من حيث جرت العادة
بايراده في فن الكلام الذي يطلب فيه القطع فما افلح من نظر الى العادات والمراسم في العلوم
فان قلت فما شبهة المعتزلة والمرجئة وما حجة بطلان قولهم فاقول شبهتهم عمومات
القرآن اما المرجئة فقالوا لا يدخل المؤمن النار وان اتى بكل المعاصي لقوله فمن يؤمن بربه
فلا يخاف بخسا ولا رهقا ولقوله والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون ولقوله
تعالى كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
وقلنا ما نزل الله من شيء وقالوا كلما القي عام فينبغي ان يكون كل من القي فيها مكذبا
ولقوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وهذا حصر واثبات ونفي ولقوله
تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وهذا من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من
فزع يومئذ آمنون والايمان راس الحسنات ولقوله تعالى والله يحب المحسنين وقال تعالى انا لا نضيع
اجر من احسن عملا ولا حجة لهم في ذلك فانه حيث ذكر الايمان في هذه الآيات اريد به الايمان مع
العمل اذ بينا ان الايمان قد يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل
هذا التاويل اخبار كثيرة في معاقبة العاصين ومقادير العقاب وقوله صلى الله عليه وسلم
يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان فكيف يخرج اذا لم يدخل ومن القرآن
قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فالاستثناء بالمشية يدل
على الانقسام وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وقوله

ومن يعص

يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وخصصه بالكفر لكرره وقوله تعالى الا ان الظالمين في عذاب
مقيم وقال تعالى ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار فهذه العمومات في معارضة عمومات
ولا بد من تسليط التخصيص والتأويل على الجانبين لان الاخبار مصرحة بان العصاة لا
يعذبون بل قوله تعالى وان منكم الا واردها كالتصريح في ان ذلك لا بد منه للكل اذ لا يخلو
مؤمن عن ذنب يرتكبه وقوله عز وجل لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى اراد به من
جماعة مخصوصين او اراد بالاشقى شخصا معينا ايضا وقوله كلما القي فيها فوج اي
اي فوج من الكفار وتخصيص العمومات بقرينة قريب وعن هذه الآية وقع للاشعري
وطائفة من المتكلمين انكار صيغ العموم وان هذه الالفاظ يتوقف فيها الى ان ترد قرينة
تدل على معانيها واما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم
اهتدى وقوله عز وجل والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله
تعالى وان منكم الا واردها ثم قال ثم ننجي الذين اتقوا وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار
جهنم وكل آية ذكر العمل الصالح مقرونا فيها بالايمان وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه
جهنم وهذه العمومات ايضا مخصوصة بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فينبغي
ان يبقى له مشيئة في مغفرة ما سوى الشرك وكذلك قوله عليه السلام يخرج من النار من كان في
قلبه مثقال ذرة من الايمان وقوله تعالى ان الله لا يضيع اجر المحسنين فكيف يضيع اصل الايمان
وجميع الطاعة بمعصية واحدة وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا اي لايمانه وقد ورد
على مثل هذا السبب فان قلت فقد مال الاختيار الى ان الايمان حاصل دون العمل وقد اشتهر
عن السلف قولهم الايمان قول وعقد وعمل فما معناه قلنا لا يبعد ان يعد العمل من الايمان
لانه مكمل له ومتمم كما يقال الرأس واليد لا يخرج من الانسان ومعلوم انه يخرج عن كونه
انسانا بعدم الرأس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد فكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات
من الصلوات وان كانت لا تبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الايمان كالقلب وكالرأس من
وجود الانسان اذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات كالاطراف وبعضها اعلى من بعض وقد قال
صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن والصحابة ما اعتقدوا مذهب المعتزلة
في الخروج عن الايمان بالزنا ولكن معناه انه غير مؤمن حقا ايمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع
الاطراف هذا ليس بانسان اي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الانسانية البحث فان
قلت فقد اتفق السلف على ان الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فاذا
كان الايمان هو التصديق فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان فاقول السلف رضي الله عنهم هم
الشهود والعدول وما لاحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق وانما الشان في فهمه وفيه دليل
على ان العمل ليس من اجزاء الايمان واركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد موجود

والناقص موجود والشيء لا يزيد بذاته فلا يجوز ان يقال الانسان يزيد براسه بل يقال
يزيد بلحيته وبلحمه وسمنه ولا يجوز ان يقال الصلوة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد
بالادب والسنن فهذا تصريح بان الايمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة و
والنقصان فان قلت فالاشكال قائم في انه التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة
واحدة فاقول اذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا الغطا ارتفع
الاشكال فنقول الايمان اسم مشترك يطلق من ثلثة اوجه الاطلاق
انه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو
ايمان العوام كلهم بل ايمان الخلق كلهم الا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشتد
وتقوى وتارة تضعف وتسترخي كالعقدة على الخيط مثلا ولا تستبعد هذا واعتبر
باليهودي في صلابته في عقيدته التي لا يمكن نزعها منه بتخويف وتحذير ولا بتخييل
ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذلك النصارى والمبتدعة ومنهم من يمكن تشكيكه
بادنى كلام ومنهم من يمكن استنزاله عن اعتقاده بادنى استمالة او تخويف مع انه
غير شاك في عقده كالاول ولكنهما متفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في الاعتقاد
الحق ايضا والعمل يؤثر في نما هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقي الماء في نما الاشجار
فلذلك قال الله تعالى فزادتهم ايمانا وقال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقال صلى الله
عليه وسلم فيما روي في بعض الاخبار الايمان يزيد وينقص وذلك بتاثير الطاعات
في القلب وهذا لا يدركه الا من راقب احوال نفسه في اوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها
بحضور القلب مع اوقات الفتور وادرك التفرقة في السكون الى عقائد الايمان
في هذه الاحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد
في اليتيم معنى الرحمة اذا عمل بموجب اعتقاده فمسح راسه وتلطف به ادرك
من باطنه تاكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع اذا عمل بموجبه
مقبلا او ساجدا لغيره احس من قلبه بالتواضع عند اقدامه على الخدمة وهكذا جميع
صفات القلب تصدر منها اعمال الجوارح ثم يعود اثر الاعمال عليها فيؤكدها ويزيدها
وسياتي هذا في ربع المنجيات والمهلكات عند بيان تعلق الباطن بالظاهر والاعمال
بالعقائد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت واعني بالملك عالم الشهادة
المدرك بالحواس واعني بالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت
والاعضا واعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى الى حد ظن بعض الناس
اتحاد احدهما بالاخر وظن اخرون انه لا عالم الا عالم الشهادة وهو هذه الاجسام المحسوسة ومن
ادرك الامرين وادرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها

فتشاكل الامر

فتشاكل الامر فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر ولنرجع الى المقصود فان
هذا اعتراض خارج عن علم المعاملة ولكن بين العلمين ايضا اتصال وارتباط فلذلك
ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة الى ان ينكف عنها بالتكلف فهذا وجه
زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال علي رضي الله عنه ان الايمان ليبدو
لمعة بيضا فاذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو
نكتة سودا فاذا انتهكت الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع على قلبه فذلك
الختم ثم تلى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون الاطلاق الثاني ان يراد به التصديق
والعمل جميعا كما قال صلى الله عليه وسلم الايمان بضعة وسبعون بابا وكما قال صلى الله عليه
وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن واذا ادخل العمل في مقتضى لفظ الايمان لم
تخف زيادته ونقصانه وهل يوثر ذلك في زيادة الايمان الذي هو مجرد التصديق
هذا فيه نظر وقد اشرنا الى انه موثر فيه الاطلاق الثالث ان يراد به التصديق اليقيني
على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة وهذا ابعد الاقسام عن قبول
الزيادة ولكني اقول الامر اليقيني الذي لا شك فيه تختلف طمانينة النفس اليه فليس
طمانينة النفس الى ان الاثنين اكثر من الواحد كطمانينتها الى ان العالم مصنوع حادث
وان كان لا شك في واحد منهما بل اليقينيات تختلف في درجات الايضاح ودرجات طمانينة
النفس اليها وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات علما
الآخرة فلا حاجة الى الاعادة وقد ظهر في جميع الاطلاقات ان ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه
حق وكيف لا وفي الاخبار انه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وفي بعض
المواضع في خبر آخر مثقال دينار فاي معنى لاختلاف مقاديره ان كان ما في القلب لا يتفاوت
مسألة فان قلت فما وجه قول السلف انا مومن ان شاء الله والاستثنا شك والشك
في الايمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالايمان ويحترزون من ذلك فقال
سفيان الثوري من قال انا مومن عند الله فهو من الكاذبين ومن قال انا مومن حقا فهو
بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم انه مومن في نفسه ومن كان مومنا في نفسه كان مومنا
عند الله كما ان من كان طويلا وسخيا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان
مسرورا او حزينا او سميعا او بصيرا ولو قيل للانسان هل انت حيوان لم يحسن ان يقول
انا حيوان ان شاء الله تعالى فلما قال سفيان ذلك قيل له فماذا نقول قال قولوا امنا بالله وما
انزل الينا واي فرق بين ان نقول امنا وبين ان نقول انا مومن وقيل للحسن امومن
انت فقال ان شاء الله فقيل له تستثني يا ابا سعيد في الايمان قال اخاف ان اقول نعم فيقول
الله كذبت يا حسن فيحق علي الكلمة وكان يقول ما يومني ان يكون الله سبحانه قد اطلع مني على بعض

ما يكره فمقتني وقال الحسن فلا تثبت لك عملا فانا اعمل فيغني بعمله وقال ابراهيم اذا قيل
لك انت مؤمن فقل لا اله الا الله وقال مرة قل انا لا اشك في الايمان وسؤالك لي بدعة
وقيل لعلقمة امؤمن انت فقال ارجو ان شاء الله وقال الثوري نحن مؤمنون بالله و
ملائكته وكتبه ورسله وما ندري ما نحن عند الله تعالى فما معنى هذه الاستثناءات فالجواب
ان هذا الاستثناء صحيح وله اربعة اوجه وجهان مستندان الى الشك لا في اصل الايمان
ولكن في خاتمته او كماله ووجهان لا يستندان الى الشك الوجه الاول الذي لا
يستند الى الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا
انفسكم هو اعلم بمن اتقى وقال تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم ثم قال تعالى انظر كيف
يفترون على الله الكذب وقيل لحكيم ما الصدق القبيح قال ثناء الانسان على نفسه و
الايمان من اعلى صفات المجد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كأنها نقل
من عرف التزكية كما يقال للانسان انت طبيب او فقيه او مفسر فيقول نعم ان شاء الله
لا في معرض التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تزكيتها فالصيغة صيغة الترديد و
التضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف للازم من لوازم الخبر وهو التزكية
وبهذا التاويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء التادب بذكر الله في كل حال
واحالة الامور كلها الى مشية الله تعالى فقد ادب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال
ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك
فيه بل قال لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم وكان الله عز
وجل عالما بانهم يدخلونه لا محالة وانه تعالى شاءه ولكن المقصود تعليمه ذلك فتادب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يخبر عنه معلوما كان او مشكوكا فيه حتى قال
صلى الله عليه وسلم لما دخل المقابر السلام عليكم اهل دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله
بكم لاحقون واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الادب ذكر الله وربط
الامور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن اظهار
الرغبة والتمني فاذا قيل لك ان فلانا يموت سريعا فتقول ان شاء الله فيفهم منه رغبتك
لا تشككك واذا قيل لك فلان سيزول مرضه ويصح فتقول ان شاء الله بمعنى الرغبة
فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك الى معنى الرغبة فكذلك كان العدول
الى معنى التادب بذكر الله كيف ما كان الامر الوجه الثالث ومستنده الشك ومعناه انا
مؤمن حقا ان شاء الله اذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين باعيانهم اولئك هم المؤمنون
حقا فانقسموا الى قسمين ويرجع هذا الى الشك في كمال الايمان لا في اصله وكل انسان
شاك في كمال ايمانه لا في اصل ايمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الايمان حق من وجهين

احدهما

احدهما من حيث ان النفاق يزيد كمال الايمان وهو خفي لا يتحقق البراءة منه و
الثاني انه يكمل باعمال الطاعات ولا يدري وجودها على الكمال اما العمل فقد قال الله
تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فيكون الشك في هذا الصدق و
كذلك قال الله عز وجل ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الآية فشرط عشرين
وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال اولئك الذين صدقوا
وقد قال عز وجل يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال
تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح الآية فقال تعالى هم درجات عند الله
وقال صلى الله عليه وسلم الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال صلى الله عليه
وسلم الايمان بضع وسبعون بابا ادناها اماطة الاذى عن الطريق الحديث فهذا
ما يدل على ارتباط كمال الايمان بالاعمال واما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك
الخفي فقوله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى
وزعم انه مؤمن من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا
خاصم فجر وفي بعض الروايات واذا عاهد غدر وفي حديث ابي سعيد الخدري
القلوب اربعة قلب اجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه
ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كالبقلة يمدها العذب ومثل النفاق فيه
كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلب عليه حكم له بها وفي
لفظ آخر غلبت عليه ذهبت به قال صلى الله عليه وسلم اكثر منافقي هذه الامة قراؤها
وفي حديث الشرك في امتي اخفى من دبيب النملة على الصفا وقال حذيفة رضي الله
عنه كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا
الى ان يموت واني لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات وقال بعض العلماء اقرب
الناس من النفاق من يرى انه بريء من النفاق وقال حذيفة المنافقون اليوم
اكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا اذ ذاك يخفونه وهم
اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الايمان وكماله وهو خفي وابعد الناس
منه من يتخوفه واقربهم منه من يرى انه بريء منه فقد قيل للحسن البصري يقولون
ان لا نفاق اليوم فقال يا اخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطريق وقال
هو وغيره لو نبتت للمنافقين اذناب ما قدرنا ان نطأ على الارض وسمع ابن عمر
رجلا يتعرض للحجاج فقال ارايت لو كان حاضرا اكنت تتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعد
هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم من كان

ذا اللسانين في الدنيا جعله الله ذا اللسانين في الاخرة وقال ايضا صلى الله عليه وسلم شر
الناس ذو الوجهين الذي ياتي هولاء بوجه وهولاء بوجه وقيل للحسن ان اقواما
يقولون لا نخاف النفاق فقال والله لان اكون اني بري من النفاق احب الي من
تلاع الارض ذهبا وقال الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية
والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة اني اخاف ان اكون منافقا ما خفت من النفاق
فان المنافق قد امن النفاق وقال ابي مليكة ادركت ثلثين ومائة وفي رواية
خمسين ومائة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق وروى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من اصحابه فذكروا رجلا واكثروا
الثناء عليه فبينما هم كذلك اذ طلع الرجل عليهم ووجهه يقطر ماء من اثر الوضوء
قد علق نعله بيده وبين عينيه اثر السجود اذ قالوا يا رسول الله هذا الذي و
صفناه فقال صلى الله عليه وسلم ارى على وجهه سفعة من الشيطان فجاء الرجل
حتى سلم وجلس مع القوم فقال صلى الله عليه وسلم نشدتك الله هل حدثت
نفسك حين اشرفت على القوم انه ليس فيهم خير منك قال اللهم نعم وقال
صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني استغفرك لما اعلم ولما لا اعلم فقيل له
اتخاف يا رسول الله قال وما يومنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها
كيف يشاء وقد قال سبحانه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل في التفسير
عملوا اعمالا ظنوا انها حسنات فكانت في كفة السيئات وقال سري السقطي
لو ان رجلا دخل بستانا فيه جميع الاشجار عليها من جميع الاطيار فخاطبه كل
طير منها بلغته فقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان اسيرا في
يديها فهذه الاخبار والاثار تعرفك خطر الامر بسبب دقائق النفاق والشرك
الخفي وانه لا يومن منه حتى كان عمر رضي الله عنه يسال حذيفة عن نفسه وانه
هل ذكر في المنافقين قال ابو سليمان الداراني سمعت من بعض الامرا شيئا
فاردت ان انكره فخشيت ان يامر بقتلي ولم اخف من الموت ولكن خشيت
ان يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت وهذا نوع من
النفاق الذي يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاه لا اصله فالنفاق
نفاقان احدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلدين
في النار والثاني يفضي بصاحبه الى النار مدة او ينقص من درجات
عليين ويحط عن رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن
فيه الاستثنا واصل هذا النفاق تفاوت السر والعلانية والامن من مكر الله

عز وجل

عز وجل والعجب امور واخر لا تحلو عنها الا الصديقون وهو ايضا
مستند الى الشك وذلك من خوف الخاتمة فانه لا يدري ايسلم له الايمان عند الموت ام لا فان
ختم له بالكفر حبط الايمان السابق لانه موقوف على سلامة الآخر ولو سئل الصائم ضحوة
النهار عن صحة صومه فقال انا صائم قطعا فلو افطر بعد ذلك تبين كذبه اذ كانت الصحة
موقوفة على التمام الى غروب الشمس من آخر النهار وكما ان النهار ميقات تمام الصوم فكذلك
العمر ميقات تمام الصحة ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك
فيه والعاقبة مخوفة ولاجل ذلك كان اكثر بكاء الخائفين لاجل انها ثمرة القضية السابقة في
المشية الازلية التي لا تظهر الا بظهور المقضي به ولا يطلع عليها احد من البشر فخوف الخاتمة
كخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه فمن الذي يدري انه من الذين
سبقت لهم من الله الحسنى وقيل في قوله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق اي بالسابقة يعني
اظهرتها وقال بعض السلف انما يوزن من الاعمال خواتيمها وكان ابو الدرداء يحلف بالله ما
يقول احد امنا ان يسلب ايمانه الا سلبه ويقال من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من
ذلك وقيل هي عقوبة دعوى الولاية والكرامة بالافتراء وقال بعض العارفين لو عرضت على
الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على
باب الحجرة لاني لا ادري ما يعرض لقلبي من التغيير عن التوحيد الى باب الدار وقال بعضهم لو عرفت
واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم احكم انه مات على التوحيد
وفي الحديث من قال انا مؤمن فهو كافر ومن قال انا عالم فهو جاهل وقد قيل في قوله تعالى
وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا لمن مات على الايمان وعدلا لمن مات على الشرك وقد قال
الله تعالى ولله عاقبة الامور فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبا لان الايمان عبارة
عما يفيد الجنة كما ان الصوم عبارة عما يبرئ الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبرئ الذمة
فيخرج عن كونه صوما فكذلك الايمان بل لا يبعد ان يسأل عن الصوم الماضي الذي لا يشك فيه
بعد الفراغ منه فيقال اصمت بالامس فيقول نعم ان شاء الله اذ الصوم الحقيقي هو المقبول
والمقبول غيب عنه لا يطلع عليه الا الله فمن هذا يحسن الاستثناء في جميع اعمال البر ويكون ذلك
شكا في القبول اذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة اسباب خفية لا يطلع
عليها الا رب الارباب الذي هو عالم الغيب والشهادة دون الآدميين فيحسن الشك فيه فهذه
وجوه حسن الاستثناء في الجواب عن الايمان وهي آخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد والله اعلم

كتاب اسرار الطهارة ومهماتها وهو الكتاب الثالث من ربع العبادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

لله الذي تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة وافاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم

انواره والطافه واعد لظواهرهم تطهيرا لها الما المخصوص بالرقة واللطافة والصلوة على
محمد المستغرق بنور الهدى اطراف العالم واكنافه وعلى آله الطيبين الطاهرين صلوة تنجينا
بركاتها يوم المخافة وتنصب جنة بيننا وبين كل آفة اما بعد فقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم بني الدين على النظافة وقال مفتاح الصلوة الطهور وقال الله تعالى فيه رجال
يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين وقال النبي صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الا
وقال الله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم فتفطن
ذووا البصائر بهذه الظواهر ان اهم الامور تطهير السرائر اذ يبعد ان يكون المراد بقوله
صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء وتخريب
الباطن وابقاءه مشحونا بالاخباث والاقذار هيهات هيهات فالطهارة لها اربع مراتب
تطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث والفضلات الاول تطهير الجوارح عن الجرائم
والآثام بالكف عنها الثالث تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة
الثاني تطهير السر عما سوى الله عز وجل هي طهارة الانبيا والصديقين والطهارة
في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فان الغاية القصوى في عمل السر ان ينكشف له جلال الله
وعظمته ولن تحل معرفة الله تعالى بالحقيقة في السر ما لم يرتحل عنه ما سوى الله ولذلك
قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم لانهما لا يجتمعان في قلب وما جعل الله لرجل من قلبين
في جوفه الرابع عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالاخلاق المحمودة والعقائد المشر
ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل الطبيعية
والسجايا المذمومة فتطهيره احد الشطرين وهو الشطر الاول الذي هو شرط في الثاني
فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي احد الشطرين
وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني وهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال
العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات
المذمومة وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ عن طهارة القلب عن الاخلاق المذمومة وبالا
خلاق المحمودة ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها
بالطاعات وكلما عز المطلوب شرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثر عقباته فلا تظنن ان هذا
الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم
من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة التي هي كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب المطلوب
فصار يمعن فيه ويستقصي في مجاريه ويستوعب جميع اوقاته في الاستنجا وغسل الثياب
وتنظيف الظاهر وطلب المياه الكثيرة الجارية ظنا منه بحكم الوسوسة وخبل العقل
ان الطهارة المطلوبة الشريفة هي هذه فقط وجهلا بسيرة الاولين واستغراقهم جميع الهم

والفكر والذكر في تطهير القلوب وتساهلهم في امر الظاهر حتى ان عمر رضي الله عنه مع علو
منصبه توضا من ما في جرة نصرانيه وحتى انهم ما كانوا يغسلون اليد عن الدسومات والاطعمه
بل كانوا يمسحون اصابعهم باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان من البدع المحدثه ولقد كانوا يصلون
على الارض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات ومنهم من كان لا يجعل بينه وبين الارض حاجزا
في مضجعه وكان من اكابرهم وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجا وقال ابو هريرة وغيره
من اهل الصفه كنا ناكل الشوا فتقام الصلوة فندخل اصابعنا في الحصا ثم نفركها بالتراب
ونكبر وقال عمر رضي الله عنه ما كنا نعرف الاشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما
كانت مناديلنا بواطن ارجلنا كنا اذا اكلنا الغمر مسحنا بها ويقال اول ما ظهر من البدع بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة المناخل والاشنان والموائد والشبع فكانت عنايتهم كلها
بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلوة في النعلين افضل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزع
نعله في الصلوة اذا اخبره جبريل عليه السلام ان عليها نجاسة وخلع الناس نعالهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم خلعتم نعالكم وقال النخعي في الذين يخلعون نعالهم وددت لو ان
محتاجا جا فاخذها منكرا لخلع النعال فهكذا كان تساهلهم في هذه الامور بل كانوا يمشون في طين
الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد على الارض وياكلون من دقيق البر والشعير
وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون عنه ومن عرق الابل والخيل مع كثرة تمرغها
في النجاسات ولم ينقل قط عن واحد منهم سوال في دقائق هذه النجاسات فهكذا كان تساهلهم
فيها وقد انتهت النوبة الان الى طائفة يسمون الرعونة نظافة ويقولون هي مبنى الدين
فاكثر اوقاتهم في تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر
والعجب والجهل والريا والنفاق ولا يستنكرون ذلك منه ولا يتعجبون عنه ولو اقتصر مقتصر على الا
ستنجا بالحجر او مشى على الارض حافيا او صلى على الارض او على بوارى المسجد من غير سجاده مفروشه
او مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من ادم او توضا من انية عجوز او رجل غير متقشف لا
قاموا عليه القيمة وشددوا عليه النكير ولقبوه بالقذر واخرجوه من زمرتهم واستنكفوا من
مواكلته ومخالطته فسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار
المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه فان قلت افتقول
ان هذه العادات التي احدثها الصوفية في هياتهم ونظافتهم من المحظورات او المنكرات فاقول
حاشا لله ان اطلق القول في ذلك من غير تفصيل ولكني اقول ان هذا التكلف والتنظيف باعداد
الاواني والالات واستعمال غلاف القدم والازار المتقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الاسباب
ان وقع النظر الى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات وقد تقترن بها احوال ونيات تلحقها
تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فاما كونها مباحة في نفسها فلا يخفى اذ صاحبها متصرف بها

فی ماله وبدنه وثیابه فلیفعل به ما یرید اذا لم یکن فیه اضاعة واسراف واما مصیرها منکرا
بجعل ذلک اصل الدین وتفسیر قوله صلی الله علیه وسلم بنی الدین علی النظافة حتی ینکر به
علی من یتساهل تساهل الاولین وان یکون القصد به تزیین الظاهر للخلق وتحسین موقع
نظرهم فان ذلک هو الریا المحظور فیصیر منکرا بهذین الاعتبارین واما کونه معروفا فبان
یکون القصد منه الخیر دون التزین وان لا ینکر علی من یترک ذلک ولا یوخر بسببه الصلوة
عن اوائل الاوقات ولا یشتغل به عن عمل هو افضل منه او عن تعلم علم او غیره فاذا لم
یقترن به شیء من ذلک فهو مباح یمکن ان یجعل قربة بالنیة ولکن لا یتیسر ذلک الا للبطا
لین الذین لو لم یشتغلوا بصرف الاوقات الیه لاشتغلوا بنوم او حدیث فیما لا یعنی فیصیر
شغلهم بذلک اولی لان التشاغل بالطهارات یجدد ذکر الله تعالی وذکر العبادات فلا باس
بذلک اذا لم یخرج الی منکر او اسراف واما اهل العلم والعمل فلا ینبغی ان یصرفوا من اوقاتهم
الیه الا قدر الحاجة والزیادة علی قدر الحاجة منکر فی حقهم وتضییع للعمر الذی هو انفس الجواهر
واعزها فی حق من قدر علی الانتفاع به ولا یتعجب من ذلک فان حسنات الابرار سیئات
المقربین فلا ینبغی للبطال ان یترک النظافة وینکر علی المتصوفة ویزعم انه یتشبه
بالصحابة اذ التشبه بهم فی ان لا یتفرغ لذلک الا لما هو اهم منه کما قیل لداود الطائی لم
لا تسرح لحیتک قال انی اذا لفارغ فلهذا لا اری للعالم ولا للعامل ان یضیع اوقاته فی غسل
الثیاب احترازا من ان یلبس الثیاب المقصورة وتوهما بالقصار تقصیرا فی الغسل
فقد کانوا فی العصر الاول یصلون فی الفرا المدبوغة ولم یعلم فرق بین المدبوغة والمقصورة
فی الطهارة والنجاسة بل کانوا یجتنبون النجاسة اذا شاهدوها ولا یدققون نظرهم
فی استنباط الاحتمالات الدقیقة بل کانوا یتاملون فی دقائق الریا والظلم حتی قال
سفیان الثوری لرفیق له کان یمشی معه فنظر الی باب دار مرفوع معمور لا تنظر الیه
فان الناس لو لم ینظروا الیه لکان صاحبه لا یتعاطی هذا الاسراف فالناظر الیه معین له علی
الاسراف وکانوا یعدون تمام الذهن لاستنباط هذه الدقائق لا فی احتمال هذه النجاسات
فلو وجد العالم عامیا یتعاطی له غسل الثیاب محتاطا فهو افضل فانه بالاضافة الی
التساهل خیر وذلک العامی ینتفع بتعاطیه اذ یشغل نفسه الامارة بالسوء بعمل مباح فی نفسه
فیمتنع علیه المعاصی فی تلک الحال والنفس ان لم تشغل شغلت صاحبها واذا قصد به
التقرب الی العالم صار ذلک عنده من افضل القربات فوقت العالم اشرف من ان یصرفه
الی مثله فیبقی محفوظا علیه واشرف وقت العامی ان یشتغل بمثله فیتوفر الخیر من
الجوانب کلها فلیفطن بهذا المثال لنظائره من الاعمال وترتیب فضائلها ووجه تقدیم
البعض منها علی البعض فتدقیق الحساب فی حفظ لحظات العمر بصرفها الی الافضل اهم

من التدقیق

من الدقيق في اعمال الدنيا كذا فيها واذا عرفت هذه المقدمة فاستبنت ان الطهارة لها
اربع مراتب فاعلم انا في هذا الكتاب لسنا نتكلم الا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر
لانا في الشطر الاول من الكتاب لا نتعرض قصدا الا للظواهر فنقول طهارة الظاهر ثلثة
اقسام طهارة الظاهر عن الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهي
التي تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيره **القسم الاول** في طهارة
الخبث والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والازالة الطرف الاول في المزال وهي النجاسات
والاعيان ثلاثة جمادات وحيوانات واجزا الحيوانات اما الجمادات فطاهرة كلها الا الخمر
وكل منتبذ مسكر والحيوانات طاهرة كلها الا الكلب والخنزير وما تولد منهما او من احدهما
فاذا ماتت فكلها نجسة الا خمسة الادمي والسمك والجراد ودود التفاح وفي معناه كل ما
يستحيل اليه من الاطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفسا وغيرهما فلا ينجس
الما بوقوع شي منها فيه واما اجزا الحيوانات فقسمان احدهما ما يقطع منه وحكمه حكم
الميت والشعر لا ينجس بالجز والموت والعظم ينجس بالموت الثاني الرطوبات الخارجة
من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط
وما له مقر وهو مستحيل فهو نجس الا ما هو مادة الحيوانات ولا يعفى عن شي من هذه
النجاسات قليلها وكثيرها الا عن خمسة الاول اثر النجو بعد الاستجمار بالاحجار فهو
معفو عنه ما لم يعد المخرج الثاني طين الشوارع وغبار الروث في الطرق يعفى
عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب المتلطخ به
الى تفريط او سقطة الثالث ما على اسفل الخف من نجاسة لا يخلو الطرق عنها فيعفى
عنه بعد الدلك للحاجة الرابع دم البراغيث ما قل منه او كثر الا اذا جاوز حد العادة
سوا كان في ثوبك او ثوب غيرك فلبسته الخامس دم البثرات وما يترشح منها من
قيح او صديد ذلك ابن عمر بثرة على وجهه فخرج منها الدم وصلى ولم يغسله وفي معناه
ذلك ما يترشح من الدماميل التي تدوم غالبا فكذلك اثر الفصد الا ما يقع نادرا من خراج
وغيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات التي لا يخلو الانسان عنها في
احواله ومسامحة الشرع في هذه النجاسات الخمسة تعرفك ان امر الطهارات على
التساهل وان ما ابتدع فيها وسوسة لا اصل له الطرف الثاني في المزال به وهو اما جامد
او مائع اما الجامد فحجر الاستنجا وهو مطهر تطهير تجفيف بشرط ان يكون صلبا طاهرا
منشفا غير محترم واما المائعات فلا تزال النجاسة بشي منها الا بالما ولا بكل ما بل با
الطاهر الذي لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه ويخرج الما عن الطهارة
بان يتغير بملاقات النجاسة طعمه او لونه او ريحه فان لم يتغير وكان قريبا من [illegible]

قلتين

وحسين نا وهو خمسمايه رطل بطل العراق لم يتنجس لقوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ الما
لم يحمل خبثا وما كان دونه صار نجسا عند الشافعي رحمه الله تعالى هذا في الما الراكد اما الجاري
اذا تغير بالنجاسة فالجريه المتغيره نجسه دون ما فوقها وما تحتها لان الجريات الما متفاصله
وكذا النجاسة الجاريه اذا اجريت بجري الما فالنجس موقعها من الما وما عن يمينها وشمالها
اذا انقاص عن قلتين وان كان جري الما اقوى من جري النجاسه فما فوق النجاسة
طاهر وما تحتها نجس وان تباعد وكثر الا اذا اجتمع في حوض قدر قلتين واذا اجتمع
قلتان من ما نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق هذا مذهب الشافعي وكنت اود ان
يكون مذهبه مثل مذهب مالك في ان الما وان قل فلا ينجس الا بالتغير اذ الحاجة ماسه
اليه ومثار الوسواس اشتراط القلتين ولاجله شق على الناس ذلك وهو لعمري
سبب المشقة ويعرفه من يجربه ويتامله ومما لا شك فيه ان ذلك وهو لعمري
لو كان مشروطا لكان اولى المواضع بتعسر الطهارة مكه والمدينه اذ لا يكثر بها المياه
الجاريه ولا الراكده الكثيرة ومن اول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آخر عصر
الصحابة رضي الله عنهم لم ينقل واقعة في الطهاره ولا سوال عن كيفية حفظ الما عن
النجاسة وكانت اواني مياههم يتعاطيها الصبيان والاماء والذين لا يحترزون عن
النجاسات وقد توضا عمر رضي الله عنه بما في جره نصرانيه وهذا كالصريح فانه
لم يعول الا على عدم تغير الما والا فنجاسة جره نصرانيه وهذا كالصريح النصرانيه
وانائها غالب يعلم بظن قريب فاذا عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السوال
في تلك الاعصار دليل اول وفعل عمر دليل ثاني والدليل الثالث اصغا رسول الله
صلى الله عليه وسلم الانا للهرة وعدم تغطيتهم الاواني منها بعد ان يرى انها تاكل
الفاره ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنانير فيها ولم تكن تنزل في الابارق
الرابع ان الشافعي نص على ان غسالة النجاسه طاهره اذا لم تتغير ونجس اذا تغير
واي فرق بين ان يلاقي الما النجاسه بالورود عليها فوقها او بورودها عليه واي
معنى لقول القائل ان قوة الورود ترفع النجاسة مع ان الورود لم يمنع مخالطة
النجاسة وان احيل ذلك على الحاجة ايضا ماسة اليه ههنا فلا فرق بين طرح الما
في اجانه وفيها ثوب نجس وطرح الثوب النجس في الاجانه وفيها ما وكل ذلك
معتاد في غسل الثياب والاواني الخامس انهم كانوا يستنجون على اطراف المياه الجاريه
القليله ولا خلاف في مذهب الشافعي انه اذا وقع بول في ما جار ولم يتغير انه يجوز
التوضي به وان كان قليلا واي فرق بين الجاري والراكد وليت شعري الحوالة على
عدم التغير اولى او على قوة الما بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة اتجري في المياه الجاريه

في اباريق

في انابيب الحمامات لان لم يجر فما العرف وان جرى فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع
في مجرى الماء من الاواني على الابدان وهي ايضا جارية فما لمن البول اشد اختلاطا بالماء الجاري
من نجاسة جامدة ثابتة اذ قضى بان ما يجري عليها وان لم يتغير نجس الا ان يجتمع في مستنقع
قلتان فاي فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط اشد من الجواب السادس انه اذا وقع
رطل من البول في قلتين من ماء ثم فرقنا فكل كوز يغترف منه طاهر ومعلوم ان البول منتشر
فيه وهو قليل فليت شعري بم تعليل طهارته بعدم التغير اولا وبقوة كثرة الماء بعد انقطاع
الكثرة منه والهاجم تحقق بقاء اجزاء النجاسة فيه السابع ان الحمامات لم تزل في الاعصار الخالية
يتوضأ فيها المتقشفون ويغمسون الايدي والاواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بان
الايدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليه فهذه الامور مع الحاجة الشديدة تقوي في النفس
انهم كانوا ينظرون الى عدم التغير معولين على قوله صلى الله عليه وسلم خلق الماء طهورا لا ينجسه
شيء الا ما غير طعمه او ريحه او لونه وهذا فيه تحقيق وهو ان طبع كل مائع ان يقلب الى صفة نفسه
كل ما يقع فيه وان كان مغلوبا من جهته فكما ان الكلب يقع في المملحة فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته
لصيرورته ملحا وزوال الصفة الكلبية عنه وكذلك الخل يقع في الماء واللبن يقع منه وهو قليل فيبطل
صفته ويتصور بصفة الماء وينطبع بطبعه الا اذا كثر وغلب ويعرف غلبته بغلبة طعمه او لونه او ريحه
فهذا هو المعيار وقد اشار الشرع اليه في الماء القوي على ازالة النجاسة وجدير بان يعول
عليه ويندفع به الحرج ويظهر به معنى كونه طهورا اذ يغلب عليه فيطهره كما صار كذلك فيما بعد
القلتين وفي الغسالة وفي الماء الجاري وفي اصغاء الاناء للهرة ولا تظنن ان ذلك عفو اذ لو كان كذلك
لكان كاثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقي له نجسا بل لا ينجس بالغسالة ولا بولوغ
السنور في الماء القليل واما قوله صلى الله عليه وسلم لا يحمل خبثا فهو في نفسه مبهم فانه يحمل
اذا تغير فان قيل انه اراد به اذا لم يتغير فيمكن ان يقال اراد به انه في الغالب لا يتغير بالنجاسات
المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما اذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم باقل من الادلة التي ذكرناها
ممكن وقوله لا يحمل خبثا ظاهر في نفي الحمل اي يقلبه الى صفة نفسه كما يقال المملحة لا تحمل كلبا ولا غيره
اي يقلبه وذلك لان الناس قد يستنجون في المياه القليلة في الغدران ويغمسون الاواني
النجسة فيها ثم يترددون في انها هل تغيرت تغيرا مؤثرا ام لا فتبين انه اذا كان قلتين لا
يتغير بهذه النجاسات فان قيل قد قال لا يحمل خبثا ومهما كثرت حملها فهذا نقض عليك
فانها مهما كثرت حملها ايضا حكما كما حملها حسا فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين
جميعا وعلى الجملة فيه في امر النجاسات الى المساهلة فيها من سيرة الاولين وحسما لمادة الوسواس
ولذلك افتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه من هذه المسائل الطرف الثالث في كيفية الازالة فا
لنجاسة ان كانت حكمية وهي التي ليس لها جرم محسوس فيكفي اجراء الماء على جميع مواردها وان كانت عينية

فلا بد من ازالة العين وبقا الطعم يدل على بقا العين وكذا بقا اللون الا فيما يلتصق به فهو معفو
عنه بعد الحت والقرص واما الرايحة فانها فيدل بقاها على بقا العين ولا يعفى عنها الا اذا كان
الشي له رايحة يعسر ازالتها فالدلك والعصر مرات متواليات يقوم مقام الحت والقرص في اللون
والمزيل للوسواس ان يعلم ان الاشيا خلقت طاهرة بيقين فما لا يشاهد عليه نجاسة ولا يعلمها
يقينا فيصلي معه ولا ينبغي ان يتوصل بالاستنباطات الى تقدير النجاسات **القسم الثاني**
طهارة الاحداث ومنها الوضو والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجا فنورد كيفيتها على الترتيب
مع ادابها وسننها مبتدين بسبب الوضوء وهو قضا الحاجة **اداب** قضا الحاجة ينبغي
ان يبعد عن اعين الناظرين في الصحرا وان يستتر بشي ان وجده وان لا يكشف عورته قبل
الانتها الى موضع الجلوس وان لا يستقبل الشمس والقمر وان لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها
الا اذا كان في بنا والعدول ايضا عنها في البنا احب وان استتر في الصحرا براحلته جاز وكذلك بذيله
وان يتقي الجلوس في متحدث الناس وان لا يبول في الما الراكد ولا تحت الشجر المثمر ولا في الجحر وان
يتقي الموضع الصلب ومهاب الرياح في البول استنزاها من رشاشه وان يتكي في جلوسه على الرجل
اليسرى وان كان في بنيان فيقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج ولا يبول قايما قالت
عايشة رضي الله عنها من حدثكم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول قايما فلا تصدقوه وقال
عمر رضي الله عنه راني النبي صلى الله عليه وسلم وانا ابول قايما فقال يا عمر لا تبل قايما وفيه
رخصة لما روى حذيفة انه صلى الله عليه وسلم بال قايما قال فاتيته بوضوء فتوضا ومسح على
خفيه ولا يبول في المغتسل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة الوسواس منه وقال ابن المبارك
ان كان الما جاريا فلا باس ولا يستصحب شيا عليه اسم الله عز وجل واسم رسوله صلى الله عليه وسلم
ولا يدخل بيت الما حاسر الراس وان يقول عند الدخول بسم الله اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث
المخبث الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذي اذهب عني ما يوذيني وابقى علي ما ينفعني وان يعد النبل
قبل الجلوس وان لا يستنجي بالما في موضع الحاجة وان يستبري من البول بالتنحنح
والنتر ثلثا وامرار اليد على اسفل القضيب ولا يكثر التفكر في الاستبرا فيتو
سوس ويشق عليه الامر وما يحس به من بلل فليقدر انه بقية الما فان كان
يوذيه ذلك فليرش عليه الما حتى يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط عليه
الشيطان بالوسواس وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم فعله اعني رش
الما وقد كان اخفهم استبرا افقههم والوسوسة تدل على قلة الفقه
وفي حديث سلمان رضي الله عنه علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل
شي حتى الخراة امرنا ان لا نستنجي بعظم ولا روث ونهانا ان نستقبل القبلة
بغايط او بول وقال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه انك لا

تحسن الخراة

تحسن الخراءة فقال بلى وابيكما انى بها لحاذق ابعد الاثر واعد المدر واستقبل الشيح واستدبر
الريح واقعي اقعاء الظبي واجفل اجفال النعام الشيح نبت طيب الرائحة بالبادية والاقعاء هنا
ان يستوفز على صدور قدميه والاجفال ان يرفع عجزه ومن الرخصة ان يبول الانسان قريبا
من صاحبه مستترا عنه فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم مع شدة حيائه ليبين للناس
كيفية الاستنجاء يستنجي لمقعدته بثلثة احجار فان انقى كفى والا استعمل رابعا فان انقى والا
استعمل خامسا لان الايتار مستحب قال صلى الله عليه وسلم من استجمر فليوتر ويأخذ الحجر بيساره و
يضعه على مقدم المقعد قبل موضع النجاسة ويمره بالمسح والادارة الى المؤخر ويأخذ الثاني
ويضعه على المؤخر كذلك ويمره الى المقدمة ويأخذ الثالث فيديره حول المسربة ادارة وان عسرت
الادارة ومسح من المقدمة الى المؤخر اجزأه ثم يأخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح
الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلثا في ثلثة مواضع او في ثلثة احجار او في ثلثة مواضع من
جدار الى ان لا يرى الرطوبة في محل المسح فان حصل ذلك بمرتين اتى بالثالثة ووجب ذلك ان اراد
الاقتصار على الاحجار وان حصل بالرابعة استحب الخامسة للايتار ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع
اخر ويستنجي بالماء بان يفيضه باليمنى على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى اثر يدركه الكف
بحس اللمس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس وليعلم ان كل ما لا
يصل اليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة ما لم تظهر وكل ما هو ظاهر
وثبت له حكم النجاسة فحد طهوره ان يصل الماء اليه فيزيله فلا معنى للوسواس ويقول عند
الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش ويدلك يده بحائط
او بالارض ازالة للرائحة ان بقيت والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روي انه لما نزل قوله تعالى
فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قبا
ما هذه الطهارة التي اثنى الله بها عليكم قالوا نجمع بين الماء والحجر كيفية الوضوء فاذا
فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله صلى الله قط خارجا من الغائط الا توضأ ويبدي
بالسواك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان افواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك وينبغي
ان ينوي عند السواك تطهير فمه لقراءة الفاتحة وذكر الله تعالى في الصلوة وقال صلى الله عليه وسلم
لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلوة وقال صلى الله عليه وسلم صلوة على اثر سواك افضل
من خمس وسبعين صلوة بغير سواك وقال صلى الله عليه وسلم ما لي اراكم تدخلون علي قلحا
استاكوا اي صفر الاسنان وكان صلى الله عليه وسلم يستاك في الليلة مرارا وعن ابن عباس انه قال
لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب وقال علي بن
ابي طالب رضي الله عنه السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يروحون والسواك على اذانهم وكيفيته ان يستاك بعود الاراك او غيره من قضبان الاشجار

قضبان

مما يخشى ويزيل القلح وينال عرضا وطولا فان اقتصر فعرضا ويستحب السواك عند كل صلوة وعند كل
وضوء وان لم يصل عقيبه وعند تغير النكهة بالنوم او طول الازم وهو الامساك عن الكلام او اكل ما
ماكره رائحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء ويقول بسم الله الرحمن الرحيم
قال صلى الله عليه وسلم لا وضوء لمن لم يسم الله عليه اي لا وضوء كاملا ويقول عند ذلك رب اعوذ بك
من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ثم يغسل يديه ثلثا قبل ان يدخلهما الاناء ويقول
اللهم اني اسئلك اليمن والبركة واعوذ بك من الشوم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث او استباحة
الصلوة ويستصحب النية الى غسل الوجه فان نسيها عند الوجه لم يجزه ثم ياخذ غرفة لفيه فيتمضمض
بها ثلثا ويغرغر بان يرد الماء الى الغلصمة الا ان يكون صائما فيرفق ويقول اللهم اعني على تلاوة كتابك
وكثرة الذكر لك ثم ياخذ غرفة لانفه ويستنشق ثلثا ويصعد الماء بالنفس الى خياشيمه ويستنثر
ما فيه ويقول في الاستنشاق اللهم اوجدني رائحة الجنة وانت عني راض وفي الاستنثار اللهم
اني اعوذ بك من روايح النار ومن سوء الدار لان الاستنشاق ايصال والاستنثار ازالة ثم يغترف
غرفة لوجهه ويغسل من مبتدا تسطيح الجبهة الى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الاذن
الى الاذن في العرض ولا يدخل في حد الوجه النزعتان اللتان على طرفي الجبينين فهما من الراس
ويوصل الماء الى موضع التحذيف وهو ما يعتاده النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع
في جانب الوجه مهما وضع طرف الخيط على راس الاذن والطرف الثاني على زاوية الجبين ويوصل
الماء الى منابت الشعور الاربعة الحاجبين والشاربان والاهداب والعذاران لانها خفيفة في الغالب
والعذاران هما ما يوازي الاذنين من مبتدا اللحية ويجب ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة
اعني ما يقبل من الوجه واما الكثيفة فلا وحكم العنفقة حكم اللحية في الكثافة والخفة ثم يفعل
ذلك ثلثا ويفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الاصبع في محاجر العينين و
هو موضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما فقد روي انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ويامل
عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده اللهم بيض وجهي بنورك
يوم تبيض وجوه اوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه اعدائك ويخلل اللحية
عند غسل الوجه فهو مستحب ثم يغسل يديه الى مرفقيه ثلثا ويحرك الخاتم ويطيل الغرة
ويرفع الماء الى اعلى العضدين فانهم يحشرون يوم القيمة غرا محجلين من اثار الوضوء كذلك ورد
الخبر قال صلى الله عليه وسلم من استطاع ان يطيل غرته فليفعل وروي ان الحلية تبلغ مواضع
الوضوء ويبتدي باليمين فيقول اللهم اعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا ويقول
عند غسل الشمال اللهم اني اعوذ بك ان تعطيني كتابي بشمالي او من وراء ظهري ثم يستوعب
راسه بالمسح بان يبل يديه ويلصق رؤس الاصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدمة الراس و
يمدهما الى القفا ثم يردهما الى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلثا ويقول اللهم غشني

برحمتك

رحمتك وانزل علي من بركاتك واظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما و
باطنهما بماء جديد بان يدخل مسبحتيه في صماخ اذنيه ويدير ابهاميه على ظاهر اذنيه ثم يضع كفيه
على اذنيه استظهارا ويكرره ثلثا ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه اللهم اسمعني منادي الجنة مع الابرار ثم يمسح رقبته لقوله صلى الله عليه وسلم مسح الرقبة
امان من الغل يوم القيمة ويقول اللهم فك رقبتي من النار واعوذ بك من السلاسل والاغلال
ثم يغسل رجله اليمنى ثلثا ويخلل باليد اليسرى من اسفل اصابع الرجل اليمنى ويبدا بالخنصر من
الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الاقدام
في النار ويقول عند غسل اليسرى اللهم اني اعوذ بك ان تزل قدمي عن الصراط يوم تزل اقدام
المنافقين في النار ويرفع الماء الى انصاف الساقين فاذا فرغ رفع راسه الى السماء وقال اشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا
انت عملت سوءا وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفر لي ذنوبي وتب علي انك انت التواب الرحيم
اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني
صبورا شكورا واجعلني اذكرك ذكرا كثيرا واسبحك بكرة واصيلا يقال من قال هذا بعد الوضوء ختم
على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم
القيمة ويكره في الوضوء امور منها ان يزيد على الثلث وان يسرف في الماء توضا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلثا ثلثا وقال من زاد فقد ظلم واساء وقال صلى الله عليه وسلم سيكون قوم من هذه
الامة يعتدون في الدعاء والطهور ويقال من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الطهور وقال ابرا
هيم بن ادهم يقال اول ما يبتدي الوسواس من قبل الطهور وقال الحسن ان شيطانا يضحك
بالناس في الوضوء يقال له الولهان ويكره ان ينفض اليد فيرش الماء وان يتكلم في اثنا وضوئه و
يلطم وجهه بالماء لطما وكره قوم التنشف وقالوا الوضوء يوزن قال سعيد بن المسيب والزهري
ولكن روى معاذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح وجهه بطرف ثوبه وروت عايشة
رضي الله عنها انه كان له منشفة ولكن طعن في هذه الرواية عن عايشة ويكره ان يتوضا من انا
صفر وان يتوضا بالماء المشمس وذلك من جهة الطب وقد روي عن ابن عمر وابي هريرة كراهية
الانية الصفرية وقال بعضهم اخرجت لشعبة ماء في اناء صفر فابى ان يتوضا ونقل كراهية ذلك
عن ابن عمر ومهما فرغ من وضوئه واقبل على الصلوة فينبغي ان يخطر بباله انه طهر ظاهره وذلك
موضع نظر الخلق فينبغي ان يستحي من مناجات الله تعالى من غير تطهير القلب وهو موقع نظر الرب
عز وجل وليتحقق ان طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الاخلاق الذميمة وان من اقتصر على الطها
الظاهر كان كمن اراد ان يدعو ملكا الى بيته فتركه مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص
ظاهر الباب البراني من الدار وما اجدر من هذا حاله بالتعرض بالمقت والبوار فضيلة الوضوء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فاسبغ الوضوء وصلى الله عليه وسلم من توضأ
ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وفي لفظ
آخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بما يكفر الله
به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء في المكاره ونقل الاقدام الى المساجد و
انتظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط وتوضأ صلى الله
عليه وسلم مرة مرة فقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به وتوضأ مرتين مرتين وقال
من توضأ مرتين مرتين آتاه الله اجره مرتين وتوضأ ثلثا ثلثا وقال هذا وضوئي ووضوء
الانبياء قبلي ووضوء ابراهيم وقال صلى الله عليه وسلم من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده
كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما اصاب الماء وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ على
طهر كتب الله له به عشر حسنات وقال عليه السلام الوضوء على الوضوء نور على نور وهذا
حث على تجديد الوضوء وقال عليه السلام اذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا
من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من انفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه
حتى تخرج من اشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من
تحت اظفار يديه فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من اذنيه
فاذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت اظفار رجليه ثم كان
مشيه الى المسجد وصلاته نافلة له ويروى ان الطاهر كالصائم وقال صلى الله
عليه وسلم من توضأ فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب الجنة يدخل من ايها
شاء وقال عمر رضي الله عنه ان الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع
ان لا يبيت الا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل فان الارواح تبعث على ما قبضت عليه
كيفية الغسل وهو ان يضع الاناء عن يمينه ثم يسمي الله تعالى ويغسل يديه ثلثا ثم
يستنجي كما وصفنا ويزيل ما على بدنه من نجاسة ان كانت ثم يتوضأ وضوءه للصلوة كما سبق
الا غسل قدميه فانه يؤخرهما فان غسلهما ثم وضعهما على الارض كان اضاعة للماء ثم يصب
الماء على شقه الايمن ثلثا ثم على شقه الايسر ثلثا ثم على رأسه ثلثا ثم يدلك ما اقبل من بدنه
وما ادبر ويخلل شعر الرأس واللحية ويوصل الماء الى منابت ما كثف منه او خف وليس على المرأة
نقض الظفائر الا اذا علمت ان الماء لا يصل الى خلال الشعور ويتعهد معاطف البدن وليتق
ان يمس ذكره في اثناء ذلك فان فعل ذلك فليعد الوضوء وان توضأ قبل الغسل فلا يعيده بعد
الغسل فهذه سنة الوضوء والغسل ذكرنا منها ما لا بد لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله وما عدا
ذلك من المسائل يحتاج اليها في عوارض الاحوال فيرجع فيها الى كتب الفقه والواجب من جملة ما

ذكرناه

ذكرنا في الغسل ازالة النجاسة واستيعاب البدن بالغسل ومن الوضوء النية وغسل الوجه وغسل
اليدين الى المرفقين ومسح ما ينطلق عليه الاسم من الراس وغسل الرجلين الى الكعبين والترتيب
اما الموالاة فليست واجبة والغسل الواجب اربعة الغسل لخروج المني ولالتقاء الختانين
وللحيض والنفاس وما عداه من الاغسال كالغسل للجمعة والعيدين والاحرام وللوقوف
بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة وثلثة اغسال مستحبة ايام التشريق ولطواف الوداع على قول
والكافر اذا اسلم غير جنب والمجنون اذا افاق ولمن غسل ميتا فكل ذلك مستحب كيفية التيمم
من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب او لمانع عن الوصول اليه من سبع او حابس او كان
الماء الحاضر يحتاج اليه لعطشه او عطش رفيقه او كان ملكا للغير ولم يبع منه الا باكثر من
ثمن مثله او كان به جراحة او مرض وخاف من استعماله فساد العضو او شدة الضنا فينبغي ان
يصبر عليه حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص
لين بحيث يثور منه غبار ويضرب عليه كفيه ضاما بين اصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة
واحدة وينوي عنده استباحة الصلاة ولا يتكلف ايصال الغبار الى ما تحت الشعور خفت
او كثفت ويجتهد ان يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فان عرض
الوجه لا يزيد على عرض الكفين ويكفي في الاستيعاب غالب الظن ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة
ثانية يفرج بها بين اصابعه ثم يلصق ظهور اصابع يده اليمنى ببطون اصابع يده اليسرى
بحيث لا يجاوز اطراف الانامل من احدى الجهتين عرض المسبحة من الاخرى ثم يمر يده اليسرى
من حيث وضعها على ظاهر ساعده اليمنى الى المرفق ثم يقلب بطن كفه اليسرى على بطن ساعده
اليمنى ويمرها الى الكوع ويمر بطن ابهامه اليسرى على ظهر ابهامه اليمنى ثم يفعل باليد اليسرى
كذلك ثم يمسح كفيه ويخلل بين اصابعه والغرض من هذا التكليف تحصيل الاستيعاب الى المرفقين بضربة
واحدة فان شق عليه ذلك فلا باس ان يستوعب بضربتين او بزيادة واذا صلى الفرض فله ان يتنفل كيف
شاء فان جمع بين فرضين فينبغي ان يعيد التيمم للثانية وهكذا لكل فريضة يتيمم والله
اعلم القسم الثالث من الطهارة التنظيف عن الفضلات الظاهرة وهي نوعان اوساخ
واجزاء النوع الاول الاوساخ والرطوبات المترشحة وهي ثمانية الاول ما يجتمع في شعر
الراس من الدرن والقمل فالتنظيف عنه مستحب بالغسل والترجيل والتدهين ازالة
للشعث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ويرجله غبا ويامر به ويقول ادهنوا
غبا وقال صلى الله عليه وسلم من كانت له شعرة فليكرمها اي ليصنها عن الاوساخ ودخل عليه رجل
ثائر الشعر اشعث اللحية فقال اما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل احدكم كانه
شيطان الثاني ما يجتمع من الوسخ في معاطف الاذن والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع
في قعر الصماخ فينبغي ان ينظف برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة ذلك ربما يضر بالسمع الثالث

ما يجتمع في داخل الانف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه ويزيلها الاستنشا
والاستنثار الرابع ما يجتمع على الاسنان واطراف اللسان من القلح ويزيله السواك
والمضمضة وقد ذكرناهما الخامس ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل اذا لم
يتعهد ويستحب ازالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط وفي الخبر المشهور انه صلى الله
عليه وسلم كان لا يفارقه المشط والمدرى في سفر ولا حضر وهي سنة العرب وفي خبر
غريب انه كان صلى الله عليه وسلم يسرح لحيته في اليوم مرتين وكان صلى الله عليه وسلم
كث اللحية وكذلك كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه وكان عثمان رضي الله عنه
طويل اللحية رقيقها وكان علي رضي الله عنه عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه
وفي حديث اغرب منه قالت عائشة رضي الله عنها اجتمع قوم بباب رسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فرايته يطلع في الحب يسوي من راسه ولحيته
فقلت وتفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب من عبده ان يتجمل
لاخوانه اذا خرج اليهم والجاهل ربما يظن ان ذلك من حب التزين للناس قياسا
على اخلاق غيره وتشبيها للملائكة بالحدادين وهيهات فقد كان صلى الله عليه وسلم
مامورا بالدعوة وكان من وظائفه ان يسعى في تعظيم امره في قلوبهم كيلا
تزدريه نفوسهم وتحسين صورته في اعينهم كيلا تستصغره اعينهم فينفرهم
ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى
لدعوة الخلق الى الله تعالى وهو ان يراعي من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه والا
عتماد في مثل هذه الامور على النية فانها اعمال في انفسها تكتسب الاوصاف من المقصود
فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث في اللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة
بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو اهم منه محبوب وهذه احوال باطنة بين العبد
وبين الله تعالى والناقد بصير والتلبيس عليه غير رائج وكم من جاهل
يتعاطى هذه الامور التفاتا الى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم
ان قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون ان
قصدهم ارغام المبتدعة والمخالفين والتقرب الى الله تعالى به وهذا امر ينكشف
يوم تبلى السرائر ويوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور فعند ذلك تتميز
السبيكة الخالصة من البهرجة فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر السادس
وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الانامل كانت العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل
الايدي عقيب الطعام فيجتمع في تلك الغضون وسخ فامرهم صلى الله عليه وسلم بغسل
البراجم السابع تنظيف الرواجب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك العرب

وهي رؤس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ لانها كانت لا يحضرها المقراض في كل وقت
فيجتمع فيها اوساخ فوقت عليه الصلوة والسلام لهم قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة
اربعين يوما لكنه امر بتنظيف ما تحت الاظفار وجاء في الاثر ان النبي صلى الله عليه وسلم استبطا الوحي
فلما هبط عليه جبريل عليه السلام قال له كيف ننزل عليكم وانتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون
رواجبكم وقلحا لا تستاكون مر امتك بذلك والاف وسخ الظفر والتف وسخ الاذن وقوله تعالى ولا تقل
لهما اف اي لا تعبهما بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تتاذ بهما كما تتاذى بما تحت الظفر من الوسخ
الثامن الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام ولا باس
بدخول الحمام دخل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت
الحمام يطهر البدن ويذكر النار روي ذلك عن ابي الدرداء وابي ايوب الانصاري رضي الله عنهما
وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحيا فهذا تعرض لافته وذاك تعرض لفائدته
ولا باس بطلب فائدته عند الاحتراز عن افته ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات
فعليه واجبان في عورته وواجبان في عورة غيره اما الواجبان في عورته فذلك ان يصونها
عن نظر الغير ويصونها من مس الغير فلا يتعاطى امرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدالك
من مس الفخذ وما تحت السرة الى العانة وفي اباحة مس الغير فلا يتعاطى امرها وازالة و
مس ما ليس بسوءة لازالة الوسخ احتمال ولكن الاقيس التحريم اذ الحق مس السوءتين في التحريم بالنظر
فكذلك ينبغي ان يكون بقية العورة اعني الفخذ والواجبان في عورة الغير ان يغض بصره عنها
وان ينهى عن كشفها لان النهي عن المنكر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولا يسقط
عنه وجوب الذكر الا لخوف ضرب او شتم او ما يجري عليه مما هو حرام في نفسه وليس عليه ان ينكر
حراما يرهق المنكر عليه الى مباشرة حرام اخر فاما قوله اعلم ان ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون
عذرا بل من الذكر فلا يخلو قلب عن التاثير بسماع الانكار واستشعار الاحتراز عند التعيير
بالمعاصي وذلك يؤثر في تقبيح الامر في عينه وتنفير نفسه عنه فلا يجوز تركه ولمثل هذا صار
الحزم ترك دخول الحمام في هذه الاوقات اذ لا يخلو عن عورات مكشوفة لا سيما ما تحت السرة الى
ما فوق العانة اذ الناس لا يعدون ذلك عورة وقد الحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحريم
لها ولهذا يستحب تخلية الحمام قال بشر بن الحارث رحمه الله ما اعنف رجلا لا يملك الا درهما دفعه
ليخلى له الحمام وروي ابن عمر في الحمام ووجهه الى الحائط وقد عصب عينيه بعصابة وقال بعضهم
لا باس بدخول الحمام ولكن بازارين ازار للعورة وازار للراس يتقنع به ويحفظ عينيه واما السنن
فعشرة فالاول النية وهي ان لا يدخل لعاجل دنيا ولا عابثا لاجل هوى بل يقصد به التنظيف
المحبوب تزينا للصلوة ثم يعطي الحمامي الاجرة قبل ان يدخل فان ما يستوفيه مجهول وكذا ما ينتظره
الحمامي فتسليم الاجرة دفع للجهالة من احد العوضين وتطييب لنفسه ثم يقدم رجله اليسرى
عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بالله من الرجس النجس

الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ثم يدخل وقت الخلوة او يتكلف تخلية الحمام فانه وان لم يكن في الحمام الا اهل الدين والمحتاطين للعورات فالنظر الى الابدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء وذلك مذكر للتامل في العورات ثم لا يخلو الناس في الحركات عن انكشاف العورات بما ينعطف في اطراف الازار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ولذلك عصب ابن عمر رضي الله عنه عينيه ويغسل جناحيه عند الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق في البيت الاول وان لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه المأذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامي لكرهه لا سيما الماء الحار وله مؤنة وفيه تعب فان يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقيسه الى جهنم فانه اشبه شيء بجهنم النار من تحت والظلام من فوق نعوذ بالله من ذلك بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة في كل لحظة فانها مستقره ومصيره فيكون له في كل ما يراه من ماء او نار او غيرهما عبرة او موعظة فان المرء ينظر بحسب همته فاذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك دارا معمورة مفروشة فاذا تفقدهم رأيت البزاز ينظر الى الفرش يتأمل قيمتها والحائك ينظر الى الثياب يتأمل نسجها والنجار الى السقف يتأمل كيفية تركيبها والبناء الى الحيطان يتأمل كيفية احكامها واستقامتها فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى شيئا من الاشياء الا ويكون له موعظة وذكرى للآخرة بل لا ينظر الى شيء الا ويفتح الله له طريق عبرة فان نظر الى سواد تذكر ظلمة اللحد وان نظر الى حية تذكر افاعي جهنم وان نظر الى صورة قبيحة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية وان سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور وان رأى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة رد او قبول في سوق او دار تذكر ما ينكشف من آخر امره بعد الحساب من الرد والقبول وما اجدر بان يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل اذ لا يصرفه عنه الا مهمات الدنيا فاذا نسب مدة المقام في الدنيا الى مدة المقام في الآخرة فاستحقرها ان لم يكن ممن اشتد على قلبه واعميت بصيرته ومن السنن ان لا يسلم عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره وان احب قال عافاك الله ولا بأس بان يصافح الداخل ويقول عافاك الله لابتداء الكلام ولا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن الا سرا ولا بأس باظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشائين وقريبا من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا بأس بان يدلكه غيره فقد نقل عن يوسف بن اسباط انه اوصى بان يغسله انسان لم يكن من اصحابه وقال انه دلكني في الحمام مرة فاردت ان اكافيه بما يفرح به وانه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا في بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله فقال ان الناقة تقحمت بي ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله تعالى على هذه النعمة فقد قيل الماء الحار في الشتاء من النعيم

الدر

الذي يسال الله عنه وقال ابن عمر رضي الله عنهما الحمام من النعيم الذي احدثوه هذا من جهة
الشرع اما من جهة الطب فقد قال الحمام بعد النورة امان من الجذام وقيل ان النورة في كل
شهر مرة تطفي الحرارة وتزيد في الجماع وقيل بوله قائما في الحمام في الشتا انفع من شربة
دوا وقيل نومه في الصيف بعد الحمام تعدل شربة دوا وغسل القدمين بما بارد بعد الخروج
من الحمام امان من النقرس ويكره صب الماء البارد على الراس عند الخروج وكذلك شربه هذا
حكم الرجال اما النسا فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يحل للرجل ان يدخل حليلته الحمام وفي
البيت مستحم والمشهور انه حرام على الرجال دخول الحمام الا بمئزر وحرام على المراة دخول
الحمام الا نفسا او مريضة وقد دخلت ام المومنين رضي الله عنها حمامات الشام فان دخلت
لضرورة فلا تدخل الا بازار سابغ ويكره للرجل ان يعطيها اجرة الحمام فيكون معينا لها على
المكروه والله اعلم النوع الثاني مما يختص بالابدان من الاجزا وهي ثمانية الاول شعر
الراس ولا باس بحلقه لمن اراد التنظيف ولا باس بتركه لمن يدهنه ويرجله الا اذا تركه قزعا
قطعا فذلك داب اهل الشطارة او ارسل الذوايب على هيئة اهل الشرف حيث صار ذلك
شعارا لهم فانه اذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبيسا الثاني شعر الشارب وقال صلى الله عليه وسلم
قصوا الشوارب وفي لفظة آخر جزوا الشوارب وفي لفظ احفوا الشوارب واعفوا اللحا
اي اجعلوها حفاف الشفة اي حولها وحفاف الشي حوله ومنه قوله تعالى وترى الملايكة
حافين من حول العرش وفي لفظ آخر احفوا وهذا يشعر بالاستيصال وقوله حفوا يدل
على ما دون ذلك قال الله تعالى ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا اي يستقصي عليكم واما الحلق
فلم يرد والاحفا القريب من الحلق نقل عن الصحابة نظر بعض التابعين الى رجل شاربه
فقال ذكرتني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المغيرة بن شعبة نظر الي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربي فقال تعال فقصه لي على سواك ولا باس بترك
سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره لان ذلك لا يستر
الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام اذ لا يصل اليه وقوله صلى الله عليه وسلم اعفوا اللحا اي كثروها
وفي الخبر ان اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلما
الحلق وراوه بدعة الثالث شعر الابط ويستحب نتفه في كل اربعين يوما مرة وذلك
سهل على من تعوده في الابتدا فاما من تعود الحلق فيكفيه الحلق اذ في النتف تعذيب
والالم والمقصود النظافة وان لا يجتمع الوسخ في خلله ويحصل ذلك بالحلق الرابع شعر
العانة ويستحب ازالة ذلك اما بالحلق او بالنورة ولا ينبغي ان يتاخر عن اربعين يوما
الخامس الاظفار وتقليمها مستحب لشناعة صورتها اذا طالت ولما يجتمع فيها من
الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة اقلم ظفرك فان الشيطان يقعد

على حال منهما ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء لانه لا يمنع وصول الما ولانه
يتساهل فيه للحاجة لا سيما في اظفار الرجل وفي الاوساخ التي تجتمع على البراجم وظهور
الارجل والايدي من العرب واهل السواد وكان صلى الله عليه وسلم يامرهم بالقلم وينكر ما
يرى تحت اظفارهم من الاوساخ ولم يامرهم باعادة الصلوة ولو امر بذلك لكان فيه
فايدة اخرى وهو التغليظ والزجر عن ذلك ولم ار في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم
الاظفار ولكن سمعت انه صلى الله عليه وسلم بدا بمسبحة اليمنى وختم بابهامه اليمنى
وابتدا في اليسرى بالخنصر الى الابهام وفي اليمنى من المسبحة الى الخنصر والختم بابهام اليمنى
ولما تاملت في هذا خطر لي من المعنى ما يدل على ان الرواية فيه صحيحة اذ مثل هذا المعنى لا
ينكشف ابتدا الا بنور النبوة واما العالم ذو البصيرة فغايته ان يستنبطه من العقل
بعد نقل الفعل اليه فالذي لاح لي فيه والعلم عند الله تعالى انه لا بد من قلم اظفار اليد
والرجل واليد اشرف من الرجل فيبدا باليد ثم اليمنى اشرف من اليسرى فيبدا بها ثم
على اليمنى خمس اصابع والمسبحة اشرفها اذ هي المشيرة في كلمتي الشهادة من جملة
الاصابع ثم بعدها ينبغي ان يبدا بما على يمينها اذ الشرع يستحب ادارة الطهور وغيره
على اليمين وان وضعت ظهر اليد على الارض فالابهام هو اليمين وان وضعت
الكف فالوسطى هي اليمين واليد اذا تركت بطبعها كان الكف مائلا الى جهة الارض
اذ جهة حركة اليمنى الى اليسار واستتمام الحركة الى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا
فما يقتضيه الطبع اولى ثم اذا وضعت الكف على الكف صارت الاصابع في حكم حلقة
دائرة فيقتضي ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة الى ان يعود الى المسبحة فيقع
البداية بخنصر اليسرى والختم بابهامها ويبقى ابهام اليمنى وانما قدرنا الكف موضوعا
على الكف حتى تصير الاصابع كالاشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك
اولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف او وضع ظهر الكف على ظهر الكف فان ذلك لا
يقتضيه الطبع واما اصابع الرجل فالاولى عندي ان لم يثبت فيها نقل ان يبدا بخنصر
اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما في التخليل فان المعاني التي ذكرناها لا تتجه ههنا
اذ لا مسبحة في الرجل وهذه الاصابع في حكم صف واحد ثابت على الارض فيبدا من
جانب اليمنى فان تقديرها حلقة بوضع الاخمص على الاخمص ياباه الطبع بخلاف اليدين
وهذه الدقائق في الترتيب تنكشف بنور النبوة في لحظة وانما يطول التعب علينا ثم لو
سئلنا ابتدا عن ترتيب ذلك ربما لم يخطر لنا واذا ذكر لنا فعله صلى الله عليه وسلم وترتيبه ربما تيسر لنا بعد
ذلك صلى الله عليه وسلم شهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباطا للمعنى ولا تظنن ان
افعاله صلى الله عليه وسلم في جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب

بل جميع

بل جميع الامور الاختيارية التى يتردد الفاعل فيها بين قسمين اذا لم يكن احدهما متعينا بالاتفاق بل بمعنى يقتضى الاقدام او التقديم فان الاسترسال مهملا كما يتفق سجية البهائم وضبط الحركات بموازين المعانى سجية اولياء الله تعالى وكلما كانت حركات الانسان وخطراته اقرب الى الضبط وابعد عن الاهمال وتركها سدى كان مرتبته فى درجة الاوليآء والانبيآء اكثر وكان قربه من الله تعالى اظهر اذ القريب من النبى صلى الله عليه وسلم هو القريب من الله تعالى لا بد ان يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالاضافة الى غيره فنعوذ بالله ان يكون زمام حركاتنا وسكناتنا فى ناصية الشيطان بواسطة الهوى واعتبر فى ضبط الحركات بالكحل انه صلى الله عليه وسلم كان يكتحل فى عينه اليمنى ثلثا وفى اليسرى اثنين فبدا باليمين لشرفها وتفاوت بين العينين لتكون الجملة وترا فان للوتر فضلا على الزوج فان الله تعالى وتر يحب الوتر فلا ينبغى ان يخلو فعل العبد عن مناسبة لوصف من اوصاف الرب عز وجل ولذلك استحب الايتار فى الاستجمار وانما لم يقتصر على الثلث وهو وتر لان اليسرى لا يخصها الا واحدة والغالب ان المرة الواحدة لا تستوعب اصول الاجفان بالكحل وانما خص اليمين بالزيادة لان التفضيل لا بد منه للايتار واليمنى افضل وهى بالزيادة احق فان قلت فلم وقع اقتصاره على اثنين لليسرى ما مقتضاه وهى زوج فالجواب ان ذلك ضرورة اذ لو جعل لكل واحدة وترا لكان المجموع زوجا اذ الوتر مع الوتر زوج ورعاية الايتار فى مجموع الفعل وهو فى حكم الخصلة الواحدة احب من رعايته فى الآحاد ولذلك ايضا وجه وهو ان يكتحل فى كل واحدة ثلثا على قياس الوضوء وقد نقل ذلك فى الصحيح وهو الاولى ولو ذهبت استقصى دقائق ما راعاه صلى الله عليه وسلم فى حركاته لطال الامر فقس بما سمعت ما لم تسمعه واعلم ان العالم لا يكون وارثا للنبى صلى الله عليه وسلم الا اذا اطلع على جميع معانى الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبى الا درجة النبوة وهى الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث اذ الموروث هو الذى حصل المال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذى لم يحصله ولم يقتدر عليه ولكن انتقل اليه وتلقاه منه بعد حصوله له فامثال هذه المعانى مع سهولة امرها بالاضافة الى الاغوار والاسرار لا يستقل بدركها ابتدا الا الانبياء ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الانبيا عليها الا العلما الذين هم ورثة الانبيآ **السادسة والسابعة** زيادة السرة وقلفة الحشفة اما السرة فتقطع فى اول الولادة واما التطهير بالختان فعادة اليهود فى اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتاخير الى ان يثغر الولد احب وابعد عن الخطر قال صلى الله عليه وسلم الختان سنة للرجال مكرمة للنسآء وينبغى ان لا يبالغ فى خفض النسا قال صلى الله عليه وسلم لام عطية وكانت تخفض النساء يا ام عطية اشمى ولا تنهكى فانه اسرى للوجه واحظى

عند الزوج اي اكثر لما الوجه وذمه واحسن في حاشيتها فانظر الى جزالة لفظه صلى الله عليه
في الكناية ولطف اشراق نور النبوة من مصالح الاخرة التي هي اهم مقاصد النبوة الى مصالح
الدنيا حتى انكشف فهو اي من هذا الامر النازل قدره بالوقعة الغفلة عنه خيف
ضرره فسبحان من ارسله رحمة للعالمين ليجمع لهم بيمنه بعثته بين مصالح الدنيا
والدين صلى الله عليه وعلى آله اجمعين **الرابع** ما على اللحية وانما اخرناها ليلحق
بها ما في اللحية من السنن والبدع اذ هذا اقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا
فيما طال منها فقيل ان يقبض الرجل على لحيته واخذ ما تحت القبضة فلا بأس به فقد
فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن و
قتادة وقالا تركها عافية اي كما لها احب لقوله صلى الله عليه وسلم اعفوا اللحا
والامر في هذا قريب اذا لم ينته الى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فان الطول المفرط
قد يشوه الخلقة ويطلق السنة المغتابين بالنسبة اليه فلا بأس بالاحتراز عنه
على هذه النية وقال النخعي عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته
فيجعلها بين لحيتين فان التوسط في كل شيء حسن ولذلك قيل كلما طالت اللحية
تشمر العقل **فصل** وفي اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها اشد من بعض
وهي خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والنقصان
منها والزيادة فيها وتسريحها لاجل الرياء وتركها شعثة اظهارا للزهد والنظر
في سوادها عجبا بالشباب والى بياضها تكبرا بعلو السن وخضابها بالحمرة والصفرة من
من غير نية تشبها بالصالحين اما الاول وهو الخضاب بالسواد فهو منهي عنه قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه
بشبابكم والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار لا في تبييض الشعر ونهى عن الخضاب
بالسواد وقال هو خضاب اهل النار وفي لفظ آخر الخضاب بالسواد خضاب الكفار
تزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان يخضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت
شيبته فرفعها اهل المرأة الى عمر رضي الله عنه فرد نكاحه واوجعه ضربا وقال غررت
القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك ويقال اول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله
وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد
كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة **الثاني** الخضاب بالصفرة والحمرة جائز تلبيسا
للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل للتشبه باهل الدين
فهو مذموم وقد قال صلى الله عليه وسلم الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين
وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وخضب بعض العلماء بالسواد لاجل

انزال صم

الغزو وقد كره

الغزو وذلك لا باس به اذا صحت النية ولم يكن فيه هوى ولا شهوة الثالث تبييضها با
لكبريت استعجالا لاظهار علو السن توصلا الى التوقير وقبول الشهادة والتصديق
بالرواية عن الشيوخ وترفعا عن الشباب واظهارا لكثرة العلم ظنا بان كثرة
الايام تعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر السن الجاهل الا جهلا فالعلم ثمرة العقل
وهي غريزة لا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة يؤكد حماقته
وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر رضي الله عنه يقدم ابن عباس
وهو حديث السن على اكابر الصحابة ويسأله دونهم وقال ابن عباس ما آتى
الله عبده علما الا شابا والخير كله في الشباب ثم تلا قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم
يقال له ابراهيم وقوله عز وجل انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وقوله تعالى
وآتيناه الحكم صبيا وكان انس رضي الله عنه يقول قبض رسول الله صلى الله عليه
وسلم وليس في راسه ولحيته عشرون شعرة بيضا فقيل له يا ابا حمزة وقد اسن قال
لم يشنه الله بالشيب فقيل او شين هو قال كلكم يكرهه وقيل ان يحيى بن اكثم
ولي القضاء وهو ابن احدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريد ان يخجله لصغر
سنه كم سن القاضي ايده الله فقال مثل سن عتاب بن اسيد حين ولاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم امارة مكة وقضاها فافحمه وروي عن مالك انه قال قرأت في
بعض الكتب لا يغرنكم اللحا فان التيس له لحية وقال ابو عمرو ابن العلا اذا رايت
طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان امية بن عبد
شمس وقال ايوب السختياني ادركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه وقال
علي بن الحسين من سبق اليه العلم قبلك فهو امامك فيه وان كان اصغر سنا منك وقيل
لابي عمرو بن العلا ايحسن من الشيخ ان يتعلم من الصغير قال ان كان الجهل يقبح به فا
التعلم يحسن منه وقال يحيى بن معين لاحمد بن حنبل وقد راه يمشي تحت بغلة الشافعي
يا ابا عبد الله تترك حديث سفيان بعلوه وتمشي خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال
احمد لو عرفت لكنت تمشي من الجانب الآخر ان علم سفيان ان فاتني بعلو ادركته
بنزول وان عقل هذا الشاب ان فاتني لم ادركه بعلو ولا بنزول الرابع نتف
بياضها استنكافا من الشيب وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن
وهو في معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهة ما سبق والشيب نور من الله تعالى والرغبة
عنه رغبة عن النور الخامس نتفها او نتف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه
وشبه بالمخنثين ونتف الفنيكين بدعة وهما جانبا العنفقة شهد عند عمر بن عبد
العزيز رجل كان ينتف فنيكيه فرد شهادته ورد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن

ابي ليلى قاضي المدينة شهادة من كان ينتف لحيته واما نتفها في اول النبات تشبها بالمرد
فهو المنكرات الكبار فان اللحية زينة الرجال الكبار فلله ملئكة يسبحون يقولم
سبحان الذي زين ابنا آدم باللحاء هي من تمام الخلق وبها يتميز الرجال على النساء و
قيل في غريب التاويل اللحية هي المراد بقوله يزيد في الخلق ما يشاء قال اصحاب
الاحنف وددنا ان نشتري للاحنف لحية ولو بعشرين الفا قال شريح القاضي
وددت ان لي لحية بعشرة الآف وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر
اليه بعين العلم والوقار والرفع في المجالس واقبال الوجوه اليه والتقدم على
الجماعة ووقاية العرض فان من يشتم يعرض باللحية اذا كان للمشتوم لحية وقد
قيل ان اهل الجنة مرد الا هارون اخا موسى صلى الله عليهما فان له لحية الى
سرته تخصيصا له وتفضيلا السادس تعبيتها كالتعبية طاقة على طاقة للتزين
للنساء والتصنع قال كعب يكون في اخر الزمان اقوام يقصون لحاهم كذنب
الحمامة ويعرقبون نعالهم كالمناجل اولئك لا خلاق لهم السابع الزيادة
فيها وهو ان يزيد في شعر العارضين من الصدغين وهو من شعر الراس
حتى يجاوز عظم اللحي او ينتهي الى نصف الخد وذلك يباين هيئة اهل
الصلاح الثامن تسريحها لاجل الناس قال بشر في اللحية شركان تسريحها
لاجل الناس وتركها متفشثة لاظهار الزهد التاسع والعاشر النظر الى سوادها
او الى بياضها بعين التعجب وذلك مذموم في جميع اجزاء البدن بل في جميع
الاخلاق والافعال على ما سياتي بيانه فهذا ما اردنا ان نذكره من انواع
التزين والنظافة وقد حصل من جملة احاديث من سنن الجسد اثنا عشر
خصلة خمس منها في الراس وهي فرق شعر الراس والمضمضة والاستنشاق
والسواك وقص الشارب وثلثة في اليد والرجل وهي القلم وغسل البراجم
وتنظيف الرواجب واربعة في الجسد وهي نتف الابط والاستحداد والختان
والاستنجاء بالماء وقد وردت الاخبار بمجموع ذلك واذا كان غرض هذا
الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا ولنتحقق
ان فضلات الباطن واوساخه التي يجب التنظيف عنها اكثر من ان تحصى و
سياتي تفصيلها في ربع المهلكات مع تعريف الطريق في ازالتها وتطهير القلب
منها انشاء الله تعالى كتاب اسرار الصلوة ومهماتها وهو الكتاب الرابع من ربع الع[بادات]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غمر العباد بلطائفه وعمر قلوبهم بانوار الدين ووظائفه

الذي المتزيد

الذي التزم وله من عرش الجلال الى السماء الدنيا من درجات الرحمة احدى عواطفه فارق
الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق في السوال والدعا فقال هل من داع فاستجيب له
او هل من مستغفر فاغفر له وباين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب فرخص للعباد في المناجات
بالصلوات كيف ما تقلبت بهم الحالات في الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف
بالترغيب والدعوة وغيره من ضعفا الملوك لا يسمح بالخلوة الا بعد تقديم الهدية والرشوة
فسبحانه ما اعظم شانه واقوى سلطانه واتم لطفه واعم احسانه والصلوة على محمد نبيه المصطفى
ووليه المجتبى وعلى آله واصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما اما بعد فان
الصلوة عماد الدين وعصام اليقين وراس القربات وغرة الطاعات وقد استقصينا في فن الفقه
في بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه اصولها وفروعها صارفين جمام العناية الى تفاريعها
النادرة ووقايعها الشاذة لتكون خزانة للمفتي منها يستمد ومعولا له اليه يفزع ويرجع
ونحن الآن في هذا الكتاب مقتصرون على ما لا بد للمريد منه من اعمالها الظاهرة واسرارها الباطنة
وكاشفون عن دقايق معانيها الخفية في معاني الخشوع والاخلاص والنية مما لم تجر العادة
بذكره في الفقه ومرتبون للكتاب على سبعة ابواب الباب الاول في فضايل
الصلوات الثاني في تفصيل الاعمال الظاهرة من الصلوة الثالث في تفصيل الا
عمال الباطنة منها الرابع في الامامة والقدوة الخامس في صلاة الجمعة وادابها
السادس في مسايل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج المريد الى معرفتها السابع الباب
الاول في فضايل الصلوات والسجود والجماعة والاذان وغيرها فضيلة الاذان قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلثة يوم القيمة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع
حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرا القرآن ابتغا وجه الله وام به قوما وهم به راضون ورجل اذن
في مسجد ودعا الى الله ورجل ابتلي بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة وقال صلى الله عليه
لا يسمع صوت المؤذن انس ولا جن ولا شي الا شهد له يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم يد الرحمن
على راس المؤذن حتى يفرغ من اذانه وقيل في تفسير قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
انها نزلت في المؤذنين وقال صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن ذلك
مستحب الا في الحيعلتين فانه يقول فيهما لا حول ولا قوة الا بالله وفي قوله قد قامت الصلوة اقامها الله
وادامها ما دامت السموات والارض وفي التثويب صدقت وبررت وعند فراغ المؤذن يقول
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القايمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والمقام
المحمود الذي وعدته وقال سعيد بن المسيب من صلى بارض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك
فان اذن واقام صلى وراءه امثال الجبال من الملايكة فضيلة المكتوبة قال الله تعالى ان الصلوة
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقال صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله عز وجل

على المبادرة جانبهن ولم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عهد عند الله ان يدخله
الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء ادخله الجنة وقال صلى الله عليه
وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب يمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما
ترون ذلك هل يبقى من درنه شيء قالوا لا قال فان الصلوات الخمس تذهب بالذنوب كما يذهب
الماء بالدرن وقال صلى الله عليه وسلم ان الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر
وقال صلى الله عليه وسلم بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما و
قال صلى الله عليه وسلم من لقي الله وهو مضيع الصلوة لم يعبأ الله بشيء من حسناته وقال صلى الله
عليه وسلم الصلوة عماد الدين فمن اقامها فقد اقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين وسئل
صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل فقال الصلوة لمواقيتها وقال صلى الله عليه وسلم من حافظ
على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيمة ومن ضيعها حشر مع
فرعون وهامان وقال صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة الصلوة وقال صلى الله عليه وسلم ما
افترض الله على خلقه بعد التوحيد احب اليه من الصلوة ولو كان شيء احب اليه منها لتعبد به
ملئكته فمنهم راكع وساجد وقائم وقاعد وقال صلى الله عليه وسلم من ترك الصلوة متعمدا
فقد كفر اي قارب ان ينخلع من الايمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب
البلدة انه بلغها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم من ترك الصلوة متعمدا فقد برئ من ذمة
محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة من توضأ فاحسن وضوءه ثم خرج عامدا الى الصلوة
فانه في صلوة ما كان يعمد الى الصلوة وانه يكتب له باحدى خطوتيه حسنة ويمحى عنه بالاخرى
سيئة فاذا سمع احدكم الاقامة فلا يسع فان اعظمكم اجرا ابعدكم دارا قالوا لم يا ابا هريرة
قال من اجل كثرة الخطا ويروى ان اول ما ينظر الله من اعمال العبد الصلوة فان وجدت
تامة قبلت منه وسائر عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم
يا ابا هريرة مر اهلك بالصلوة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وقال بعض العلماء
مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له راس المال وكذلك المصلي لا يقبل له
طس المال نافلة حتى يودي الفريضة وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يقول اذا حضرت
الصلوة قوموا الى ناركم التي اوقدتموها فاطفئوها فضيلة اتمام الاركان قال صلى الله عليه
وسلم مثل الصلوة المكتوبة كمثل الميزان من اوفى استوفى وقال يزيد الرقاشي كانت صلوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كانها موزونة وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجلين
من امتي ليقومان الى الصلوة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلوتيهما ما بين السماء
والارض واشار الى الخشوع وقال عليه الصلوة والسلام لا ينظر الله الى العبد يوم القيمة لا يقيم صلبه
بين ركوعه وسجوده وقال صلى الله عليه وسلم اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلوة ان يحول الله

وجهه وجه حمار وقال صلى الله عليه وسلم من صلى الصلوة لوقتها فاسبغ وضوءها واتم ركوعها و
سجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير
وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة
تقول ضيعتني ضيعك الله حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها
وجهه وقال صلى الله عليه وسلم اسوأ الناس سرقة من يسرق من صلاته وقال ابن مسعود
وسلمان الصلوة مكيال فمن اوفى اوفي له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله في المطففين
فضيلة الجماعة قال صلى الله عليه وسلم صلوة الجماعة تفضل صلوة الفرد بسبع وعشرين
درجة وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد ناسا في بعض
الصلوات فقال لقد هممت ان آمر رجلا يصلي بالناس ثم اخالف الى رجال يتخلفون عنها
فآمر بهم فيحرقوا عليهم بحزم الحطب بيوتهم ولو علم احدهم انه يجد عظما سمينا لشهدها
يعني صلوة العشاء وقال عثمان رضي الله عنه مرفوعا من شهد العشاء فكانما قام نصف الليل
ومن شهد الصبح فكانما قام ليلة وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلوة في جماعة فقد ملأ
نحره عبادة وقال سعيد بن المسيب ما اذن مؤذن منذ عشرين سنة الا وانا في المسجد وقال
محمد بن واسع ما اشتهي من الدنيا الا ثلثة اخا ان تعوجت قومني وقوتا من الرزق عفوا
بغير تبعة وصلوة في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها وروي ان ابا عبيدة بن
الجراح ام قوما مرة فلما انصرف قال ما زال الشيطان بي انفا حتى اريت ان لي فضلا على
غيري لا ام بعدها ابدا وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال النخعي
مثل الذي يؤم الناس بغير علم كمثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادته من نقصانه
وقال حاتم الاصم فاتتني الجماعة فعزاني ابو اسحق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني
اكثر من عشرة الاف لان مصيبة الدين عند الناس اهون من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس
رضي الله عنه من سمع المنادي ثم لم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خير وقال ابو هريرة
رضي الله عنه لان يملأ اذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من ان يسمع النداء ثم لا يجيبه
وروي ان ميمون بن مهران اتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا لله وانا اليه
راجعون لفضل هذه الصلوة احب الي من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم من صلى
اربعين يوما الصلوات في جماعة لا يفوته منها تكبيرة الاحرام كتب له براءتان براءة من
النفاق وبراءة من النار وقيل انه اذا كان يوم القيمة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدري
فتقول لهم الملئكة ما كانت اعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الى الطهارة
فلا يشغلنا غيرها ثم يحشر طائفة وجوههم كالاقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضى
قبل الوقت ثم يحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الاذان في المسجد وروي

ان السلف كانوا يعزي بعضهم بعضا ثلاثة ايام اذا فاتت احدهم التكبيرة الاولى ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة

فضيلة السجود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقرب العبد الى الله عز وجل بشيء افضل من سجود خفي وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه بها درجة وحط بها عنه خطيئة وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يجعلني من اهل شفاعتك وان يرزقني مرافقتك في الجنة قال اعني بكثرة السجود وقيل اقرب ما يكون العبد الى الله عز وجل اذا كان ساجدا وهو معنى قوله تعالى واسجد واقترب وقال عز وجل سيماهم في وجوههم من اثر السجود فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الارض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الاصح وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيمة من اثار الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلاه امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار ويروى عن علي بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد في كل يوم الف سجدة فكانوا يسمونه السجاد ويروى ان عمر بن عبد العزيز كان لا يسجد الا على التراب وكان يوسف بن اسباط يقول يا معشر الشباب بادروا الصحة قبل المرض فما بقي احد احسده الا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما آسى على شيء من الدنيا الا على السجود وقال عقبة بن مسلم ما من خصلة في العبد احب الى الله تعالى من رجل يحب لقاء الله وما من ساعة العبد فيها اقرب الى الله منه حيث يخر ساجدا وقال ابو هريرة اقرب ما يكون العبد الى الله تعالى اذا سجد فاكثروا الدعاء عند ذلك

فضيلة الخشوع قال الله تعالى واقم الصلوة لذكري وقال تعالى ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وهب ان المراد ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة فقال حتى تعلموا ما تقولون وكم من مصل لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلوته وقال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم انما الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع وتباؤس وتنادم وتضع يديك فتقول اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وروي في الكتب السالفة ان الله تعالى يقول ليس كل مصل اتقبل صلوته انما اتقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر على عبادي واطعم الفقير الجائع لوجهي وقال النبي صلى الله عليه وسلم انما فرضت الصلوة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله تعالى فاذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود المبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وقال صلى الله عليه وسلم للذي اوصاه اذا صليت صلوة فصل

صلوة مودع اى مودع لنفسه مودع لهواه ومودع لعمره سائر الى مولاه كما قال تعالى يا ايها الانسان
انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقال عز وجل واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وقال صلى الله عليه
وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله الا بعدا والصلوة مناجاة فكيف تكون
مع الغفلة وقال بكر بن عبد الله يا ابن آدم ان شئت ان تدخل على مولاك بغير اذن وتكلمه
بلا ترجمان دخلت قيل كيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذا انت قد دخلت
على مولاك بغير اذن وكلمته بغير ترجمان وعن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه
اشتغالا بعظمة الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله تعالى الى صلوة لا يحضر الرجل فيها
قلبه مع بدنه وكان ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلوة سمع وجيب قلبه
على ميلين وكان سعيد التنوخي اذا صلى لم ينقطع الدموع من خديه على لحيته ورأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه
وروي ان الحسن نظر الى رجل يعبث بالحصى ويقول اللهم زوجني من الحور العين فقال
له بئس الخاطب انت تخطب الحور العين وانت تعبث وقيل لخلف بن ايوب الا يؤذيك
الذباب في الصلوة فتطردها فقال لا اعود نفسي شيئا يفسد علي صلاتي قيل له وكيف تصبر
على ذلك قال بلغني ان الفساق يصبرون تحت اسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون
بذلك وانا قائم بين يدي ربي افأتحرك لذبابة وروي عن مسلم بن يسار انه كان اذا اراد الصلوة
قال لاهله تحدثوا فلست اسمعكم وروي انه كان يصلي يوما في جامع البصرة فسقطت
ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلوة وكان علي بن
ابي طالب اذا حضر الصلوة يتزلزل ويتلون فقيل له ما لك يا امير المؤمنين فقال جاء وقت
امانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها ويروى عن
علي بن الحسين انه كان اذا توضأ اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء
فقال اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم ويروى عن ابن عباس انه قال قال داود الهي من
يسكن بيتك وممن تتقبل الصلوة فاوحى الله تعالى اليه يا داود انما يسكن بيتي واقبل الصلوة
ممن تواضع لعظمتي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي يطعم الجائع ويؤوي
الغريب ويرحم المصاب فذلك الذي يضيء نوره في السماء كالشمس ان دعاني لبيته وان
سألني اعطيته اجعل له في الجهل حلما وفي الغفلة ذكرا وفي الظلمة نورا وانما مثله في الناس
كالفردوس في الجنان لا تيبس انهارها ولا تتغير ثمارها ويروى عن حاتم الاصم انه سئل
عن صلوته فقال اذا حانت الصلوة اسبغت الوضوء واتيت الموضع الذي اريد الصلوة
فيه فاقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم اقوم الى صلاتي واجعل الكعبة بين حاجبي والصراط

تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت ورائي واظنها آخر صلاتي
ثم اقوم بين الرجاء والخوف واكبر تكبيرا بتحقيق واقرأ قراءة بترتيل واركع ركوعا بتواضع
واسجد سجودا بتخشع واقعد على الورك اليسرى وافرش ظهر قدمها وانصب القدم اليمنى
على الابهام واتبعها الاخلاص ثم لا ادري اقبلت مني ام لا وقال ابن عباس رضي الله عنه ركعتان
مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه **فضيلة** المسجد ومواضع الصلوة
قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وقال رسول الله من بنى مسجدا لله
ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له قصرا في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من الف المسجد الفه
الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس
وقال صلى الله عليه وسلم لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد وقال صلى الله عليه وسلم الملئكة تصلي على احدكم
ما دام في مصلاه الذي يصلي فيها تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث او يخرج من
المسجد وقال صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد
فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة
وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها
عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره
وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وقال سعيد
بن المسيب من جلس في المسجد فانما يجالس ربه فما حقه ان لا يقول الا خيرا وروي
في الاثر والخبر الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال
النخعي كانوا يرون ان المشي في الليلة المظلمة الى المسجد موجب للجنة وقال انس بن
مالك رضي الله عنه من سرج في مسجد سراجا لم تزل الملئكة وحملة العرش يستغفرون
له ما دام في ذلك المسجد ضوءه وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذا مات العبد بكا عليه مصلاه
من الارض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين
وقال ابن عباس رضي الله عنهما تبكي عليه الارض اربعين صباحا وقال عطاء الخراساني
ما من عبد مؤمن سجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض الا شهدت له بها يوم القيمة
وبكت عليه يوم يموت وقال انس بن مالك رضي الله عنه ما من بقعة يذكر الله عز وجل عليها
بصلاة او ذكر الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل الى منتهاها
من سبع ارضين وما من عبد يقوم يصلي الا تزخرفت له الارض ويقال ما من منزل ينزله
قوم الا اصبح ذلك المنزل يصلي عليهم او يلعنهم **الباب الثاني** في كيفية الاعمال الظاهرة
من الصلوة والبداية بالتكبير وما قبله ينبغي للمصلي اذا فرغ من الوضوء وطهارة الخبث
في البدن والثياب والمكان ومن ستر العورة من السرة الى الركبة ان ينتصب قائما متوجها

الى القبلة

الى القبلة ويراوح بين قدميه فلا يضمهما فان ذلك مما يستدل به على فقه الرجل وقد نهى
صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفد في الصلوة والصفد هو اقتران القدمين معا و
منه قوله تعالى مقرنين في الاصفاد والصفن هو رفع احدى الرجلين ومنه قوله تعالى
الصافنات الجياد هذا ما يراعيه في رجليه عند القيام ويراعي في ركبتيه ومعقد
نطاقه الانتصاب واما راسه فان شا تركه على استوا القيام وان شا اطرق والاطراق
اقرب الى الخشوع واغض للبصر وليكن بصره محصورا على مصلاه الذي يصلي فيه فان
لم يكن مصلى فليقرب من جدار او ليخط خطا فان ذلك يقبض مسافة البصر ويمنع تفرق
الفكر وليحجر على بصره ان يجاوز اطراف المصلى وحدود الخط وليدم هذا القيام كذلك الى
الركوع من غير التفات هذا اداب القيام فاذا استوى قيامه واستقباله واطراقه كذلك
فليقرا قل اعوذ برب الناس تحصنا بها من الشيطان ثم ليات بالاقامة وان كان يرجو
حضور من يقتدي به فليؤذن اولا ثم ليحضر النية وهو ان ينوي في الظهر مثلا ويقول
بقلبه اودي فريضة الظهر لله ليميزها بقوله اودي عن القضا وبالفريضة عن النفل
وبالظهر عن العصر وغيره ولتكن معاني هذه الالفاظ حاضرة في قلبه فانه هو النية والا
لفاظ مذكرات واسباب لحضورها ويجتهد ان يستديم ذلك الى آخر التكبير حتى لا يعزب
عنه فاذا احضر ذلك في قلبه فليرفع يديه الى حذو منكبيه بعد ارسالهما بحيث يحاذي
بكفيه منكبيه وبابهاميه شحمتي اذنيه وبرؤس اصابعه رؤس اذنيه ليكون جامعا
بين الاخبار الواردة في ذلك ويكون مقبلا بكفيه الى القبلة ويبسط الاصابع ولا يقبضها
ولا يتكلف فيها تفريجا ولا ضما بل يتركها على مقتضى طبعها اذ نقل في الاثر النشر والضم
وهذا بينهما فهو اولى فاذا استقرت اليدان في مقرهما ابتدا التكبير مع ارسالهما و
احضار النية ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى
اكراما لليمنى بان تكون محمولة وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد و
يقبض بالخنصر والبنصر على كوع اليسرى وقد روي التكبير مع رفع اليدين ومع
استقرارهما ومع الارسال وكل ذلك لا حرج فيه واراه بالارسال اليق فانه كلمة العقد
ووضع احدى اليدين على الاخرى في صورة العقد ومبداه الارسال وآخره الوضع و
مبدا التكبير الالف وآخره الراء فيليق به مراعاة التطابق بين الفعل والعقد واما
رفع الايدي فكان المقدمة لهذه البداية ثم لا ينبغي ان يدفع يديه الى قدام دفعا
عند الفراغ من التكبير ولا يردهما الى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين وشمال نفضا
اذا فرغ من التكبير ويرسلهما ارسالا خفيفا رفيقا ويستانف وضع اليمين على الشمال
بعد الارسال اكراما لليمين فينشر اصابعه في طول ساعده اليسرى ويقبض بها على الكوع

ففي بعض الروايات انه كان صلى الله عليه اذا كبر ارسل يديه فاذا اراد ان يقرا وضع اليمنى
على اليسرى وان صح هذا فهو اولى مما ذكرناه واما التكبير فينبغي ان يضم الهاء من قوله الله
ضمة خفيفة من غير مبالغة ولا يدخل بين الهاء والالف شبه الواو وذلك ينساق اليه
بالمبالغة ولا يدخل بين باء اكبر وراية الفا كانه يقول اكبار ويجزم را التكبير جزما من
غير ضم فهذه هيئة التكبير وما معه **القراءة** ثم يبتدئ بدعا الاستفتاح وحسن
ان يقول عقيب قوله الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ان صلاتي
ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا من المسلمين ثم
يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ليكون جامعا
بين متفرقات ما ورد في الاخبار وان كان خلف الامام اختصر ان لم يكن للامام سكتة طويلة
يقرا فيها فاتحة الكتاب ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرا الفاتحة
يبتدئ فيها ببسم الله الرحمن الرحيم بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد في الفرق
بين الضاد والظاء ويقول آمين في آخر الفاتحة ويمدها مدا ولا يصل امين بقوله ولا
الضالين وصلا ويجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء الا ان يكون ماموما ويجهر
بالتامين ثم يقرا السورة او قدر ثلث آيات من القرآن فما فوقها ولا يصل آخر السورة
بتكبير الهوي بل يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرا في الصبح من السور الطوال
في المفصل وفي المغرب من قصاره وفي الظهر والعصر والعشا نحو والسماء ذات البروج
وما قاربها وفي الصبح في السفر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وكذلك في ركعتي
الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفنا
في اول الصلوة **الركوع** ولواحقه ثم يركع ويراعي في ركوعه امورا منها ان يكبر
للركوع وان يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وان يمد التكبير مدا الى انتهائه الى الركوع
وان يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع واصابعه منشورة موجهة نحو القبلة
على طول الساق وان ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وان يمد ظهره مدا مستويا وان
يكون عنقه وراسه مستويان مع ظهره كالصفيحة الواحدة لا يكون راسه ارفع ولا
اخفض وان يجافي مرفقيه عن جنبيه وتضم المراة مرفقيها الى جنبيها وان
يقول سبحان ربي العظيم ثلاثا والزيادة الى السبعة والى العشرة حسن ان لم يكن
اماما ثم يرتفع من الركوع الى القيام ويرفع يديه ثم يقول سمع الله لمن حمده ويطمئن
في الاعتدال ويقول ربنا ولك الحمد ملء السموات والارض وملء ما شئت من شيء بعد
ولا يطول هذا القيام الا في صلوة التسبيح ويقنت في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات

المأثورة

المأثورة **السجود** ثم يهوي الى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الارض ويضع جبهته
وكفيه مكشوفة ويكبر عند الهوي ولا يرفع يديه من غير الركوع وينبغي ان يكون اول ما يقع
منه على الارض ركبتاه وان يضع بعدهما يديه ثم يضع بعدهما وجهه وان يضع جبهته و
انفه على الارض وان يجافي مرفقيه عن جنبيه ولا تفعل المراة ذلك وان يفرج بين رجليه ولا
تفعل المراة ذلك وان يكون في سجوده مخويا ولا تكون المراة مخوية والتخوية رفع البطن
عن الفخذين وان تفرق بين الركبتين وان يضع يديه على الارض حذا منكبيه وان لا يفرج
بين اصابعهما بل يضمهما ويضم الابهام اليها فان لم يضم الابهام فلا باس ولا يفترش ذراعيه
على الارض كما يفترش الكلب فانه منهي عنه وان يقول سبحان ربي الاعلى ثلاثا فان زاد فحسن
الا ان يكون اماما ثم يرفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا فيرفع راسه مكبرا ويجلس
على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه والاصابع منشورة و لا
يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني وعا
فني واعف عني ولا يطول هذه الجلسة الا في سجود التسبيح ويأتي بالسجدة الثانية كذلك و
يستوي منها جالسا جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة لا تشهد عقبها ثم يقوم فيضع
يديه على الارض ولا يقدم احدى رجليه في حالة الارتفاع ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين
وسط ارتفاعه من القعود الى وسط ارتفاعه الى القيام بحيث تكون الهاء عند استوائه
جالسا وكاف اكبر عند اعتماده على اليد على الارض للقيام وراء اكبر في وسط ارتفاعه الى
القيام ويبتدئ في وسط ارتفاعه الى القعود حتى يقع التكبير في وسط انتقاله و لا
يخلو عنه الا طرفاه فهو اقرب الى التعميم ويصلي الركعة الثانية كالاولى ويعيد التعوذ
في الابتدا على ما مر **التشهد** ثم يتشهد في الركعة الثانية التشهد الاول ثم يصلي على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويقبض الاصابع الا المسبحة ولا
باس بارسال الابهام ايضا ويشير بمسبحته يمناه وحدها عند قوله الا الله لا عند قوله لا اله و
يجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين وفي التشهد الاخير يستكمل الدعا
المأثور بعد الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وسننه كسنن التشهد الاول ولكن يجلس
في الاخير على وركه الايسر لانه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستقر ويضجع رجله اليسرى خارجة
من تحته وينصب اليمنى ويخرج راس الابهام الى جهة القبلة ان لم يشق عليه ثم يقول السلام
عليكم ورحمة الله ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الايمن من جانب اليمين ويلتفت
شمالا كذلك ويسلم تسليمة ثانية وينوي الخروج بالسلام من الصلاة وينوي بالسلام على من
بيمينه من الملائكة والمسلمين في الاولى وينوي مثل ذلك في الثانية ويخفف السلام فلا يمده مدا
وهو السنة هذه هيئة صلوة المنفرد **المنهيات** نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة

عن الصفن والصفد وقد ذكرناهما وعن الاقعاء وعن السدل والكف وعن الاختصار وعن الصلب
وعن المواصلة وعن صلوة الحاقن والحاقب والحازق وعن صلوة الجائع والغضبان والمتلثم
والتلثم وهو ستر الوجه اما الاقعاء فهو عند اهل اللغة ان يجلس على وركيه وينصب ركبتيه
وعند اهل الحديث ان يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الارض منه الا رؤس اصابع الرجلين والركبتان
واما السدل فمذهب اهل الحديث فيه ان يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد
كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلوتهم فنهوا عن التشبه بهم والقميص في معناه فلا
ينبغي ان يركع ويسجد ويداه في بدن القميص وقيل معناه ان يضع وسط الازار على راسه
ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير ان يجعلهما على كتفيه والاول اقرب واما الكف فهو
ان يرفع ثيابه من بين يديه ومن خلفه اذا اراد السجود وقد يكون الكف في شعر الراس فلا
يصلين وهو عاقص شعره والنهي للرجال وفي الحديث امرت ان اسجد على سبعة اعظم
ولا اكف شعرا ولا ثوبا وكره احمد بن حنبل ان يأتزر فوق القميص في الصلوة
وراه من الكف واما الاختصار فهو ان يضع يديه على خاصرتيه واما الصلب فانه يضع يديه
على خاصرتيه ويجافي بين عضديه في القيام واما المواصلة فهي خمسة اثنان على
الامام ان لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام ولا ركوعه بقراءته واثنان على الماموم ان لا
يصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليم الامام وواحدة بينهما ان لا يصل
تسليمة الفرض بالتسليمة الثانية وليفصل بينهما واما الحاقن فمن البول والحاقب من
الغائط واما الحازق فصاحب الخف الضيق فان كل ذلك يمنع الخشوع وفي معناه الجائع
والمهتم وفهم نهي الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشا واقيمت الصلوة فابدؤا
بالعشا الا ان يضيق الوقت او يكون ساكن القلب وفي الخبر لا يدخلن احدكم الصلوة وهو
مقطب ولا يصلين احدكم وهو غضبان وقال الحسن كل صلوة لا يحضر القلب فيها فهي الى
العقوبة اسرع وفي الخبر سبعة اشيا في الصلوة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة
والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشي وزاد بعضهم السهو والشك وقال بعض
السلف اربعة في الصلوة من الجفا الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصا وان يصلي بطريق
من يمر بين يديك ونهي ايضا عن ان يشبك بين اصابعه او يفرقع اصابعه او يستر وجهه او
يضع احدى كفيه على الاخرى ويدخلهما بين فخذيه في الركوع وقال بعض الصحابة كنا نفعل ذلك
فنهينا عنه ويكره ايضا ان ينفخ في الارض عند السجود للتنظيف وان يسوي الحصا بيده فانها
افعال مستغنى عنها ولا يرفع احدى قدميه فيضعها على فخذه ولا يستند في قيامه الى الحائط
فان استند بحيث لو سقط ذلك الحائط لسقط فالاظهر بطلان الصلوة. تمييز الفرائض والسنن
جملة ما ذكرناه اشتمل على السنن والهيات والاداب التي ينبغي ان يراعيها مريد طريق الاخرة جميعها

والفرض

والفرض من جملتها اثنا عشر خصلة النية والتكبير والقيام والفاتحة والانحناء في الركوع
الى ان تنال راحتاه ركبتيه مع الطمانينة والاعتدال عنه قايما والسجود مع الطمانينة ولا
يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الاخير والتشهد الاخير والصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم والسلام الاول فاما نية الخروج فلا تجب وما عداها ليس بواجب بل
هي سنن وهيات فيها وفي الفرايض اما السنن فمن الافعال اربعة رفع اليدين في تكبيرة الاحرام
وعند الهوي الى الركوع وعند الارتفاع الى القيام والجلسة للتشهد الاول فاما ما ذكرناه من كيفية
نشر الاصابع وحد رفعها فهي هيئة تابعة لهذه السنن والتورك والافتراش هيات تابعة للجلسة
والاطراق وترك الالتفات هيئة القيام وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لم نعدها من اصول
السنن في الافعال لانها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود الى القيام لانها ليست مقصودة
في نفسها ولذلك لم تفرد بذكر واما السنن من الاذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله
آمين فانه سنة موكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقالات ثم الذكر في الركوع والسجود
والسجود والاعتدال عنهما ثم تكبيرات الانتقالات ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال
عنهما ثم التشهد الاول والصلوة فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء في اخر التشهد الا خذ
ثم التسليمة الثانية وهذه وان جمعناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة اذ يجبر بعض
جملتها بسجود السهو اربعة اما من الافعال فواحدة هي الجلسة الاولى للتشهد الاول فانها موثرة
في ترتيب نظم الصلوة في عين الناظر حتى يعرف بها انها رباعية ام لا بخلاف رفع اليدين
فانها لا توثر في تغيير النظم فعبر عن ذلك بالبعض وقيل الابعاض تجبر بالسجود واما الاذكار
فكلها لا تقتضي سجود السهو الا ثلثة القنوت والتشهد الاول والصلوة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيه بخلاف تكبيرات الانتقالات واذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لان الركوع
والسجود في صورتهما مخالفان للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الاذكار وعن
تكبيرات الانتقالات فعدم تلك الاذكار لا تغير صورة العبادة واما جلسة التشهد الاول فهو
فعل معتاد وما زيدت الا للتشهد فتركها ظاهر التاثير واما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما كيما
لا يوثر مع ان القيام صار معمورا بالفاتحة ومميزا عن العادة بها وكذلك الدعاء في التشهد
الاخير والقنوت ابعد ما يجبر بالسجود ولكن شرع مد الاعتدال في الصبح لاجله فكان كمد
جلسة الاستراحة اذ صارت بالمد جلسة للتشهد الاول فبقي هذا قياما ممدودا
معتادا ليس فيه ذكر واجب وفي الممدود احتراز عن غير الصبح وفي خلوه عن ذكر واجب
في ممدود احتراز عن اصل القيام في الصلوة فان قلت تمييز السنن عن الفرايض معقول
اذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها فاما تمييز سنة
عن سنة والكل مامور به على سبيل الاستحـ[illegible] عقاب في ترك الكل والثواب موجود

على الكل باسغاه فاعلم ان اشتراكهما في الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتهما ويكشف
لك ذلك بمثال وهو ان الانسان لا يكون انسانا كاملا موجودا الا بمعنى باطن واعضاء ظاهرة فالمعنى
الباطن هو الحيوة والروح والظاهر اجسام اعضائه ثم بعض تلك الاعضاء بعدمها ينعدم الانسان بعدمه
كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو تفوت الحيوة بفواته وبعضها لا تفوت بها الحيوة ولكن تفوت
بها مقاصد الحيوة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا تفوت بها الحيوة ولا مقاصدها
ولكن تفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون وبعضها لا يفوت به اصل
اصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية وتناسب خلقة الاعضاء و
امتزاج الحمرة بالبياض في اللون فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورة صورها الشرع
وتعبدنا باكتسابها فروحها وحياتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كما
سيأتي ونحن الآن في اجزائها الظاهرة فالركوع والسجود والقيام وساير الاركان تجري منها
مجرى القلب والراس والكبد اذ يفوت وجود الصلوة بفواتها والسنن التي ذكرناها من
رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الاول تجري منها مجرى اليدين والعينين والرجلين
ولا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت الحياة بفوات هذه الاعضاء ولكن يصير الشخص
بسبب فواتها مشوه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه وكذلك من اقتصر على اقل ما يجزي
من الصلوة كان كمن اهدى الى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الاطراف واما الهيآت وهي ما وراء
السنن فتجري مجرى اسباب الحسن من الحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون واما
لطائف الاذكار في تلك السنن فهي مكملات الحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة
اللحية وغيرها والصلوة عندك قربة وتحفة تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك كوصيفة
يهديها طالب القربة من السلطان اليه وهذه التحفة تعرض على الله تعالى ثم ترد عليك
يوم العرض الاكبر فاليك الخيرة في تحسين صورتها وتقبيحها فان احسنت فلنفسك
وان اسأت فعليها ولا ينبغي ان يكون حظك من ممارسة الفقه ان يتميز لك السنة
عن الفرض فلا يتعلق بفهمك من اوصاف السنة الا انه يجوز تركها فتتركها
فان ذلك يضاهي قول الطبيب ان فقء العين لا يبطل وجود الانسان ولكن يخرجه
عن ان يصدق رجاء المتقرب في قبول السلطان اذا اخرجه في معرض الهدية فهكذا ينبغي ان
تفهم من مراتب السنن والهيآت والآداب فكل صلوة لم يتم الانسان ركوعها وسجودها
فهي الخصم الاول على صاحبها تقول ضيعك الله كما ضيعتني فطالع الاخبار التي اوردناها
في اكمال اركان الصلوة ليظهر لك وقعها الباب الثالث في الشروط الباطنة من اعمال
القلب ولنذكر في هذا الباب ارتباط الصلوة بالخشوع وحضور القلب ثم لنذكر المعاني الباطنة
بحدودها واسبابها وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي ان يحضر في كل ركن من اركان الصلوة

لتكون

ليكون صالحة لزاد الاخرة. **بيان** اشتراط الخشوع وحضور القلب اعلم ان ادلة ذلك كثيرة
فمنها قوله تعالى اقم الصلوة لذكري وظاهر الامر الوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع
صلوته كيف يكون مقيما للصلوة لذكره وقوله عز وجل ولا تكن من الغافلين نهي وظاهره التحريم
وقوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم
بالوساوس وافكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم انما الصلوة تمسكن وتواضع حصر
بالالف واللام وكلمة انما للتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله عليه السلام انما الشفعة
فيما لم يقسم الحصر والنفي والاثبات وقوله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلوته عن الفحشا
والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا وصلوة الغافل لا تمنع عن الفحشاء وقال صلى الله عليه وسلم كم
من قائم حظه من صلاته التعب والنصب وما اراد به الا الغافل وقال صلى الله عليه وسلم
ليس للعبد من صلوته الا ما عقل والتحقيق فيه ان المصلي مناج لربه عز وجل كما ورد الخبر به
والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة وبيانه ان الزكوة ان غفل الانسان مثلا عنها فهي في
نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى الذي
هو آلة الشيطان عدو الله فلا يبعد ان يحصل منهما مقصود مع الغفلة وكذلك الحج افعاله
شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الايلام كان القلب حاضرا مع افعاله او لم يكن اما
الصلوة فليس فيها الا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود واما الذكر فانه محاورة ومناجاة
مع الله تعالى فاما ان يكون المقصود منه كونه خطابا ومحاورة او المقصود الحروف والاصوات
امتحانا للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج بالامساك في الصوم وكما يمتحن البدن بمشاق الحج
المعدة والفرج بالامساك في الصوم وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ويمتحن القلب بمشقة اخراج
الزكاة واقتطاع المال المعشوق ولا شك في ان هذا القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان
ما اخفه على الغافل فليس فيه امتحان من حيث انه عمل بل المقصود الحروف من حيث انه
نطق ولا يكون نطقا الا اذا اعرب عما في الضمير ولا يكون معربا الا بحضور القلب فاي سؤال
في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا واذا لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فاي
مشقة في حركة اللسان به مع الغفلة لا سيما مع الاعتياد هذا حكم الاذكار بل اقول لو حلف الانسان
وقال لاشكرن فلانا واثني عليه واسأله حاجة ثم جرت هذه الالفاظ الدالة على المعاني على لسانه
في النوم لم يبر في يمينه ولو جرت على لسانه في ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره
ولا يراه لا يصير بارا في يمينه اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه ما لم يكن هو حاضرا في قلبه فلو كانت
يجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر الا انه في بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر
من الافكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب عليه عند نطقه لم يصر بارا في يمينه ولا شك
في ان المقصود من القراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله تعالى وقلبه بحجاب

الغفلة محجوب عنه فلا يشاهده ولا يراه بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد
هذا عن المقصود بالصلوة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله تعالى ورسوخ عقد
الايمان بها هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل الى انكارها في النطق و
تميزه بها عن الفعل واما الركوع والسجود فالغاية في الركوع التعظيم وهو المحو والانقياد
وفي السجود القربة وهو الاثبات والبقاء فالمقصود بهما التعظيم قطعا ولو جاز ان يكون
معظما لله تعالى بفعله وهو غافل عنه لجاز ان يكون معظما للصنم موضوع بين يديه وهو غافل
عنه او يكون معظما للحائط الذي بين يديه وهو غافل عنه او يكون معظما للحائط الذي بين
يديه وهو غافل عنه واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة الظهر والراس وليس فيه
من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم
على الحج وسائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص وما ارى ان هذه العظمة كلها
للصلوة من حيث اعمالها الظاهرة الا ان يضاف اليها مقصود المناجات فان ذلك يتقدم
على الصوم والزكوة والحج وغيرها بل الضحايا والقرابين التي هي مجاهدة للنفس بتنقيص
المال قال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اي الصفة التي
استولت على القلب حتى حملته على امتثال الاوامر المطلوبة فكيف الامر في الصلوة ولا ارب
في افعالها فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب فان قلت ان حكمت ببطلان
الصلوة وجعلت حضور القلب شرطا في صحتها خالفت اجماع الفقهاء فانهم لم يشترطوا
حضور القلب الا عند التكبير فاعلم انه قد تقدم في كتاب العلم ان الفقها لا يتصرفون في
الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا يخبرون في علم طريق الآخرة ولا اطلاع لهم على ما في القلب
بل يبنون ظاهر احكام الدنيا على ظاهر اعمال الجوارح وظاهر الاعمال كاف لسقوط القتل
وتعزير السلطان فاما انه ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على انه لا يمكن ان يدعى
الاجماع فقد نقل عن بشر بن الحارث فيما رواه عنه ابو طالب المكي عن سفيان الثوري انه قال
كل من لم يخشع فسدت صلوته وروي عن الحسن انه قال كل صلوة لا يحضر فيها القلب فهي
الى العقوبة اسرع وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه انه قال من عرف من على يمينه وشماله
متعمدا وهو في الصلوة فلا صلاة له وروي ايضا مسندا انه قال صلى الله عليه وسلم ان العبد
ليصلي الصلوة لا يكتب له منها سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلوته ما عقل منها وهذا
لو نقل عن غيره صلى الله عليه وسلم لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به وقال عبد الواحد بن زيد
اجمعت العلماء على انه ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها فجعله اجماعا وما نقل من هذا
الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة اكثر من ان يحصى والحق الرجوع الى ادلة
الشرع والاخبار والآثار ظاهرة في هذا الشرط الا ان مقام الفتوى في التكليف الظاهر

يتعذر بقصور الخلق فما يمكن ان يشترط على الناس احضار القلب في جميع الصلوة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط منه ما يطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة واولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو ان لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة اقدم على الفعل ظاهرا واحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له اجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجا فيخشى ان يكون حاله اشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر اشد حالا من الذي يعرض عن الخدمة ويتهاون بالحضرة واذا تعارض اسباب الخوف والرجا وصار الامر مخطرا في نفسه فاليك الخيرة بعد في الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقها فيما افتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلوة علم ان الغفلة تضادها ولكن قد ذكرنا في الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقايد ان قصور الخلق احد الاسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من اسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فان فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الاخرة واما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن وحاصل الكلام ان حضور القلب هو روح الصلوة وان اقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه ينبسط الروح في اجزا الصلوة فكم من حي لا حراك به قريب من ميت فصلاة الغافل في جميعها الا عند التكبير حي لا حراك به والله سبحانه اعلم

المعاني الباطنة التي بها تتم حياة الصلوة

اعلم ان هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجا والحيا فلنذكر تفاصيلها ثم اسبابها ثم العلاج في اكتسابها اما التفاصيل فالاول حضور القلب ونعني به ان يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جاريا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب والتفهم لمعنى الكلام فهذا امر ورا حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي اردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه اذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقران والتسبيحات ورب معان لطيفة يفهمها المصلي في اثنا الصلوة ولم يكن خطر في قلبه قبل ذلك ومن هذا الوجه كانت الصلوة ناهية عن الفحشا والمنكر فانها تفهم امورا تلك الامور تمنع عن الفحشا لا محالة واما التعظيم فهو امر ورا حضور القلب والفهم اذ الرجل

يناجي عبده بكلام وهو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فاذا التعظيم امر
زايد عليهما واما الهيبة فزايدة على بل هي عبارة عن خوف التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى
هايبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الاسباب الخسيسة
لا تسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة فالهيبة خوف مصدره الاجلال
واما الرجا فلا شك في انه زايد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه او يخاف سطوته ولكن
لا يرجو مبرته والعبد ينبغي ان يكون راجيا بصلاته ثواب الله تعالى كما انه خايف بتقصيره
فيها عقاب الله عز وجل واما الحيا فهو زايد على الجملة لان مستنده ومنشاه استشعار
تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجا من غير حيا حيث لا يكون توهم
تقصير وارتكاب ذنب واما اسباب هذه المعاني الستة فاعلم ان حضور القلب سببه الهمة
فان قلبك تابع لهمك فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما اهمك امر حضر القلب شاء ام ابى
فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلوة لم يكن متعطلا بل كان
حاضرا فيما الهمة مصروفة اليه من امور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف
الهمة الى الصلوة فالهمة لا تنصرف اليها ما لم يتبين ان الغرض المطلوب منوط بها
وذلك هو الايمان والتصديق بان الآخرة خير وابقى وان الصلوة وسيلة الى الآخرة فاذا
اضيف هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب في
الصلوة وبمثل هذه العلة يحضر قلبك واذا حضرت بين يدي بعض الاكابر ممن لا يقدر على
مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت
والضر والنفع فلا تظنن ان له سببا سوى ضعف الايمان فاجتهد الان في تقوية الا
يمان وطريقه يستقصى في غير هذا الموضع ان شاء الله تعالى واما التفهم فسببه بعد
حضور القلب ادمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو علاج احضار
القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشاغلة
قطع موادها اعني النزوع عن تلك الاسباب التي تنجذب الخواطر اليها وما لم تنقطع
تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن احب شيئا اكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على
القلب بالضرورة فلذلك ترى ان من احب غير الله تعالى لا تصفو له صلوة عن الخواطر واما
التعظيم فهي حالة القلب تتولد من معرفتين احداهما معرفة جلال الله وعظمته وهي
من اصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة
حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة
والانكسار والخشوع لله تعالى فيعبر عن ذلك بالتعظيم وما لم تمتزج معرفة حقارة
النفس بمعرفة جلال الرب عز وجل لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغني عن

عن الاستغراق

غيره الامن على نفسه بمجرد ان يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاجبها
وحاجتها لم يقترن اليها اما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله تعالى
وسطوته ونفوذ مشيته فيه مع قلة المبالاة به وانه لو اهلك الاولين والآخرين لم ينقص
من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري على الانبياء والاولياء من المصايب وانواع البلا مع القدرة
على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الارض وبالجملة كلما زاد العلم بالله ازدادت الخشية و
الهيبة وسياتي اسباب ذلك في كتاب الخوف من ربع المنجيات ان شا الله تعالى واما الرجا فسببه
معرفة لطف الله تعالى وكرمه وعميم انعامه ولطايف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة با
لصلوة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجا لا محالة واما الحيا فبا
ستشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله تعالى ويقوى ذلك با
لمعرفة بعيوب النفس وافاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها وميلها الى الحظ العاجل في
جميع افعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله تعالى والعلم بانه مطلع على السريرة وخطرات
القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى
الحيا فهذه اسباب هذه الصفات وكلما طلب تحصيله فعلاجه احضار سببه ففي معرفة السبب
معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الاسباب الايمان واليقين اعني به هذه المعارف التي ذكرناها
ومعنى كونها يقينا انتفا الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب
العلم وبقدر اليقين يخشع القلب ولذلك قالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه وقد روي ان الله عز وجل
اوحى الى موسى عليه السلام يا موسى اذا ذكرتني فاذكرني وانت تنتفض اعضاوك وكن عند ذكري
خاشعا مطمئنا واذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا قمت بين يدي فقم قيام العبد
الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق وروي ان الله اوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم قل لعصاة امتك
لا تذكروني فاني آليت على نفسي ان من ذكرني ذكرته فاذا ذكروني ذكرتهم باللعنة هذا في عاص
غير غافل في ذكره فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب انقسم
الناس الى غافل يتمم صلوته ولم يحضر قلبه في لحظة منها والى من يتم ولم يغب قلبه في لحظة بل ربما كان
مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط اسطوانة
في المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره
ووجيب قلب ابراهيم الخليل عليه الصلوة والسلام من ميلين وجماعة كانت تصفر وجوههم
وترتعد فرايصهم وكل ذلك غير مستبعد فان اضعافه مشاهد في همم اهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا
مع ضعفهم وعجزهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك او وزير
ويحدثه بمهمته ثم يخرج من عنده ولو سئل عمن حواليه او عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الا

عند الاستشعار بعجزه عن ثوبه عن الحاضر بحوله ولكن درجات فحظ كل واحد من صلوته
بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فان موضع نظر الله تعالى القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك
قال بعضهم يحشر الناس يوم القيمة على مثل هيئتهم في الصلوة من الطمانينة والهدو ومن وجود
النعيم بها واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى
في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور في الدار الآخرة ولا ينجو الا من
اتى الله بقلب سليم **بيان** الدواء النافع في حضور القلب اعلم ان المؤمن لا بد ان يكون معظما لله تعالى
وخائفا منه وراجيا له ومستحييا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كان قوتها
بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلوة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسم الخاطر وغيبة القلب
عن المناجاة والغفلة عن الصلوة ولا يلهي عن الصلوة الا الخواطر الواردة الشاغلة فالدواء في
احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشي الا بدفع سببه فلتعلم سببه وسبب موارد
الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا في ذاته باطنا اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان
ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم ينجر الفكر منه الى غيره ويتسلسل ويكون
الابصار سببا للافتكار ثم يصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت
همته لم يلهه ما يجري على حواسه ولكن الضعيف لا بد ان يتفرق به فكره فعلاجه قطع هذه
الاسباب بان يغض بصره ويصلي في بيت مظلم او لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب
من حائط عند صلوته حتى لا يتسع مسافة بصره ويحترز من الصلوة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة
المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته
بقدر السجود ليكون ذلك اجمع للهم والاقويا كانوا يحضرون المساجد ويغضون ابصارهم
ولا يجاوزون بها موضع السجود ويرون كمال الصلوة في ان لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم
وكان ابن عمر لا يدع في موضع الصلوة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه اما الاسباب
الباطنة فهي اشد فان من تشعبت به الهموم في اودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل
لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنيه فان ما وقع في القلب من قبل كان للشغل فهذا
طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقرؤه في الصلوة ويشغلها به عن غيره ويعينه على
ذلك ان يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجات وخطر المقام
بين يدي الله تعالى وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلوة عما يهمه ولا يترك لنفسه شغلا
يلتفت اليه خاطره قال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان بن ابي شيبة اني نسيت ان اقول لك تخمر
القدر الذي في البيت فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شي يشغل الناس عن صلاتهم فهذا طريق
تسكين الافكار فان كان هائج افكاره لا يسكن بهذا الدوا المسكن فلا ينجيه الا المسهل الذي
يقمع مادة الداء من اعماق العروق وذلك بان ينظر في الامور الشاغلة الصارفة عن احضار

ولا شك في انها تعود الى مهمات وانها انما صارت مهمة لشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن
تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما شغله عن صلاته فهو ضد دينه وهو جند ابليس
عدوه فامساكه اضر عليه من اخراجه فيتخلص منه باخراجه فيتخلص كما روي انه صلى الله عليه وسلم
لما لبس الخميصة التي اتاه بها ابو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال اذهبوا بها
الى ابي جهم فانها الهتني آنفا عن الصلوة وايتوني بانبجانية ابي جهم وامر صلى الله عليه
وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه في الصلوة اذ كان جديدا فامر ان ينزع عنه ويرد
الشراك الخلق وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى نعلين فاعجبه حسنهما فسجد وقال تو
اضعت لربي كيلا يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما الى اول سائل لقيه ثم امر عليا رضي الله عنه ان
يشتري له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما صلى الله عليه وسلم وكان في يده خاتم ذهب
قبل التحريم وهو على المنبر فرمى به وقال شغلني هذا نظرة اليه ونظرة اليكم وروي ان ابا طلحة
صلى في حائط له فيه شجر فاعجبه دبسي طار في الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه بصره ساعة
ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله
هو صدقة فضعه حيث شئت وعن رجل آخر انه صلى في حائط آخر والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليه
فاعجبه فلم يدر كم صلى فذكر لعثمان رضي الله عنه وقال هو صدقة فاجعله في سبيل الله
فباعه عثمان بخمسين الفا وكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة العلة وكفارة لما جرى من
نقصان الصلوة وهذا هو الدواء القامع النافع الناجع القالع لمادة العلة ولا ينفع
غيره فان ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر ينفع في الشهوات الضعيفة
والهمم التي لا تشغل الا حواشي القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها
التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع صلاتك في شغل التجاذب
ومثال ذلك مثال رجل تحت شجرة اراد ان يصفو له فكره وكانت اصوات العصافير تشوش
عليه فلم يزل يطيرها بخشبة هي في يده ويعود الى فكره فتعود العصافير الى الاشجار
فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا سير السواني ولا ينقطع فان اردت الخلاص
فاقلع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا استعلت وتفرعت اغصانها انجذبت اليها الا
فكار انجذاب العصافير الى الاشجار وكانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول في دفعها
فان الذباب كلما ذب آب ولاجله سمي ذبابا فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة و
قل ما يخلو العبد عنها ويجمعها اصل واحد وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة واساس
كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شيء منها لا ليتزود
منها على الآخرة او يستعين بها فلا يطمعن ان تصفو له لذة المناجاة في الصلوة فان من فرح
بالدنيا فلا يفرح بالله تعالى وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه في الدنيا

انفع الاعمال البهائم ولكن مع هذا فلا ينبغي ان يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلوة وتقليل
الاسباب الشاغلة فهذا هو الدوا ولمرارته استبشعه اكثر الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الدا
عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين لا يحدثوا انفسهم فيها بشي من امور الدنيا
فعجزوا عن ذلك فاذا لا مطمع فيه لامثالنا وليته سلم لنا من الصلوة شطرها او ثلثها من الوساوس
لنكون ممن خلط عملا صالحا واخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الاخرة في القلب مثل الذي يصب
الماء في قدح فيه خل فبقدر ما يدخل في القدح من الماء يخرج منه الخل ولا يجتمعان بيان
تفصيل ما ينبغي ان يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من اعمال الصلوة فنقول حقك ان كنت
من المريدين للاخرة ان لا تغفل اولا عن التنبيهات التي في شروط الصلوة واركانها اما الشروط
السوابق فهي الاذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية
فاذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء يوم القيمة وتشمر بظاهرك وباطنك
للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر
فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار
فاعلم انه ياتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ارحنا يا بلال
اي ارحنا بالنداء اليها اذ كانت صلى الله عليه وسلم قرة عينه فيها واما الطهارة فاذا اتيت بها في
مكانك وهو ظرفك الابعد ثم ثيابك وهي غلافك الاقرب ثم في بشرتك وهي قشرك
فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد ان تحدد له تطهيرا بالتوبة والندم
على ما فرطت وتصميم العزم على ترك العود في المستقبل فطهر بها باطنك فانه موقع نظر
معبودك واما ستر العورة فاعلم ان معناه تغطية مقابح بدنك عن ابصار الخلق فان ظاهر بدنك
موقع نظر الخلق فما بالك في عورات باطنك وفضايح سرك الذي لا يطلع عليه الا ربك فاخطر
تلك الفضايح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يستر عن عين الله ساتر وانما يكفرها
الندم والحيا والخوف فتستفيد باحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحيا من مكامنها
فتذل بها نفسك ويستكن تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدي الله قيام العبد المجرم المسيء الابق
الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا راسه من الحيا والخوف واما الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك
عن ساير الجهات الى جهة بيت الله تعالى افترى ان صرف القلب عن ساير الامور الى امر الله تعالى ليس
مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح
وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة لئلا تبغي على القلب فانها اذا بغت وظلمت في حركاتها
والتفاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله تعالى فليكن وجه قلبك مع
وجه بدنك فاعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالصرف عن غيرها فكذلك لا ينصرف
القلب الى الله تعالى الا بالتفرغ عما سواه وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا قام العبد في صلوته

وكان هواه ووجهه

وكان وجهه بقلبه الى الله عز وجل نحو كعبتهم بالمشاهدة واما الاعتدال قائما فهو مثول بالشخص
والقلب بين يدي الله تعالى فليكن راسك الذي هو ارفع اعضائك مطرقا مطاطئا مستكينا وليكن وضع
الراس عن ارتفاعه تنبيها على الزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترؤس و
الكبر وليكن ذكرك هاهنا خطر المقام بين يدي الله تعالى في هول المطلع عند العرض للسؤال
واعلم في الحال انك قائم بين يدي الله وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي
بعض ملوك الزمان ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلاتك انك
ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من اهلك او ممن ترغب في ان يعرفك بالصلاح
فانه تهدى عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع اجزائك خيفة ان ينسبك
ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع فاذا احسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد
مسكين فعاتب نفسك وقل لها انك تدعين معرفة الله تعالى وحبه افلا تستحيين من استجرائك
عليه مع توقيرك عبدا من عبيده او تخشين الناس ولا تخشين الله تعالى وهو احق ان
يخشى ولذلك لما قال ابو هريرة رضي الله عنه كيف الحياء من الله فقال صلى الله عليه وسلم
ان تستحيي منه كما
تستحيي من الرجل الصالح من قومك فاما النية فاعزم على اجابة الله عز وجل في امتثال امره
بالصلاة واتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله تعالى رجا
لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة باذنه اياك في المناجاة مع
سوء ادبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي
وبماذا تناجي وعند هذا ينبغي ان يعرق جبينك من الخجلة وترتعد فرائصك من الهيبة
ويصفر وجهك من الخوف واما التكبير فاذا نطق به لسانك فينبغي الا يكذبه قلبك فان كان في
قلبك هو شيء اكبر من الله تعالى فالله يشهد انك لكاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد على
المنافقين في قولهم انه صلى الله عليه وسلم رسول الله فان كان هواك اغلب عليك من
امر الله وانت اطوع له منك لله عز وجل فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك ان يكون قولك الله
اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر في ذلك لولا التوبة
والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه واما دعاء الاستفتاح فاول كلماته قولك و
جهت وجهي للذي فطر السموات والارض وليس المراد بالوجه وجه الظاهر فانك انما وجهته
الى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك اليه
وانما وجه القلب هو الذي تتوجه به الى فاطر السموات فانظر اليه امتوجه هو الى امانيه وهمه في
البيت والسوق متبع للشهوات او مقبل على فاطر السموات واياك وان تكون اول مفاتحتك للمناجاة حاجة
بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه الى الله عز وجل الا بانصرافه عما سواه فاجتهد في
الحال في صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام لتكون قولك في الحال صادقا واذا قلت حنيفا مسلما

ينبغي ان يخطر ببالك ان المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن كذلك كنت
كاذبا فاجتهد ان تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الاحوال واذا قلت وما انا
من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفي فان قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا
صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت فيمن يقصد بعبادته وجه الله تعالى وحمد الناس
وكن مشفقا من هذا الشرك واستشعر الخجلة في قلبك اذا وصفت نفسك بانك لست من
المشركين من غير براءة من هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه
واذا قلت محياي ومماتي لله فاعلم ان هذا حال مفقود لنفسه موجود لسيده وانه ان
صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت
لامور الدنيا لم يكن ملائما للحال واذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم
انه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله حسدا لك على مناجاتك مع الله تعالى
وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وان استعاذتك
بالله تعالى منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله لا بمجرد قولك فان من قصده سبع او
عدو ليفترسه او يقتله فقال اعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه فان ذلك
لا ينفعه بل لا يعيذه الا تبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان
ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عن
شر الشيطان وحصنه لا اله الا الله اذ قال الله تعالى فيما اخبر عنه نبينا صلى الله عليه
وسلم لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني امن من عذابي والمتحصن به من لا معبود له سوى الله
تعالى فاما من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله تعالى واعلم
ان من مكايده ان يشغلك في الصلوة بفكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك
عن فهم ما تقرأ واعلم ان كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس فان
حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها واما القراءة فالناس فيها ثلاثة رجل
يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم منه كانه يسمعه
من غيره وهذه درجة اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعاني اولا ثم يخدم اللسان
القلب فيترجمه ففرق بين ان يكون اللسان ترجمان القلب وبين ان يكون معلم القلب
المقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب وتفصيل ترجمة المعاني انك اذا
قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله عز وجل وافهم
ان معناه ان الامور كلها بالله وان المراد بالاسم هنا هو المسمى واذا كانت الامور بالله
فلا جرم كان الحمد لله ومعناه ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة او يقصد
غير الله بشكر لا من حيث انه مسخر من الله تعالى ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفا

الى غير الله تعا

الى غير الله تعالى فاذا قلت الرحمن الرحيم فاحضر في قلبك جميع انواع لطفه ليتضح لك رحمته فينبعث
به رجاؤك ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين اما العظمة فلانه لا ملك
الا له واما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك اياك نعبد وجدد
العجز والاحتياج والتبري عن الحول والقوة بقولك واياك نستعين وتحقق انه ما تيسرت طاعتك الا
باعانته وان له المنة اذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق
لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت من التعويذ بقولك بسم الله
ومن التحميد ومن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب الا اهم حاجاتك وقل
اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا الى جوارك ويفضي بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا
وتاكيدا واستشهادا بالذين افاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء و
الصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ثم
التمس الاجابة وقل امين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم
فيما اخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي
ونصفها لعبدي يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله تعالى حمدني عبدي واثنى علي
وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الى اخره فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله
لك في جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي
ان تفهم ما تقرؤه من السور كما سياتي في كتاب تلاوة القران فلا تغفل عن امره ونهيه ووعده
ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه فلكل منها حق فالرجاء حق الوعد
والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة
والاعتبار حق اخبار الانبياء روي ان زرارة بن اوفى لما انتهى الى قوله فاذا نقر في الناقور
خر ميتا وكان ابراهيم النخعي اذا سمع قوله اذا السماء انشقت اضطرب حتى تضطرب اوصاله
وقال عبد الله بن واقد رايت ابن عمر يصلي مغلوبا وحق له ان يحترق قلبه بوعد سيده
ووعيده فانه عبد ذليل مذنب بين يدي جبار قاهر ويكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم
ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلوة
مفتاح القلوب فيها تنكشف اسرار الملكوت فهذا حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات ايضا
ثم تراعي الهيبة في القراءة فيرتل ولا يسرد فان ذلك ايسر للتامل ويفرق بين نغماته
في اية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتمجيد والتحميد والتعظيم كان النخعي اذا مر
بمثل قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله يغض صوته كالمستحيي عن ان يذكره بكل
شيء وروي انه يقال لصاحب القران اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا واما دوام القيام فهو
تنبيه على اقامة القلب مع الله تعالى على نعت واحد من الحضور قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله

ان الله تعالى مقبل على المصلي ما لم يلتفت وكما يجب حراسة الراس والعين عن الالتفات الى الجهات
فكذلك يجب حراسة السر عن الالتفات الى غير الصلوة فان التفت الى غيره فذكره باطلاع الله تعالى
عليك وقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليعود اليه والزم الخشوع القلب فان الخلاص
عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم
وقد راى رجلا مصليا يعبث بلحيته اما ان هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية بحكم
الراعي ولهذا ورد في الدعاء اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب والجوارح وكان
الصديق رضي الله عنه في صلاته كانه وتد وكذلك كان ابن الزبير كانه عود وبعضهم كان
يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كانه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من
يعظم من ابناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك ومن
يطمئن بين يدي غير الله خاشعا وتضطرب اطرافه بين يدي الله تعالى فانما ذلك لقصور معرفته
عن جلال الله وعن اطلاعه على سره وضميره قال عكرمة في قوله تعالى الذي يراك حين تقوم
وتقلبك في الساجدين قال قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه واما الركوع والسجود
فينبغي ان يجدد عنده ذكر كبرياء الله تعالى فترفع يديك مستجيرا بعفو الله تعالى عن عقابه
ومستعانة بنبيه صلى الله عليه وسلم ثم تستانف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في تر
قيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو مولاك وتستعين
على تقرير ذلك في قلبك وتجديد خشوعك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة فانه
اعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتوكده بالتكرار ثم ترتفع من ركوعك راجيا
انه راحم ذلك ومؤكدا للرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده اي اجاب الله لمن شكره
ثم ترجف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكثر الحمد بقولك ملء
السموات والارض ثم تهوي الى السجود وهو اعلى درجات الاستكانة فتمكن اعز اعضائك
وهو الوجه من اذل الاشياء وهو التراب وان امكنك ان لا تجعل بينهما حائلا فتسجد
على الارض فافعل فانه اجلب للخشوع وادل على الذل واذا وضعت نفسك موضع
الذل فاعلم انك وضعتها موضعها ورددت الفرع الى اصله فانك من التراب خلقت واليه
رددت فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله تعالى وقل سبحان ربي الاعلى ثلاثا واكده با
التكرار فان الكرة الواحدة ضعيفة الاثر فاذا رق قلبك وظهر ذلك فليصدق رجاؤك
في رحمة ربك فان رحمته تتسارع الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر فارفع راسك مكبرا
وسائلا حاجتك وقائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وما اردت من الدعاء ثم اكد
التواضع بالتكرار فعد الى السجود ثانيا كذلك واما التشهد فاذا جلست له فاجلس
متادبا وصرح بان جميع ما تتقرب به من الصلوات والطيبات اي الاخلاق الطاهرة لله وكذ

الملك لله وحده

الملك لله وهو معنى التحيات واحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم
وقل سلام عليك ايها النبي وليصدق املك في انه يبلغه ويرد عليك ما هو اوفى منه ثم
سلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين وتامل ان يرد الله عليك سلاما وافيا
بعدد عباده الصالحين ثم تشهد له بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجددا
عهد الله تعالى باعادة كلمتي الشهادة ومستانفا للتحصن بها ثم ادع في اخر صلاتك بالدعا الماثور
مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجا بالاجابة واشرك في دعائك
ابويك وسائر المسلمين والمومنين واقصد عند التسليم السلام على الملائكة الحاضرين وانو
ختم الصلوة به واستشعر شكر الله على توفيقه اياك لاتمام هذه الطاعة وتوهم انك مودع
لصلاتك هذه وانك ربما لا تعيش لمثلها قال صلى الله عليه وسلم للذي اوصاه صل صلوة مودع
ثم اشعر قلبك الوجل والحيا من التقصير في الصلوة وخف ان لا تقبل صلاتك وان تكون ممقوتا
بذنب ظاهر او باطن وممقوتا بسببه فترد صلاتك في وجهك وترجو مع ذلك ان تقبلها
بفضله وكرمه كان يحيى بن وثاب اذا صلى مكث ما شاء الله تعرف عليه كابة الصلوة وكان ابراهيم
يلبث بعد الصلوة ساعة كانه مريض فهذا تفصيل صلوة الخاشعين الذين هم على صلاتهم يحا
فظون والذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم يناجون الله تعالى على قدر استطاعتهم في
العبودية فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلوة فبالقدر الذي يتيسر له منها ينبغي ان يفرح
وعلى ما يفوته ينبغي ان يتحسر وفي مداواة ذلك ينبغي ان يجتهد واما صلوة الغافلين فهي
مخطرة الا ان يتغمدها الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فائض فنسال الله تعالى ان يتغمدنا برحمته
ويغمرنا بمغفرته اذ لا وسيلة لنا الا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته واعلم ان تخليص الصلوة عن
الافات واخلاصها لوجه الله تعالى واداها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم
والحيا سبب لحصول انوار في القلب تكون الانوار مفاتيح علوم المكاشفة فاوليا الله تعالى المكاشفون
بملكوت السموات والارض واسرار الربوبية انما يكاشفون في الصلوة لا سيما في السجود اذ يتقرب العبد
من ربه عز وجل بالسجود ولذلك قال الله تعالى واسجد واقترب وانما يكون مكاشفة كل مصل على
قدر صفائه عن كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة والجلا والخفا
حتى ينكشف لبعضهم الشي بعينه وينكشف لبعضهم الشي بمثاله كما كشف لبعضهم الدنيا في صورة
جيفة والشيطان في صورة كلب جاثم عليها يدعو اليها ويختلف ايضا بما فيه المكاشفة فبعضهم
ينكشف له من صفات الله وجلاله وبعضهم من افعاله وبعضهم من دقائق علوم المعاملة ويكون
لتعيين تلك المعاني في كل وقت اسباب خفية لا تحصى واشدها مناسبة الهمة فانها اذا كانت مصروفة
الى شي معين كان ذلك اولى بالانكشاف ولما كانت هذه الامور لا تترائي الا في المرايا الصقيلة وكانت
المرايا كلها صدئة احتجبت عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية بل لخبث متراكم

على حسب الهداية تسارعت الالسنة الى الانكار وسبب ذلك ان الطبع مجبول على انكار غير الحاضر
لما ولو كان للجنين عقل لكان ينكر امكان وجود انسان في متسع الهوا ولو كان للطفل تمييز ربما ينكر
ما يزعم العقلاء ادراكه من ملكوت السموات والارض وهكذا الانسان في كل طور يكاد ينكر ما بعده
ومن انكر طور الولاية لزمه ان ينكر طور النبوة وقد خلق الخلق اطوارا فلا ينبغي ان ينكر كل واحد
ما ورا درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحثة المشوشة ولم يطلبوه من تصفية
القلب عما سوى الله تعالى فقدوه فانكروه ومن لم يكن من اهل المكاشفة فلا اقل من ان يومن
بالغيب ويصدق به الى ان يشاهده بالتجربة ففي الخبر ان العبد اذا قام في الصلوة رفع الله
سبحانه الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملئكة من لدن منكبيه الى الهوا
يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وان المصلي لينثر عليه البر من عنان السما الى مفرق
راسه وينادي به مناد لو علم المناجي من يناجي ما التفت وان ابواب السما تفتح للمصلين وان الله
تعالى يباهي ملائكته بصدق المصلي ففتح ابواب السما ومواجهة الله اياه بوجهه كناية عن الكشف
الذي ذكرناه وفي التورية يا ابن آدم لا تعجز ان تقوم بين يدي مصليا باكيا فانا الله الذي
قربت من قلبك وبالغيب رايت نوري قال فكنا نرى ان تلك الرقة والبكاء والفتوح الذي يجده
المصلي في قلبه من دنو الرب تعالى من قلبه وان لم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى له الا
بالدنو بالهداية والرحمة والكشف للحجاب ويقال ان العبد اذا صلى ركعتين عجب منه عشرة
صفوف من الملئكة كل صف منهم عشرة آلاف ويباهي الله تعالى به مائة الف ملك وذلك ان العبد
قد جمع في الصلوة بين القيام والقعود والركوع والسجود وقد فرق ذلك على اربعين
الف ملك فالقائمون لا يركعون الى يوم القيمة والساجدون لا يرفعون الى يوم القيمة وهكذا
الراكعون والقاعدون فان ما رزق الله تعالى الملئكة من القرب والرتبة لازم لهم مستمر على
درجة واحدة لا يزيد ولا ينقص ولذلك قال الله عنهم انهم قالوا وما منا الا له مقام معلوم
وفارق الانسان الملئكة في الترقي من درجة الى درجات فانه لا يزال يتقرب الى الله تعالى فيستفيد
مزيدا وباب المزيد مسدود عن الملئكة وليس لكل واحد منهم الا رتبته التي هي وقف عليه وعبادته
التي هو مشغول بها لا ينتقل الى غيرها ولا يفتر عنها ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته
ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ومفتاح مزيد الدرجات هي الصلوات قال الله تعالى
قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون فمدحهم بعد الايمان بصلوة مخصوصة وهي المقرونة
بالخشوع ثم ختم اوصاف المفلحين بالصلوة ايضا فقال تعالى في آخرها والذين هم على صلوتهم يحافظون
ثم قال في ثمرة تلك الصلوة اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس فوصفهم بالفلاح
اولا وبوراثة الفردوس آخرا وما عندي ان هذرمة اللسان مع غفلة القلب تنتهي درجاته
الى هذا الحد ولذلك قال الله تعالى في اضدادهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين المصلين

همرثه

هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله تعالى وهم المتمتعون بقربه ودنوه من قلوبهم
فنسأل الله تعالى ان يجعلنا منهم وان يعيذنا من عقوبة من تزينت اقواله وقبحت افعاله
بمنه وجوده انه الكريم المنان القديم الاحسان **حكايات** واخبار في صلوة الخاشعين اعلم ان
الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين بجلال الله تعالى ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا في الصلوة
وفي غير الصلوة بل في خلوته وفي بيت الماء عند قضاء الحاجة فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله
على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست تختص
بالصلوة ولذلك روي عن بعضهم انه لم يرفع راسه الى السماء اربعين سنة حياء من الله تعالى
وخشوعا له وكان الربيع بن خثيم من شدة غضه لبصره واطراقه يظن بعض الناس انه
اعمى وكان يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة فاذا راته جارية ابن مسعود قالت
له صديقك الاعمى جاء فكان ابن مسعود يضحك من قولها وكان اذا دق الباب تخرج الجارية
اليه فتراه مطرقا غاضا بصره وكان ابن مسعود اذا نظر اليه يقول وبشر المخبتين اما والله
لو راك محمد صلى الله عليه وسلم لفرح بك وفي لفظ اخر لاحبك ومشى ذات يوم مع ابن مسعود
في الحدادين فلما نظر الى الاكوار تنفخ والنيران تلتهب صعق وسقط مغشيا عليه وقعد ابن
مسعود عند راسه الى وقت الصلوة فلم يفق فحمله على ظهره الى منزله فلم يزل مغشيا عليه
الى مثل الساعة التي صعق فيها ففاتته خمس صلوات وابن مسعود عند راسه يقول هذا والله
الخوف وكان الربيع يقول ما دخلت في صلوة فاهمني فيها الا ما اقول وما يقال لي وكان عامر بن عبد الله
من خاشعي المصلين كان اذا صلى ربما ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن في البيت
ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله وقيل له ذات يوم هل تحدثك نفسك في الصلوة بشيء قال نعم بوقوفي
بين يدي الله تعالى ومنصرفي الى احدى الدارين قيل فهل تجد شيئا مما نجد من امور الدنيا فقال
لان تختلف الاسنة في احب الي من ان اجد في الصلوة ما تجدون وكان يقول لو كشف الغطاء ما ازددت
يقينا وقد كان مسلم بن يسار منهم ونقل انه لم يشعر بسقوط اسطوانة في المسجد
وهو في الصلوة وتاكل طرف من اطراف بعضهم واحتيج فيه الى القطع فلم يمكن منه فقيل انه
في الصلوة لا يحس بما يجري عليه فقطع منه ذلك الطرف وهو في الصلوة وقال بعضهم الصلوة من
الاخرة فاذا دخلت في الصلوة خرجت من الدنيا وقيل لاخر هل تحدث نفسك في الصلوة بشيء من
الدنيا قال لا في الصلوة ولا في غيرها وسئل بعضهم هل تذكر في الصلوة شيئا فقال وهل شيء
احب الي من الصلوة فاذكره فيها وكان ابو الدرداء يقول من فقه الرجل ان يبدا بحاجته قبل دخوله
في الصلوة ليدخل في الصلوة وقلبه فارغ وكان بعضهم يخفف الصلوة خيفة الوسواس وروي
ان عمار بن ياسر صلى صلوة فاخفها فقيل له خففت يا ابا اليقظان فقال هل رايتموني نقصت
من حدودها شيئا قالوا لا قال اني بادرت سهو الشيطان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

ان العبد ليصلي الصلوة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول
انما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ويقال ان طلحة والزبير وطائفة من الصحابة كانوا اخف
الناس صلوة وقالوا نبادر بها وسوسة الشيطان وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال
وهو على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام وما اكمل لله تعالى صلوة قيل وكيف ذلك
قال لا يتم خشوعها ولا تواضعها واقباله على الله تعالى فيها وسئل ابو العالية عن قوله تعالى الذين
هم عن صلوتهم ساهون قال هو الذي يسهو في صلوته فلا يدري على كم ينصرف اعلى شفع او على
وتر وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلوة حتى يخرج وقيل هو الذي ان صلاها في اول
الوقت لم يفرح وان اخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها برا ولا تاخيرها اثما واعلم ان تعجيلها
الصلوة قد يحسب بعضها ويكتب دون بعض كما دلت الاخبار على ذلك وان كان الفقيه يقول ان الصلوة
في الصحة لا تتجزى ولكن ذلك معنى اخر ذكرناه وهذا المعنى دلت عليه الاحاديث اذ ورد جبر
نقصان الفرائض بالنوافل وفي الخبر قال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى بالفرائض نجى مني
عبدي وبالنوافل تقرب الي وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي الا باداء
ما افترضت عليه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلوة فترك من قراءتها اية فلما
انفتل قال ماذا قرات فسكت القوم فسأل ابي بن كعب فقال قرات سورة كذا وتركت اية كذا
فما ندري انسخت ام رفعت فقال صلى الله عليه وسلم انت لها يا ابي ثم اقبل على الاخرين فقال
ما بال اقوام يحضرون صلوتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين ايديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من
كتاب ربهم الا ان بني اسرائيل كذا فعلوا فاوحى الله الى نبيهم ان قل لقومك تحضروني
ابدانكم وتعطوني السنتكم وتغيبون عني بقلوبكم باطلا ما تذهبون او تذهبون اليه وهذا
دليل على ان استماع ما يقرأ الامام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه وقال بعضهم ان العبد
ليسجد سجدة يظن انه تقرب بها الى الله ولو قسمت ذنوبه في سجدته على اهل مدينته لهلكوا قيل
وكيف ذلك قال يكون ساجدا عند الله تعالى وقلبه مصغ الى هوى ومشاهد لباطل قد استولى
عليه فهذه صفة الخاشعين فدلت هذه الحكايات والاخبار مع ما سبق على ان الاصل في
الصلوة الخشوع وحضور القلب وان مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد والله
اعلم **الباب الرابع** في الامامة والقدوة وعلى الامام وظائف قبل الصلوة وفي القراءة
وفي اركان الصلوة وبعد السلام اما الوظائف التي قبل الصلوة فستة **الاول** ان لا يتقدم
الامام للامامة على قوم يكرهونه فان اختلفوا كان النظر الى الاكثرين فان كان الاقلون هم
اهل الخير فالنظر اليهم اولى وفي الحديث ثلثة لا تجاوز صلوتهم رؤسهم العبد الابق وامراة
زوجها ساخط عليها وامام قوم وهم له كارهون وكما ينهى عن تقدمه مع كراهتهم فكذلك
ينهى عن التقدم ان كان وراءه من هو افقه منه الا اذا امتنع من هو اولى منه فله التقدم

فان لم يكن

فان لم يكن شيء من ذلك فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الامامة ويكره عند ذلك المدا
فعة فقد قيل ان قوما تدافعوا الامامة بعد اقامة الصلوة فخسف بهم وما روى من مدافعة الامامة بين الصحابة
فانما سببه ذلك ايثارهم من راوه اولى بذلك او خوفهم على انفسهم السهو وخطر ضمان صلاتهم فان الائمة
ضمنا وكان من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الاخلاص في الصلوة حياء من
المقتدين لا سيما في جهره بالقراءة فكان لاحتراز من احترز اسباب من هذا الجنس الثاني اذا
خير المرء بين الاذان والامامة فينبغي ان يختار الامامة فان لكل واحد منهما فضلا ولكن الجمع
مكروه بل ينبغي ان يكون الامام غير المؤذن واذا تعذر الجمع فالامامة اولى وقال قائلون الاذان اولى
لما نقلنا في فضيلة الاذان ولقوله صلى الله عليه وسلم الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فقالوا
فيه خطر الضمان وقال صلى الله عليه وسلم الامام امين فاذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا وفي
الحديث فان اتم فله ولهم وان نقص فعليه لا عليهم ولان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اللهم ارشد الائمة واغفر للمؤذنين والمغفرة اولى بالطلب فان الرشد يراد للمغفرة وفي الخبر
من اذن في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن اذن اربعين عاما دخل الجنة بغير حساب
ولذلك نقل عن الصحابة انهم كانوا يتدافعون الامامة والصحيح ان الامامة افضل اذ واظب
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما والائمة بعدهما نعم فيها
خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما ان رتبة الخلافة والامارة افضل لقوله صلى الله
عليه وسلم ليوم من سلطان عادل افضل من عبادة سبعين سنة ولكن فيها خطر ولذلك
يجب تقديم الافضل والافقه فقال صلى الله عليه وسلم ائمتكم وفدكم الى الله تعالى فان اردتم
ان تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم وقال بعض السلف ليس بعد الانبياء افضل من العلماء ولا
بعد العلماء افضل من الائمة المصلين لان هؤلاء قاموا بين يدي الله تعالى وبين خلقه هذا با
لنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهي الصلوة وبهذه الحجة احتج الصحابة في تقديم ابي
بكر رضي الله عنه للخلافة اذ قالوا انظرنا فاذا الصلوة عماد الدين فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم لديننا وما قدموا بلالا احتجاجا بانه رضيه للاذان وما روي انه قال له رجل
يا رسول الله دلني على عمل ادخل به الجنة فقال كن مؤذنا فقال لا استطيع فقال كن اماما قال لا
استطيع قال صل بازاء الامام فلعله ظن انه لا يرضى بامامته اذ الاذان اليه والامامة الى الجماعة و
تقديمهم له ثم بعد ذلك ربما توهم انه يقدر عليه الثالث ان يراعي الامام اوقات الصلوة
فيصلي في اوائلها ليدرك رضوان الله ففضل اول الوقت على اخره كفضل الاخرة على الدنيا هكذا روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث ان العبد ليصلي الصلوة في اخر وقتها ولم
تفته ولما فاته من اول وقتها خير له من الدنيا وما فيها ولا ينبغي ان يؤخر الصلوة لانتظار كثرة
الجمع بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة اول الوقت فذلك افضل من كثرة الجماعة ومن تطويل

السورة بقدر قليل كانوا اذا احضر اثنان من الجماعة لم ينتظروا الثالث واذا احضر اربعة في الجنازة
لم ينتظروا الخامس وقد تاخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلوة الفجر وكانوا في سفر وانما تاخر
للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة
فقام يقضيها قال فاشفقنا من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم قد احسنتم هكذا فافعلوا وقد تاخر
في صلوة الظهر فقدموا ابا بكر حتى جاء صلى الله عليه وسلم وهم في الصلوة فقام الى جانبه
وليس على الامام انتظار المؤذن وانما على المؤذن انتظار الامام للاقامة فاذا حضر فلا ينتظر
غيره الرابع ان يؤم مخلصا لوجه الله تعالى ومؤديا امانة الله في طهارته وجميع شروط صلاته
اما الاخلاص فبان لا ياخذ عليه اجرة فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن ابي
العاص الثقفي فقال واتخذ مؤذنا لا ياخذ على الاذان اجرة فالاذان طريق الى الصلوة فهي
اولى بان لا ياخذ عليها اجرة فان اخذ رزقا من المسجد وقد وقف على من يقوم بامامته او من
السلطان او من آحاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه والكراهة في الفرائض اشد منها في التراويح
ويكون اجرة له على مداومته حضور الموضع الذي يصلي فيه ومراقبة مصالح المسجد في اقامة
الجماعة لا على نفس الصلوة واما الامانة فهي الطهارة باطنا عن الفسق والكبائر والاصرار على
الصغائر فالمترشح للامامة ينبغي ان يحترز عن ذلك جهده فانه كالوفد والشفيع للقوم
فينبغي ان يكون خير القوم وكذلك الطهارة ظاهرا عن الحدث والخبث فانه لا يطلع على ذلك سواه فان تذكر في اثناء صلوته حدثا او خرج منه ريح فلا يستحيي بل لياخذ بيد من
يقرب منه ويستخلفه فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه جنب في اثناء الصلوة
فاستخلف ثم خرج فاغتسل ثم رجع ودخل في الصلوة وقال سفيان صل خلف كل بر وفاجر
الا مدمن خمر او معلنا بالفسق او عاقا لوالديه او صاحب بدعة او عبدا آبقا الخامس ان لا
يكبر حتى تستوي الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا فان راى خللا امر بالتسوية قيل كانوا يتحاذون
في المناكب ويتضامون في الكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الاقامة والمؤذن يؤخر
الاقامة عن الاذان بقدر استعداد الناس للصلاة ففي الخبر ليتمهل المؤذن بين الاذان
والاقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره وذلك لانه نهى عن مدافعة الا
خبثين وامر بتقديم العشاء طلبا لفراغ القلب السادس ان يرفع صوته بتكبيرة الاحرام و
سائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته الا بقدر ما يسمع نفسه وينوي الامامة لينال الفضل
فان لم ينو صحت صلوته وصلوة القوم اذا نووا الاقتداء ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال
فضل الامامة وليؤخروا تكبيرهم عن تكبيرة الامام فيبتدروا بعد فراغه واما وظائف
القراءة فثلاثة الاول ان يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة
والسورة في جميع الصبح واولي العشاء والمغرب وكذا المنفرد ويجهر بقوله آمين في صلوة الجهر

وكذا المأموم

وكذا الماموم ويقرن الماموم تامينه بتامين الامام معا لا تعقيبا ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم
والاخبار فيها متعارضة ومذهب الشافعي رضي الله عنه الجهر الثالث ان يكون للامام في
القيام ثلث سكتات هكذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن حصين عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم اولهن اذا كبر وهي الطولى منهن مقدار ما يقرا من خلفه فاتحة الكتاب وذلك
وقت قراءته لدعاء الاستفتاح فالامام ان لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من
من صلاتهم فان لم يقرءوا الفاتحة في سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك عليهم لا عليه و
السكتة الثانية اذا فرغ من الفاتحة ليتم من لم يقرا الفاتحة في السكتة الاولى الفاتحة
وهي نصف السكتة الاولى والسكتة الثالثة اذا فرغ من السورة قبل ان يركع وهي اخفها
وذلك بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهي عن الوصل فيه ولا يقرا الماموم وراء الامام
الا الفاتحة فان لم يسكت الامام قرا الفاتحة معه والمقصر هو الامام وان لم يسمع الماموم في
الجهرية لبعده او كان في صلوة السر فلا باس بقراءته للسورة مع الفاتحة الرابع ان يقرا
في الصبح سورتين من المثاني ما دون المائة فان الاطالة في قراءة الفجر والتغليس بها سنة
ولا يضره الخروج منها في الاسفار ولا باس ان يقرا في الثانية باواخر السور نحو الثلثين او
العشرين الى ان يختمها لان ذلك لا يتكرر على الاسماع كثيرا فيكون ابلغ في الوعظ وادعى الى
التفكر وانما كره بعض العلماء قراءة بعض اول السورة وقطعها وقد روي انه صلى الله عليه
وسلم قرا بعض سورة يونس فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون قطع فركع وقد روي انه
قرا في الفجر آية من البقرة وهو قوله تعالى قولوا آمنا بالله الآية وفي الثانية ربنا آمنا بما انزلت
وسمع بلالا يقرا من ههنا ومن ههنا فساله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال عليه
السلام احسنت ويقرا في الظهر بطوال المفصل الى ثلثين آية وفي العصر نصف ذلك وفي
المغرب باواخر المفصل وآخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرا فيها سورة
المرسلات ما صلى بعدها حتى قبض وبالجملة التخفيف اولى سيما اذا كثر الجمع قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في هذه الرخصة اذا صلى احدكم بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والكبير وذو
الحاجة واذا صلى لنفسه فليطول ما شاء وقد كان معاذ بن جبل يصلي بقوم العشاء فقرا البقرة فخرج
رجل من الصلوة واتم لنفسه فقالوا نافق الرجل فتشاكيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر
صلى الله عليه وسلم معاذا وقال افتان انت يا معاذ اقرا بسورة سبح والسماء والطارق والشمس
وضحاها فاما ما يتعلق بالاركان فثلثة اولها ان يخفف الركوع والسجود ولا يزيد بالتسبيحات
على ثلث فقد روي عن انس انه قال ما رايت اخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في
تمام ونقص وروي ان انس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان امير المدينة فقال
ما صليت وراء احد اشبه بصلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب وقال فكنا نسبح وراءه

عشرا عشرا مروي مجاهد انهم قالوا كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشرا
عشرا وذلك حسن ولكن الثلاث اذا كثر الجمع احسن فاما اذا لم يحضر الا المتجردون للدين فلا باس بالعشر
هذا امجد الجمع بين الروايتين وينبغي ان يقول الامام عند رفع راسه من الركوع سمع الله لمن
حمده الثانية المأموم ينبغي ان لا يسابق الامام في الركوع والسجود بل يتأخر عنه فلا يهوي للسجود
الا اذا وصلت جبهة الامام الى موضع السجود هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا يهوي للركوع حتى يستوي الامام راكعا وقد قيل ان الناس يخرجون من الصلوة على ثلثة
اقسام طائفة بخمسة وعشرين صلوة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد ركوع الامام وطائفة بصلوة
واحدة وهم الذين يساوقونه وطائفة بلا صلوة وهم الذين يسبقون الامام وقد اختلف
في ان الامام في الركوع هل ينتظر لحوق من دخل لينال به فضل جماعتهم وادراكهم لتلك
الركعة ولعل الاولى ان ذلك مع الاخلاص لا باس به اذا لم يظهر تفاوت ظاهر
للحاضرين فان حقهم مرعي في ترك التطويل عليهم الثالثة لا يزيد في دعاء التشهد
على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص في الدعاء نفسه بل ياتي بصيغة
الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفر لي فيكره للامام ان يخص نفسه
بالدعاء ولا باس ان يستعيذ في تشهده بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيقول نعوذ بك من عذاب القبر وعذاب جهنم ونعوذ بك من فتنة
المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال واذا اردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك
غير مفتونين وقيل انه سمي مسيحا لانه يمسح الارض بطولها وقيل لانه ممسوح العين
اي مطموسها واما وظائف التحلل فثلث اولها ان ينوي بالتسليمتين السلام على القوم
والملئكة والثانية ان يثبت عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو
بكر وعمر رضي الله عنهما ويصلي النافلة في موضع اخر فان كان خلفه نسوة لم يقم حتى
ينصرفن وفي الخبر المشهور انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقعد الا قدر قوله اللهم انت
السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام والثالثة اذا وثب ينبغي ان يقبل
بوجهه على الناس ويكره للمأموم القيام قبل انفتال الامام فقد روي عن طلحة والز
بير انهما صليا خلف امام فلما سلما قالا للامام ما احسن صلوتك واتمها الا شيئا واحدا
انك لما سلمت لم تقبل بوجهك ثم قالا للناس ما احسن ما صليتم الا انكم
انصرفتم قبل ان ينفتل امامكم ثم ينصرف الامام حيث شاء من يمينه او شماله و
اليمين احب هذه وظيفة الصلوات اما الصبح فيزيد فيها القنوت فيقول
اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدني ويؤمن المأموم فاذا انتهى الى قوله انك تقضي
ولا يقضى عليك فلا يليق به التأمين لانه ثناء فيقول مثل قوله او يقول الجهر على

فكم من الشاهدين

ذلك من الشاهدين او يقول صدقت وبررت بما اشبه ذلك وقد روي في حديث في رفع
اليدين في القنوت فاذا صح الحديث استحب ذلك وان كان على خلاف الدعوات في آخر
التشهد اذ لا يمنع بينهما السبيل التعويل على التوقيف وبينهما ايضا فرق وذلك ان
للايدي وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما
هنا فلا يبعد ان يكون رفعهما هي الوظيفة في القنوت فانه لائق بالدعاء والله اعلم
وهذه جملة اداب القدوة والامامة **الباب الخامس** في فضل الجمعة وادابها وفرضها وسننها
وشروطها اعلم ان يوم الجمعة يوم عظيم فضل الله به الاسلام وخص به المسلمين قال الله تبارك
وتعالى يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع
الاشتغال بامور الدنيا وكل صارف عن السعي الى الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله فرض
عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا وقال صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاثا من غير
عذر طبع على قلبه وفي لفظ اخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل الى ابن عباس رضي
الله عنهما يساله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة فقال في النار فلم يزل يتردد اليه شهرا
يسال عن ذلك وهو يقول في النار وفي الخبر ان اهل الكتابين اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه
فصرفوا عنه وهدانا الله تعالى له واخره لهذه الامة وجعله عيدا لهم اولى الناس به سبقا واهل
الكتابين تبع وفي حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتاني جبريل عليه السلام
في كفه مراة بيضاء وقال هذه الجمعة يفرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت
فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا الله فيها بخير هو له قسم اعطاه الله او ليس له قسم
ذخر له ما هو اعظم منه او تعوذ من شر هو مكتوب عليه الا اعاذه الله تعالى من اعظم منه
وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه في الاخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك اتخذ في الجنة
واديا افيح من مسك ابيض فاذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى
ينظروا الى وجهه وقال صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم صلى الله
عليه وسلم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد
كذلك تسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر الى الله عز وجل في الجنة وفي الخبر ان الله عز وجل
في كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار وفي حديث انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا سلمت الجمعة سلمت الايام وقال صلى الله عليه وسلم ان الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند
استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة الا يوم الجمعة فانه صلاة كله وان جهنم لا تسعر
وقال كعب ان الله تعالى فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة ومن الليالي
ليلة القدر ويقال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضا يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وقال
صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة كتب الله تعالى له اجر شهيد ووقي فتنة القبر **بيان شروط**

الجمعة اعلم انها تشارك سائر الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط اولها الوقت فلو فات
تسليمة الامام في وقت العصر فاتت الجمعة فعليه ان يتمها ظهرا والمسبوق اذا وقعت ركعته الاخرى
خارجا من الوقت ففيه خلاف الثاني المكان فلا تصح في الصحاري والبوادي وبين الخيام بل
لا بد من بقعة جامعة للابنية لا ينتقل الجمع اربعين ممن تلزمهم الجمعة والقرية في ذلك كالبلد
ولا يشترط حضور السلطان ولا اذنه ولكن الاحب استئذانه الثالث العدد فلا تنعقد باقل من
اربعين ذكرا مكلفين احرارا مقيمين لا يظعنون عنه شتاء ولا صيفا فان انفضوا حتى نقص العدد
في اثناء الخطبة او في الصلاة لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الاول الى الاخر الرابع الجماعة فلو صلى اربعون
في قرية او بلد منفردين لم تصح جمعتهم ولكن المسبوق اذا ادرك الركعة الثانية يجوز له
الانفراد بالركعة الثانية فان لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر فاذا سلم الامام
يتمها ظهرا الخامس ان لا تكون الجمعة مسبوقة باخرى في ذلك البلد فان تعذر اجتماعهم في
جامع واحد جاز في جامعين وثلاثة بقدر الحاجة وان لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي وقع
بها التحرم اولا واذا تحققت الحاجة فالافضل الصلاة خلف الافضل من الامامين فان تساويا
ففي المسجد الاقدم فان تساويا ففي الاقرب ولكثرة الناس ايضا فضل يراعى السادس الخطبتان فيهما
فرضان القيام فيهما فرضه والجلسة بينهما فرضه وفي الاولى اربع فرائض التحميد واقله
الحمد لله الثانية الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة الوصية بتقوى الله عز وجل
الرابعة قراءة اية من القرآن وكذا فرائض الثانية اربعة الا انه يجب فيها الدعاء بدل
القراءة واستماع الخطبة واجب من الاربعين واما السنن فاذا زالت الشمس واذن المؤذن
وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية والكلام لا ينقطع الا بافتتاح الخطبة و
ويسلم الخطيب على الناس اذا اقبل عليهم بوجهه ويردون عليه السلام فاذا فرغ المؤذن قام
مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت ويشغل يديه بقائمة السيف او المنبر والعنزة كي لا يعبث
بهما او يضع احداهما على الاخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ولا يستعمل غريب اللغة
ولا يمطط ولا يتغنى وتكون الخطبة بليغة قصيرة جامعة ويستحب ان يقرأ اية في الثانية ايضا
ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فان سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب حسن ولا يشمت
العاطس ايضا هذه شروط الصحة اما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة الا على ذكر بالغ عاقل مسلم
حر مقيم في قرية او بلدة تشتمل على اربعين جامعين لهذه الصفات او في قرية من سواد البلد
يبلغهم نداء البلد من طرف يليهم والاصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى اذا نودي للصلاة
من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ثم يرخص لهؤلاء في ترك الجمعة بعذر المطر والوحل والفزع والمرض
والتمريض اذا لم يكن للمريض قيم غيره ثم يستحب لهم [illegible] اعني اصحاب الاعذار تاخير الظهر الى ان
يفرغ الناس من الجمعة فان حضر الجمعة مريض او مسافر او عبد او امرأة صحت جمعتهم واجزأت عن الظهر

بيان اداب اداب الجمعة على ترتيب العادة وهي عشر جمل الاول ان يستعد لها من يوم الخميس
عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس
لانها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة في يوم الجمعة قال بعض السلف ان لله تعالى فضلا سوى
ارزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل الا من ساله عشية الخميس ويوم الجمعة ويغسل في هذا اليوم
ثيابه ويبيضها ويعد الطيب ان لم يكن عنده ويفرغ قلبه من الاشغال التي تمنعه من البكور الى
الجمعة وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فان له فضلا وليكن مضموما الى يوم الخميس او السبت لا
مفردا فانه مكروه وليشتغل باحياء هذه الليلة بالصلوة وختم القرآن فلها فضل كبير وينسحب
عليها فضل يوم الجمعة ويجامع اهله في هذه الليلة او في يوم الجمعة فقد استحب ذلك قوم
حملوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل وهو حمل
الاهل على الغسل وقيل معناه غسل ثيابه فروي بالتخفيف واغتسل لجسده وبهذا تتم اداب
الاستقبال ويخرج من زمرة الغافلين الذين اذا اصبحوا قالوا ما هذا اليوم قال بعض السلف
اوفى الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها ورعاها من الامس واخفهم نصيبا من اذا اصبح فيقول
ايش اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لاجل الجمعة في الجامع الثاني اذا اصبح
ابتدا بالغسل بعد طلوع الفجر وان كان لا يبكر فاقربه الى الرواح احب ليكون اقرب عهدا بالنظافة والغسل
مستحب استحبابا مؤكدا وقد ذهب بعض العلماء الى وجوبه قال صلى الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب
على كل محتلم والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر من اتى الجمعة فليغتسل وقال صلى الله عليه وسلم
من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا وكان اهل المدينة اذا تساب المتسابان يقول
احدهما للاخر لانت اشر ممن لا يغتسل يوم الجمعة وقال عمر لعثمن رضي الله عنهما لما دخل وهو
يخطب اهذه الساعة منكرا عليه ترك البكور فقال ما زدت بعد ان سمعت الاذان ان توضات وخرجت
فقال والوضوء ايضا وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنا بالغسل وقد عرف جواز ترك الغسل
بوضوء عثمان رضي الله عنه وبما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من توضا يوم الجمعة
فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل افضل ومن اغتسل للجنابة فليفض الماء على بدنه مرة اخرى على
نية غسل الجمعة وان اكتفى بغسل واحد اجزاه وحصل له الفضل اذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة
في غسل الجنابة وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال اللجمعة فقال بل من الجنابة
او للجمعة فقال من جنابة فقال اعد غسلا ثانيا وروى الحديث في غسل الجمعة على كل محتلم
وانما امره لانه لم يكن نواه وكان لا يبعد ان يقال المقصود النظافة وقد حصلت دون النية ولكن
هذا ينقدح في الوضوء وهو متعبد في الشرع فلا بد من طلب فضله ومن اغتسل ثم احدث توضا
ولم يبطل غسله والاحب ان يحترز عن ذلك الثالث الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي في ثلثة الكسوة
والنظافة وتطييب الرائحة اما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وتقليم الاظفار وقص الشارب وسائر

ما سبق في كتاب الطهارة قال ابن مسعود من قلم اظفاره يوم الجمعة اخرج الله منه داء وادخل فيه شفاء فان كان قد دخل الحمام في الخميس او الاربعاء فقد حصل المقصود وليتطيب في هذا اليوم باطيب طيب عنده ليغلب به الروائح الكريهة ويوصل بذلك الروح والراحة الى مشام الحاضرين في جواره واحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه روي ذلك في الاثر وقال الشافعي من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله واما الكسوة فاحبها البياض من الثياب اذ احب الثياب الى الله البياض ولا يلبس منها ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر اليه لانه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمامة مستحبة في هذا اليوم روى واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله وملائكته يصلون على اصحاب العمائم يوم الجمعة فان اكربه الحر فلا باس ان ينزعها قبل الصلوة وبعدها ولكن لا ينزع في وقت السعي من المنزل الى الجمعة ولا في وقت الصلوة ولا عند صعود الامام المنبر ولا في الخطبة الرابع البكور الى الجامع ويستحب ان يقصد الجامع من فرسخين او ثلثة وليبكر ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم وينبغي ان يكون في سعيه الى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف في المسجد الى وقت الصلوة قاصدا للمبادرة الى جواب نداء الله اياه الى الجمعة والمسارعة الى مغفرته ورضوانه وقد قال صلى الله عليه وسلم من راح الى الجمعة في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكانما اهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما اهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فانما جاء لحق الصلوة ليس له من الفضل شيء والساعة الاولى الى طلوع الشمس والثانية الى ارتفاعها والثالثة الى انبساطها حتى ترمض الاقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الاعلى الى الزوال وفضلهما قليل ووقت الزوال حق الصلوة ولا فضل فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا الابل في طلبهن الاذان والصف الاول والغدو الى الجمعة قال احمد بن حنبل افضلهن الغدو الى الجمعة وفي الخبر اذا كان يوم الجمعة قامت الملائكة على ابواب المساجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وفي الاثر ان الملائكة يتفقدون العبد اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان وما الذي اخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان اخره فقر فاغنه وان كان اخره مرض فاشفه وان كان اخره شغل ففرغه لعبادتك وان كان اخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك وكان يرى في القرن الاول سحرا وبعد الفجر الطرقات مملوة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون فيها الى الجامع كايام العيد حتى اندرس ذلك فقيل اول بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور الى الجامع وكيف لا تستحي المؤمنون

من اليهود

ن اليهود والنصارى يبكرون الى البيع والكنائس يوم السبت والاحد وطلاب الدنيا كيف يبكرون
الى رحاب الاسواق للبيع والشرا والربح فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة ويقال ان الناس يكونون
في قربهم عند النظر الى وجه الله عز وجل على قدر بكورهم الى الجمعة ودخل ابن مسعود بكرة فراى ثلثة
نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول لنفسه معاتبا لها رابع اربعة وما رابع اربعة
ببعيد الثاني في هيئة الدخول ينبغي ان لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين ايديهم والبكور
يسهل عليه ذلك فقد ورد وعيد شديد في تخطي الرقاب وهو انه يجعل جسرا يوم القيمة يتخطاه
الناس وروى ابن جريج مرسلا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة اذ
راى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلوته عارض
الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك اليوم ان تجمع معنا فقال يا نبي الله قد جمعت فقال اولم
ارك تتخطى رقاب الناس اشار بذلك الى انه احبط عمله وفي حديث مسند انه قال صلى الله عليه
وسلم ما منعك ان تصلي معنا فقال اولم ترني فقال لقد رايتك آنيت وآذيت اي تاخرت عن
البكور وآذيت الحضور ومهما كان الصف الاول متروكا وكان خاليا فله ان يتخطى رقاب الناس
لانهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة قال الحسن تخطوا رقاب الذين يقعدون على ابواب
الجوامع يوم الجمعة فانه لا حرمة لهم واذا لم يكن في المسجد الا من يصلي ينبغي ان لا يسلم فانه
تكليف جواب في غير محله السادس ان لا يمر بين يدي الناس ويجلس هو الى قريب من اسطوانة
او حائط حتى لا يمرون بين يديه اعني بين يدي المصلي فان ذلك لا يقطع الصلوة ولكنه منهي عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يقف احدكم اربعين سنة خير له من ان يمر بين يدي المصلي
وقال صلى الله عليه وسلم لان يكون الرجل رمادا او رمدا تذروه الرياح خير له من ان يمر بين
يدي المصلي وسوى في حديث آخر بين المار والمصلي حيث صلى على الطريق او قصر في الدفع
فقال لو يعلم المار بين يدي المصلي والمصلي ما عليهما في ذلك لكان ان يقف اربعين سنة
خير له من ان يمر بين يديه والاسطوانة والحائط والمصلى المفروش حد المصلي فمن اجتاز به فينبغي
ان يدفعه قال صلى الله عليه وسلم ليدفعه فان ابى فليقاتله فانه شيطان وكان ابو سعيد الخدري
رضي الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه وربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه عند مروان
فيخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم امره بذلك فان لم يجد اسطوانة فلينصب بين يديه شيئا طوله قدر ذراع
ليكون ذلك علامة لحده السابع ان يطلب الصف الاول فان فضله كثير كما رويناه وفي الخبر من غسل
واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع كان له كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلثة ايام وفي
لفظ آخر غفر الله له الى الجمعة الاخرى وقد اشترط في بعضها ولم يتخط رقاب الناس ولا
يغفل في طلب الصف الاول عن ثلثة امور الاول انه اذا كان يرى بقرب الخطيب منكرا يعجز عن
تغييره من لبس حرير من الامام او غيره او صلاة في سلاح كثير ثقيل شاغل او سلاح مذهب او

غير ذلك مما يجب فيه الانكار فالتأخر له اسلم واجمع للهم فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة
وقيل لبشر بن الحارث نراك تبكر وتصلي في آخر الصفوف فقال انما يراد قرب القلوب لا قرب الا
جساد واشار الى ذلك اقرب لسلامة قلبه ونظر سفيان الثوري الى شعيب بن حرب عند المنبر
يستمع الخطبة من ابي جعفر فلما فرغ من الصلوة قال شغل قلبي قربك من هذا هل امنت ان تسمع
كلاما يجب عليك انكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما احدثوا من لبس السواد فقال يا ابا عبد الله اليس في
الخبر ادن فاستمع فقال ويحك ذلك للخلفاء الراشدين المهديين فاما هولاء فكلما بعدت عنهم
ولم تنظر اليهم كان اقرب الى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر صليت الى جنب ابي الدرداء فجعل يتاخر
في الصفوف حتى كنا في اخر الصف فلما صلينا قلت له اليس يقال خير الصفوف اولها فقال نعم الا ان
هذه الامة مرحومة منظورة اليها من بين الامم فان الله تعالى اذا نظر الى عبد في صلوة غفر له ولمن
وراءه من الناس فانما تأخرت رجاء ان يغفر لي بواحد منهم ينظر الله اليه وقال بعض الرواة سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذلك فمن تأخر على هذه النية ايثارا واظهارا لحسن الخلق فلا باس وعند
هذا يقال الاعمال بالنيات الثالثة ان لم يكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن المسجد للسلاطين
فالصف الاول محبوب والا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة كان الحسن وبكر المزني لا يصليان
في المقصورة ورايا انها قصرت على السلاطين وهي بدعة احدثت بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المساجد والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه وصلى انس بن مالك
وعمران بن حصين في المقصورة ولم يكرها ذلك لطلب القرب ولعل الكراهية تختص بحالة
التخصيص والمنع فاما مجرد المقصورة اذا لم يكن منع فلا يوجب كراهية الثالثة ان المنبر يقطع بعض
الصفوف فانما الصف الاول الواحد المتصل الذي في فناء المنبر وما على طرفيه مقطوع وكان الثوري
يقول الصف الاول هو الخارج بين يدي المنبر وهو متجه لانه متصل ولان الجالس فيه يقابل
الخطيب ويسمع ولا يبعد ان يقال الاقرب الى القبلة هو الصف الاول ولا يراعى هذا المعنى
وتكره الصلوات في الاسواق والرقاق والرحاب الخارجة عن المسجد وكان بعض الصحابة يضرب
الناس ويقيمهم من الرحاب الخامس ان يقطع الصلوة عند خروج الامام ويقطع الكلام ايضا
بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام
المؤذنين ولم يثبت له اصل في اثر ولا خبر ولكنه ان وافق سجود تلاوة فلا باس به
للدعا لانه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فانه لا سبب لتحريمه وقد روي عن علي وعثمان
رضي الله عنهما انهما قالا من استمع وانصت فله اجران ومن لم يستمع وانصت فله اجر ومن سمع
ولغا فعليه وزران ومن لم يستمع ولغا فعليه وزر واحد وقال صلى الله عليه وسلم من قال لصاحبه
والامام يخطب انصت او صه فقد لغا ومن لغا والامام يخطب فلا جمعة له وهذا يدل على ان
الاسكات ينبغي ان يكون باشارة او رمي حصاة لا بالنطق وفي حديث ابي ذر لما سال ابيا والنبي

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى انزلت هذه السورة فاومى اليه ان اسكت فلما نزل صلى الله عليه وسلم
قال لأبي اذهب فلا جمعة لك فشكاه ابو ذر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له صدق ابي واطع ابيا
واذا كان بعيدا من الامام فلا ينبغي ان يتكلم في العلم ولا في غيره بل يسكت لان ذلك يتسلسل و
يفضي الى هينمة تنتهي الى المستمعين ولا يجلس في حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع للبعد
فلينصت فهو المستحب واذا كانت الصلوة تكره في وقت خطبة الامام فالكلام اولى بالكراهة قال علي
رضي الله عنه تكره الصلوة في اربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلوة والامام
يخطب الخامس ان يراعي في قدوة الجمعة ما ذكرناه في غيرها فاذا سمع قراءة الامام لم يقرا سوى
الفاتحة فاذا فرغ من الجمعة قرا الحمد سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد والمعوذتين سبعا
سبعا فقد روي عن بعض السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من
ويستحب ان يقول بعد صلوة الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدي يا معيد يا رحيم يا ودود
اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك فيقال من داوم على هذا الدعاء اغناه الله
عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات فقد روي ابن عمر
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الجمعة ركعتين وروى ابو هريرة اربعا وروى
علي عن عبد الله ستا والكل صحيح في احوال مختلفة والاكمل افضل العاشر ان يلازم المسجد
حتى يصلي العصر فان بقي الى المغرب فهو الافضل يقال من صلى العصر في المسجد الجامع كان
له مثل ثواب الحج ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة فان لم يامن التصنع ودخول الافة
عليه من نظر الناس الى اعتكافه وخاف الخوض فيما لا يعني فالافضل ان يرجع الى بيته ذاكرا
لله تعالى مفكرا في الائه شاكرا على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه الى غروب
الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة ولا ينبغي ان يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث
الدنيا قال صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم امر دنياهم ليس لله
فيهم حاجة فلا تجالسوهم **بيان** الاداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي
يعم جميع النهار وهي سبعة الاول ان يحضر مجالس العلم بكرة او بعد الصلوة او بعد العصر ولا
يحضر مجالس القصاص فلا خير في كلامهم ولا ينبغي ان يخلو المريد في جميع يوم الجمعة عن
الخيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو في خير ولا ينبغي ان يحضر الحلق قبل
الصلوة فروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق قبل
الصلوة يوم الجمعة الا ان يكون عالما بالله يذكر بايام الله تعالى ويفقه في دين الله تعالى
ويحث عليه يتكلم في الجامع بالغداة فيجلس اليه فيكون جامعا بين البكور وبين الاستماع واستماع
العلم النافع في الاخرة افضل من اشتغال بالنوافل فقد روى ابو ذر ان حضور مجلس علم افضل
من صلوة الف ركعة وقال انس بن مالك في قوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا

من فضل الله اما انه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم و
زيارة اخ في الله وقد سمى الله تعالى العلم فضلا في مواضع فقال تعالى وعلمك ما لم تكن
تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يعني العلم
فتعليم العلم في هذا اليوم وتعلمه من افضل القربات والصلاة افضل من مجالس
القصاص اذ كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع حضر ابن عمر رضي الله
عنه الى مجلسه في المسجد الجامع فاذا قاص يقص في موضعه فقال له قم عن مجلسي فقال
لا اقوم وقد جلست وسبقتك اليه فارسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فاقامه
فلو كان ذلك من السنة لما جاز اقامته فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقيمن احدكم
اخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر اذا قام له
رجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود اليه وروي ان قاصا كان يجلس بفناء حجرة
عايشة رضي الله عنها فارسلت الى ابن عمر ان هذا قد اذاني بقصصه وشغلني
عن سبحتي فضربه ابن عمر حتى كسر عصا على ظهره ثم طرده الثاني ان يكون
حسن المراقبة للساعة الشريفة ففي الخبر المشهور ان في الجمعة ساعة لا يوافقها
عبد مسلم يسال الله فيها شيئا الا اعطاه وفي خبر آخر لا يصادفها عبد
يصلي فاختلف فيها فقيل انها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل
مع الاذان وقيل اذا صعد الخطيب المنبر واخذ في الخطبة وقيل اذا قام
الناس الى الصلوة وقيل آخر وقت العصر اعني وقت الاختيار وقيل قبل غروب
الشمس وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعي ذلك الوقت وتامر خادمتها ان تنظر
الى الشمس فتوذنها بسقوطها فتاخذ في الدعاء والاستغفار الى ان تغرب وتخبر
بان تلك الساعة هي الساعة المنتظرة وتاثره عن ابيها صلى الله عليه وسلم
وقال بعض العلماء هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مرا
قبتها وقيل انها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الا
شبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ولكن ينبغي ان يصدق بما قال النبي صلى
الله عليه وسلم ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها ويوم الجمعة
من جملة تلك الايام فينبغي ان يكون العبد في جميع نهاره متعرضا لها باحضار
القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشيء من
تلك النفحات قال كعب الاحبار انها لفي اخر ساعة من يوم الجمعة
وذلك عند الغروب وقال ابو هريرة كيف يكون آخر ساعة وقد سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلي وليست حين صلاة فقال كعب الم

يقل رسول الله

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد ينتظر الصلوة فهو في الصلوة فقال بلى فقال فتلك
الصلوة فسكت ابو هريرة رضي الله عنه وكان كعب مائلا الى انها رحمة من الله عز وجل
للقائمين بحق هذا اليوم واوان ارسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة فهذا وقت
شريف مع وقت صعود الامام المنبر فليكثر فيهما الدعا الثالث يستحب ان يكثر الصلوة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وسلم من صلى علي في يوم
الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلوة عليك فقال تقول
اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وتعقد واحدة فان قلت اللهم صل على
محمد وعلى ال محمد صلوة تكون لك رضى ولحقه اداء واعطه الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته
واجزه عنا ما هو اهله واجزه عنا افضل ما جزيت نبيا عن امته وصل على جميع اخوانه من
النبيين والصالحين يا ارحم الراحمين تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع جمع في
كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم فان اراد ان يزيد اتى بالصلوات
المأثورة فقال اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي بركاتك وشرائف زكواتك ورافتك ورحمتك
وتحيتك على محمد سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير
وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به
الاولون والاخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة
الشامخة المنيفة اللهم اعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله اول شافع واول مشفع اللهم
عظم برهانه وثقل ميزانه وابلج حجته وارفع في اعلى المقربين درجته اللهم احشرنا في زمرته
واجعلنا من اهل شفاعته واحينا على سنته وتوفنا على ملته واوردنا حوضه واسقنا بكاسه
غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين امين يا رب العالمين
وعلى الجملة فكل ما اتى به من لفظ الصلوة ولو بالمشهور في التشهد كان مصليا وينبغي ان يضيف
اليه الاستغفار فان ذلك ايضا مستحب في هذا اليوم الرابع قراءة القرآن فليكثر منه وليقرا
سورة الكهف خاصة فقد روي عن ابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهما مرفوعا ان من قرا سورة الكهف
ليلة الجمعة او يوم الجمعة اعطي نورا من حيث يقرؤها الى مكة وغفر له الى الجمعة الاخرى وفضل
ثلثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص
والجذام وفتنة الدجال ويستحب ان يختم القرآن في يوم الجمعة وليلة الجمعة ان قدر وليكن ختمه
القرآن في ركعتي الفجر ان قرا بالليل او في ركعتي المغرب ان قرا بالنهار او بين الاذان والاقامة للجمعة
فله فضل عظيم وكان العابدون يستحبون ان يقروا يوم الجمعة قل هو الله احد الف مرة ويقال ان من
قرأها في عشر ركعات او عشرين فهو افضل من ختمة وكانوا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم
الف مرة وكانوا يقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر الف مرة وان قرا المسبعات الست

الجمعة

في يوم الجمعة وليلتها الخمس ولبس يروى عليه الصلوة والسلام كان يقرا سورا باعيانها الايوم وليلتها كان يقرا في صلوة المغرب ليلة الجمعة قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وكان يقرا في صلوة العشاء الاخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة وسورة المنافقين وكذا روى انه صلى الله عليه وسلم كان يقراهما في ركعتي الجمعة وكان يقرا في الصبح يوم الجمعة سجدة لقمن وهل اتى على الانسان الخامس الصلوة يستحب اذا دخل الجامع ان لا يجلس حتى يصلي اربع ركعات يقرا فيهن قل هو الله احد مايتي مرة في كل ركعة خمسين مرة فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له ولا يدع ركعتي التحية وان كان الامام يخطب ولكن يخفف امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وروى حديث غريب انه صلى الله عليه وسلم سكت للداخل حتى فرغ منها قال الكوفيون ان سكت له الامام صلاها ويستحب في هذا اليوم ان يصلي باربع ركعات باربع سور الانعام والكهف وطه ويس فان لم يحسن قرا يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك او السجدة والدخان والواقعة وتبارك الذي بيده الملك ولا يدع قراءة هذه الاربع في ليلة الجمعة ففيها فضل كثير ومن لم يحسن القرآن فقرا ما يحسن فهو بمنزلة ختمة ويكثر من قراءة سورة الاخلاص ويستحب ان يصلي صلوة التسبيح كما سياتي في باب التطوعات لانه صلى الله عليه وسلم قال لعمه العباس صلها في كل جمعة وكان ابن عباس لا يدع هذه الصلوة يوم الجمعة بعد الزوال ويقول فضلها كثير والاحسن ان يجعل وقته الى الزوال للصلوة وبعد الجمعة الى العصر لاستماع العلم وبعده الى المغرب للتسبيح والاستغفار السادس الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فانها تضاعف فيها الحسنات الا على من سال والامام يخطب وكان يتكلم في كلام الامام فهذا مكروه قال صالح بن احمد سال مسكين يوم الجمعة والامام يخطب وكان الى جنب ابي فاعطا الى رجل قطعة ولم يعير قبلنا وله اياها فلم ياخذها منه ابي وقال ابن مسعود اذا سال الرجل في المسجد فقد استحق ان لا يعطى واذا سال على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على سوال الجامع الذين يتخطون رقاب الناس الا ان يسال قايما او قاعدا في مكان واحد من غير تخطي وقال كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع بعد ذلك ركعتين يتم ركوعهما وخشوعهما ثم يقول اللهم اني اسالك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم لا يسال الله شيئا الا اعطاه وقال بعض السلف من اطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يوذ احدا ثم قال حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم اسالك ان تغفر لي وترحمني وان تعافيني من النار ثم دعا بما بدا استجيب له السابع ان يجعل يوم الجمعة للاخرة فيكف فيه عن جميع اشغال الدنيا ويكثر فيه الاوراد ولا يبتدي فيه السفر روي ان من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه وهو بعد طلوع الفجر حرام اذا كانت الرفقة تفوت وكره بعض السلف شرا الماء في المسجد من

من السقا التربة او بسيله حتى لا يكون مبايعا في المسجد فان البيع والشرا في المسجد مكروه وتعالى الاباس
لو اعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب او سبل في المسجد بالجملة فينبغي ان يزيد في يوم الجمعة
اورادة وانواع خيراته فان الله تعالى اذا احب عبدا استعمله في الاوقات الفاضلة بفواضل الاعمال
واذا مقته استعمله في الاوقات الفاضلة بسيي الاعمال ليكون ذلك ارجع في عقابه واشد لمقته لحرمانه
بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت ويستحب في الجمعة دعوات وسلتي ذكرها في كتاب الدعوات ان
شاء الله تعالى الباب السادس في سائل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج المريد الى معرفتها
واما المسائل التي تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب الفقه مسئلة الفعل القليل وان كان
لا يبطل الصلوة فهو مكروه الا الحاجة وذلك في دفع المار او قتل عقرب يخاف وتمكن قتله بضربه او
ضربتين فاذا صار ثلثا كثر وبطلت الصلوة وكذلك القملة والبرغوث مهما تاذى بهما كان له دفعهما
وكذا حاجته الى الحك الذي يشوش عليه الخشوع وكان معاذ ياخذ القملة والبرغوث في الصلوة وابن
عمر كان يقتل القملة في الصلوة حتى يظهر الدم على يده وقال النخعي ياخذها ويوهمها ولا شي عليه
ان قتلها وقال ابن المسيب ياخذها فيحذرها ثم يطرحها وقال مجاهد الاحب الى ان يدعها الا ان تؤذيه
فتشغله عن صلوته فيوهنها قدر ما لا تؤذيه ثم يلقيها وهذه رخصة الا ان الكمال الاحتراز عن الفعل وان
قل ولذلك كان بعضهم لا يطرد الذباب وقال لا اعود نفسي ذلك فيفسد علي الصلوة وقد سمعت ان الفساق
يصبرون بين يدي الملوك على اذى كثير ولا يتحركون ومهما تثاءب فلا باس ان يضع يده على فيه وهو الاولى
وان عطس حمد الله في نفسه ولا يحرك لسانه وان تجشى فينبغي ان لا يرفع راسه الى السماء وان سقط
رداؤه فلا ينبغي ان يسوي وكذا طرف العمامة فكل ذلك مكروه الا لضرورة مسئلة الصلوة في
النعلين جائزة وان كان نزع النعلين سهلا وليست الرخصة في الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو
عنها وفي معناها المداس صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم نزع ونزع الناس نعالهم فقال لم خلعتم
نعالكم فقالوا رايناك خلعت فخلعنا فقال صلى الله عليه وسلم ان جبريل اتاني فاخبرني ان
بها خبثا فاذا اراد احدكم المسجد فليقلب نعليه فلينظر فيهما فان راى خبثا فليمسحه بالارض وليصل فيهما
وقال بعضهم الصلوة في النعلين افضل لانه قال لم خلعتم نعالكم وهذه مبالغة فانه سالهم ليبين لهم
سبب خلعه اذ علم انهم خلعوا على موافقته وقد روى عبد الله بن السايب ان النبي صلى الله عليه وسلم
خلع نعليه فاذا نزع نعليه فلا ينبغي ان لا يضعهما عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع
الصف بل يضعهما بين يديه ولا يتركهما وراء ظهره فيكون قلبه ملتفتا اليهما ولعل من راى الصلوة
فيهما افضل راعى هذا المعنى وهو التفات القلب اليهما روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا صلى احدكم فليجعل نعليه بين رجليه وقال ابو هريرة اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما
مسلما ووضعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على يساره وكان اماما فللامام ان يفعل ذلك اذ
لا يقف احد على يساره والاولى ان يضعهما بين قدميه فيستفاد به ولكن قدام قدميه ولعله المراد

محمد رسول الله

بالحدث وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة مسئلة اذا نفخ
في صلوته لم تبطل صلوته لانه فعل قليل وما يحصل به من صوت لا يعد كلاما وليس على شكل
حروف الكلام الا انه مكروه فينبغي ان يحترز منه الا كما اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه انه روى بعض الصحابة انه صلى الله عليه وسلم رأى في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا
ثم حكها بعرجون كان في يده وقال ائتوني بعبير فلطخ اثرها بزعفران ثم التفت
الينا وقال ايكم يحب ان يبصق في وجهه فقلنا لا اينا فقال فان احدكم اذا دخل في صلوته
فان الله عز وجل بينه وبين القبلة وفي لفظ آخر يواجهه الله تعالى فلا يبصقن احدكم
تلقاء وجهه ولا عن يمينه وليكن على شماله او تحت قدمه اليسرى فان بدرته بادرة
فليبصق في ثوبه وليقل به هكذا فدلك بعضه ببعض مسئلة لوقوف المقتدي
سنة وفرض اما السنة فان يقف الواحد عن يمين الامام متأخرا عنه قليلا والمرأة
الواحدة تقف خلف الامام فان وقفت بجنب الامام لم يضر ولكن خالفت السنة فان
كانوا جماعة رجالا يقف الرجال على اليمين ثم في خلف الرجال ولا يقف احد خلف الصف منفردا
بل يدخل في الصف او يجر الى نفسه واحدا من الصف فان وقف منفردا صحت صلاته
مع الكراهية اما الفرض فاتصال الصفوف وذلك ان يكون بين الامام والمقتدي رابطة
جامعة فانهما في جماعة فان كانا في مسجد كفى ذلك جامعا لان المسجد بني لذلك فلا يحتاج
اتصال الصف بل الى ان يعرف افعال الامام صلى ابو هريرة رضي الله عنه على ظهر المسجد
بصلوة الامام واذا كان المأموم على فناء المسجد في طريق او صحن مشتركة وليس بينهما
اختلاف بنا فيرق فيكفي القرب بقدر غلوة سهم ويجيء رابط اذ يصل فعل احدهما بالاخر وانما
يشترط اذا وقف في صحن دار عن يمين المسجد او يساره بانها لا تبطل في المسجد فالشرط
ان يتصل صف المسجد في دهليزها من غير انقطاع الى الصحن ثم تصح صلوة من في
ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم عليه وهذا حكم الابنية المختلفة فاما البناء
الواحد والعرصة الواحدة وكالصحراء مسئلة المسبوق اذا ادرك اخر صلوة الامام
فهي اول صلوته فليوافق الامام وليبن عليه فليقنت في الصبح في آخر صلوة نفسه وان
قنت مع الامام فان ادرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبتدئ بالفاتحة وليخففها
فان ركع الامام قبل تمامها وقدر على لحوقه في اعتداله عن الركوع فليتم فان عجز عنها فوافقه الا انا
في ركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق وان ركع الامام وهو في السورة
فليقطعها فان ادرك الامام في السجود او في التشهد كبر للاحرام ثم جلس فلم يكبر بخلاف
ما اذا ادركه في الركوع فانه يكبر ثانيا في الهوي لان ذلك انتقال محسوب له والتكبيرات للا
نتقالات الاصلية في الصلوة لا للعوارض بسبب القدوة ولا كذلك سيدركا الركعة بالركوع بطمأنينة في

في الركوع مع الامام

ذ الركوع للامام بعد في حد الراكعين فان لم يتم طمانينته الا بعد مجاوزة الامام حد الرا
فاتته تلك الركعة مسئلة من فاتته صلوة الظهر الى وقت العصر فليصل الظهر اولا ثم العصر
فان ابتدا بالعصر اجزاه ولكن ترك الاولى لما فيه من شبهة الخلاف فان وجد اماما فليصل العصر
ثم ليصل الظهر بعده فان الجماعة بالاداء اولى فان صلى منفردا في اول الوقت ثم ادرك جماعة صلى
في الجماعة ونوى صلوة الوقت والله تعالى يحتسب اكملها فان نوى فائتة او تطوعا جاز وان كان
قد صلى في جماعة فادرك جماعة اخرى فلينو الفائتة او النافلة فاعادة المؤداة بالجماعة
مرة اخرى لا وجه له وان احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة مسئلة من صلى ثم راى على
ثوبه نجاسة فالاحب قضاء الصلوة ولا يلزمه ولو راى النجاسة في اثناء الصلوة في الثوب رمى
بالثوب واتم الصلوة والاحب الاستيناف واصل هذا قصة خلع النعلين حيث اخبره جبرئيل
صلوات الله عليهما بان عليهما نجاسة فانه صلى الله عليه وسلم لم يستانف الصلوة مسئلة
من ترك التشهد الاول او القنوت او ترك الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في التشهد
الاول او فعل فعلا سهوا وكانت الصلوة تبطل بعمده او شك فلم يدر اصلى ثلثا ام اربعا
اخذ باليقين وسجد سجدتي السهو قبل السلام فان نسي فبعد السلام مهما تذكر على القرب
فان سجد بعد السلام واحدث في سجوده بطلت صلاته فانه لما عاد الى السجود كانه
جعل سلامه نسيانا في غير محله فلم يحصل التحلل به وعاد الى الصلوة فلذلك يستانف السلام
بعد السجود فان تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد او بعد طول الفصل فقد فات
مسئلة الوسوسة في نية الصلوة سببها خبل في العقل او جهل بالشرع لان امتثال امر الله
عز وجل مثل امتثال غيره وتعظيمه كتعظيم غيره في حق القصد ومن دخل عليه عالم فقام
له فلو قال نويت ان انتصب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لاجل فضله متصلا بدخوله مقبلا
عليه بوجهي سفه في عقله بل كما يراه ويعلم فضله ينبعث داعية التعظيم فيقيمه ويكون معظما
الا اذا قام بشغل اخر او في غفلة واشتراط كون الصلوة ظهرا اداء فرضا في كونه امتثالا كا
شتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل وانتفاء باعث اخر سواه وقصد
التعظيم له ليكون تعظيما فانه لو قام مدبرا عنه او صبر فقام بعد مدة لم يكن معظما ثم هذه
الصفات لابد وان تكون معلومة وان تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة
وانما يطول نظم الالفاظ الدالة عليها اما تلفظا في لحظة واحدة وانما يطول نظم الالفاظ الدالة
عليها اما تلفظا باللسان واما تفكرا بالقلب فمن لم يفهم نية الصلوة على هذا الوجه فكانه لم يفهم
النية فليس فيه الا انه دعيت الى ان تصلي في وقت واحد فاجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل
فان هذه القصود وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة ولا تكون مفصلة الاحاد في الذهن
بحيث تطالعها النفس وتتاملها وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور

ضاد للعزوب والغفلة وان لم يكن مفصلا فان من علم الحادث مثلا فيعلمه بعلم واحد في
حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوما هي حاضرة وان لم تكن مفصلة فان من علم الحادث فقد
علم الموجود والمعدوم والمتقدم والمتاخر والزمان وان التقدم للعدم وان التاخر للوجود
فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث بدليل ان العالم بالحادث اذا لم يعلم غيره اذا قيل
له هل علمت التقدم فقط او التاخر فقط او العدم او تقدم العدم او تاخر الوجود او الزمان المنقسم
الى التقدم والتاخر فقال ما عرفته قط كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله اني اعلم الحادث ومن
الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس فان الموسوس يكلف نفسه ان يحضر في قلبه الظهرية والا
دائية والفرضية في حالة واحدة مفصلة بالفاظها وهو يطالعها وذلك محال ولو كلف نفسه
ذلك في القيام لاجل العالم لتعذر عليه فبهذه المعرفة يندفع الوسواس وذلك بان يعلم
ان امتثال امر الله عز وجل في النية كامتثال غيره ثم ازيد عليه على سبيل التسهيل والرخصة
فاقول لو لم يفهم الموسوس النية الا باحضار هذه الامور في قلبه مفصلة ولم يتمثل في
نفسه الامتثال دفعة واحدة واحضر جملة ذلك في اثناء التكبير من اوله الى اخره بحيث لم يفرغ
من التكبير الا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا نكلفه ان يقرن الجميع باول التكبير
او آخره فان ذلك تكليف شطط ولو كان مامورا به لوقع للاولين سؤال عنه ولوسوس واحد
من الصحابة في النية فعدم وقوع ذلك دليل على ان الامر على التساهل فكيف ما تيسرت
النية للموسوس ينبغي ان يقنع به حتى يتعود ذلك وتفارقه الوسوسة ولا يطالب نفسه
بتحقيق ذلك فان التحقيق يزيد في الوسوسة وقد ذكرنا في الفتاوى وجوها من التحقيق
في تفصيل العلوم والقصود المتعلقة بالنية يفتقر العلماء الى معرفتها اما العامي
فربما ضره سماعها ويهيج عليه الوسواس فلذلك تركناها مسئلة لا ينبغي ان يتقدم
المأموم على الامام في الركوع والسجود والرفع منهما وساير الاعمال ولا ينبغي ان يساويه بل
يتبعه ويقفو اثره فهذا معنى الاقتداء فان ساواه عمدا لم تبطل صلوته كما لو وقف بجنبه
غير متاخر عنه وان تقدم عليه بركن ففي بطلان صلوته خلاف ولا يبعد ان يقضى بالبطلان
تشبيها بما لو تقدم في الموقف على الامام بل هذا اولى لان الجماعة اقتداء في الفعل لا في الموقف
على الامام فالتبعية في الفعل اهم وانما شرط ترك التقدم في الموقف تسهيلا للمتابعة في
الفعل وتحصيلا لصورة التبعية اذ اللائق بالمقتدى به ان لا يتقدم فالتقدم عليه في الفعل
لا وجه له الا ان يكون سهوا ولذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم النكير عليه وقال اما يخشى
الذي يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس حمار واما التاخر عنه بركن واحد فلا
يبطل الصلوة وذلك بان يعتدل الامام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التاخر الى هذا الحد مكروه
فان وضع الامام جبهته على الارض وهو بعد لم ينته الى حد الراكعين بطلت صلوته وكذا ان وضع

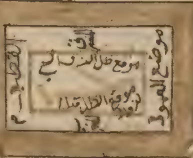
الامام جبهته

لامام جبهة للسجود الثانية وهو بعد لم يسجد السجود الاول مسئلة حق على من حضر الصلوة
اذا راى من غيره اساءة في الصلوة ان يغيره وينكر عليه فان صدر عن جهل رفق بالجاهل وعلمه
فمن ذلك الامر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف والانكار على من رفع راسه
قبل الامام الى غير ذلك من الامور فقد قال صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه
وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه من راى من يسيء صلوته فلم ينهه فهو شريكه في وزرها
وقال بن بلال بن سعد الخطية اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا ظهرت فلم تغير اضرت
بالعامة وجاء في الحديث ان بلالا كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة وعن
عمر رضي الله عنه قال تفقدوا اخوانكم في الصلوة فاذا فقدتموهم فان كانوا مرضى
فعودوهم وان كانوا اصحاء فعاتبوهم والعتاب انكار على ترك الجماعة فلا ينبغي ان يتساهل صل
فيه فقد كان الاولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة الى باب من تخلف عن الجماعة
اشارة الى ان الميت هو الذي يتاخر عن الجماعة دون الحي ومن دخل المسجد فينبغي ان يقصد
يمين الصف الاول ولذلك تزاحم الناس عليه في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
قيل له تعطلت الميسرة فقال صلى الله عليه وسلم من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من
الاجر ومهما وجد غلاما في الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله ان يخرجه الى خلفه ويدخل هو
اعني اذا لم يكن بالغا فهذا ما اردنا ان نذكره من المسائل التي يعم بها البلوى وسياتي احكام
الصلوات المتفرقة في كتاب الاوراد ان شاء الله تعالى الباب السابع في النوافل من
الصلوات اعلم ان ما عدا الفرائض من الصلوات تنقسم الى ثلثة اقسام سنن و
مستحبات وتطوعات ونعني بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة
عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلوة الضحى والوتر والتهجد لان السنة عبارة عن الطريقة
المسلوكة ونعني بالمستحبات ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كما سننقله في
صلوات الايام والليالي في الاسبوع وكالصلوة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وامثال
ذلك ونعني بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه خبر ولكن تطوع به العبد من
حيث رغب في مناجاة الله عز وجل بالصلوة التي ورد الشرع بفضلها مطلقا فكانه
متبرع به اذ لم يندب الى تلك الصلوة بعينها وان ندب الى الصلوة مطلقا والتطوع عبارة
عن التبرع وسميت الاقسام الثلثة نوافل من حيث ان النفل هو الزيادة وجملتها زائدة
على الفرائض فلفظ النافلة والمستحب والسنة والتطوع اردنا الاصطلاح عليه لتعريف
هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة في الالفاظ بعد فهم المقاصد صد
وكل قسم من هذه الاقسام تتفاوت درجاته في الفضل بحسب ما ورد فيها من الاخبار
والاثار المعرفة لفضلها وبحسب مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وبحسب صحة الاحاديث خبار

الواردة فيها واشتهارها ولذلك نقول سنن الجماعات افضل من سنن الانفراد وافضل سنن
الجماعة صلاة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقاء وافضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتي الفجر ثم
ما بعدهن من الرواتب على تفاوتها واعلم ان النوافل باعتبار الاضافة الى متعلقاتها تنقسم
الى ما يتعلق باسباب كالكسوف والاستسقاء والى ما يتعلق بالاوقات والمتعلق بالاوقات
ينقسم الى ما يتكرر بتكرر اليوم والليلة او بتكرر الاسبوع او بتكرر السنة فالجملة اربعة
اقسام القسم الاول ما يتكرر بتكرر الايام والليالي وهي ثمانية خمسة منها رواتب الصلوات
الخمس وثلثة وراءها وهي صلوة الضحى واحياء ما بين العشائين والتهجد الاولى راتبة الصبح وهي
ركعتان قال صلى الله عليه وسلم ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها ويدخل وقتها بطلوع
الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وادراك ذلك بالمشاهدة عسير في اوله الا ان يتعلم
منازل القمر اذ يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكواكب عليه ويعرف
بالقمر في ليلتين من الشهر فان القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح
مع غروب القمر في ليلة اثنتي عشر من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق اليه تفاوت في
بعض البروج وشرح ذلك يطول وتعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع
به على مقادير الاوقات بالليل وعلى الصبح ويفوت وقت ركعتي الفجر بفوات وقت
فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة اداؤهما قبل الفرض فان دخل المسجد
وقد قامت الصلوة فيشتغل بالمكتوبة قال صلى الله عليه وسلم اذا قامت الصلوة فلا
صلوة الا المكتوبة ثم اذا فرغ من المكتوبة قام اليهما وصلاهما والصحيح انه اداء ما وقع
قبل طلوع الشمس لانهما تابعتان للفرض في وقته وانما الترتيب بينهما سنة في
التقديم والتاخير اذا لم يصادف جماعة فاما اذا صادف فيها انقلب الترتيب وبقيا
اداء والمستحب ان يصليهما في المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتي
التحية ثم يجلس ولا يصلي الى ان يصلي المكتوبة فيما بين الصبح الى طلوع الشمس الاحب
فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتي الفجر والفريضة الثانية راتبة الظهر
وهي ستة ركعات ركعتان بعدها وهي سنة مؤكدة واربع قبلها وهي ايضا سنة وان
كانت دون الركعتين الاخيرتين روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من
صلى اربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون الف
ملك يستغفرون له حتى الليل وكان صلى الله عليه وسلم لا يدع اربعا بعد الزوال يطيلهن
ويقول ان ابواب السماء تفتح في هذه الساعة فاحب ان يرفع لي فيها عمل رواه ابو ايوب
الانصاري وتفرد به ويدل عليه ايضا ما روت ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من صلى في كل يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بني له بيت في الجنة ركعتين قبل الفجر واربعا

قبل الظهر وركعتين

قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب وقال ابن عمر رضي الله
عنهما حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات فذكرها اذ كرتمام جميعه
الا ركعتي الفجر فانه قال تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن
حدثتني اختي حفصة انه كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين
قبل الظهر وركعتين بعد العشا فصار الركعتان قبل الظهر اكد من جملة الاربعة ويدخل
وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الاشخاص المنتصبة مايلي الى جهة المشرق
اذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب الغرب مستطيل فلا تزال الشمس ترتفع
والظل ينقص وينحرف عن جهة الغرب الى ان تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف
النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فاذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع اخذ الظل
في الزيادة فمن حيث تصير الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ويعلم قطعا ان الزوال
في علم الله تعالى وقع قبله وعند قبل ذلك ولكن التكليف لا يرتبط الا بما يدخل تحت
الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه طول عند اخذه في الزيادة يطول في الشتا ويقصر
في الصيف وينتهي طوله ببلوغ الشمس اول الجدي وينتهي قصره ببلوغها اول السرطان ويعرف
ذلك بالاقدام والموازين ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن احسن مراعاته ان يلاحظ
القطب الشمالي بالليل ويضع على الارض لوحا مربعا وضعا مستويا بحيث يكون احد اضلاعه من
جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب الى الارض ثم توهمت خطا من مسقط
الحجر الى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين اي لا يكون
الخط مايلا الى احد الضلعين ثم ينصب عمودا على اللوح نصبا مستويا في موضع علامة ه
وهو بازا القطب فيقع ظله على الارض في اول النهار مايلا الى جهة المغرب منطبقا بخط ح
ثم لا يزال يميل الى ان ينطبق على خط ب بحيث لو مد مد راسه لانتهى على الاستقامة
الى مسقط الحجر ويكون موازيا للضلع الشرقي والغربي غير مايل الى احدهما فاذا بطل ميله الى
الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع فاذا انحرف الظل عن الخط الذي على اللوح
الى الجانب الشرقي فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقا في وقت هو قريب من اول
الزوال في علم الله تعالى ثم تعلم على راس الظل عند الخ[illegible] علامة فاذا صار الظل من تلك العلامة مثل القايم دخل
وقت العصر فهذا القدر لا باس بمعرفته من علم الزوال وهذه صورته



الثالثة راتبة العصر وهي اربع ركعات قبل العصر روى ابو هريرة رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله عبدا صلى اربعا قبل العصر ففعل ذلك على رجا
الدخول في دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستحب استحبابا موكدا فان دعوته مستجابة لا محالة

ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر **الرابعة** راتبة المغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما واما ركعتان قبلها بين اذان المؤذن واقامة على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم كابي بن كعب وعبادة بن الصامت وابي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة او غيره كان المؤذن اذا اذن لصلاة المغرب ابتدر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري يصلون ركعتين وقال بعضهم كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب انا صلينا فيسال اصليتم المغرب وذلك يدخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم بين كل اذانين صلاة لمن شاء وكان احمد بن حنبل يصليهما فتركهما فعاتبه الناس فقال لم ار الناس يصلونهما فتركتهما وقال ان صلاهما الرجل في بيته او حيث لا يراه الناس فحسن ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الابصار في الارض المستوية التي ليست محفوفة بالجبال فان كانت محفوفة بها في جهة المغرب فيتوقف الى ان يرى اقبال السواد من جانب المشرق قال صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد افطر الصائم فالاحب المبادرة في صلوة المغرب خاصة وان اخرت وصليت قبل غيبوبة الشفق الاحمر وقعت اداء ولكنه مكروه واخر عمر رضي الله عنه صلوة المغرب ليلة حتى طلع نجم فاعتق رقبة واخر ابن عمر المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين **الخامسة** راتبة العشاء الاخرة وهي اربع ركعات بعد الفريضة قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بعد العشاء الآخرة اربع ركعات ثم نام واختار بعض العلماء من مجموع الاخبار ان يكون عدد الرواتب سبع عشرة ركعة كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح و اربع قبل الظهر وركعتان بعدها واربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلث بعد العشاء الآخرة هي الوتر ومهما عرفت الاحاديث الواردة في ذلك فلا معنى للتقدير فيه فقد قال صلى الله عليه وسلم الصلوة خير موضوع فمن شاء اكثر ومن شاء اقل فاذا اختيار مريد من هذه الصلوة بقدر رغبته في الخير وقد ظهر فيما ذكرناه ان بعضها اكد من بعض وترك الاكد ابعد لا سيما والفرائض تكمل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك ان لا تسلم له فريضته من غير جابر **السادسة** الوتر قال انس بن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشا بثلث ركعات يقرا في الاولى سبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية قل يا ايها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله احد وجاء في الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الوتر جالسا ركعتين وقيل متربعا وقيل في بعض الاخبار انه كان اذا اراد ان يدخل الى فراشه زحف اليه وصلى فوقه ركعتين قبل ان يرقد يقرا فيهما اذا زلزلت الارض و سورة التكاثر وفي رواية اخرى قل يا ايها الكافرون ويجوز الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة واحدة وبتسليمتين وقد اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بركعة وثلث وخمس وهكذا

بالاوتار

بالوتر باحدى عشرة والرواية متعددة في ثلث عشرة وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة وكانت
هذه الركعات اعني ما سميناه جملته وترا صلاته في الليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة موكدة
وسياتي ذكر فضلها في كتاب الاوراد ان شاء الله تعالى وفي الافضل خلاف فقيل ان الايتار بركعة
فردة افضل اذ صح انه صلى الله عليه وسلم كان يواظب على الايتار بركعة فردة وقيل الموصولة
افضل للخروج عن شبهة الخلاف لا سيما للامام اذ يقتدي به من لا يرى الركعة الفردة صلاة فان
صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وان اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء او بعد فرض
العشاء نوى الوتر وصح لان شرط الوتر ان يكون في نفسه وترا وان يكون موترا لغيره مما سبق
قبله وقد اوتر الفرض ولو اوتر قبل العشاء لم يصح اي لا ينال فضيلة الوتر الذي هو خير من
النعم كما ورد به الخبر والا فركعة فردة صحيحة في اي وقت كان وانما لم يصح قبل العشاء لانه خرق
لاجماع الخلق في الفعل ولانه لم يتقدم ما يصير به وترا فاما اذا اراد ان يوتر بثلث مفصولة
ففي نيته في الركعتين نظر فان نوى بهما التهجد او سنة العشاء لم يكن هي من الوتر وان نوى الوتر
لم تكن هي في نفسها وترا وانما الوتر ما بعده ولكن الاظهر انه ينوي الوتر كما ينوي في الثلث الموصولة
الوتر ولكن للوتر معنيان احدهما ان يكون في نفسه وترا والاخر ان ينشا ليجعل وترا بما بعده
فيكون مجموع الثلثة وترا والركعتان من جملة الثلثة الا ان وتريته موقوفة على الركعة الثالثة
واذا كان هو عازما على ان يوترهما بثالثة كان له ان ينوي بهما الوتر فالركعة الثالثة وتر في نفسها
وموترة لغيرها والركعتان لا يوتران غيرهما وليستا وترا بانفسهما ولكنهما موترتان بغيرهما
والوتر ينبغي ان يكون آخر صلوة الليل فيقع بعد التهجد وسياتي فضائل الوتر والتهجد وكيفية
الترتيب بينهما في كتاب الاوراد **السابعة** صلوة الضحى فالمواظبة عليها من عزائم الافعال
وفواضلها اما عدد ركعاتها فاكثر ما نقل فيه ثماني ركعات روت ام هاني اخت علي بن ابي
طالب رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ثماني ركعات اطالهن وحسنهن ولم ينقل
هذا العدد غيرها فاما عائشة رضي الله عنها فانها ذكرت انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى
اربعا ويزيد ما شاء الله فلم تحد الزيادة اي انه كان يواظب على الاربعة ولا ينقص منها شيئا وقد
يزيد زيادات وروي في حديث مفرد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ست ركعات
واما وقتها فقد روى علي كرم الله وجهه انه عليه الصلاة والسلام كان يصلي الضحى اربعا في وقتين
اذا اشرقت الشمس وارتفعت قام فصلى ركعتين وهو اول الورد الثاني من اوراد النهار
كما سياتي بيانه واذا انبسطت الشمس وكانت في ربع من جانب الشرق صلى اربعا فالاول انما يكون
اذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثاني اذا مضى من النهار ربعه بازاء صلوة العصر فان
وقتها ان يبقى من النهار ربعه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين
طلوع الشمس الى الزوال كما ان وقت العصر على منتصف ما بين الزوال الى الغروب وهذا افضل

الاوقات ومن وقت ارتفاع الشمس الى ما قبل الزوال وقت الضحى على الجملة **الثامن** احيا ما بين العشائين سنة موكدة وما نقل عدده من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين العشا بين ست ركعات ولهذه الصلوات فضل عظيم وقيل انها المراد بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم قال من صلى ما بين المغرب والعشاء فانها من صلوة الاوابين وقال صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلوة او بقران كان حقا على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وسيلتي بقية فضلها في كتاب الاوراد والله سبحانه اعلم **القسم الثاني** ما يتكرر بتكرر الاسابيع وهي صلوات ايام الاسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة اما الايام فنبتدا فيها بيوم الاحد **يوم الاحد** روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاحد اربع ركعات يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية عشر حسنات واعطاه ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة الف صلاة واعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك اذفر وروى عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وحدوا الله بكثرة الصلوة يوم الاحد فانه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الاحد بعد صلوة الظهر اربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرا في الركعة الاولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الذي بيده الملك ثم يتشهد ويسلم ثم قام فصلى ركعتين اخريين قرا فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسال الله تعالى حاجته كان حقا على الله تعالى ان يقضي حاجته **يوم الاثنين** روى جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد مرة والمعوذتين مرة مرة فاذا سلم استغفر الله عز وجل عشر مرات وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عشر مرات غفر الله له ذنوبه كلها وروى انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة فاذا فرغ قرا قل هو الله احد اثنتي عشرة مرة واستغفر الله تعالى اثنتي عشرة مرة ينادى به يوم القيمة اين فلان بن فلان ليقم فلياخذ ثوابه من الله تعالى فاول ما يعطى من الثواب الف حلة ويتوج بتاج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة الف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على الف قصر من نور يتلالا **يوم الثلثا** روى عن يزيد الرقاشي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الثلثا عشر ركعات عند استوا النهار وفي حديث آخر عند ارتفاع

النهار يقرا في كل

النهار يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلث مرات لم يكتب
عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب
سبعين سنة **يوم الاربعاء** روى ابو ادريس الخولاني عن معاذ بن جبل قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاربعاء اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار
يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلث مرات والمعوذ
تين ثلث مرات نادى به ملك من عند العرش يا عبد الله استانف العمل فقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك ورفع الله عنك عذاب القبر وضيقه وظلمته ودفع عنه شدايد القيمة
ورفع له من يومه عمل نبي **يوم الخميس** عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرا في الاولى فاتحة الكتاب
مرة وآية الكرسي مائة مرة وفي الثانية الفاتحة مرة وقل هو الله احد مائة مرة ويصلي
على مائة مرة اعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل
حاج وكتب له بعدد من آمن بالله تعالى وتوكل عليه حسنة **يوم الجمعة** روي عن علي
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في يوم الجمعة صلاة ما من عبد مسلم
مومن قام اذا استقلت الشمس وارتفعت قدر رمح او اكثر من ذلك فتوضا فاسبغ الوضوء
فصلى تسبيح الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا كتب الله له مائتي حسنة ومحى عنه مائتي سيئة ومن
صلى اربع ركعات رفع الله له في الجنة اربع مائة درجة ومن صلى ثماني ركعات رفع الله له ثمان
مائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى اثنتي عشرة ركعة كتب الله له الفا ومائتي حسنة ومحى
عنه الفا ومائتي سيئة ورفع له في الجنة الفا ومائتي درجة وعن نافع عن ابن عمر رضي الله
عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى اربع ركعات
قبل صلوة الجمعة قرا في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله احد خمسين مرة لم يمت حتى يرى
مقعده من الجنة او يرى له **يوم السبت** روى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من يصلي يوم السبت اربع ركعات يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل
يا ايها الكافرون ثلث مرات فاذا فرغ قرا آية الكرسي كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع
له بكل حرف اجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها واعطاه الله تعالى بكل حرف ثواب شهيد و
كان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهدا **اما الليالي ليلة الاحد** فقد روى انس
بن مالك رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة قرا
في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله احد خمسين مرة والمعوذتين مرة فاذا سلم استغفر
مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة
وتبرا من حوله وقوته والتجا الى حول الله وقوته ثم قال اشهد ان لا اله الا الله و

واشهد ان ادم صفوة الله ونطق بان ابراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله
محمد حبيب الله كان له من الثواب بعدد من ادعى لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبعثه الله يوم
القيمة مع الامنين وكان حقا على الله ان يدخله الجنة مع النبيين **ليلة الاثنين** روى
الاعمش عن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاثنين اربع ركعات يقرا
في الركعة الاولى الحمد لله مرة وقل هو الله احد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله مرة
وقل هو الله احد عشرين مرة وفي الركعة الثالثة الحمد لله مرة وقل هو الله احد ثلثين
مرة وفي الرابعة الحمد لله مرة وقل هو الله احد اربعين مرة ثم سلم وقرا قل هو الله احد
خمسة وسبعين مرة واستغفر الله لنفسه ولوالديه كذلك وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
خمسا وسبعين مرة ثم سال الله تعالى حاجته كان حقا على الله ان يعطيه سوله ما سال وهي
تسمى صلوة الحاجة **ليلة الثلثا** يصلي ركعتين يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل
هو الله احد والمعوذتين خمس عشر مرة ويقرا بعد التسليم خمس عشر مرة اية الكرسي و
يستغفر الله خمس عشر مرة غفر الله له ذنوبه وجاز على الصراط كالبرق الخاطف والله اعلم
ليلة الاربعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ليلة الاربعا ستة عشر ركعة
يقرا الفاتحة ما شاء ويقرا في اخر الركعتين اية الكرسي ثلثين مرة وقل هو الله احد
يشفع في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت عليهم النار وروت فاطمة رضي الله عنها
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى ليلة الاربعا ستة ركعات بثلث
تسليمات يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل اللهم مالك الملك الى اخر الاية فاذا فرغ
من صلاته يقول سبعين مرة جزى الله محمدا عنا ما هو اهله غفر الله له ذنوب سبعين
سنة وكتب له براة من النار وروى ايضا عنه عليه الصلاة والسلام من صلى ليلة الاربعا
ركعتين يقرا في اول ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل اعوذ برب الفلق عشر مرات
وفي الثانية فاتحة الكتاب مرة وقل اعوذ برب الناس عشر مرات نزل من سما سبعون
الف ملك يكتبون ثوابه الى يوم القيمة **ليلة الخميس** قال ابو هريرة رضي الله عنه
قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشا ركعتين يقرا في
كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واية الكرسي خمس مرات وقل هو الله احد خمس مرات و
المعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلوته استغفر الله خمس عشر مرة ويجعل ثوابه لوالديه
فقد ادى حق والديه عليه وان كان عاقا لهما واعطاه الله ما اعطى الصديقين والشهدا
ليلة الجمعة قال جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة
بين المغرب والعشا اثنى عشر ركعة يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد احدى
عشر مرة فكانما عبد الله تعالى اثنى عشر سنة صيام نهارها وقيام ليلها وقال انس رضي الله عنه

قال رسول الله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة صلوة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي
السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات يقرأ في ركعة الحمد لله وقل هو الله احد والمعوذتين مرة
مرة ثم اوتر بثلث ركعات ونام على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة فكأنما احيا ليلة القدر وقال
صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلوة علي في الليلة الغراء واليوم الازهر ليلة الجمعة
ويوم الجمعة **ليلة السبت** قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة السبت
بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بني له قصر في الجنة وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة و
تبرأ من اليهود وكان حقا على الله ان يغفر له **القسم الثالث** ما يتكرر بتكرر السنين وهي
اربعة صلوة العيدين والتراويح وصلوة رجب وصلوة العيدين والتراويح وصلوة رجب
وصلوة شعبان **الاول** صلوة العيدين وهي سنة مؤكدة وشعار من شعائر الدين
وينبغي ان يراعى فيها سبعة امور **الاول** التكبير ثلثا نسقا فيقول الله اكبر الله
الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له
مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ويفتتح التكبير ليلة الفطر الى الشروع في صلوة
العيد وفي العيد الثاني يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة الى آخر النهار من يوم
الثالث عشر فهذا اكمل الاقاويل ويكبر عقيب الصلوة المفروضة وعقيب النوافل وهو
عقيب الفرائض آكد **الثاني** اذا اصبح يوم العيد يغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه
في الجمعة والرداء والعمامة هو الافضل للرجال وليجتنب الصبيان الحرير والعجائز التزين
عند الخروج **الثالث** ان يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر هكذا فعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يأمر باخراج العواتق وذوات الخدور
الرابع المستحب الخروج الى الصحراء الا بمكة وبيت المقدس وان كان يوم مطر فلا بأس بالصلوة
في المسجد ويجوز في يوم الصحراء ان يأمر الامام رجلا يصلي بالضعفة في المسجد ويخرج
بالاقوياء مكبرين **الخامس** مراعاة الوقت فوقت العيد ما بين طلوع الشمس الى الزوال
ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر ركعتين وخطبتين الى آخر اليوم
الثالث عشر ويستحب تعجيل صلوة الاضحى لاجل الذبح وتأخير صلوة الفطر لاجل تفريق
صدقة الفطر قبلها هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم **السادس** في كيفية الصلوة
فليخرج الناس مكبرين في الطريق فاذا بلغ الامام المصلى لم يجلس ولم يتنفل ويكره للناس
التنفل ثم ينادي مناد الصلوة جامعة ويصلي الامام ركعتين يكبر في الاولى سوى تكبيرة الاحرام
والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر ويقول وجهت وجهي عقيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة الى ما وراء الثامنة و
يقرأ سورة ق في الاولى بعد الفاتحة واقتربت في الثانية والتكبيرات الزوائد في الثانية
خمس سوى تكبيرتي القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما

جلده ومن فاتته صلوة العيد قضاها **السابع** ان يضحي بكبش ضحى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بكبش وذبح بيده وقال بسم الله والله اكبر هذا عني وعن من لم يضح
من امتي وقال عليه السلام من راى هلال ذي الحجة واراد ان يضحي فلا ياخذن من
شعره ولا من اظفاره وقال ابو ايوب الانصاري كان الرجل يضحي على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالشاة عن اهل بيته فياكلون ويطعمون وله ان ياكل من
الضحية ثلاثة فما فوقها وردت فيه الرخصة بعد النهي عنه وقال سفيان
الثوري يستحب ان يصلي بعد عيد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد عيد الاضحى ستة
ركعات وقال هو من السنة الثانية **التراويح** وهي عشرون ركعة وكيفيتها
مشهورة وهي سنة موكدة وان كانت دون العيدين واختلفوا في ان الجماعة فيها
افضل ام الانفراد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ليلتين او ثلثة
للجماعة ثم لم يخرج وقال اخاف ان توجب عليكم وجمع عمر رضي الله عنه الناس
عليها في الجماعة حيث امن من الوجوب بانقطاع الوحي فقيل ان الجماعة افضل
لفعل عمر رضي الله عنه ولان الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرايض ولانه
ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع وقيل الانفراد افضل لان هذه
سنة ليست من الشعاير كالعيدين فالحاقها بصلوة الضحى وتحية المسجد اولى ولم
يشرع فيها جماعة وقد جرت العادة بان يدخل المسجد جمع معا ثم لم يصلوا
التحية في جماعة ولقوله صلى الله عليه وسلم فضل صلوة التطوع في بيته على صلوته
في المسجد كفضل صلوة المكتوبة في المسجد على صلوته في البيت وعنه صلى الله
عليه وسلم قال الصلوة في مسجدي هذا افضل من ماية صلوة في غيره من المساجد
وصلوة في المسجد الحرام افضل من الف صلوة في مسجدي وافضل من ذلك كله
رجل يصلي في زاوية ركعتين لا يعلمهما الا الله وهذا لان الرياء والتصنع ربما
يتطرق اليه في الجمع ويامن منه في الواحدة فهذا ما قيل فيه والمختار ان الجماعة
افضل كما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فان بعض النوافل قد شرع فيها
الجماعة وهذا جدير بان يكون من الشعاير التي تظهر فاما الالتفات الى الرياء
في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث
انه جماعة وكان قايله يقول الصلوة خير من تركها بالكسل والاخلاص خير من الرياء
فلنفرض المسئلة في من يثق بنفسه انه لا يكسل لو انفرد ويرجى لا يرائي لو حضر
الجمع فايهما افضل له فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الاخلاص
وحضور القلب في الواحدة فيجوز ان يكون في تفضيل احدهما على الاخر تردد ويستحب القنوت في الوتر في النصف الاخير من رمضان **اما صلوة رجب** فقد روي

باسناده عن

باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من احد يصوم اول خميس من رجب ثم يصلي ما بين
المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة
وانا انزلناه في ليلة القدر ثلث مرات وقل هو الله احد اثنتي عشرة مرة فاذا فرغ من صلوته صلى
علي سبعين مرة يقول اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين
مرة سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع راسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم
وتجاوز عما تعلم فانك انت العلي الاعظم ثم يسجد سجدة اخرى ويقول فيها مثل ما قال في
السجدة الاولى ثم يسال الله تعالى حاجته في سجوده فانها تقضى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يصلي احد هذه الصلوة الا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل
ووزن الجبال وورق الاشجار ويشفع يوم القيمة في سبعمائة من اهل بيته ممن قد استوجب
النار فهذه صلوة مستحبة وانما اوردناها في هذا القسم لانها تتكرر بتكرر السنين وان كانت
لا تبلغ رتبتها رتبة التراويح وصلوة العيد لان هذه الصلوات نقلها الاحاد ولكني رايت اهل القدس
باجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فاحببت ايرادها واما صلوة شعبان فليلة
الخامس عشر منه يصلي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرا في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله
احد احد عشر مرات وان شاء صلى عشر ركعات يقرا في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله احد
فهذه الصلوة مروية عنه صلى الله عليه وسلم في جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلوة
ويسمونها صلوة الخير ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة روي عن الحسن انه
قال حدثني ثلثون من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان من صلى هذه الصلوة في هذه
الليلة نظر الله اليه سبعين نظرة يقضي الله له بكل نظرة سبعين حاجة ادناها المغفرة
والله واسع عليم ذو فضل عظيم القسم الرابع من النوافل ما يتعلق باسباب عارضة ولا
يتعلق بالمواقيت وهي تسعة كصلوة الخسوف والكسوف والاستسقاء وتحية المسجد و
ركعتا الوضوء وركعتان بين الاذان والاقامة وركعتان عند الخروج من المنزل وعند الدخول
اليه ونحوه وصلوة الحاجة وصلوة الاستخارة ونظائر لذلك فنذكر منها ما حضرنا الآن الاولى
صلوة الخسوف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل
لا يخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رايتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله والى الصلوة قال ذلك
لما مات ولده ابرهيم وكسفت الشمس ذلك اليوم فقال الناس انما كسفت لموته والنظر في
كيفيتها ووقتها اما الكيفية فاذا كسفت الشمس في وقت مكروه او غيره نودي
الصلوة جامعة وصلى الامام بالناس في المسجد ركعتين يركع في كل ركعة ركوعين اوائلهما
اطول من اواخرهما ولا يجهر فيقرا في الاولى من قيامي الركعة الاولى الفاتحة والبقرة وفي
الثانية الفاتحة وآل عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفي الرابعة الفاتحة والمائدة

او معها بذلك من القرآن من حيث اراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام اجزاه ولو اقتصر على سورة قصار
فلا باس ومقصود التطويل دوام الصلوة الى الانجلاء ويسبح في الركوع الاول قدر قراءة مائة اية وفي الثانية
قدر ثمانين وفي الثالثة قدر سبعين وفي الرابعة قدر خمسين ولكن السجود على قدر الركوع في كل
ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلوة بينهما جلسة ويامر الناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك
يفعل في خسوف القمر الا انه يجهر فيها لانها ليلية اما وقتها فعنده ابتداء الخسوف الى تمام الانجلاء
ويخرج وقتها بان تغرب الشمس كاسفة ويفوت صلوة خسوف القمر بان يطلع قرص الشمس اذ يبطل
سلطان القمر ولا يفوت بغروبه في اثناء الصلوة لانها مخففة ومن ادرك الركوع الثاني مع الامام فقد فاتته
تلك الركعة لان الاصل هو الركوع الاول **الثانية** صلوة الاستسقاء فان غارت الانهار او
انقطعت الامطار او انهارت فيستحب للامام ان يامر الناس اولا بصيام ثلثة ايام وبما اطاقوا من الصدقة
والخروج من المظالم والتوبة من المعاصي ثم يخرج بهم يوم الرابع وبالعجائز والصبيان متنظفين
في ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد وقيل يستحب اخراج الدواب لمشاركتهم في الحاجة
ولقوله صلى الله عليه وسلم لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ولو
خرج اهل الذمة ايضا متميزين لم يمنعوا فاذا اجتمعوا في المصلى الواسع من الصحراء نودي
الصلوة جامعة فصلى بهم الامام ركعتين مثل صلوة العيد من غير تكبير ثم يخطب خطبتين
بينهما جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية
ان يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه في هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال هكذا
فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعل اعلاه اسفله وما على اليمين على الشمال وما على
الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة سرا ثم يستقبلهم فيختم الخطبة
ويدعون اردیتهم محولة كما هي حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب ويقول في الدعاء اللهم انك
امرتنا بدعائك ووعدتنا اجابتك فقد دعوناك كما امرتنا فاجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن
علينا بمغفرة ما قارفنا ولا باس بالدعاء ادبار الصلوات في الايام الثلاثة قبل الخروج ولهذا
الدعاء اداب وشرائط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها وسياتي ذكره في كتاب الدعوات
ان شاء الله **الثالثة** صلوة الجنازة وكيفيتها مشهورة واجمع دعاء ماثور ما روي في
الصحيح عن عوف بن مالك قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على جنازة فحفظت
من دعائه اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء
والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره
واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب
النار حتى قال عوف تمنيت ان اكون ذلك الميت ومن ادرك التكبيرة الثانية في صلوة الجنازة
فينبغي ان يراعي ترتيب صلوة نفسه ويكبر مع تكبيرات الامام فاذا سلم الامام قضى تكبيره

الذي فاته كفعل المسبوق فانه لو بادر التكبيرات لم يبق للقدوة في هذه الصلوة معنى فالتكبير
هي الاركان الظاهرة وجدير بان تقام مقام الركعات في ساير الصلوات هذا هو الاوجه عندي
وان كان غيره محتملا والاخبار الواردة في فضل صلوة الجنازة وتشييعها مشهورة فلا نطول بايرادها
وكيف لا يعظم فضلها وهي من فروض الكفايات وانما تصير نفلا في حق من لم يتعين عليه بحضور
غيره ثم ينال به فضل فرض الكفاية وان لم يتعين لانهم بجملتهم قاموا بما هو فرض الكفاية
واسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون ذلك كنفل لا يسقط به فرض عن احد ويستحب طلب
كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والادعية واشتماله على ذي دعوة مستجابة لما روى كريب عن
ابن عباس انه قال مات ابن له فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فاذا ناس قد
اجتمعوا له فاخبرته فقال هل تقول هم اربعون قلت نعم قال اخرجوه فاني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لا يشركون
بالله تعالى شيئا الا شفعهم الله تعالى فيه فاذا شيع الجنازة ووصل المقابر او دخلها ابتدا
قال السلام عليكم اهل الديار من المومنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستا
خرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون والاولى ان لا ينصرف حتى يدفن الميت فاذا سوي
على الميت قبره قام عليه وقال اللهم عبدك رد اليك فارأف به وارحمه اللهم جاف الارض
عن جنبيه وافتح ابواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم ان كان محسنا فضا
عف له في حسناته وان كان مسيا فتجاوز عنه **الرابعة** تحية المسجد ركعتين فصا
عدا فهي سنة موكدة حتى انها لا تسقط وان كان الخطيب في الخطبة يوم الجمعة مع
تاكد وجوب الاصغا الى الخطيب ولو اشتغل بفرض او قضا تادى به التحية وحصل الفضل
اذ المقصود ان لا يخلو ابتدا دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا
يكره ان يدخل المسجد على غير وضوء فان دخل لعبور او جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر يقولها اربع مرات يقال انها عدل ركعتين في الفضل ومذهب
الشافعي انه لا يكره التحية في اوقات الكراهية وهي بعد العصر وبعد الصبح ووقت الزوال
ووقت الطلوع والغروب لما روي انه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر
فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت اصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما
الوفد فافاد هذا الحديث فايدتين احديهما ان الكراهة مقصورة على صلوة لا سبب
لها ومن اضعف الاسباب قضاء النوافل اذ اختلف العلما في ان النوافل هل تقضى
واذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضا فاذا انتفت الكراهة باضعف الاسباب فبالحرى
ان ينتفي بدخول المسجد فهو سبب قوي ولذلك لا يكره صلوة الجنازة اذا حضرت ولا صلوة
الخسوف والاستسقا في هذه الاوقات لان لها اسبابا الفايدة الثانية قضا النوافل اذ قضى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وفيه لنا اسوة حسنة وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا غلبه نوم او مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من اول النهار اثنى عشر
ركعة وقد قال العلماء من كان فى الصلوة ففاته جواب المؤذن فاذا سلم قضى وان اجاب وان كان
المؤذن قد سكت فلا معنى الان لقول من يقول ان ذلك مثل الاول وليس بقضاء اذ لو كان كذلك
لما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وقت الكراهة نعم من كان له ورد فعاقه عن
ذلك عذر فينبغى ان لا يرخص لنفسه فى تركه بل يتداركه فى وقت اخر كيلا تميل نفسه
الى الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولان النبى صلى الله عليه
وسلم قال احب الاعمال الى الله ادومها وان قل فيقصد به ان لا يفتر دوام عمله وروت
عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من عبد الله تعالى عبادة ثم تركها
ملالة مقته الله فليحذر ان يدخل تحت الوعيد وتحقيق هذا الخبر انه مقته الله
تعالى فتركها ملالة ولولا المقت والابعاد لما سلطت عليه الملالة الخامسة ركعتان
بعد الوضوء مستحبتان لان الوضوء قربة ومقصودها الصلوة والاحداث عارضة فربما
يطرء الحدث قبل الصلوة فينتقض الوضوء ويضيع السعى فالمبادرة الى ركعتين استيفاء
لمقصود الوضوء قبل الفوات وعرف ذلك بحديث بلال اذ قال صلى الله عليه وسلم دخلت
الجنة فرايت بلالا فيها فقلت له بم سبقتنى الى الجنة فقال بلال لا اعرف شيئا الا انى لا احدث
وضوءا الا اصلى عقيبه ركعتين او كما قال السادسة ركعتان عند دخول المنزل وعند
الخروج منه روى ابو سلمة عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرجت
من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت الى منزلك فصل ركعتين
يمنعانك مدخل السوء وفى معنى هذا كل امر يريد ان يبتدى به مما له وقع ولذلك ورد ركعتان
عند الاحرام وركعتان عند ابتداء السفر وركعتان عند الرجوع من السفر فى المسجد
قبل دخول البيت فكل ذلك ماثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
بعض الصالحين اذا اكل اكلة صلى ركعتين واذا شرب شربة صلى ركعتين وكذلك
كل امر يحدثه وبداية الامور ينبغى ان يتبرك فيها بذكر الله تعالى وهى على ثلثة مراتب
بعضها يتكرر مثل الاكل والشرب فيبدأ فيها باسم الله عز وجل قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل امر ذى بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو ابتر الثانية ما لا يتكرر تكرره وله
وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة والمستحب فيها ان يصدرها بحمد الله فيقول
المزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجتك ابنتى
فيقول الزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله قبلت هذا النكاح وكانت
عادة الصحابة رضى الله عنهم فى اداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم الحمد

ط ينتقض

الثالثة

الثالثة مالا يتكرر ركعتين اما اذا وقع دوام وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والاحرام وما
يجري مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وادناه الخروج من المنزل والدخول اليه فانه
نوع سفر قريب **السابعة** صلوة الاستخارة فمن هم بامر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف
ان الخير في تركه او في الاقدام عليه فقد امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يصلي ركعتين
يقرأ في الاولى فاتحة الكتاب وقل يا ايها الكافرون وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله احد فاذا
فرغ دعا فقال اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسالك من فضلك العظيم
فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا
الامر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله وآجله فاقدره لي ثم يسره لي وان كنت
تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله وآجله فاصرفه عني واصرفني
عنه واقدر لي الخير اين ما كان انك على كل شيء قدير رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن
وقال اذا هم احدكم بامر فليصل ركعتين ثم يسمي الامر ويدعو بما ذكرناه وقال بعض الحكما
من اعطي اربعا لم يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة لم يمنع
القبول ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب **الثامنة**
صلوة الحاجة فمن ضاق عليه الامر ومست حاجته في صلاح دينه ودنياه الى امر تعذر عليه
فليصل هذه فقد روي عن وهيب بن الورد انه قال ان الدعا الذي لا يرد ان يصلي العبد اثنتي
عشر ركعة يقرأ في كل ركعة بام القرآن وآية الكرسي وقل هو الله احد فاذا فرغ من صلوته
خر ساجدا ثم قال سبحان الذي لبس العز وقال به سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به سبحان
الذي احصى كل شيء بعلمه سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي المن والفضل سبحان
ذي العز والكرم سبحان ذي الطول والنعم اسالك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الـ
من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ان
تصلي على محمد نبي الرحمة وآل محمد ثم يسال حاجته التي لا معصية فيها فيجاب ان شاء الله تعالى
قال وهيب بلغنا انه كان يقال لا تعلموها سفهاءكم فيتعاونون بها على معصية الله تعالى
وهذه الصلوة رواها ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم **التاسعة**
صلوة التسبيح وهذه الصلوة ماثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا سبب
ويستحب ان لا يخلو الاسبوع عنها مرة واحدة او في الشهر فقد روى عكرمة عن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب الا اعطيك الا امنحك
الا احبوك بشيء اذا انت فعلته غفر الله ذنبك اوله وآخره وقديمه وحديثه خطاه وعمده
سره وعلانيته تصلي اربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت

من القراءة في اول الركعة وانت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس
عشرة مرة ثم تركع فتقولها وانت راكع عشر مرات ثم ترفع راسك من الركوع فتقولها عشرا
ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع راسك فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع راسك
فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في اربع ركعات ان
استطعت ان تصليها في كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان لم تفعل ففي
كل شهر مرة وفي رواية اخرى ان يقول في اول الصلوة بعد دعاء الاستفتاح سبحانك اللهم
وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يسبح خمس عشرة قبل القراءة وعشرا بعد
القراءة والباقي كما سبق عشرا عشرا ولا يسبح بعد السجدة الاخيرة قاعدا وهذا هو الاحسن
وهو اختيار ابن المبارك والمجموع في الروايتين ثلثمائة تسبيحة فان صلاها نهارا فبتسليمة
واحدة وان صلاها ليلا فبتسليمتين احسن اذ ورد ان صلاة الليل مثنى مثنى وان زاد
بعد التسبيح قوله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض
الروايات فهذه هي الصلوة المأثورة ولا يستحب شيء من هذه النوافل في الاوقات المكروهة
الا تحية المسجد واما ما اوردناه قبل التحية وما اوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء
وصلوة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا لان النهي مؤكد والاسباب ضعيفة
فلا يبلغ درجة الخسوف والاستسقاء والتحية وقد رايت بعض المتصوفة يصلي في الاوقات
المكروهة ركعتي الوضوء وذلك في غاية البعد لان الوضوء لا يكون سببا للصلوة بل الصلوة
سبب للوضوء فينبغي ان يتوضأ ليصلي لا انه يصلي لانه توضأ وكل محدث يريد ان يصلي في وقت
الكراهية فلا سبيل له الا ان يتوضأ ويصلي فلا يبقى للكراهية معنى ولا ينبغي ان ينوي
ركعتي الوضوء كما ينوي ركعتي التحية بل اذا توضأ صلى ركعتين تطوعا كيلا يتعطل و
ضوءه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء وحديث بلال لم يدل على ان الوضوء
سبب كالخسوف والتحية حتى ينوي ركعتي الوضوء فيستحيل ان ينوي بالصلوة الوضوء بل ينبغي ان
ينوي بالوضوء الصلوة وكيف ينتظم ان يقول في وضوءه اتوضأ لصلاتي وفي صلوته
يقول اصلي لوضوئي بل من اراد ان يحرس وضوءه عن التعطيل في وقت الكراهة فلينو
قضاء ان كان يجوز ان يكون في ذمته قضاء صلوة تطرق اليها الخلل بسبب من الاسباب فان
قضاء الصلوات في اوقات الكراهية غير مكروه فاما نية التطوع فلا وجه له ففي النهي في
اوقات الكراهية مهمات ثلث احدها التوقي من مضاهاة عبدة الشمس والثانية
الاحتراز من انتشار الشياطين اذ قال صلى الله عليه وسلم ان الشمس لتطلع ومعها
قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها فاذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها فاذا زالت
فارقها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها ونهى عن الصلوة

فهذه الاوقات ونبه به عن العلة والثالث ان سالك طريق الاخرة لا يزال يواظب
على الصلوات في جميع الاوقات والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث الملال ومهما
منع منها ساعة زاد النشاط وانبعث الدواعي والانسان حريص على ما منع منه ففي تعطيل
هذه الاوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضا الوقت فخصت هذه الاوقات
بالتسبيح والاستغفار حذارا عن الملال بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة الى
نوع اخر ففي الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفي الاستمرار على شي واحد استثقال
وملال ولذلك لم يكن الصلوة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل رتبت العبادات
من انواع مختلفة وافعال متباينة فان القلب يجد من كل عمل لذة جديدة عند الانتقال اليه
ولو واظب على الشي الواحد لتسارع اليه الملال فاذا كانت هذه امورا مهمة في النهي عن ارتكاب
الكراهية الى غير ذلك من اسرار اخر ليس في قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله اعلم
بها فهذه الامور لا تترك الا باسباب مهمة في الشرع مثل قضا الصلوات وصلوات الاستسقا
والخسوف وتحية المسجد فاما ما ضعف عنها فلا ينبغي ان يصادم بها مقصود النهي هذا
هو الاوجه عندنا والله تعالى اعلم بالصواب انتهى كتاب الصلوة بتمامها

كتاب الزكوة واسرارها ومهماتها وهو الخامس من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اسعد واشقى وامات واحيا واضحك وابكى واوجد وافنى
وافقر واغنى واضر واقنى الذي خلق الحيوان من نطفة اذا تمنى ثم تفرد عن الخلق
بوصف الغنى ثم خصص بعض عباده بالحسنى وافاض عليه من نعمه ما ايسر به واستغنى
واحوج اليه من اخفق في رزقه واكدى اظهارا للامتحان والابتلا ثم جعل الزكوة للدين
اساسا ومبنى وبين ان بفضله تزكى من عباده من تزكى ومن غناه زكى ماله من زكى والصلوة
على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى آله واصحابه المخصوصين بالعلم والتقى وسلم
كثيرا اما بعد فان الله تعالى جعل الزكوة احدى مباني الاسلام واردفها بذكر الصلوة التي هي
اعلى الاعلام فقال تعالى واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على
خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتا الزكوة وشدد الوعيد على المقصرين فيها
فقال والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم
ومعنى الانفاق في سبيل الله اخراج الزكوة وقال الاحنف بن قيس كنت في نفر من
قريش فمر ابو ذر فقال بشر الكانزين بكي في ظهورهم يخرج من بطونهم وبكي من قبل اقفائهم
يخرج من جباههم وفي رواية يوضع على حلمة ثدي احدهم فيخرج من نغض كتفيه
ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل وقال ابو ذر انتهيت

الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما راني قال هم الاخسرون ورب الكعبة
فقلت ثم قال الاكثرون الا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن
شماله وقليل ما هم وما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا تؤدي زكاتها الا جاءت يوم القيمة
اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطاه باظلافها كلما نفدت اخرها عادت
عليه اولاها حتى يقضى بين الناس واذا كان هذا التشديد مخرجا في الصحيحين فمن
مهمات الدين الكشف عن اسرار الزكوة وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة
والباطنة مع الاقتصار على ما لا يستغنى عنه من معرفتها مؤدي الزكوة وقابضها و
ينكشف ذلك في اربعة فصول **الفصل الاول** في انواع الزكوة واسباب وجوبها
الفصل الثاني في ادابها وشروطها الظاهرة والباطنة **الفصل الثالث** في القابض
وشروط استحقاقه واداب قبضه **الفصل الرابع** في صدقة التطوع وفضلها
الفصل الاول في انواع الزكوة واسباب الوجوب والزكوات باعتبار متعلقاتها
ستة انواع زكاة النعم والنقدين والتجارة وزكاة الركاز والمعادن وزكاة المعشرات
وزكوة الفطر **النوع الاول** زكوة النعم ولا تجب هذه الزكوة وغيرها الا على حر مسلم ولا
يشترط البلوغ والعقل بل تجب في مال الصبي والمجنون هذا شرط من عليه الزكوة
فاما المال فشروطه خمسة ان يكون نعما سائمة باقية حولا نصابا كاملا مملوكا على الكمال
الشرط الاول كونه نعما فلا زكوة الا في الابل والبقر والغنم اما الخيل والحمير بين
والمتولد من الظباء والغنم فلا زكوة فيها **الثاني** السوم فلا زكوة في معلوفة واذا
اسيمت في وقت واعلفت في وقت تظهر مؤنتها فلا زكوة فيها **الثالث** الحول قال
صلى الله عليه وسلم لا زكوة في مال حتى يحول عليه الحول ويستثنى منه نتاج المال
فانه ينسحب عليها حكم المال وتجب الزكوة فيها بحول الاصول ومهما باع المال في اثناء الحول
او وهب انقطع الحول **الرابع** كمال الملك والتصرف فتجب الزكوة في الماشية المرهونة لانه
الذي حجر على نفسه فيه ولا تجب الزكوة في الضال والمغصوب الا اذا عاد بجميع نمائه
فتجب زكوة ما مضى عند عوده ولو كان عليه دين مستغرق لماله فلا زكوة عليه فانه
ليس غنيا به اذ الغنى ما يفضل عن الحاجة **الخامس** كمال النصاب اما الابل فلا شئ
فيها حتى تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضان والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية
او ثنية من المعز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر شاتان وفي خمس عشرة ثلث
شياه وفي عشرين اربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي تكون في السنة
الثانية فان لم يكن في ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذي دخل في السنة الثالثة
يؤخذ وان كان قادرا على شرائها وفي ست وثلثين بنت لبون ثم اذا بلغت ستا واربعين

ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فاذا صارت احدى وستين ففيها جذعة وهي التي
في السنة الخامسة فاذا صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون فاذا صارت احدى وتسعين
ففيها حقتان فاذا صارت احدى وعشرين ومائة ففيها ثلث بنات لبون فاذا صارت مائة و
ثلثين فقد استقر الحساب ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين بنت لبون **واما البقر** فلا
شيء فيها حتى تبلغ ثلثين فاذا بلغت ثلثين ففيها تبيع وهي التي في السنة الثانية ثم في ار
بعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في ستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك
ففي كل اربعين مسنة وفي كل ثلثين تبيع **واما الغنم** فلا زكوة فيها حتى تبلغ اربعين
فاذا بلغت اربعين ففيها شاة جذعة من الضان او ثنية من المعز ثم لا شيء فيها حتى تبلغ ما
ئة وعشرين وواحد ففيها شاتان الى مائتين وواحده ففيها ثلث شياه الى اربع مائة ففيها اربع
شياه ثم استقر الحساب ففي كل مائة شاة وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد في النصب
فاذا كان بين اثنين اربعون شاة من الغنم ففيها شاة وان كان بين ثلثة نفر مائة وعشرون
وواحده ففيها شاتان على جميعهم وخلطة الجوار كخلطة الشيوع ولكن بشرط ان يكا معا و
يسقيا معا ويحلبا معا ويسرحا معا ويكون المرعى معا ويكون انزاء الفحل معا ويحلبا معا وان يكونا
من اهل الزكوات فلا حكم للخلطة مع الذمي والمكاتب بهما نزل جميعا في واجب الابل عن سن الى سن
فهو جابر ما لسكاة بنت المخاض في النتيجة ولكن يضم اليه جبران السن لسنة واحدة شاتين او
عشرين درهما والسنتين اربع شياه او اربعون درهما وله ان يصعد في السن ما لم يجاوز الجذعة في
الصعود ويأخذ الجبران من الساعي من بيت المال ولا يؤخذ في الزكوة مريضة اذا كان بعض المال
صحيحا ولو واحدة ويؤخذ من الكرام كريمة ومن اللئام لئيمة ولا يأخذ من المال الاكولة ولا الماخض
ولا الربى ولا الفحل ولا غذاء المال **النوع الثاني** زكوة العشرات فيجب العشر في كل مستنبت اذا
بلغ ثمانمائة من ولا شيء فيما دونها ولا في الفواكه والقطن وتكرر في الحبوب التي تقتات ومن التمر و
الزبيب ويعتبر ان يكون ثمانمائة من تمرا او زبيبا لا رطبا وعنبا ويخرج ذلك بعد التجفيف ويكمل
مال احد الخليطين بمال الاخر في خلط الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة لجميعهم ثمان مائة
من من زبيب فيجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ولا يعتبر خلطة
الجوار فيه ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير ويكمل نصاب الحنطة بالسلت فانه نوع منه وهنا قدر
الواجب ان كان يسقى بسيح او قنا وان كان يسقى بنضح او دالية فيجب نصف العشر فان اجتمعا فا
لاغلب بعينه واما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية لا يؤخذ عنب و
رطب الا اذا احتيج للاشجار او كانت الضرورة في قطعها قبل تمام الادراك فيؤخذ الرطب فيكال تسعه
للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا ان القسمة بيع بل ترخص فيه لهذه الحاجة ووقت
الوجوب ان يبدو الصلاح في الثمار وان يشتد الحب ووقت الادا بعد الجفاف **النوع الثالث** زكوة

نصف دينار فاذا تم الحول على مائتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع
العشر وما زاد فبحسابه ولا شي في ما دون مائتي درهم ونصاب الذهب عشرون دينارا خالصا بوزن مكة ففيها ربع العشر
وما زاد فبحسابه وان نقص من النصاب حبة فلا زكوة فيها وتجب على من معه دراهم مغشوشة اذا
كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة وتجب الزكوة في الحلي المحظور كاواني الذهب
والفضة ومراكب الفضة والذهب للرجال ولا تجب في الحلي المباح وكذا في الدين الذي هو على المليء
ولكنها تجب عند الاستيفاء وان كان الدين مؤجلا فلا تجب الا بعد حلوله **النوع الرابع**
زكاة التجارة وهي كزكوة النقدين وانما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى البضاعة
ان كان النقد نصابا وان كان ناقصا او اشتري بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشرا ويؤدي
الزكوة من جنس النقد الذي به يقوم فان كان ما به الشرا نقدا كان نصابا كاملا كان التقويم به اولى من نقد
البلد ومن نوى التجارة في مال قنية فلا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيئا ومهما قطع نية
التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكوة والاولى ان يؤدي زكوة تلك السنة وما كان من ربح في السلعة
في اخر الحول وجبت الزكوة بحول راس المال ولم يستانف له حول كما في النتاج واموال الصيارفة
لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكوة ربح مال القراض على العامل في
حصته وان كان قبل القسمة هذا هو الاقيس **النوع الخامس** الركاز والمعدن والركاز مال دفن
في الجاهلية ووجد في ارض لم يجر عليها في الاسلام ملك فعلى واجده في الذهب والفضة منه
الخمس والحول غير معتبر والاولى ان لا يعتبر النصاب ايضا لان ايجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة و
اعتباره ايضا ليس ببعيد لان مصرفه مصرف الزكوة ولذلك يختص بالنقدين على الصحيح واما المعادن
فلا زكوة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيهما بعد الطحن والتخليص ربع العشر على اصح
القولين وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي قول يجب الخمس فعلى هذا لا يعتبر الحول وفي النصاب
قولان والاشبه والعلم عند الله تعالى ان يلحق بقدر الواجب بزكوة التجارة فانه نوع اكتساب وفي الحول بالمعشرات
فلا يعتبر الحول فانه عين الرفق ويعتبر النصاب كالمعشرات والاحتياط ان يخرج الخمس من
القليل والكثير ومن غير النقدين ايضا خروجا عن شبهة الاجماع لان هذه المسائل ظنونها قريبة
من التعارض وجزم الفتوى فيها مخطر لتعارض الاشتباه **النوع السادس** صدقة الفطر
وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته
يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات به بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان وثلثا من
يخرجه من جنس قوته او افضل منه فان اقتات الحنطة لم يجز الشعير فان اقتات حبوبا مختلفة
اختار خيرها ومن ايها اخرج اجزاه وقسمتها كقسمة زكوة المال فيجب فيها استيعاب الاصناف
ولا يجزي اخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته المسلمة ومماليكه واولاده
وكل قريب هو في نفقته اعني من يجب عليه نفقته من الاباء والامهات والاولاد قال صلى الله عليه وسلم

ادوا عمن

112

ادوا صدقة الفطر عن من تمونون ويجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا يجب صدقة
الفطر عن العبد الكافر وان تبرعت الزوجة بالاخراج عن نفسها اجزأته وللزوج الاخراج
عنها دون اذنها وان فضل عنه ما يؤدي عن بعضهم دون بعض ادى عن بعضهم واولاهم
بالتقديم من كانت نفقته آكد وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد
على نفقة الزوجة ونفقة الزوجة على نفقة الخادم فهذه احكام فقهية لا بد للغني
من معرفتها وقد تعرض وقايع نادرة خارجة عن هذا فليستفت فيها على الاستفتاء
عند نزول الواقعة بعد احاطته بهذا القدر والله اعلم **الفصل الثالث** في الاداء و
شروطه الباطنة والظاهرة بيان الشروط الظاهرة اعلم انه يجب على مودي الزكوة مراعاة خمسة
امور الاول النية وهو ان ينوي بقلبه زكوة الفرض وليس عليه تعيين الاموال فان كان له مال
غايب فقال هذا عن مالي الغايب ان كان سالما والا فهو نافلة جاز لانه ان لم يصرح به فكذلك
يكون عند الاطلاق ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام
نية المالك الممتنع عن الزكوة ولكن في ظاهر حكم الدنيا اعني في قطع المطالبة عنه اما في الآخرة
فلا بل تبقى ذمته مشغولة الى ان يستانف الزكوة واذا وكل باداء الزكوة ونوى عند التوكيل
او وكل الوكيل بالنية كفاه لان توكيله بالنية نية الثاني البدار عقيب الحول وفي زكوة الفطر
لا يوخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم رمضان ووقت
تعجيلها شهر رمضان كله ومن اخر زكوة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه
بمصادفة المستحق وان اخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت الزكوة عنه وتعجيل الزكوة جايز
بشرط ان يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول ويجوز تعجيل زكوة حولين ومهما عجل فمات
المسكين قبل الحول او ارتد او صار غنيا بغير ما عجل اليه او تلف مال المالك او مات فالمدفوع
ليس بزكوة واسترجاعه ليس ممكن الا اذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل مراقبا آخر الامر
وسلامة العاقبة الثالث ان لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا يجزي ورق
عن ذهب ولا ذهب عن ورق وان زاد عليه في القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي
يتساهل في ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة وما ابعده عن التحصيل فان سد الخلة
مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلاثة اقسام قسم هو تعبد محض لا مدخل
للحظوظ والاغراض فيه وذلك كرمي الجمرات مثلا اذ لا حظ للجمرة في وصول الحصى اليها فمقصود
الشرع في ذلك الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى لان ما يعقل
معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعوا اليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية تظهر بان الحركة
لحق امر المعبود فقط لا لامر آخر واكثر اعمال الحج كذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في احرامه لبيك
بحجة حقا تعبدا ورقا تنبيها على ان ذلك اظهار للعبودية اذ العبودية بالانقياد لمجرد الامر

وامثال ذلك كالامر بغسل النجاسة منه بما يميل اليه ويجب عليه **القسم الثاني** من واجبات
الشرع ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الادميين ورد المغصوب
فلا جرم لا يعتبر فيه فعله ونيته ومهما وصل الحق الى مستحقه باخذ المستحق او ببدل عنه
عند رضاه تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك في
دركهما جميع الناس **القسم الثالث** هو المركب الذي يقصد منه الامران جميعا وهو حظ
العباد وامتحان المكلف بالاستعباد فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحظ رد الحقوق فهذا قسم
في نفسه معقول فان ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغي ان ينسى ادق
المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب اجلاهما ولعل الادق هو الاهم والزكوة
من هذا القبيل ولم يتنبه له غير الشافعي فحظ الفقير مقصود في سد الخلة وهو جلي
سابق الى الافهام وحق التعبد في اتباع التفاصيل مقصود الشرع وباعتباره صارت
الزكوة قرينة للصلوة والحج في كونها من مباني الاسلام ولا شك ان على المكلف تعبا في
تمييز اجناس ماله واخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الا
صناف الثمانية كما سيأتي والتساهل فيه غير قادح في حق الفقير ولكنه قادح في التعبد
ويدل على ان التعبد مقصود بتعيين الانواع امور ذكرناها في كتاب الخلاف من الفقهيات
ومن اوضحها ان الشرع اوجب في خمس من الابل شاة فعدل عن الابل الى شاة ولم يعدل الى
النقدين والتقويم وان قدر ان ذلك لقلة النقود في ايدي العرب بطل بذكره عشرين
درهما في الجبران مع الشاتين فلم لم يذكر في الجبران قدر النقصان من القيمة ولم قدر
بعشرين درهما وشاتين واذا كانت الثياب والامتعة كلها في معناها فهذا وامثاله من التخصيصات
يدل على ان الزكوة لم تترك خالية عن التعبدات كما في الحج ولكن جمع بين المعنيين والا
ذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا منشأ الغلط فيه **الرابع** ان لا ينقل
الصدقة الى بلد اخر فان اعين المساكين في كل بلد تمتد الى اموالها وفي النقل تخييب
الظنون فان فعل ذلك اجزأه في قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف اولى فليخرج زكوة
كل مال في تلك البلدة التي المال فيها ثم لا بأس ان يصرف الى الغرباء في تلك البلدة
الخامس ان يقسم ماله بعدد الاصناف الموجودين في البلدة فان استيعاب
الاصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين الاية فانه
شبيه بقول المريض انما ثلث مالي للفقراء والمساكين وذلك يقتضي التشريك في التمليك
والعبادات ينبغي ان يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان
في اكثر البلاد وهم المؤلفة قلوبهم والعاملون على الزكوة في اكثر البلاد ويوجد
في جميع البلاد اربعة اصناف الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون اعني ابناء السبيل

وصنفان

وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون بعض وهما الغزاة والمكاتبون فان وجد خمسة
اصناف مثلا قسم زكاة ماله خمسة اقسام متساوية وعين لكل صنف قسما ثم قسم كل قسم ثلثة
اسهم فما فوقها اما متساوية واما متفاوتة وليس عليه التسوية بين احاد الصنف فان له ان
يقسم على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد واما الاصناف فلا يقبل الزيادة والنقصان
ولا ينبغي ان ينقص في كل صنف من ثلثة ان وجد ولو لم يجب الا صاع الفطرة ووجد خمسة
اصناف فعليه ان يوصله الى خمسة عشر نفرا ولو نقص منه واحد مع الامكان غرم نصيب ذلك
الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليشارك جماعة ممن عليهم الزكوة وليخلط ماله
بمالهم وليجمع المستحقين وليسلم اليهم حتى يتساهموا فيه فان ذلك لا بد منه والله سبحانه
اعلم بيان دقائق الاداب الباطنة في الزكوات اعلم ان على مريد طريق الاخرة بزكوته
وظائف الاولى فهم وجوب الزكوة ومعناها ووجه الامتحان فيها وانها لم جعلت من مباني
الاسلام مع انها تصرف مالي وليست من عبادات الابدان وفيها ثلثة معان الاول ان
التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء به
ان لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد
باللسان قليل الجدوى وانما يمتحن درجة المحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة
عند الخلق لانها آلة تمتعهم في الدنيا وبسببها يانسون في هذا العالم وينفرون عن
الموت مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا
عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا الى لقاء
الله تعالى والمسامحة بالمال اهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الاموال انقسم الى ثلثة
اقسام قسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع اموالهم فلم
يدخروا دينارا ولا درهما وابوا ان يتعرضوا لوجوب الزكوة عليهم حتى قيل لبعضهم
كم يجب في مائتي درهم من زكوة فقال اما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم واما نحن
فيجب علينا بذل الجميع ولهذا جاء ابو بكر الصديق رضي الله عنه بجميع ماله وعمر رضي الله
عنه جاء بشطر ماله فقال صلى الله عليه وسلم لعمر ماذا ابقيت لنفسك فقال مثله فقال لابي
بكر رضي الله عنه ماذا ابقيت لاهلك فقال الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم بينكما ما بين
كلمتيكما فالصديق وفى تمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله الثاني
درجتهم دون درجة هولاء وهم الممسكون اموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم
الخيرات فيكون قصدهم بالادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن
الحاجة الى وجوه البر مهما ظهر وجوهها وهولاء لا يقتصرون على مقدار الزكوة وقد ذهب جماعة

من التابعين الى ان في المال حقا سوى الزكوة كالنخعي والشعبي وعطا ومجاهد قال
الشعبي لما قيل له هل في المال حق سوى الزكوة قال نعم اما سمعت قوله تعالى واتى المال على
حبه ذوي القربى الاية واستدلوا بقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وبقوله تعالى انفقوا
مما رزقناكم وزعموا ان ذلك غير منسوخ باية الزكوة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم
ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته فضلا عن مال الزكوة والذي يصح
في الفقه من هذا انه مهما ارهقت حاجة كانت ازالتها فرض كفاية اذ لا يجوز تضييع مسلم
ولكن يحتمل ان يقال ليس على الموسر الا تسليم ما يزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذله بعد ان اسقط
الزكوة عن نفسه ويحتمل ان يقال يلزمه بذله في الحال ولا يجوز له الاقراض اي لا يجوز تكليف الفقير
قبول القرض وهذا مختلف فيه والاقراض نزول الى الدرجة الاخيرة من درجات العوام
وهي درجة القسم الثالث الذين يقتصرون على اداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا
ينقصون منه وهي اقل الرتب وقد اقتصر العوام على ذلك لجهلهم بالمال وميلهم اليه
وضعف حبهم للاخرة قال الله تعالى ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا يحفكم اي يستقصي
عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بان له الجنة وبين عبد لا يستقصى عليه
لبخله فهذا احد معاني امر الله تعالى عباده ببذل الاموال المعنى الثاني التطهير
عن صفة البخل فانه من المهلكات قال صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع
واعجاب المرء بنفسه وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وسياتي في ربع
المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التفصي عنه وانما تزول صفة البخل بان يتعود بذل المال
فحب الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكوة بهذا
المعنى طهرة اي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله وبقدر
فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى المعنى الثالث شكر النعمة فان لله سبحانه
على عبده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والعبادات المالية
شكر لنعمة المال وما اخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق عليه في الرزق واحوج اليه ثم
لا تسمح نفسه بان يؤدي شكر الله تعالى على اغنائه عن السؤال واحواج غيره اليه بربع العشر
او العشر من ماله الوظيفة الثانية في وقت الادا ومن اداب ذوي الدين التعجيل على
وقت الوجوب اظهارا للرغبة في الامتثال وايصالا للسرور الى قلوب الفقراء ومبادرة
لعوائق الزمان ان تعوق عن الخيرات وعلما بان في التاخير افات مع ما يتعرض العبد له
من العصيان لو اخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغي ان
يغتنم فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فما اسرع تقلبه
والشيطان يعد الفقر ويامر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم

الفرصة فيه ليتم

الفرصة فيه ويتعين لتكونه اذ كان يوديها جميعا شهرا معلوما ويجتهد لئن يكون من افضل
الاوقات ليكون ذلك سببا لنما قربته وتضاعف زكوته وذلك كشهر المحرم فانه اول السنة وهو
من الاشهر الحرم او رمضان فقد كان صلى الله عليه وسلم اجود الخلق فيه وكان صلى الله عليه وسلم
في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيها شيئا ولرمضان فضيلة ليلة القدر وانه انزل فيه
القران وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من اسماء الله تعالى لكن
قولوا شهر رمضان وذو الحجة ايضا من الشهور الكثيرة الفضل فانه شهر حرام وفيه
الحج الاكبر وفيه الايام المعلومات وهي العشر الاول والايام المعدودات وهي ايام التشريق
وافضل ايام شهر رمضان العشر الاواخر وافضل ايام ذي الحجة العشر الاول الوظيفة الثالثة
الاسرار فان ذلك ابعد عن الريا والسمعة قال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة جهد
المقل الى فقير في سر وقال بعض العلما ثلث من كنوز البر منها اخفا الصدقة وقد روي ايضا
مسندا وقال صلعم ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله تعالى له سرا فان اظهره نقل
من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب ريا وفي الحديث المشهور
سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل الا ظله احدهم رجل تصدق بصدقة فلم يعلم شماله ما
اعطته يمينه وفي الخبر صدقة السر تطفئ غضب الرب وقال تعالى وان تخفوها وتؤتوها
الفقرا فهو خير لكم وفايدة الاخفا الاخلاص من افة الريا والسمعة قال صلعم لا يقبل
الله من مسمع ولا مراي ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطي في ملا من
الناس يبتغي الريا والاخفا والسكوت هو المخلص من ذلك وقد بالغ في قصد الاخفا
جماعة حتى اجتهدوا ان لا يعرف القابض المعطي فكان بعضهم يلقي صدقته في يد
اعمى وبعضهم يلقيها في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يراه وبعضهم
كان يصر صدقته في ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل صدقته الى الفقير
على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي وكان يستكتم المتوسط شانه ويوصيه بان لا يفشيه كل
ذلك توصلا الى اطفا غضب الرب عز وجل واحترازا من الريا والسمعة ومهما لم يتمكن
من الاعطا الا بان يعرفه واحد اذ في معرفة المسكين الريا والسمعة والمنة جميعا وليس في
معرفة المتوسط الا الريا ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لان الزكوة ازالة
للبخل وتضعيف لحب المال وحب الجاه اشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد
منهما مهلك في الاخرة ولكن صفة البخل في القبر ينقلب في حكم المثال عقربا لداغا وصفة
الريا ينقلب افعى من الافاعي وهو مامور بتضعيفهما او قتلهما لدفع اذاهما او تخفيف اذاهما
فمهما قصد الريا والسمعة فكانه جعل بعض العقرب قوتا للحية فبقدر ما ضعف من العقرب
زاد في قوة الحية ولو ترك الامر كما كان لكان الامر اهون عليه وقوة هذه الصفات الذي به قوتها

العمل بمقتضاها وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فأي
فائدة في أن يخالف داعي البخل ويجيب داعي الريا فيضعف الادنى ويقوى الاقوى وسيأتي
اسرار هذه المعاني في ربع المهلكات **الوظيفة الرابعة** ان يظهر حيث علم ان في الا
ظهار ترغيبا للناس في الاقتداء ويحرس سره عن داعية الريا بالطريق الذي سنذكره في
معالجة الريا في كتاب الريا من ربع المهلكات فقد قال الله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما
هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وذلك حيث يقتضي الحال الابداء اما للا
قتداء واما لان السائل انما سال على ملا من الناس فلا ينبغي ان يترك الصدقة خيفة من الريا في
الاظهار بل ينبغي ان يتصدق ويحفظ سره عن الريا بقدر الامكان وهذا لان في الاظهار محذورا
ثالثا سوى المن والريا وهو هتك ستر الفقير فانه ربما يتاذى بان يرى في صورة المحتاج
فمن اظهر السوال فهو الذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى في اظهاره وهو كاظهار
الفسق على من يتستر به فذلك محظور والتجسس فيه والاغتياب بذكره منهي عنه
فاما من اظهره فاقامة الحد عليه اشاعة ولكن هو السبب فيها وبمثل هذا المعنى قال صلى
الله عليه وسلم من القى جلباب الحيا فلا غيبة له وقد قال الله تعالى وانفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانية ندب الى العلانية ايضا لما فيها من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق
التامل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيها فان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص
فقد يكون الاعلان في بعض الاحوال لبعض الاشخاص افضل ومن عرف الفوائد والغوائل ولم
ينظر بعين الشهوة اتضح له الاولى والاليق بكل حال **الوظيفة الخامسة** ان لا يفسد صدقته
بالمن والاذى قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واختلفوا في حقيقة المن
والاذى فقيل المن ان يذكرها والاذى ان يظهرها وقال سفيان من من فسدت صدقته
فقيل له كيف المن فقال ان يذكره ويتحدث بها وقيل ان يستخدمه بالعطا والاذى ان
يعيره بالفقر وقيل المن ان يتكبر عليه لاجل عطائه والاذى ان ينتهره او يوبخه
بالمسالة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صدقة منان وعندي ان المن له اصل
ومغرس وهو من احوال القلب وصفاته ثم يتفرع عليه احوال ظاهرة على اللسان والجوارح
واصله ان يرى نفسه محسنا اليه ومنعما عليه وحقه ان يرى ان الفقير محسن اليه بقبول
حق الله منه الذي هو طهرته ونجاته من النار وانه لو لم يقبله لبقي مرتهنا به فحقه ان
يتقلد منة من الفقير اذ جعل كفه نائبا عن الله في قبض حق الله قال صلى الله عليه وسلم
ان الصدقة تقع بيد الله قبل ان تقع في يد السائل فليتحقق انه مسلم الى الله حقه
والفقير آخذ من الله رزقه بعد صيرورته سلما الى الله ولو كان عليه دين لانسان فاحال به صاحب
الدين عبده او خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدي الدين كون القابض تحت منته

سفها وجهلا

سفها جهلا فان المحسن اليه المتفضل اليه برزقه انما هو تقاضيه بقبضا الذي الذي الكرمه لم
يتطرّ باحصه هو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره ومهما عرف المعاني الثلثة التي
ذكرناها في فهم وجوب الزكوة واخذها لم ير نفسه محسنا الا الى نفسه ما يبذلها لاظهار
الحب لله او تطهير النفس عن رذيلة البخل او شكرا على نعمة المال طلبا للمزيد وكيف ما كان
فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسنا اليه ومهما جهل هذا الجهل بان راى
نفسه محسنا اليه يترشح منه الى ظاهره ما ذكر في معنى المن وهو التحدث واظهاره وطلب المكافاة
منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم في المجالس
المتابعة في الامور فهذه كلها ثمرات المنة ومعنى المنة في الباطن ما ذكرناه واما الاذى
فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالاظهار وفنون
الاستخفاف وباطنه وهو منبعه امران احدهما كراهية لرفع اليد عن المال وشدة ذلك
على نفسه فان ذلك يضيق الخلق لا محالة والثاني رؤيته انه خير من الفقير وان الفقير
بسبب حاجته اخس منه وكلاهما منشا الجهل اما كراهة تسليم المال فهو حمق لان من
كره بذل درهم في مقابلة ما يساوي الفا فهو شديد الحماقة ومعلوم انه يبذل المال لطلب رضى
الله عز وجل والثواب في الدار الاخرة وذلك اشرف مما بذله او يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل
او شكرا لطلب المزيد وكيف ما فرض فالكراهية لا وجه لها واما الثاني فهو ايضا جهل لانه لو عرف
فضل الفقير على الغنا وعرف خطر الاغنيا لما استحقر الفقير بل تبرك به وتمنى درجته فصلحا
الاغنيا يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام ولذلك قال صلعم هم الاخسرون ورب الكعبة
فقال ابو ذر من هم يا رسول الله فقال صلعم هم الاكثرون اموالا الحديث ثم كيف يستحقر الفقير
وقد جعله الله تعالى مسخرا له اذ يكتسب المال بجهده ويستكثر منه ويجتهد في حفظه بمقدار
الحاجة وقد الزم ان يسلم الى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو سلمه اليه فا
الغني مستخدم للسعي في رزق الفقير ويتميز عنه بتقلد المظالم والتزام المشاق وحراسة
الفضلات الى ان يموت فياكله اعداؤه فاذا مهما انتفت عنه الكراهية وتبدلت بالسرور
والفرح بتوفيق الله تعالى له في اداء الواجب وتقبيضه للفقير حتى يخلصه عن عهدته
بقبوله منه انتفى الاذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدل ذلك بالاستبشار والثناء وقبول
المنة فهذا منشا المن والاذى فان قلت فرؤيته نفسه في درجة المحسن امر غامض فهل من
علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها انه لم ير نفسه محسنا فاعلم ان له علامة دقيقة واضحة هو
انه يقدر ان الفقير لو جنى عليه جناية او مالا عدوا عليه مثلا هل كان يزيد استنكاره واستبعاده
له على استنكاره قبل التصدق فان زاد لم تخل صدقته عن شائبة المنة لانه توقع بسبب
صدقته ما لم يكن يتوقعه قبل ذلك فان قلت فهذا امر غامض ولا ينفك قلب احد عنه فما دواءه

فاعلم ان له دوا باطنا ودوا ظاهرا اما الباطن فالمعرفة بالحقايق التي ذكرناها في فهم الوجوب
وان الفقير هو المحسن اليه اعني في تطهيره بالقبول واما الظاهر فالاعمال التي يتعاطاها متقلد
المنة فان الافعال التي تصدر عن الاخلاق تصبغ القلب بالاخلاق كما سياتي اسراره في الشطر
الاخير من الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويتمثل قايما بين
يديه يسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السايلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لورده
وقد كان بعضهم يبسط كفه لياخذ الفقير من كفه لتكون يد الفقير هي العليا وكانت
عايشة وام سلمة رضي الله عنهما اذا ارسلتا معروفا الى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعو
به فكانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا فكانوا لا يتو
قعون الدعا لانه شبه المكافات وكانوا يقابلون الدعا بمثله وهكذا فعل عمر رضي الله عنه
وابنه عبد الله فهكذا كان ارباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دوا من حيث الظاهر الا هذه
الاعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ومن حيث الباطن الا هذه المعارف التي
ذكرناها هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا يعالج القلب الا بمعجون العلم والعمل
وهذه الشريطة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلوة وثبت ذلك بقوله صلعم ليس له
من صلوته الا ما عقل منها وثبت ذلك بقوله صلعم لا يقبل الله صدقة منان وبقول الله تبارك
وتعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته
منها دون هذا الشرط فحديث آخر وقد اشرنا الى معناه في كتاب الصلوة **الوظيفة السادسة**
ان يستصغر العطية فانه ان استعظمها اعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للاعمال قال
الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ويقال ان الطاعة كلما
استصغرت كبرت عند الله والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله وقيل لا يتم المعروف
الا بثلث تصغيره وتعجيله وستره وليس الاستعظام هو المن والاذى فانه لو صرف ماله الى عمارة
مسجد او رباط امكن فيه الاستعظام ولا يمكن المن والاذى بل العجب والاستعظام يجري في جميع
العبادات ودواه علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم ان العشر او ربع العشر قليل من كثير
وانه قد قنع لنفسه باخس درجات البذل كما ذكرناه في فهم الوجوب فهو جدير بان
يستحيي منه فكيف يستعظمه وان ارتقى الى الدرجة العليا فبذل كل ماله او اكثره فليتامل
انه من اين له المال والى ماذا يصرفه فالمال لله تعالى وله المنة عليه اذ اعطاه اياه ثم وفقه لبذله فلم
يستعظم في حق الله ما هو عين حق الله سبحانه وتعالى وان كان مقامه يقتضي ان ينظر الى الاخرة
وانه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر اليه امثاله واضعافه **واما العمل** فهو
ان يعطيه عطا الخجل من بخله بامساك بقية ماله عن الله تعالى فيكون هيئته الانكسار والحيا
كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض لان المال كله لله تعالى وبذل جميعه

هلا احب عند الله تع وانما الرياء يزيد في عمله لانه يشق عليه بسبب بخله كما قال تعالى ان يسألكموها
فيحفكم تبخلوا الوظيفة السابعة ان ينتقي من ماله اجوده واحبه اليه واجله عنده واطيبه
فان الله تعالى طيب لا يقبل الا الطيب واذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا
يقع الموقع وفي حديث ابان عن انس بن مالك طوبى لعبد انفق من مال اكتسبه من غير
معصية واذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الادب اذ قد يمسك الجيد لنفسه او لعبده
او لاهله فيكون قد آثر على الله عز وجل غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم اليه اردى طعام في بيته لا
وغر بذلك صدره هذا ان كان نظره الى الله عز وجل فان كان نظره الى نفسه وثوابه في الآخرة
فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى والذي
يأكله قضاء وطر في الحال فليس من العقل قصور النظر على العاجلة وترك الادخار للآجلة
وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من
الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه اي لا تأخذونه
الا مع كراهية وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا به ربكم وفي الخبر سبق درهم مائة الف
درهم وذلك بان يخرجه الانسان وهو من احل ماله واجوده فيصدر ذلك عن الرضى والفرح با
البذل وقد يخرج مائة الف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على انه لا يؤثر الله تعالى
بشيء مما يحبه وبذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم
الحسنى لا وقف بعض القراء على النفي تكذيبا لهم ثم ابتدأ وقال جرم ان لهم النار اي كسب لهم
جعلهم لله ما يكرهون النار الوظيفة الثامنة ان يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا
يكتفي بان يكون من عموم الاصناف الثمانية فان في عمومهم خصوصا فليراع خصوص تلك
الصفات وهي ست الصفة الاولى ان يطلب الاتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة
قال صلعم لا تأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي وهذا لان التقي يستعين به على التقوى
فتكون شريكا له في طاعته باعانتك اياه وقال صلعم اطعموا طعامكم الاتقياء واولوا معروفكم
المؤمنين وفي لفظ آخر اضف بطعامك من تحبه في الله وكان بعض العلماء يؤثر بالعطاء
فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء كان افضل فقال لا هؤلاء
قوم همهم الله تعالى فاذا طرقتهم فاقة تشتت هم احدهم فلان ارد همة واحد الى الله تعالى
احب الي من ان اعطي الفا ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولي
من اولياء الله تع وقال ما سمعت منذ زمان كلاما احسن من هذا ثم حكي ان هذا الرجل اختل
حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت
فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون به الصفة
الثانية ان يكون من اهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم والعلم اشرف العبادات مهما

صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخص بمعروفه اهل العلم فقيل له لو عممت فقال اني لا اعرف بعد
مقام النبوة افضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب احدهم بحاجة لم يتفرغ للعلم ولم
يقبل على التعليم فتفريغهم للعلم افضل الصفة الثالثة ان تكون صادقا في تقواه وعالما
بالتوحيد وحقيقة توحيده انه اذا اخذ العطا حمد الله تعالى وشكره وراى النعمة منه ولم ينظر الى
واسطة فهذا هو اشكر العباد لله وهو ان يرى النعم كلها من الله عز وجل في وصية لقمان لا
لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمته غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله فكانه لم يعرف
المنعم ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله اذ سلط الله عليه دواعي الفعل و
يسر له الاسباب فاعطى وهو مقهور ولو اراد تركه الاعطا لم يقدر على ذلك بعد ان القى الله تعالى
في قلبه ان صلاح دينه ودنياه في فعله فمهما قوي الباعث اوجب ذلك جزم الارادة وانتهاض
القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوي الذي لا تردد فيه والله سبحانه وتعالى هو
خالق البواعث ومهيجها ومزيل الضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للانتهاض لمقتضى البواعث
فمن تيقن هذا لم يكن له نظر الى سبب الاسباب ويتيقن مثل هذا العبد انفع
للمعطي من ثنا غيره وشكره فان الثنا والشكر حركة في اللسان وذلك يقل في الاكثر جدواه واما
مثل هذا العبد الموحد لا يضيع فاما الذي يمدح بالعطا ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو
بالشر عند الايذا واحواله متفاوتة روي انه صلى الله عليه وسلم بعث معروفا الى بعض الفقرا
وقال للرسول احفظ ما يقول فلما اخذ قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره
وقال اللهم انك لم تنس فلانا يعني نفسه فاجعل فلانا لا ينساك فاخبر رسول الله صلعم بذلك فسر
وقال علمت انه يقول ذلك فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده وقال صلى الله عليه وسلم لرجل
تب فقال اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد فقال صلعم عرف الحق لاهله ولما نزلت براة عائشة
رضي الله عنها من قصة الافك قال ابو بكر رضي الله عنه قومي فقبلي راس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت لا والله لا افعل ولا احمد الا الله تعالى فقال رسول الله صلعم دعها يا ابا بكر وفي لفظ اخر انها قالت
لابي بكر رضي الله عنه نحمد الله ولا نحمدك ولا نحمد صاحبك فلم ينكر ذلك رسول الله صلعم مع ان
الوحي وصل اليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورؤية الاشيا من غير الله وصف
الكافرين قال الله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر
الذين من دونه اذا هم يستبشرون ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط الا من حيث
انهم وسائط فكانه لم ينفك عن الشرك الخفي سره فليتق الله تعالى في تصفية توحيده عن
كدورة الشرك وشوائبه الصفة الرابعة ان يكون مستترا مخفيا حاجته لا يكثر البث و
الشكوى او يكون من اهل المروة او ممن ذهبت نعمته وبقيت امرهة عادته فهو يتعيش في
جلباب التجمل قال الله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسالون

الناس الحافا

الناس الحافا اى لا يلحون فى السؤال لانهم اغنيا بيقينهم اعزة بصبرهم فهكذا ينبغى ان يطلب
بالتفحص من اهل الدين فى كل محلة ويستكشف عن بواطن احوال اهل الخير والتجمل فثواب صرف
المعروف اليهم اضعاف ما يصرف الى المجاهرين بالسؤال الصفة الخامسة ان يكون معيلا او محبوسا
بمرض او بسبب من الاسباب فيوجد فيه معنى قوله تعالى للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله
اى حبسوا فى طريق الآخرة لعيلة او ضيق معيشة او صلاح قلب لا يستطيعون ضربا فى
الارض لانهم مقصوصو الجناح مقيدو الاطراف بهذه الاسباب كان عمر رضى الله عنه يعطى
اهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان صلعم يعطى العطا على مقدار العيلة وسئل
عمر رض عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال الصفة السادسة ان يكون من الاقارب
وذوى الارحام فيكون صدقة وصلة وفى صلة الرحم من الثواب ما لا يخفى قال على رضى الله
عنه لان اصل اخا من اخوانى بدرهم احب الى من ان اتصدق بعشرين درهما ولان اصله
بعشرين درهما احب الى من ان اتصدق بمائة درهم ولان اصله بمائة درهم احب الى من ان اعتق رقبة
والاصدقاء واخوان الخير ايضا يتقدمون على المعارف كما يتقدم الاقارب على الاجانب فلتراع
هذه الدقايق فهى الصفات المطلوبة وفى كل صفة درجات فينبغى ان يطلب اعلاها فان
وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهى الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد
فى ذلك واصاب فله اجران وان اخطا فله اجر واحد فان احدهما فى الحال تطهير نفسه عن
صفة البخل وتاكيد حب الله فى قلبه واجتهاد فى طاعته وهذه الصفات هى التى تقوى فى
قلبه الشوق الى لقاء الله تعالى واليوم الآخر الثانى ما يعود اليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته
فان قلوب الابرار لها آثار فى الحال وفى المآل فان اصاب حصل الاجران وان اخطا حصل الاول
دون الثانى فبهذا يضاعف اجر المصيب فى الاجتهاد هٰهنا وفى سائر المواضع والله
اعلم **الفصل الثالث** فى القابض واسباب استحقاقه ووظائف قبضه **بيان**
اسباب الاستحقاق اعلم انه لا يستحق الزكوة الا حر مسلم ليس بهاشمى ولا مطلبى اتصف
بصفة من صفات الاصناف الثمانية المذكورة فى كتاب الله تعالى فلا تصرف زكوة الى كافر
ولا الى عبد ولا الى هاشمى ولا الى مطلبى اما الصبى والمجنون فيجوز الصرف اليهما اذا قبض
عنهما وليهما اذا قبض عنهما وليهما فلنذكر صفات الاصناف الثمانية **الصنف الاول الفقراء**
والفقير هو الذى ليس له مال ولا قدرة على الكسب فان كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس
بفقير ولكن هو مسكين فان كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وان كان معه قميص وليس
معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم يكن له قيمة القميص بحيث تفى بجميع ذلك كما يليق بالفقرا
فهو فقير لانه فى الحال قد عدم ما هو محتاج اليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغى ان يشترط فى الفقير
الا ان يكون له كسوة سوى ستر العورة فان هذا غلو والغالب انه لا يوجد مثله فلا يخرجه

عن اسم الفقر كونه معتادا للسؤال فلا يجعل السؤال كسبا بخلاف ما لو قدر على كسب فان ذلك يخرجه
عن اسم الفقر فان قدر على الكسب بآلة فهو فقير ويجوز ان يشترى له الآلة فان قدر على كسب
لا يليق بمروته وبحال مثله فهو فقير ولا يعتبر قدرته وان كان متفقها ويمنعه الاشتغال
بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا يعتبر قدرته وان كان متعبدا ويمنعه الكسب عن وظايف
العبادات واوراد الاوقات فليكتسب لان الكسب اولى من ذلك قال صلعم طلب الحلال فريضة بعد
الفريضة واراد به السعي للاكتساب وقال عمر رض كسب في شبهة خير من المسألة وان
كان مكتفيا بنفقة ابيه او من يجب عليه نفقته فهو اهون من الكسب فليس بفقير

الثالث المساكين

والمسكين هو الذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك الف درهم
وهو مسكين وقد لا يملك الا حبلا وفاسا وهو غني والدويرة التي يسكنها والثوب الذي يستره
على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا اثاث البيت اعني ما يحتاج اليه وكل ذلك ما يليق به
وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة واذ لم يملك سوى الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر وحكم
الكتاب حكم الثوب واثاث البيت فانه محتاج اليه ولكن ينبغي ان يحتاط في فهم الحاجة
الى الكتاب فالكتاب يحتاج اليه لثلثة اغراض التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة
اما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء كتب الاشعار وتواريخ الاخبار وامثال ذلك مما لا
ينفع في الآخرة ولا يجدي في الدنيا الا مجرد التفرج والاستيناس فهذا يباع في الكفارة
وزكوة الفطر ويمنع اسم المسكنة واما حاجة التعليم ان كان لاجل الكسب كالمؤدب والمعلم
والمدرس باجرة فهو آلة فلا يباع في الفطرة كادوات الخياط وساير المحترفين وان كان الذي
يدرس للقيام بفروض الكفايات فلا يباع ايضا ولا يسلبه ذلك اسم المسكنة لانها حاجة
مهمة واما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره كتاب طب ليعالج به نفسه او
كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به فان كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه فان لم
يكن فهو محتاج اليه ثم ربما لا يحتاج الى مطالعة الكتاب الا بعد مدة فينبغي ان يضبط
مدة الحاجة والاقرب ان يقال ما لا يحتاج اليه في السنة فهو مستغنى عنه فان من فضل
عن قوت يومه شيء لزمته الفطرة فاذا قدر حاجة القوت باليوم فحاجة اثاث البيت
وثياب البدن ينبغي ان يقدر بالسنة فلا يباع ثياب الصيف في الشتا ولا ثياب الشتا في
الصيف والكتب بالاثاث والثياب اشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة له
الا الى احديهما فان قال احداهما اصح والاخرى احسن فانا محتاج اليهما قلنا اكتف بالاصح وبع
الاحسن ودع التفرج والترفه وان كانتا نسختان من علم واحد احديهما بسيط والآخر
وجيز فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط وان كان قصده التدريس فانه
يحتاج اليهما اذ في كل واحد فائدة ليست في الاخرى وامثال هذه الصور لا تنحصر ولم يتعرض

لهاف الفقه وانما اوردنا ها هنا العموم والتنبيه بجنس هذا النظر على غيره فان استقصا
هذه الصورة غير ممكن اذ يتصدى مثل هذا النظر في اثاث البيت في مقداره وعدده ونوعه
وفي ثياب البدن وفي الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الامور حد محدود ولكن الفقيه
يجتهد فيها برايه ويقرب في التحديدات بما يراه ويقتحم في ذلك خطر الشبهات والمتقي
ياخذ بالاحوط ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه والدرجات المتوسطة المشكلة بين الاطراف المتقا
بلة كثيرة ولا ينجي منها الا الاحتياط **الصنف الثالث العاملون** وهم السعاة الذين
يجمعون الزكوة سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيهم العريف والكاتب والمستوفي و
الحافظ والنقال ولا يزاد واحد منهم على اجر المثل فان فضل شي من الثمن عن اجر مثلهم رد
على بقية الاصناف وان نقص كمل من مال المصالح **الصنف الرابع المؤلفة قلوبهم** وهم
اشراف قد اسلموا وهم مطاعون في قومهم وفي اعطائهم تقريرهم على الاسلام وترغيب
نظرائهم واتباعهم **الصنف الخامس المكاتبون** ويدفع الى السيد سهم المكاتب وان دفع
ذلك الى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكوته الى مكاتب نفسه لانه بعد عبد له **الصنف السادس
الغارمون** والغارم هو الذي استقرض في طاعة او مباح وهو فقير فان استقرض في
معصية فلا يعطى الا اذا تاب وان كان غنيا لم يقض دينه الا اذا كان قد استقرض لمصلحة
او اطفاء فتنة **الصنف السابع الغزاة** الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزقة
فيصرف اليهم سهم وان كانوا اغنيا اعانة لهم على الغزو **الصنف الثامن ابن السبيل**
وهو الذي شخص من بلده ليسافر في غير معصية او اجتاز بها فيعطى ان كان فقيرا وان
كان له مال ببلد اخر اعطي قدر بلغته فان قلت فبم تعرف هذه الصفات قلنا اما الفقر و
المسكنة فبقول الاخذ ولا يطالب ببينة ولا يحلف بل يجوز الاعتماد على قوله اذا لم يعلم كذبه
واما الغزو والسفر فهو امر مستقبل فيعطى بقوله اني غاز فان لم يف به استرد واما بقية
الاصناف فلا بد فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاقات فاما مقدار ما يصرف الى كل واحد
فسياتي بيانه ان شاء الله **بيان** وظائف القابض وهي خمس الاولى ان يفهم ان الله
تبارك وتعالى اوجب صرف الزكوة اليه ليكفي همه ويجعل همومه هما واحدا فقد تعبد الله الخلق
بان يكون همهم واحدا وهو الله سبحانه وتعالى واليوم الاخر وهو المعنى بقوله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون ولكن لما اقتضت الحكمة ان يسلط على العبد الشهوات والحاجات
وهي تفرق همه اقتضى الكرم افاضة نعمة تكفي الحاجات فاكثر الاموال وصبها في ايدي عباده
لتكون الة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعاته فمنهم من اكثر ماله فتنة و
نقمة فاقحمه في الخطر ومنهم من احبه فحماه عن الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه
فضولها وساق اليه قدر حاجته على ايدي الاغنيا ليكون سهل الكسب والتعب عليهم في الجمع والحفظ

ونايته نفسه الى الفقراء المتجردين لعبادة الله تعالى والاستعداد لما بعد الموت فلا يصرفهم عن
ذلك فضول الدنيا ولا يشغلهم عن التأهب الفائت فههنا ينتهي قدر النعمة فحق على الفقير ان
يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق ان فضل الله سبحانه عليه فيما زواه عنه اكثر من فضله فيما
اعطاه كما سيأتي بيانه في كتاب الفقر فليأخذ ما يأخذه من الله تعالى رزقا له وعونا على الطاعة
ولكن ينبغي ان يتقوى به على طاعة الله تعالى فان لم يقدر عليه فليصرفه الى ما اباحه الله تعالى
فان استعان به على معصية الله عز وجل كان كافرا لانعم الله مستحقا للبعد والمقت
من الله تعالى الثانية ان يشكر المعطي فيدعو له ويثني عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا
يخرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله اليه وللطريق حق من حيث جعله الله تعالى
طريقا وواسطة وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله تعالى فقد قال صلعم من لم يشكر الناس لم
يشكر الله وقد اثنى الله تعالى على عباده في مواضع وعلى اعمالهم وهو خالقها وخالق القدرة
عليها نحو قوله تعالى نعم العبد انه اواب الى غير ذلك وليكن من دعائه طهر الله قلبك في قلوب
الابرار وزكى عملك في عمل الاخيار وصلى على روحك في ارواح الشهداء وقال صلى الله عليه وسلم
من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا انكم قد كافأتموه
ومن تمام الشكر ان يستر عيوب العطاء ان كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع
اذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة القابض تقلد المنة منه والا
ستعظام وعلى كل من عبد القيام بحقه وذلك لا تناقض فيه اذ موجبات التصغير والتعظيم
تتعارض والنافع للمعطي ملاحظة اسباب التصغير ويضره خلاف ذلك والآخذ بالعكس منه
وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله تعالى فان من لا يرى الواسطة واسطة من الله تعالى
فقد جهل فانما المنكر ان يرى الواسطة اصلا الثالثة ان ينظر فيما يأخذه فان لم يكن من حله
تورع عنه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم المتورع عن الحرام
فتوحا من الحلال فلا يأخذ من اموال الاتراك والجنود وعمال السلاطين ومن اكثر كسبه من
الحرام الا اذا ضاق عليه الامر وكان ما يسلم اليه لا يعرف له مالكا معينا فله ان يأخذ بقدر الحاجة
فان فتوى الشرع في مثل هذا ان يتصدق به على ما سيأتي بيانه في كتاب الحلال والحرام وذلك
اذا عجز عن الحلال فاذا اخذ لم يكن اخذه اخذ زكوة اذ لا تقع الزكوة عن مؤديه وهو حرام
الرابعة ان يتوقى مواقع الريبة والاشتباه في مقدار ما يأخذه فلا يأخذ الا القدر المباح
ولا يأخذ الا اذا تحقق انه موصوف بصفة الاستحقاق فان كان يأخذ بالكتابة او الغرم
فلا يزيد على مقدار الدين وان كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على اجرة المثل فان اعطي زيادة ابى
وامتنع اذ ليس المال للمعطي حتى يتبرع به وان كان مسافرا لم يزد على الزاد وكرا الدابة الى
مقصده وان كان غازيا لم يأخذ الا ما يحتاج اليه للغزو خاصة من فرس وسلاح ونفقة ونقد

فلا بالاجتهاد

ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر والورع ترك ما يريبه الى ما لا يريبه بان اخذ با
لنظر اولا الى اثاث بيته وثيابه وكتبه وهل فيها ما يستغني عنه لعينه او يستغني عن نفاسته
وجودته فيمكن ان يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته وكل ذلك الى اجتهاده وفيه طرف ظاهر
يتحقق معه انه مستحق وطرف آخر يقابله يتحقق معه انه غير مستحق وبينهما اوساط مشتبهة
ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والاعتماد في هذا على قول الاخذ ظاهرا والمحتاج في
تقدير الحاجة مقامات في التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع الى التضييق
وميل المتساهل الى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجا الى فنون من التوسع وهو ممقوت في الشرع
ثم اذا تحققت حاجته فلا ياخذن مالا كثيرا بل ما يتمم كفايته من وقت اخذه الى سنة فهذا اقصى
ما يرخص فيه من حيث ان السنة اذا تكررت تكررت اسباب الدخل ومن حيث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ادخر لعياله قوت سنة وهذا اقرب ما يحد به حد الفقير والمسكين ولو اقتصر على قدر حاجة
شهره او حاجة يومه فهو اقرب للتقوى ومذاهب العلماء في قدر الماخوذ بحكم الزكوة والصدقة
مختلفة فمن مبالغ في التقليل الى حد اوجب الاقتصار على قوت يومه وليلته وتمسكوا بما
روى سهل بن الحنظلية ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن السؤال مع الغنى فسئل عن غناه
فقال صلى الله عليه وسلم غداؤه وعشاؤه وقال آخرون ياخذ الى حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكوة
اذ لم يوجب الله تعالى الزكوة الا على الاغنيا فقالوا له ان ياخذ لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكوة
وقال قائلون حد الغنى خمسون درهما لما روى مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سال وله
مال يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش قيل وما غناه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب
وقيل راويه ليس بقوي وقال قوم اربعون لما روى عطاء بن يسار منقطعا انه صلى الله عليه وسلم
قال من سال وله اوقية فقد الحف في السؤال وبالغ آخرون في التوسع فقالوا له ان ياخذ مقدار
ما يشتري به ضيعة فيستغني بها طول عمره او يهيئ به قدر بضاعة ليتجر فيها ويستغني بطول
عمره لان هذا هو الغنى وقد قال عمر رضي الله عنه اذا اعطيتم فاغنوا حتى ذهب قوم الى ان من
افتقر فله ان ياخذ بقدر ما يعود به الى مثل حاله ولو عشرة الاف درهم الا اذا خرج عن حد الا
عتدال ولما شغل ابا طلحة بستانه عن الصلوة قال جعلته صدقة فقال صلى الله عليه وسلم اجعله في قرا
بتك فهو خير لك فاعطاه حسانا وابا قتادة فحائط من نخل لرجلين كثير مغن واعطى عمر رضي الله عنه
اعرابيا ناقة معها ظئرها فهذا ما حكي فيه واما التقليل الى قوت اليوم والاوقية فذلك ورد في كراهية
السؤال والتردد على الابواب وذلك مستنكر وله حكم آخر بل التجويز الى ان يشتري ضيعة فيستغني
بها عن السؤال اقرب الى الاحتمال وهو ايضا مائل الى الاسراف والاقرب الى الاعتدال الكفاية لسنة فما
وراء ذلك فيه خطر وفيما دونه تضييق وهذه الامور اذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف فليس
للمجتهد الا الحكم بما يقع له ثم يقال للورع استفت قلبك وان افتوك وافتوك كما قال صلى الله عليه وسلم

اذ الاثم حزاز القلوب فاذا وجد القابض في نفسه شيئا مما ياخذه فليتق الله ولا يترخص تعللا با
لفتوى من علماء الظاهر فان لفتاويهم قيودا ومطلقات من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام
شبهات والتوقي من الشبهات من شيم ذوي الدين وعادات السالكين لطريق الاخرة الخامس ان
يسال صاحب المال عن قدر الواجب عليه فان كان ما يعطيه فوق الثمن فلا ياخذ منه لانه لا يستحق مع
شريكه الا الثمن فلينقص من الثمن مقدار ما يصرف الى اثنين من صنفه وهذا السؤال واجب
على اكثر الخلق فانهم لا يراعون هذه القسمة اما لجهل واما لتساهل وانما يجوز ترك السؤال عن مثل
هذه الامور اذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم وسياتي ذكر مظان السؤال ودرجات الاحتمال في
كتاب الحلال والحرام ان شاء الله تعالى **الفصل الرابع** في صدقة التطوع وفضلها وآداب
اخذها واعطائها **فضيلة** الصدقة من الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم تصدقوا ولو بتمر
فانها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وقال صلعم اتقوا النار ولو بشق
تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من
كسب طيب ولا يقبل الله تعالى الا الطيب الا كان الله تعالى ياخذها بيمينه فيربيها له كما يربي احدكم
فصيله حتى تبلغ التمرة مثل احد وقال صلى الله عليه وسلم لابي الدرداء اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها
ثم انظر اهل بيت من جيرانك فاصبهم منه بمعروف وقال صلى الله عليه وسلم ما احسن عبد الصدقة
الا احسن الله الخلافة على تركته وقال صلى الله عليه وسلم كل امرئ في ظل صدقته يوم القيمة حتى
يقضى بين الناس وقال صلعم الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وقال صلعم صدقة السر تطفئ غضب
الرب تعالى وقال صلعم ما المعطي من سعة بافضل اجرا من الذي يقبل من حاجة ولعل المراد به الذي
يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطي الذي يقصد باعطائه عمارة دينه
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الصدقة افضل فقال عم صلى الله عليه وسلم ان تصدق
وانت صحيح شحيح تامل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان
كذا ولفلان كذا الا وقد كان لفلان وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه يوما تصدقوا فقال رجل ان
عندي دينارا فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه يوما تصدقوا فقال الرجل ان انفقه على نفسك فقال
ان عندي اخر قال صلعم انفقه على زوجتك قال ان عندي اخر قال صلعم انفقه على ولدك قال
ان عندي اخر قال انفقه على خادمك قال ان عندي اخر قال انت ابصر به وقال صلعم لا تحل الصدقة
لآل محمد انما هي اوساخ الناس وقال صلى الله عليه وسلم ردوا مذمة السائل ولو بمثل راس الطائر من
الطعام وقال صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل ما افلح من رده وقال عيسى صلى الله عليه وسلم
من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة ايام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم
لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره وكان يناول المسكين بيده وقال صلى الله عليه
وسلم ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف اقرؤا ان شئتم

لا يسألون

انما لا يبالون الناس الحافا وقال صلعم ما من مسلم يكسو مسلما الا كان في حفظ الله عز وجل ما دامت عليه
منه رقعة وقال عروة بن الزبير لقد تصدقت عائشة رضي الله عنها بخمسين الفا وان درعها لمرقع
وقال مجاهد في قول الله عز وجل ويطعمون الطعام على حبه فقال وهم يشتهونه وكان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون على اهل الحاجة منا وقال
عمر بن عبد العزيز الصلوة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال
ابن ابي الجعد ان الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانيتها سبعين ضعفا
وانها لتفك لحيي سبعين شيطانا وقال ابن مسعود ان رجلا عبد الله سبعين سنة ثم اصاب فاحشة
فاحبط الله عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين
سنة وقال لقمن لابنه اذا اخطات خطية فاعط صدقة وقال يحيى بن معاذ ما اعرف حبة تزن
جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن ابي رواد كان يقال ثلثة من كنوز الجنة او
قال من كنوز البر كتمان المرض وكتمان الصدقة وكتمان المصايب وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة انا افضلكن وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول
سمعت الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والله يعلم اني لاحب السكر
وقال النخعي اذا كان الشي لله تعالى لا يسرني ان يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم
القيامة اجوع ما كانوا قط واعطش ما كانوا قط واعرى ما كانوا قط فمن اطعم لله اشبعه الله و
من سقى لله سقاه الله ومن كساه الله وقال الحسن لو شا الله لجعلكم اغنيا لا فقير فيكم ولكنه
ابتلى بعضكم ببعض وقال الشعبي من لم ير نفسه احوج الى ثواب الصدقة من الفقير الى الصدقة
فقد ابطل صدقته وضرب بها وجهه وقال مالك بن دينار لا نرى باسا بشرب المومن من الما الذي يتصدق
به ويسقى في المسجد باسا لانه انما جعل للعطشان كاينا من كان مكمه بيد اهل الحاجة والمسكنة
على الخصوص ويقال ان الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس اترضى في ثمنها الدرهم و
الدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله عز وجل رضي في الحور العين بالفلس واللقمة والله اعلم

بيان اخفاء اخذ الصدقة واظهارها قد اختلفت طريق طلاب الاخلاص في ذلك فمال
قوم الى ان الاخفا افضل ومال قوم الى ان الاظهار افضل ونحن نشير الى ما في كل واحد من المعاني
والافات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه ذلك اما الاخفا ففيه خمسة معان الاول انه ابقى للستر على الاخذ
فان في اخذه ظاهرا هتك ستر المروة وكشف عن الحاجة وخروج عن هية التعفف والتصون في
المحبوب وفي مثل هذه الصفات قال الله تعالى يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف الثاني انه اسلم لقلوب
الناس والسنتهم فانهم ربما يحسدون او ينكرون عليه اخذه ويظنون انه اخذ مع الاستغنا او ينسبونه
الى اخذ زيادة والحسد وسو الظن والغيبة من الذنوب الكبار وصيانتهم عن هذه الجرايم اولى وقال
ايوب السختياني اني لاترك لبس الثوب الجديد خشية ان يحدث في جيراني الحسد وقال بعض

الزهاد ربما تركت استعمال الشي من اجل اخوانهم يقولون من اين له هذا وعن ابراهيم التيمي انه
راي عليه قميص جديد فقال بعض اخوانه من اين لك هذا فقال كسانيه اخي خيثمة ولو علمت ان اهله
علموا به ما قبلته الثالث اعانة المعطي على اسرار العمل فان فضل السر على الجهر في الاعطاء كثير و
الاعانة على اتمام المعروف معروف والكتمان لا يتم الا باثنين فمتى ما اظهر هذا انكشف امر المعطي ودفع
رجل الى بعض العلما شيئا ظاهرا فرده اليه ودفع اليه آخر شيئا في السر فقبله فقيل له في ذلك فقال
ان هذا عمل بالادب في اخفا معروفه فقبلته وذاك اساء ادبه في عمله فرددته واعطى رجل بعض
الصوفية شيئا في الملا فرده فقال له لم ترد على الله ما اعطاك فقال انك اشركت غير الله فيما لله ولم
تقنع بعين الله عز وجل فرددت عليك شركك وقبل بعض العارفين في السر شيئا كان رده في
العلانية فقيل له في ذلك فقال عصيت الله في الجهر فلم اك عونا لك على المعصية واطعته بالا
خفا فاعنتك على برك وقال الثوري لو علمت ان احدهم لا يذكر صدقته ولا يتحدث بها لقبلت صدقته
الرابع ان في اظهار الاخذ ذلا وامتهانا وليس للمومن ان يذل نفسه كان بعض العلما ياخذ في السر
ولا ياخذ في العلانية ويقول ان في اظهاره اذلالا للعلم وامتهانا لاهله فما كنت بالذي ارفع
شيئا من الدنيا بوضع العلم واذلال اهله الخامس الاحتراز عن شبهة الشركة قال صلى الله عليه
وسلم من اهدي له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها وبان كانت ورقا او ذهبا فلا يخرجها
ذلك عن كونها هدية قال صلى الله عليه وسلم افضل ما يهدي الرجل الى اخيه ورقا او يطعمه خبزا فجعل الورق
هدية فانفراده بما يعطى في الملا مكروه الا برضى جميعهم ولا يخلو عن شبهة فاذا انفرد سلم عن
هذه الشبهة واما الاظهار والتحدث به ففيه معان اربعة الاول الاخلاص والصدق والسلامة
عن تلبيس الحال والمراياه الثاني اسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة والتبري
عن الكبريا ودعوى الاستغنا واسقاط النفس عن اعين الخلق قال بعض العارفين لتلميذه
اظهر الاخذ على كل حال ان كنت اخذا فانك لا تخلو من احد رجلين رجل تسقط من قلبه اذا
فعلت ذلك فذلك هو المراد لانه اسلم لك ولدينك واقل لافات نفسك او رجل تزداد في
قلبه باظهارك الصدق فذلك الذي يريده اخوك لانه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه
اياك فتوجر انت اذ كنت سبب مزيد ثوابه الثالث ان العارف لا نظر له الا الى الله تعالى والسر و
العلانية في حقه واحد واختلاف الحال شرك في التوحيد قال بعضهم كنا لا نعبا بدعا من
ياخذ في السر ويرد في العلانية والالتفات في الخلق حضروا ام غابوا نقصان في الحال بل ينبغي
ان يكون النظر مقصورا على الواحد الفرد حكي ان بعض الشيوخ كان كثير الميل الى واحد من جملة
المريدين فشق على الاخرين ذلك فاراد ان يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فاعطى كل واحد منهم
دجاجة وقال لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه احد فانفرد كل واحد وذبح
دجاجته الا ذلك المريد فانه رد دجاجته حية فسالهم فقالوا فعلنا ما امر الشيخ فقال لذلك

المريد

المريد ليقتدى على ذلك فان الله سبحانه كان يرائى فى كل موضع فقال الشيخ لهذا اصل اليه لانه
لا يلتفت الا الى الله سبحانه الرابع ان الاظهار اقامة لسنة الشكر وقد قال الله تعالى واما بنعمة
ربك فحدث والكتمان كفران النعمة وقد ذم الله تعالى من كتم ما آتاه الله وقرنه بالبخل فقال تعالى
الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم
اذا انعم الله عز وجل على عبده نعمة احب ان ترى عليه واعطى رجل بعض العارفين شيئا فى السر
فرفع يده وقال هذا من الدنيا والعلانية فيها افضل والسر فى امور الاخرة افضل ولذلك
قال بعضهم اذا اعطيت فى الملا فخذ ثم اردد فى السر والشكر محثوث عليه قال صلعم من لم
يشكر الناس لم يشكر الله والشكر قائم مقام المكافاة حتى قال صلعم اليكم معروفا فكافئوه فان
لم تستطيعوا فاثنوا عليه خيرا وادعوا له حتى تعلموا انكم قد كافيتموه ولما قال المهاجرون
فى الشكر يا رسول الله ما راينا خيرا من قوم نزلنا عليهم قاسمونا الاموال حتى خفنا ان يذهبوا
بالاجر كله فقال صلى الله عليه وسلم كلا ما شكرتم لهم واثنيتم به عليهم اى ذلك مكافاة فالان
اذا عرفت هذه المعانى فاعلم ان ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا فى المسئلة بل هو
اختلاف حال فكشف الغطاء فى هذا هو انا لا نحكم حكما بتا بان الاخفاء افضل فى كل حال او الاظهار
افضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف الاشخاص والاحوال فينبغى
ان يكون المخلص مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان
والمكر والخداع اغلب فى معانى الاخفاء منه فى الاظهار مع ان له دخلا فى كل واحد منهما فاما مدخل الخداع
فى الاسرار فمن قبل ميل الطبع اليه لما فيه من حفظ الجاه والمنزلة وسقوط القدر من اعين الناس
ونظر الخلق اليه بعين الازدراء والى المعطى بعين المنعم المحسن فهذا هو الداء الدفين ويستكن
فى النفس والشيطان بواسطته يظهر معانى الخير حتى يتعلل بالمعانى الخمسة التى ذكرناها
ومعيار كل ذلك ومحكه امر واحد وهو ان يكون تالمه بانكشاف اخذه للصدقة كتالمه بانكشاف
صدقة اخذها بعض اقرانه وامثاله فانه ان كان يبغى صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسوء
الظن او يتقى انهتاك الستر او اعانة المعطى على الاسرار او صيانة العلم عن الابتذال فكل
ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة اخيه فان كان انكشاف امره اثقل عليه من انكشاف امر غيره
فتقديره الحذر من هذه المعانى اغاليط واباطيل من مكر الشيطان وخدعه فان اذلال العلم
محذور من حيث انه علم لا من حيث انه علم زيد او علم عمرو والغيبة محذورة من حيث انها
تعرض لعرض مصون لا من حيث انها تعرض لعرض زيد على الخصوص ومن احسن من يحفظ مثل
هذا ربما يعجز الشيطان عنه والا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ فاما جانب الاظهار فميل الطبع
اليه من حيث انه تطييب لقلب المعطى واستحثاث له على مثله واظهار عند غيره انه من المبالغين
فى الشكر حتى يرغبوا فى اكرامه وتفقده وهذا داء دفين فى الباطن والشيطان لا يقدر

على المتدين الا ان يروج عليه هذا الخبث في معرض السنة ويقول له الشكر من السنة والاخفا من
الريا ويورد عليه هذه المعاني التي ذكرناها ليحمله على الاظهار وقصده الباطن ما ذكرناه ومعيار
ذلك ومحكه ان ينظر الى ميل نفسه الى الشكر حيث لا ينتهي الخبر الى المعطي ولا الى من يرغب في
عطائه وبين يدي جماعة يكرهون اظهار العطية ويرغبون في اخفائها وعادتهم انهم لا
يعطون الا من يخفي ولا يشكر فان استوت هذه الاحوال عنده فليعلم ان باعثه هو اقامة
السنة في الشكر والتحدث بالنعمة والا فهو مغرور ثم مهما علم ان باعثه السنة فلا ينبغي
ان يغفل عن قضاء حق المعطي فينظر فان كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغي ان يخفي ولا يشكر
لان قضاء حقه ان لا ينصره على الظلم وطلبه للشكر ظلم فاذا علم من حاله انه لا يحب الشكر ولا
يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال صلعم للرجل الذي مدح بين يديه
ضربتم عنقه لو سمعها ما افلح مع انه صلى الله عليه وسلم كان يثني على قوم في وجوههم
لثقته بيقينهم وعلمه بان ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال صلى الله
عليه وسلم في واحد انه سيد اهل الوبر وقال صلعم في آخر كلام اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه
وسمع صلى الله عليه وسلم كلام رجل فاعجبه فقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا
وقال صلى الله عليه وسلم اذا علم احدكم من اخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة في الخير و
قال صلى الله عليه وسلم اذا مدح المؤمن ربا الايمان في قلبه وقال الثوري من عرف نفسه لم يضره
مدح الناس وقال ايضا ليوسف بن اسباط اذا اوليتك معروفا فكنت انا اسر به منك ورايت
ذلك نعمة من الله عز وجل علي فاشكر والا فلا تشكر فهذه دقائق هذه المعاني ينبغي ان يلاحظها
من يراعي قلبه فان اعمال الجوارح مع اهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة
التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه ان تعلم مسئلة واحدة منه افضل
من عبادة سنة اذ بهذا العلم تحيى عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر وتتعطل
وعلى الجملة فالاخذ في الملا والرد في السر احسن المسالك واسلمها فلا ينبغي ان يدفع بالتزويقات
الا ان تكمل المعرفة بحيث يستوي السر والعلانية وذلك هو الكبريت الاحمر يتحدث
به الناس ولا يرى بيان الافضل من اخذ الزكوة او الصدقة كان ابراهيم الخواص والجنيد
وجماعة يرون ان الاخذ من الصدقة افضل فان في اخذ الزكوة مزاحمة للمساكين وتضييقا
عليهم ولانه ربما لا يكمل في اخذها صفة الاستحقاق كما وصف في كتاب الله واما الصدقة
فالامر فيها اوسع وقال قائلون ياخذ الزكوة دون الصدقة لانها اعانة على واجب ولو ترك
المساكين كلهم اخذ الزكوة لاثموا ولانه لا منة فيها وانما هو حق واجب لله تعالى رزقا لعباده
المحتاجين ولانه اخذ بالحاجة والانسان يعلم حاجة نفسه قطعا واخذ الصدقة اخذ
بالدين فان الغالب ان المتصدق يعطي من يعتقد فيه خيرا ولان مرافقة المساكين ادخل في

في الذل

في الذل والمسكنة والبعد عن التكبر اذ قد ياخذ الانسان الصدقة في معرض الهدية فلا
يتميز عنه وهذا تنصيص على ذل الاخذ وحاجته والقول في هذا ان هذا يختلف باحوال
الشخص وما يغلب عليه ويحضره من النية فان كان في شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق
فلا ينبغي ان ياخذ الزكوة فاذا علم انه مستحق قطعا كما اذا حصل عليه دين صرفه الى الخير وليس له
وجه في قضائه فهو مستحق قطعا فاذا خير هذا بين الزكوة وبين الصدقة فان كان صاحب
الصدقة لا يتصدق بذلك المال لو لم ياخذه هو فلياخذ الصدقة فان الزكوة الواجبة
يصرفها صاحبها الى مستحقها ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع على المساكين وان كان المال معرضا
للصدقة ولم يكن في اخذ الزكوة تضييق على المساكين فهو مخير والامر فيهما متقارب
واخذ الزكوة اشد في كسر النفس واذلالها في اغلب الاحوال والله اعلم تم كتاب اسرار الزكوة وصلى الله على
محمد وآله وسلم يتلوه كتاب اسرار الصيام ومهماته وهو السادس من كتب احيا علوم
من ربع العبادات كتاب اسرار الصوم وهو السادس من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اعظم على عباده المنة بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ورد امله وخيب ظنه
اذ جعل الصوم حصنا لاوليائه وجنة وفتح لهم به ابواب الجنة وعرفهم ان وسيلة الشيطان
الى قلوبهم الشهوات المستكنة وان بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة في
قصم خصمها قوية المنة والصلوة على محمد قائد الخلق وممهد السنة وعلى آله واصحابه ذوي
الابصار الثاقبة والعقول المرجحة وسلم كثيرا اما بعد فان الصوم ربع الايمان بمقتضى
قوله صلى الله عليه وسلم الصوم نصف الصبر وبمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان
ثم هو متميز بخاصية النسبة الى الله تعالى من بين سائر الاركان اذ قال تعالى فيما حكاه عنه
نبيه صلى الله عليه وسلم كل حسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الا الصيام فانه لي وانا اجزي
به وقد قال عز وجل انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والصوم نصف الصبر فقد
جاوز ثوابه حد قانون التقدير والحساب وناهيك في معرفة فضله قوله صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك يقول الله تعالى
انما يذر شهوته وطعامه وشرابه لاجلي فالصوم لي وانا اجزي به وقال صلى الله عليه وسلم للجنة
باب يقال له الريان لا يدخله الا الصائمون وهو موعود بلقاء الله في جزاء صومه قال صلى الله عليه
وسلم لكل شي باب وباب العبادة الصوم وقال صلعم نوم الصائم عبادة وروى ابو هريرة رض
انه صلعم قال اذا دخل شهر رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين
ونادى مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر وقال وكيع في قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا
بما اسلفتم في الايام الخالية هي ايام الصوم اذ تركوا فيها الاكل والشرب وقد جمع رسول الله صلعم

لدرجة المباهاة بين الزهد في الدنيا والصوم فقال ان الله تعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد
فيقول ايها الشاب التارك شهوته لاجلي الباذل شبابه لي انت عندي كبعض ملائكتي وقال صلعم
في الصائم يقول الله تبارك وتعالى يا ملائكتي انظروا الى عبدي ترك شهوته ولذته وطعامه
وشرابه من اجلي وقيل في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون
قيل عملهم الصيام لانه تعالى قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فيفرغ للصائم
اجره افراغا ويجازف جزافا فلا يدخل تحت وهم وتقدير وجدير بان يكون كذلك لان الصوم
انما كان له وشرفا بالنسبة اليه وان كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة الى نفسه
والارض كلها له لمعنيين احدهما ان الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد
وجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه الا الله تعالى فانه عمل في الباطن بالصبر
المجرد والثاني انه قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات وانما تقوى
الشهوات بالاكل والشرب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى
الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ولذلك قال صلعم لعائشة رضي الله عنها داومي قرع باب الجنة
قالت بماذا قال بالجوع وسيأتي فضائل الجوع في كتاب كسر الشهوتين من ربع المهلكات
فلما كان الصبر على الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدا لمسالكه وتضييقا لمجاريه
استحق التخصيص بالنسبة الى الله عز وجل ففي قمع عدو الله نصرة لله ونصرة الله موقوفة
على النصرة له قال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم فالبداية بالجهد من العبد
والجزاء بالهداية من الله سبحانه ولذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وان الله لمع المحسنين وقال الله عز وجل ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم وانما التغيير بكسر الشهوات فهي مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة
لم ينقطع ترددهم اليها وما داموا يترددون فلا ينكشف للعبد جلال الله تعالى وكان محجوبا
عن لقائه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم
لنظروا الى ملكوت السماء فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة واذ عظمت
فضيلته الى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر اركانه وسننه وشروطه
الباطنة ونبين ذلك بثلاثة فصول **الفصل الاول** في الواجبات والسنن
الظاهرة واللوازم بافساده **الفصل الثاني** في اسرار الصوم وشروطه الباطنة
الفصل الثالث في التطوع بالصيام وترتيب الاوراد فيه **الفصل الاول**
في الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده اما الواجبات الظاهرة فستة الاول
مراقبة شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فان غم فباستكمال ثلاثين يوما من شعبان
ونعني بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال الا بقول

عدلين

عدلين احتياطا للعبادة ومن سمع عدلا او من يوثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه
الصوم وان لم يقض القاضي به فليتبع كل عبد في عبادته موجب ظنه وان رأى اهلاك
ببلدة ولم باخرى وكان بينهما اقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل فان كان اكثر كان
لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجب الثاني النية ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جاز
مه فلو نوى ان يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكف وهو الذي عنينا بقولنا لكل
ليلة ولو نوى بالنهار لم يجز صوم رمضان ولا صوم الفرض الا التطوع وهو الذي
عنينا بقولنا مبيتة ولو نوى الصوم مطلقا او الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوي فريضة الله
صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك ان يصوم غدا ان كان من رمضان لم يجزه فانها ليست بجا
زمة الا ان يستند نيته الى قول شاهد عدل فاحتمال غلط العدل او كذبه لا يبطل الجزم
او يستند الى استصحاب كالشك في الليلة الاخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية او يستند
الى اجتهاد كالمحبوس في المطمورة اذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنعه من
النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزم النية باللسان فان النية محلها القلب ولا يتصور
فيها جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان اصوم غدا ان كان من رمضان فانه لا
يضره لانه تردد باللفظ ومحل النية لا يتصور فيه التردد بل هو قاطع بانه من رمضان ومن
نوى ليلا ثم اكل لم يفسد نيته ولو نوت في الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها الثا
لث الامساك عن ايصال الشيء الى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالاكل و
الشرب والسعوط والحقنة ولا يفسد بالفصد والحجامة ولا الاكتحال وادخال الميل في الاذن
والاحليل الا ان يقطر فيه ما يبلغ الى المثانة وما يصل من غير قصد من غبار الطريق او ذبابة
تسبق الى جوفه او ما يسبق الى جوفه في المضمضة فلا يفطر الا اذا بالغ في المضمضة فيفطر لانه
مقصر وهو الذي اردنا بقولنا عمدا فاما قولنا مع ذكر الصوم فاردنا به الاحتراز عن الناسي
فانه لا يفطر اما من اكل عمدا في طرفي النهار ثم ظهر له انه اكل نهارا بالتحقيق فعليه القضا
وان بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضا عليه ولا ينبغي ان ياكل في طرفي النهار الا بيقين واجتهاد الرا
بع الامساك عن الجماع وحده تغييب الحشفة في الفرج فان جامع ناسيا لم يفطر وان جامع ليلا او
احتلم فاصبح جنبا لم يفطر وان طلع الفجر وهو مخالط لاهله فنزع في الحال صح صومه فان
صبر فسد صومه ولزمته الكفارة الخامس الامساك عن الاستمنا وهو اخراج المني قصدا بجماع
او بغير جماع فان ذلك يفطره ولا يفطر بقبلة زوجته ولا مضاجعتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك
الا ان يكون شيخا او مالكا لاربه فلا باس بالتقبيل وتركه اولى واذا كان يخاف من التقبيل ان ينزل
فقبل وسبق المني افطر لتقصيره السادس الامساك عن اخراج القي بالاستقا فانه اذا استقى فقاء
فسد صومه وان دفعه القي لم يفسد صومه وان اقتلع نخامة من حلقه او صدره لم يفسد صومه

فان ذرعه القي لم يفسد صومه وان رخص لعموم البلوى بذلك الا ان يبتلعه بعد وصوله الى
فيه فانه يفطر عند ذلك واما لوازم الافطار فاربعة اولها القضا والكفارة و
الفدية وامساك بقية النهار تشبها بالصائمين اما القضا فوجوبه عام على كل مسلم مكلف
ترك الصوم بعذر او بغير عذر فالحائض تقضي الصوم وكذا المرتد اما الكافر والصبي والمجنون
فلا قضا عليهم ولا يشترط التتابع في قضا رمضان ولكن يقضي كيف شا متفرقا ومجموعا
واما الكفارة فلا تجب الا بالجماع واما الاستمنا والاكل والشرب وما عدا الجماع فلا يجب به
كفارة والكفارة عتق رقبة فان اعسر فصوم شهرين متتابعين فان عجز فاطعام
ستين مسكينا مدا مدا واما الامساك بقية النهار فيجب على من عصى بالفطر او قصر فيه
ولا يجب على الحائض اذا طهرت امساك بقية نهارها ولا على المسافر اذا قدم مفطرا من
سفر بلغ مرحلتين ويجب الامساك اذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك والصوم في
السفر افضل من الفطر اذا اطاق والفطر افضل اذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وان
كان مقيما في اوله ولا يوم يقدم صائما واما الفدية فيجب على الحامل والمرضع اذا افطرتا
خوفا على ولديهما لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضا والشيخ الهرم اذا لم يصم تصدق
عن كل يوم مدا واما السنن فستة تاخير السحور وتعجيل الافطار على التمر او الما
قبل الصلوة وترك السواك بعد الزوال والجود في شهر رمضان لما سبق من فضائله في
الزكوة ومدارسة القران والاعتكاف في المسجد لا سيما في العشر الاخيرة فهي عادة رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاخير طوى فراشه وشد المئزر ودأب واهله اي
اداموا النصب في العبادة اذ فيها ليلة القدر والاغلب انها في اوتارها واشبه الاوتار
بها ليلة احدى وعشرين وثلث وعشرين وخمس وسبع والتتابع في هذا الاعتكاف
اولى فان نذر اعتكافا متتابعا او نواه انقطع بالخروج تتابعه من غير ضرورة كما لو
خرج لعيادة مريض او لشهادة او لجنازة او لزيارة او لتجديد طهارة فان خرج لقضا
الحاجة لم ينقطع اعتكافه وله ان يتوضا في البيت ولا ينبغي ان يعرج على شغل
آخر كان صلى الله عليه وسلم لا يخرج الا لحاجة الانسان ولا يسال عن المريض الا مارا وينقطع
التتابع بالجماع ولا ينقطع بالتقبيل ولا باس في المسجد بالتطيب وعقد النكاح وبالاكل
والنوم وغسل اليد في الطست فكل ذلك قد يحتاج اليه في التتابع ولا ينقطع التتابع
بخروج بعض بدنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدني راسه فترجله عائشة رضي الله
عنها وهي في الحجرة ومهما خرج المعتكف لقضا حاجة فاذا عاد فينبغي ان يستانف النية الا
اذا كان نوى اولا عشرة ايام مثلا والافضل مع ذلك التجديد الفصل الثاني في اسرار
الصوم وشروطه الباطنة اعلم ان للصوم ثلث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم

خصوص

صوم الخصوص اما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضا الشهوة كما سبق تفصيله
واما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وساير الجوارح عن الآثام
واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى
الله تعالى بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله تعالى واليوم الآخر وبالفكر في
الدنيا الا دنيا تراد للدين فان ذلك زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال ارباب القلوب من تحركت
همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق
بفضل الله تعالى وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الانبياء والصديقين والمقربين
ولا نطول النظر في تفصيل ذلك قولا ولكن في تحقيقه عملا فانه اقبال بكنه الهمة على الله تعالى
وانصراف عن غير الله وتلبس بمعنى قوله قل الله ثم ذرهم واما صوم الخصوص فهو صوم الصالحين
فهو كف الجوارح عن الآثام وتمامه بستة امور الاول غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر الى
كل ما يذم ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم النظرة
سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله آتاه الله ايمانا يجد حلاوته في
قلبه وروى جابر عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خمس يفطرن الصايم الكذب
والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة الثاني حفظ اللسان عن الهذيان والكذب
والغيبة والنميمة والفحش والجفا والخصومة والمرا والزامه السكوت او شغله بذكر الله تعالى
وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد قال سفيان الغيبة تفسد الصوم ورواه بشر بن الحارث
عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصوم الغيبة والكذب وقد قال صلى
الله عليه وسلم انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صايما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله او شاتمه
فليقل انى صايم وفي الخبر ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يستاذناه في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال للرسول قل لهما قييا فيه
ما اكلتما فقاءت احداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى
ملاتاه فتعجب الناس من ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما احل الله لهما
وافطرتا على ما حرم الله عليهما قعدت احداهما الى الاخرى فجعلتا تغتابان الناس
فهذا ما اكلتا من لحومهم الثالث كف السمع عن الاصغا الى كل مكروه لان كل ما حرم الله قوله
حرم الاصغا اليه ولذلك سوى الله تعالى بين المستمع واكل السحت فقال سماعون
للكذب اكالون للسحت وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم
واكلهم السحت فالسكوت على الغيبة حرام وقال عز وجل فلا تقعدوا معهم حتى
يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم المغتاب والمستمع

سوى كف الاثم الرابع كف بقية الجوارح من اليد والرجل عن المكاره وكف البطن عن الشبهات
وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا
الصائم مثال من يبني قصرا ويهدم مصرا فان الطعام الحلال انما يضر بكثرته لا بنوعه والصوم
لتقليله وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره اذا عدل الى تناول السم كان سفيها والحرام
سم مهلك للدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله وقد قال صلى الله
عليه وسلم كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش فقيل هو الذي يفطر على الحرام
وقيل هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام وقيل
هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام الخامس ان لا يستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث
يمتلي فما من وعاء ابغض الى الله من بطن ملئ من الحلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله
وكسر الشهوة اذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في الوان
الطعام حتى استمرت العادات بان تدخر جميع الاطعمة لرمضان فيؤكل من الاطعمة
فيه ما لا يؤكل في عدة اشهر ومعلوم ان مقصود الصوم الخوى وكسر الهوى لتقوى النفس على
التقوى واذا دفعت المعدة ضحوة النهار الى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها
ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعثت من الشهوات
ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي
وسائل الشيطان في العود الى الشرور ولن يحصل ذلك الا بالتقليل وذلك بان يأكل
اكلته التي كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم فاما اذا جمع ما كان يأكل ضحوة الى ما كان يأكل ليلا فلم
ينتفع بصومه بل من الآداب ان لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر
ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه
تهجده واوراده فعسى الشيطان ان لا يحوم على قلبه فينظر الى ملكوت السماء وليلة القدر
عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو المراد بقوله عز وجل انا
انزلناه في ليلة القدر ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب
ومن اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله عز وجل
وذلك هو الامر ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام وسيأتي له مزيد بيان في كتاب الا
طعمات ان شاء الله تعالى السادس ان يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجا
اذ ليس يدري ايتقبل صومه فهو من المقربين او يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن اتقبل
كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روي عن الحسن بن ابي الحسن انه مر بقوم يوم العيد
وهم يضحكون فقال ان الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يتسابقون فيه الى طاعته
فسبق اقوام ففازوا وتخلف اقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي

فيه

فيه فان المسارعون وخاب فيه المتخلفون اما والله لو كشف الغطا لاشتغل المحسن باحسانه و المسي
باسائه ان كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك وعن الاحنف
بن قيس انه قيل له انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال اني اعده لسفر طويل والصبر على طاعة
الله سبحانه اهون من الصبر على عذابه فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم فان قلت فمن اقتصر على
كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقها صومه صحيح فما معناه فاعلم ان فقها
الظاهر يثبتون شروط الظاهر بادلة هي اضعف من هذه الادلة التي اوردناها في هذه الشروط
الباطنة لاسيما الغيبة وامثالها ولكن ليس الى فقها الظاهر من التكليفات الا ما يتيسر على
عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحتها فاما علما الآخرة فيعنون بالصحة القبول
وبالقبول الوصول الى المقصود ويفهمون ان المقصود من الصوم التخلق بخلق من اخلاق
الله عز وجل وهو الصمدية والاقتدا بالملائكة عليهم السلام في الكف عن الشهوات بحسب الامكان
فانهم منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهايم لقدرته بنور العقل على
كسر شهوته ودون رتبة الملائكة عليهم السلام لاستيلا الشهوات عليه وكونه مبتلا بمجاهدتها
فكلما انهمك في الشهوات انحط الى اسفل السافلين والتحق بغمار البهايم وكلما قمع الشهوات
ارتفع الى اعلى عليين والتحق بافق الملائكة والملائكة مقربون من الله تعالى والذي
يقتدي بهم ويتشبه بهم وباخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم فان الشبيه بالقريب
قريب وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات واذا كان هذا سر الصوم عند ارباب الالباب
وارباب القلوب فاي جدوى لتاخير اكلة وجمع اكلتين عند العشا مع الانهماك في الشهوات
الاخر طول النهار ولو كان لمثله جدوى فاي معنى لقوله صلى الله عليه وسلم كم من صائم ليس
له من صومه الا الجوع والعطش ولهذا قال ابو الدردا يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم
كيف يعيبون صوم الحمقا وسهرهم ولذرة من ذي يقين وتقوى افضل وارجح من امثال
الجبال عبادة من المغترين ولذلك قال العلما كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم والمفطر
الصائم هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب والصائم المفطر هو الذي يجوع
ويعطش ويطلق جوارحه ومن فهم معنى الصوم وسره علم ان مثل من كف
عن الاكل والجماع وافطر بمخالطة الاثام كمن مسح على عضو من اعضايه ثلاث مرات فقد وافق
في ظاهر العدد الا انه ترك المهم وهو الغسل فصلاته مردودة عليه بجهله ومثل من افطر
بالاكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل اعضاه مرة مرة فصلاته متقبلة لاحكامه الاصل
وان ترك الفضل ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الاصل والفضل
وهو الكمال وقد قال صلى الله عليه وسلم انما الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته ولما تلا
قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وضع يده على سمعه وبصره فقال السمع

امانة والبصر امانة ولولا انه من امانات الصوم لما قال صلى الله عليه وسلم فليقل اني صائم
اي اني اودعت لساني لاحفظه فكيف اطلقه لجوابك فاذا قد ظهر ان لكل عبادة ظاهرا وباطنا و
قشرا ولبابا ولقشوره درجات ولكل درجات طبقات فاليك الخيرة الآن في ان تقنع بالقشر
عن اللباب او تتحيز الى غمار ارباب الالباب الفصل الثالث في التطوع بالصيام وترتيب الا
وراد فيه اعلم ان استحباب الصوم يتاكد في الايام الفاضلة وفواضل الايام بعضها توجد في كل سنة
وبعضها توجد في كل شهر وبعضها في كل اسبوع اما السنة فبعد ايام رمضان [illegible] عرفة ويوم
عاشورا والعشر الاول من ذي الحجة والعشر الاول من المحرم وجميع الاشهر الحرم مظان الصوم
وهي اوقات فاضلة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن انه
في رمضان وفي الخبر افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله تعالى المحرم ولانه ابتداء السنة
فبناؤه على الخير احب وارجى بركته وقال صلى الله عليه وسلم صوم يوم من شهر حرام افضل
من صوم ثلثين من غيره وصوم يوم من رمضان افضل من ثلثين من شهر حرام وفي الحديث
من صام ثلثة ايام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله عز وجل له بكل عبادة تسع
ماية عام وفي الخبر اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان ولهذا استحب ان يفطر
قبل رمضان اياما فان وصل شعبان برمضان فجائز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
مرة وفصل مرارا كثيرة ولا يجوز ان يقصد استقبال رمضان بيومين او ثلثة الا ان يوافق
وردا له وكره بعض الصحابة ان يصام رجب كله حتى لا يضاهي شهر رمضان فالاشهر
الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان والاشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
ورجب واحد فرد وثلثة سرد وافضلها ذو الحجة لان فيه الحج والايام المعلومات والمعدودات
وذو القعدة من الاشهر الحرم وهو من اشهر الحج وشوال من اشهر الحج وليس من الحرم
والمحرم ورجب ليسا من اشهر الحج وفي الخبر ما من ايام العمل فيهن افضل واحب الى الله عز
وجل من ايام عشر ذي الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام
ليلة القدر قيل ولا الجهاد يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم ولا الجهاد في سبيل الله تعالى
الا من عقر جواده واهريق دمه واما ما يتكرر في الشهر فاول الشهر واوسطه واخره ووسطه
الايام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر واما في الاسبوع فالاثنين
والخميس والجمعة فهذه الايام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف اجورها
ببركة هذه الاوقات واما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم
من كره ذلك اذ وردت اخبار تدل على كراهيته والصحيح انه انما يكره بسببين احدهما
الا يفطر في العيدين وايام التشريق فهو الدهر كله والآخر ان يرغب عن السنة في الافطار
ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع ان الله عز وجل يحب ان يؤتى رخصه فاذا لم يكن شيء من ذلك

ورای صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين لهم
باحسان وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو موسى الاشعري من صام الدهر كله ضيقت عليه
جهنم هكذا وعقد تسعين ومعناه لم يكن له فيها موضع ودونه درجة اخرى وهو صوم نصف الدهر
بان يصوم يوما ويفطر يوما وذلك اشد على النفس واقوى في قهر النفس وقد ورد في فضله
اخبار كثيرة لان العبد فيه بين صبر يوم وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه وسلم عرضت على مفاتيح
خزائن الدنيا وكنوز الارض فرددتها وقلت اجوع يوما واشبع يوما احمدك اذا شبعت واتضرع
اليك اذا جعت وقال صلعم افضل الصيام صوم اخي داود صلى الله عليه وسلم كان يصوم يوما
ويفطر يوما ومن ذلك منازلته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو في الصوم وهو يقول
اني اريد افضل من ذلك فقال صلعم صم يوما وافطر يوما فقال اريد افضل من ذلك صلعم لا افضل
من ذلك وقد روي انه صلعم ما صام شهرا كاملا قط الا شهر رمضان بل كان يفطر منه ومن لا
يقدر على نصف صوم الدهر فلا باس بثلثه وهو ان يصوم يوما ويفطر يومين واذا صام
ثلثة من اول الشهر وثلثة من الوسط وثلثة من الآخر فهو ثلث وواقع في الاوقات
الفاضلة وان صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من النصف واذ ظهرت اوقات
الفضيلة فالكمال في ان يفهم الانسان معنى الصوم وان مقصوده تصفية القلب وتفريغ
الهم لله عز وجل والفقيه بدقائق الباطن ينظر الى احواله فقد يقتضي حاله دوام الصوم
وقد يقتضي دوام الفطر وقد يقتضي مزج الافطار بالصوم فاذا فهم المعنى وتحقق
حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب
ترتيبا مستمرا ولذلك روي انه صلعم كان يفطر حتى يقال لا يصوم ويصوم حتى يقال لا يفطر
وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة
من القيام بحقوق الاوقات وقد كره العلماء ان يوالي بين الافطار اكثر من اربعة ايام
تقديرا بيوم العيد وايام التشريق وذكروا ان ذلك يقسي القلب ويولد ردي العادات
ويفتح ابواب الشهوات ولعمري هو كذلك في حق اكثر الخلق لا سيما من ياكل في اليوم
والليلة مرتين فهذا ما اردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به والله اعلم
تم كتاب اسرار الصوم بحمد الله وعونه يتلوه كتاب اسرار الحج بحمد الله تعالى

كتاب اسرار الحج وهو الكتاب السابع من ربع العبادات من كتب احياء علوم الدين للامام حجة الاسلام ابي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل البيت العتيق مثابة للناس
وامنا واكرمه بالنسبة الى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين

العبد وبين العذاب والصلوة على محمد نبي الرحمة وسيد الامة وعلى آله واصحبه قادة
الحق وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فان الحج من بين اركان الاسلام ومبانيه عبادة العمر وختام
الامر وتمام الاسلام وكمال الدين فيه انزل الله تعالى قوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وقال صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان
شاء يهوديا وان شاء نصرانيا فاعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال و
يساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال واجدر بنا ان نصرف العناية الى شرحها و
تفصيل اركانها وسننها وادابها وفضائلها واسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله
عز وجل في ثلثة ابواب **الباب الاول** في فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق
وجملة اركانها وشرائط وجوبها **الباب الثاني** في اعمالها الظاهرة على الترتيب
من مبتدا السفر الى الرجوع **الباب الثالث** في ادابها الدقيقة واسرارها الخفية
واعمالها الباطنة فلنبدا **بالباب الاول** وفيه فصلان **الفصل الاول**
في فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وشد الرحال الى المساجد
فضيلة الحج قال الله عز وجل واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر
ياتين من كل فج عميق وقال قتادة لما امر الله عز وجل ابراهيم صلعم وعلى نبينا ان يؤذن
في الناس بالحج نادى يا ايها الناس ان الله عز وجل بنى بيتا فحجوه فاسمع الله تعالى نداءه كل من يريد ان
يحج منذ الذرية الى يوم القيمة وقال تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة في الموسم
والاجر في الآخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة وقيل في تفسير
قوله عز وجل لاقعدن لهم صراطك المستقيم اي طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس
منها وقال صلى الله عليه وسلم من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته
امه وقال ايضا صلعم ما رئي الشيطان في يوم هو اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه في يوم
عرفة وما ذلك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام اذ
يقال ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وقد اسنده جعفر بن محمد الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذكر بعض المكاشفين من المقربين ان ابليس ظهر له في صورة
شخص بعرفة فاذا هو ناحل الجسم شاحب الوجه مصفر اللون باكي العينين مقصوم الظهر
فقال له ما الذي ابكى عينك فقال خروج الحاج اليه بلا تجارة اقول قد قصدوه اخاف ان لا
يخيبهم فيحزنني ذلك قال فما الذي انحل جسمك قال صهيل الخيل في سبيل الله ولو كانت
في سبيلي كان احب الي قال فما الذي غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا
على المعصية كان احب الي قال فما الذي قصم ظهرك قال قول العبد اسالك حسن الخاتمة
اقول يا ويلتي متى يعجب هذا بعمله اخاف ان يكون قد فطن وقال صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته

حاجا او معتمرا فمات اجرى له اجر الحاج المعتمر الى يوم القيمة ومن مات في احد الحرمين
لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم حجة مبرورة خير من
الدنيا بما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء عند الله الا الجنة وقال صلى الله عليه وسلم الحجاج و
العمار وفد الله عز وجل وزواره ان سالوه اعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوا
استجيب لهم وان شفعوا شفعوا وفي حديث مسند من طريق اهل البيت عليهم السلام اعظم
الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن ان الله تعالى لم يغفر له وروى ابن عباس رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين
واربعون للمصلين وعشرون للناظرين وفي الخبر استكثروا من الطواف بالبيت فانه من
اقل شيء تجدونه في صحفكم يوم القيمة واغبط عمل تجدونه ولهذا يستحب الطواف ابتداء في غير
حج ولا عمرة وفي الخبر من طاف اسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف اسبوعا في المطر
غفر الله له ما سلف من ذنوبه ويقال ان الله عز وجل اذا غفر ذنبا لعبد في الموقف غفر ذلك الذنب
لكل من اصابه في ذلك الموقف وقال بعض السلف اذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل اهل عرفة
وهو افضل يوم في الدنيا وفيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا اذ نزل عليه
قوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي قال اهل الكتاب لو انزلت هذه الاية
علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه اشهد لقد انزلت في يوم عيدين اثنين يوم عرفة
ويوم جمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه وسلم اللهم
اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وروي ان علي بن الموفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المنام فقال لي يا ابن الموفق حججت عني قلت نعم قال ولبيت عني قلت نعم قال فاني اكافيك بها يوم القيمة
اخذ بيدك في الموقف فادخلك الجنة والخلائق في كرب الحساب وقال مجاهد وغيره من العلماء
ان الحاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة عليهم السلام فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر و
اعتنقوا المشاة اعتناقا وقال الحسن من مات عقيب رمضان او عقيب غزو او حج مات شهيدا وقال
عمر رضي الله عنه الحاج مغفور له ولمن استغفر له في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع
الاول وقد كان من سنة السلف ان يشيعوا الغزاة وان يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين اعينهم ويسألوهم
الدعاء لهم ويبادرون ذلك قبل ان يتدنسوا بالآثام ويروى عن علي بن الموفق قال حججت سنة فلما كان ليلة
عرفة نمت بمنى في مسجد الخيف فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى احدهما
صاحبه يا عبد الله فقال الاخر لبيك يا عبد الله قال اتدري كم حج بيت ربنا في هذه السنة قال لا ادري قال
حج بيت ربنا ستمائة الف افتدري كم قبل منهم قال لا قال قبل منهم ستة انفس قال ثم ارتفعا في
الهواء فغابا عني فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا واهمني امري فقلت اذا قبل ستة انفس فاين
اكون انا في ستة انفس فلما افضت من عرفة قمت عند المشعر الحرام فجعلت افكر في كثرة الخلق وفي

ذ وقلت من قبلهم فحملني النوم فاذا انا بشخصين قد نزلا على هيابهما فنادى احدهما صاحبه وا
ذلك الكلام بعينه ثم قال اتدري ماذا حكم ربنا عز وجل في هذه الليلة قال لا قال فانه وهب لكل
واحد من الستة مائة الف فانتبهت وبي من السرور ما يجل عن الوصف فعنه ايضا قال فحججت سنة
فلما قضيت مناسكي تفكرت في من لا يتقبل حجه فقلت اللهم اني وهبت حجتي وجعلت ثوابها لمن لم
يتقبل حجه قال فرايت رب العزة جل جلاله في النوم فقال يا علي تتسخى علي وانا خلقت السخا والاسخيا
وانا اجود الاجودين واكرم الاكرمين واحق بالجود والكرم من العالمين فقد وهبت كل من لم اقبل
حجه لمن قبلته **فضيلة البيت** ومكة قال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد وعد
هذا البيت ان يحجه في كل سنة ستمائة الف فان نقصوا اكملهم الله عز وجل بالملائكة وان
الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها يتعلق باستارها يسعون حولها حتى يدخلوا الجنة
معها فيدخلون الجنة والحجر الاسود ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيمة له عينان ولسان
ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وكان صلى الله عليه وسلم يقبله كثيرا وروي انه صلى الله
عليه وسلم سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن وقبله عمر
رضي الله عنه ثم قال والله اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقبلك ما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت الى ورائه فراى عليا رضي الله عنه فقال
يا ابا الحسن ههنا تسكب العبرات فقال علي رضي الله عنه يا امير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال
وكيف قال ان الله سبحانه لما اخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم القمه هذا الحجر فهو
يشهد للمؤمن بالوفا ويشهد على الكافر بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الا
ستلام اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك وروي عن الحسن البصري ان صوم يوم
فيها بمائة الف وصدقة درهم بمائة الف درهم وكذا كل حسنة بمائة الف ويقال طواف سبعة اسابيع
يعدل عمرة وثلاث عمر يعدل حجة وفي الخبر الصحيح عمرة في رمضان تعدل حجة معي وهنا مذكور في
الصحيح وقال صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق عنه الارض ثم اتي اهل البقيع فيحشرون
معي ثم اتي اهل مكة فاحشر بين الحرمين وفي الخبر ان آدم صلى الله عليه وسلم لما قضى مناسكه
لقيته الملائكة فقالت له بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وجاء في الاثر ان الله سبحانه
ينظر في كل ليلة الى اهل الارض فاول من ينظر اليه اهل الحرم واول من ينظر اليه من اهل الحرم اهل
المسجد الحرام فمن راه طائفا غفر له ومن راه مصليا غفر له ومن راه قائما مستقبل الكعبة غفر له
وكوشف بعض الاوليا قال رايت الثغور كلها تسجد لعبادان ورايت عبادان ساجدة لجدة وقال
لا تغرب الشمس من يوم الا طاف بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا طاف به واحد من
الاوتاد واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الارض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى بها
اثر وهذا اذا اتى عليها سبع سنين لم يحجها احد ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس

فاذا الورق

فاذا الورق ابيض ملوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يبقى منه كلمة ثم يرجع
الناس الى الاشعار والاغاني واخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله
والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب يتوقع ولادتها وفي الخبر استكثروا من الطواف بهذا البيت
قبل ان يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة وروي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال قال الله تع اذا اردت ان اخرب الدنيا بدأت ببيتي فخربته ثم اخرب الدنيا على اثره
فضيلة المقام بمكة حرسها الله وكراهته كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة
لمعان ثلثة الاول خوف التبرم والانس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر في تسكين حرقة القلب
في الاحترام وهكذا كان عمر رضي الله عنه يضرب الحاج اذا حجوا ويقول يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل
الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر رضي الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف
وقال خشيت ان يأنس الناس بهذا البيت الثاني تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فان
الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وامنا اي يثوبون ويعودون اليه مرة بعد اخرى ولا يقضون منه
وطرا وقال بعضهم لان تكون في بلدك وقلبك مشتاق الى مكة متعلق بهذا البيت خير لك
من ان تكون فيه وانت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان
وهو اقرب الى هذا البيت ممن يطوف به ويقال ان الله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا الى الله تعالى
الثالث الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك مخطر وبالحري ان يورث مقت الله عز وجل
لشرف الموضع وروي عن وهيب بن الورد المكي قال كنت ذات ليلة في الحجر اصلي فسمعت كلاما بين الكعبة
والاستار يقول الى الله اشكو ثم اليك يا جبرئيل ما القى من الطائفين حولي من تفكههم في الحديث
ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني الى الجبل الذي
قطع منه وقال ابن مسعود ما من بلد يؤاخذ فيه العبد بالهم قبل العمل الا مكة وتلا قوله عز وجل ومن
يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم اي انه يؤاخذ على مجرد الارادة ويقال ان السيئات
تضاعف بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس يقول الاحتكار بمكة من الالحاد في الحرم وقيل
الكذب ايضا وقال ابن عباس لان اذنب سبعين ذنبا بركية احب الي من ان اذنب ذنبا واحدا بمكة
وركية منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين الى انه لم يقض حاجة في
الحرم بل كان يخرج الى الحل عند قضاء الحاجة وبعضهم اقام شهرا وما وضع جنبه على الارض
وللمنع من الاقامة كره بعض العلماء اجور دور مكة ولا تظنن ان كراهة المقام يناقض فضل البقعة
لان هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا ان ترك المقام به
افضل اي بالاضافة الى مقام مع التقصير والتبرم اما ان يكون افضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيهات
وكيف لا ولما عاد صلى الله عليه وسلم الى مكة استقبل الكعبة وقال انك لخير ارض الله عز وجل واحب
بلاد الله تعالى الي ولولا اني اخرجت منك ما خرجت وكيف لا والنظر الى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة

كما ذكرناه. فضيلة المدينة على سائر البلاد وما بعد مكة بقعة افضل من مدينة
الرسول صلى الله عليه وسلم فالاعمال فيها ايضا تضاعف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام فكذلك كل عمل با
لمدينة بالف وبعد المدينة الارض المقدسة فان الصلوة بخمسماية وكذلك ساير الاعمال
وروي ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صلاة في مسجد المدينة بعشرة الف
صلوة وصلوة بالمسجد الاقصى بالف صلوة وصلوة بالمسجد الحرام بماية الف صلوة وقال صلى الله
عليه وسلم لم يصبر على شدتها ولاوائها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وقال صلى الله
عليه وسلم من استطاع ان يموت في المدينة فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا
يوم القيمة وما بعد هذه البقاع الثلثة فالمواضع فيها متساوية الا الثغور فان المقام بها
للمرابطة بها فيه فضل عظيم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا لثلثة مساجد
المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد ذهب بعض العلما الى الاستدلال بهذا
الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلما والصلحا وما تبين لي ان
الامر كذلك بل الزيارة مامور بها قال صلعم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها والحديث
ورد في المساجد وليس في معناها المشاهد لان المساجد بعد المساجد الثلثة متماثلة
ولا بلد الا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة الى مسجد آخر واما المشاهد فلا تتساوى بل بركة
زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل نعم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله ان يشد الرحال الى
الموضع الذي فيه مسجد وينتقل اليه بالكلية ان شاء وليت شعري هل يمنع هذا القائل
من شد الرحال الى قبور الانبيا مثل ابرهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام فالمنع
من ذلك في غاية الاحالة واذا جوز ذلك فقبور الاوليا والعلما والصلحا في معناها
فلا يبعد ان يكون ذلك من اغراض الرحلة كما ان زيارة العلما في الحيوة من المقاصد هذا
في الرحلة اما المقام فالاولى بالمريد ان يلازم مكانه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم
مهما سلم له حاله في وطنه فان لم يسلم فيطلب من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين
وافرغ للقلب وايسر للعبادة فهو افضل المواضع له قال صلى الله عليه وسلم البلاد بلاد
الله عز وجل والخلق عباده فاي موضع رايت فيه رفقا فاقم واحمد الله تعالى وفي الخبر
من رزق من شيء فليلزمه ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير
عليه وقال ابو نعيم رايت سفيان الثوري وقد جعل جرابه على كتفه واخذ نعله بيده فقلت
الى اين يا ابا عبد الله قال الى بلد املا فيه جرابي بدرهم وفي حكاية اخرى بلغني عن قرية فيها
رخص اقيم بها قال فقلت وتفعل هذا يا ابا عبد الله فقال نعم اذا سمعت في بلد برخص فا
قصده فانه اسلم لدينك واقل لهمك وكان يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف

بالمشهورين

بالمشهور في هذا الزمان ينتقل الرجل من قرية بفرسخ من الفتن فيحكى انه قال والله ما ادرى
اى البلاد اسكن فقيل له خراسان فقال مذاهب مختلفة وآراء فاسدة قيل فالشام قال تشار بالكف
وبالاصابع اى الشهرة قيل فالعراق قال بلد الجبابرة قيل فمكة قال مكة تذيب الكيس والبدن
وقال له رجل عزمت على المجاورة بمكة فاوصني قال اوصيك بثلث لا تصلين في الصف الاول ولا
تصحبن قرشيا ولا تظهرن صدقتك وانما كره الصف الاول لانه يشتهر فيفتقد اذا غاب في
فيختلط بعمله التزين والتصنع **الفصل الثالث** في شروط وجوب الحج وصحته وان
كان او واجبا ثم محظوراته اما الشرائط فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح
حج الصبي ويحرم بنفسه ان كان مميزا ويحرم عنه وليه ان كان صغيرا ويفعل به ما يفعل في
الحج من الطواف والسعي وغيره واما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة الى طلوع
الفجر من يوم النحر فمن احرم بالحج في غير هذه المدة فهي عمرة وجميع السنة وقت للعمرة ولكن من كان
معكوفا على النسك ايام منى فلا ينبغي ان يحرم بالعمرة لانه لا يتمكن من الاشتغال عقيبه لاشتغاله
باعمال منى واما شرط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت
فان احرم الصبي او العبد ولكن عتق العبد او بلغ الصبي بعرفة او بمزدلفة وعاد الى عرفة
قبل طلوع الفجر اجزاهما عن حجة الاسلام لان الحج عرفة وليس عليهما دم الا شاة وتشترط هذه
الشرائط في وقوع العمرة عن فرض الاسلام الا الوقت واما شروط وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ فبعد
براءة ذمته عن حجة الاسلام فحج الاسلام يتقدم ثم القضاء لمن افسده في حالة الوقوف ثم النذر ثم النيابة
ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وان نوى خلافه واما شروط لزوم الحج فخمسة
البلوغ والاسلام والعقل والحرية والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن اراد
دخول مكة لزيارة او تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ثم يتحلل بعمل عمرة او حج واما الا
ستطاعة فنوعان احدهما المباشرة وذلك له اسباب اما في نفسه فالصحة واما في الطريق فبان
تكون خصبة امنة بلا بحر مخطر ولا عدو قاهر واما في المال فبان يجد نفقته ذهابا وايابا الى وطنه
كان له اهل او لم يكن لان مفارقة الوطن شديدة وان يملك نفقة من تلزمه نفقته في غيبته مدة وان
يملك ما يقضي به دينه وان يقدر على راحلة او كرائها بمحمل او زاملة ان استمسك على الزاملة واما النوع
الثاني فاستطاعة المعضوب بماله ان يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الاجير عن حجة الاسلام لنفسه و
تكفي نفقة الذهاب بالمكاراة في هذا النوع وللابن اذا عرض طاعته على الاب الزمن صار به مستطيعا
ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعا لان الخدمة بالبدن فيه شرف للوالد وبذل المال فيه منة على الولد
ومن استطاع لزمه الحج وله التاخير ولكنه فيه على خطر فان تيسر له ولو في آخر عمره سقط عنه
وان مات قبل الحج لقي الله عز وجل عاصيا بترك الحج وكان الحج في تركته يحج عنه وان لم يوص كسائر ديونه
فان استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله في تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقي الله

سبحانه ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره شديد عن عبد الله قال عمر رضي الله عنه
لقد هممت ان اكتب الى الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وعن
سعيد بن جبير وابرهيم النخعي ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات
قبل ان يحج ما صليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس
يقول من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة الى الدنيا وقرأ قوله عز وجل رب ارجعون
لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال الحج **واما الاركان** التي لا يصح الحج دونها فخمسة الاحرام
والطواف والسعي بعده والوقوف بعرفة والحلق على قول في قول الراجح واركان العمرة
كذلك الا الوقوف والواجبات المجبورة بالدم ستة الاحرام من الميقات فمن تركه وجاوز
الميقات محلا فعليه شاة والرمي ففيه الدم قولا واحدا والصبر بعرفة الى غروب الشمس والمبيت
بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف الوداع فهذه اربعة يجبر تركها بالدم على احد القولين وفي القول
الثاني فيها دم على وجه الاستحباب واما وجوه اداء الحج والعمرة فثلثة اولها الافراد وهو الا
فضل وذلك ان يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج الى الحل فاحرم واعتمر وافضل الحل للاحرام
بالعمرة الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وليس على المفرد دم الا ان يتطوع الثاني القران
وذلك ان يجمع فيقول لبيك بحج وعمرة معا فيصير محرما بهما ويكفيه اعمال الحج فتندرج العمرة
تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل الا انه اذا طاف وسعى قبل الوقوف فسعيه محسوب
من النسكين واما طوافه فغير محسوب لان شرط طواف الفرض في الحج ان يقع بعد الوقوف
وعلى القارن دم شاة الا ان يكون مكيا فلا شيء عليه لانه لم يترك ميقاته لان ميقاته
مكة الثالث التمتع وهو ان يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات
الى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا الا بخمس شرائط احدها الا يكون من
حاضري المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلوة الثاني ان يقدم
العمرة على الحج الثالث ان يكون عمرته في اشهر الحج الرابع ان لا يرجع الى ميقات الحج ولا الى
مثل مسافته لاحرام الحج الخامس ان يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فاذا وجدت هذه
الاوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج قبل يوم النحر
متفرقة او متتابعة وسبعة اذا رجع الى الوطن وان لم يصم الثلثة حتى رجع الى
الوطن صام العشرة متتابعا او متفرقا وقيل دم القران والتمتع سوا والافضل
الافراد ثم التمتع ثم القران واما محظورات الحج والعمرة فستة الاول اللبس للقميص
والسراويل والخف والعمامة بل ينبغي ان يلبس ازارا ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين
فكعبا فان لم يجد ازارا فسراويل ولا باس بالمنطقة والاستظلال بالمحمل ولكن لا ينبغي ان
يغطي راسه فان احرام الرجل في راسه والمرأة ان تلبس كل مخيط بعد ان تستر وجهها بما شاءت

فان احرامها في وجهها الثاني الطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا فان تطيب او لبس
فعليه دم شاة الثالث الحلق والقلم وفيهما الفدية اعني دم شاة ولا باس بالكحل ودخول الحمام
والفصد والحجامة وترجيل الشعر الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الاول وفيه بدنة او بقرة
او سبع شياه وان كان بعد التحلل الاول لزمه البدنة ولم يفسد حجه الخامس مقدمات الجماع
كالقبلة والملامسة التي تنقض الطهر مع النسا فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستمنا ويحرم
النكاح والانكاح ولا دم فيه لانه لا ينعقد السادس قتل صيد البر اعني ما يؤكل
او ما هو متولد من الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم ويراعى فيه
التقارب في الخلقة وصيد البحر حلال ولا جزا فيه **الباب الثاني في ترتيب الاعمال الظاهرة**
من اول السفر الى الرجوع وهي عشر جمل **الجملة الاولى** في السنن من اول الخروج الى الاحرام وهي
ثمانية الاولى في المال فينبغي ان يبدا بالتوبة ورد المظالم وقضا الديون واعداد النفقة لكل من
تلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودايع ويستصحب المال من الحلال الطيب
ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق
بالضعفا والفقرا ويتصدق بشي قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل لا
تضعف او يكتريها فان اكترى فليظهر للمكاري كل ما يريد ان يحمله من قليل وكثير و
يحصل رضاه فيه الثانية في الرفيق ينبغي ان يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا
عليه ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره و
يودع رفقاه المقيمين واخوانه ويلتمس ادعيتهم فان الله تعالى جاعل في دعايهم
خيرا والسنة في الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وكان صلى الله
عليه وسلم يقول لمن اراد السفر في حفظ الله وفي كنفه زودك الله التقوى وجنبك
الردا وغفر ذنبك ووجهك للخير اينما توجهت الثالثة في الخروج من الدار ينبغي
اذا هم بالخروج ان يصلي اولا ركعتين يقرا في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي
الثانية الاخلاص فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن اخلاص صاف ونية صادقة وقال
اللهم انت الصاحب في السفر وانت الخليفة في الاهل والمال والولد والاصحاب احفظنا واياهم
من كل افة وعاهة اللهم انا نسالك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما
تحب وترضى اللهم انا نسالك ان تطوي لنا الارض وتهون علينا السفر وان ترزقنا في سفرنا
سلامة البدن والدين والمال وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم
انا نعوذ بك من وعثا السفر وكابة المنقلب وسو المنظر في الاهل والمال والولد والاصحاب
اللهم اجعلنا واياهم في جوارك ولا تسلبنا واياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك
الرابعة اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله رب

اعوذ بك ان اضل او اضل او ازل او ازل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي اللهم اني
لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك
وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك عليه السلام وشوقا الى لقائك فاذا مشى قال اللهم
انك انتشرت وانت رجلتي فاكفني ما اهمني وما لا اهتم به وما انت اعلم به مني عز جارك وجل
ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما توجهت ويدعو
بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه الخامسة في الركوب فاذا ركب الراحلة يقول بسم الله
وبالله والله اكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم
يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اني وجهت
وجهي اليك وفوضت امري كله اليك وتوكلت في جميع الامور عليك انت حسبي ونعم الوكيل فاذا
استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبع مرات
وقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل على الظهر
وانت المستعان على الامور السادسة في النزول السنة ان لا ينزل حتى يحمى النهار ويكون
اكثر سيره بالليل قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى
بالنهار وليقلل بالليل نومه حتى يكون ذلك عونا له على السير ومهما اشرف على المنزل فليقل
اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما
اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسالك خير هذا المنزل وخير اهله
واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم فاذا نزل المنزل صلى فيه
ركعتين ثم قال اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من
شر ما خلق فاذا جن عليه الليل يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك
وشر ما دب عليك اعوذ بالله من شر كل اسد واسود وحية وعقرب ومن ساكن البلد ووالد
وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم السابعة في الحراسة ينبغي
ان يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون
بالليل متحفظا عند النوم فان نام في ابتداء الليل افترش ذراعه وان نام في اخر
الليل نصب ذراعه نصبا وجعل راسه في كفه هكذا كان ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم
في اسفاره لانه ربما استثقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري فيكون ما يفوته من
الصلوة اكثر مما يناله من الحج والاحب في السفر بالليل ان يتناوب الرفيقان في الحراسة
فاذا نام احدهما حرس الاخر فهي السنة فان قصده عدو او سبع في ليل او نهار فليقرا
اية الكرسي وشهد الله والاخلاص والمعوذتين وليقل باسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله
حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا ياتي بالخيرات الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله

المنقلبون

حسبي الله

حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله لأغلبن انا ورسلي
ان الله قوي عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك
التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحم بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا
ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك برأفة ورحمة انك انت ارحم الراحمين
الثامنة مهما علا شرفا من الارض في الطريق فيستحب ان يكبر ثلثا ثم يقول اللهم
لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال
سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت الجملة الثانية اذا
الاحرام من الميقات الى دخول مكة وهي خمسة الاول ان يغتسل وينوي به غسل الاحرام
اعني اذا انتهى الى الميقات المشهور الذي يحرم الناس منه ويتمم غسله بالتنظيف ويسرح رأسه
ويقلم اظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة التي ذكرناها في الطهارة الثاني ان يفارق الثياب
المخيطة ويلبس ثوبي الاحرام فيرتدي ويتزر بثوبين ابيضين فالابيض هو احب الثياب الى الله
عز وجل ويتطيب في بدنه وثيابه ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الاحرام فقد روي وبيص
المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام مما كان قد استعمله قبل الاحرام
الثالث ان يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته ان كان راكبا او يبتدئ بالسير ان كان
راجلا فعند ذلك ينوي الاحرام بالحج او بالعمرة قرانا او افرادا كما اراد ويكفي مجرد النية لانعقاد
الاحرام ولكن السنة ان تقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك
ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وان زاد قال لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغباء
اليك لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الرابع اذا انعقد احرامه بالتلبية
المذكورة فيستحب ان يقول اللهم اني اريد الحج فيسره لي واعني على اداء فرضه وتقبله مني اللهم
اني نويت اداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا امرك
واجعلني من وفدك الذين رضيت عنهم وارتضيت وقبلت اللهم فيسر لي اداء ما
نويت من الحج اللهم قد احرم لك شعري وبشري ولحمي ودمي وعصبي ومخي وعظامي وحرمت
على نفسي النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة ومن وقت الاحرام حرمت
عليك المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل فلتجتنبها الخامس يستحب تجديد التلبية
في دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود
وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا بها صوته بحيث لا يبح حلقه ولا ينبهر فانه لا ينادي اصم
ولا غائبا كما ورد في الحديث ولا بأس برفع الصوت بالتلبية في المساجد الثلثة فانها مظنة
المناسك اعني المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات واما سائر المساجد فلا بأس فيها
بالتلبية من غير رفع صوت وكان صلى الله عليه وسلم اذا اعجبه شي قال لبيك

ان العيش عيش الآخرة الجملة الثالثة في اداب دخول مكة الى الطواف وهي ستة الاول ان يغتسل
بذي طوى لدخول مكة والاغتسالات المستحبة المسنونة في الحج الاول الاحرام من الميقات ثم لدخول
مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم لطواف الزيارة ثم لثلثة
اغسال لرمي الجمار الثلث ولا غسل لرمي جمرة العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير الشافعي رضي
الله عنه في الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فتعود الى سبعة الثاني ان يقول
عند الدخول في اول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وامنك فحرم لحمي ودمي وشعري وبشري على
النار وامني من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني من اوليائك واهل طاعتك الثالث ان يدخل
مكة من جانب الابطح وهو من ثنية كدا بفتح الكاف فقد عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جادة
الطريق اليها فالتأسي به اولى فاذا خرج خرج من ثنية كدا بضم الكاف وهي الثنية
السفلى والاولى هي العليا الرابع اذا دخل مكة وانتهى الى راس الردم فعنده يقع بصره على البيت
فليقل لا اله الا الله والله اكبر اللهم انت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت
يا ذا الجلال والاكرام اللهم ان هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما
وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه ابرا وكرامة اللهم افتح لي ابواب
رحمتك وادخلني جنتك واعذني من الشيطان الرجيم الخامس اذا دخل المسجد الحرام فليدخل
من باب بني شيبة وليقل بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم
صل على محمد عبدك ورسولك وعلى ابراهيم خليلك وعلى جميع انبيائك ورسلك وليرفع يديه
وليقل اللهم اني اسألك في اول مناسكي ان تقبل توبتي وان تتجاوز عن خطيئتي وتضع
عني وزري الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وامنا وجعله مباركا
وهدى للعالمين اللهم اني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئتك اطلب
رحمتك اسألك مسألة المضطر الخائف لعقوبتك الراجي لرحمتك الطالب لمرضاتك السادس ان
يقصد الحجر الاسود بعد ذلك ويمسه بيده اليمنى ويقبله ويقول اللهم امانتي اديتها وميثاقي
تعاهدته اشهد لي بالموافاة فان لم يستطع التقبيل وقف في مقابلته ويقول ذلك ثم لا
يعرج على شيء دون الطواف وهو طواف القدوم الا ان يجد الناس في المكتوبة فيصلي
معهم ثم يطوف الجملة الرابعة في الطواف فاذا اراد افتتاح الطواف اما للقدوم او لغيره
فينبغي ان يراعي امورا ستة الاول ان يراعي شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث في
الثوب والبدن والمكان وستر العورة فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله سبحانه اباح فيه
الكلام وليضطبع قبل ابتداء الطواف وهو ان يجعل وسط ردائه تحت ابطه اليمنى ويجمع
طرفيه على منكبه الايسر فيرخي طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره ويقطع التلبية عند ابتدائه

السفلى

الطواف ويشتغل بالادعية التي سنذكرها الثاني اذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت
على يساره وليقف عند الحجر الاسود وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع
بدنه في ابتدا طوافه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلث خطوات ليكون قريبا من البيت
فانه افضل ولكي لا يكون طائفا على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الاسود قد يتصل الشاذ
روان بالارض ويلتبس به والطائف عليه لا يصح طوافه لانه طائف في البيت والشاذروان
هو الذي فضل عن عرض جدار البيت بعد ان ضيق اعلى الجدار ثم من هذا الموقف يبتدي
الطواف الثالث ان يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتداء الطواف بسم الله والله اكبر اللهم ايمانا
بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف
فاول ما يجاوز الحجر ينتهي الى باب البيت فيقول اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك
وهذا الامن امنك وهذا مقام العائذ بك من النار وعند ذكر المقام يشير بعينه الى مقام ابرهيم
عليه السلم فيقول اللهم بيتك عظيم ووجهك كريم وانت ارحم الراحمين فاعذني من النار
ومن الشيطان الرجيم وحرم لحمي ودمي على النار وامني من اهوال يوم القيمة واكفني مونة الد
ولاخرة ثم يسبح الله ويحمد حتى يبلغ الركن العراقي فعنده يقول اللهم اني اعوذ بك من
الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الاخلاق وسوء المنظر في الاهل والمال والولد
فاذا بلغ الميزاب قال اللهم اظلنا تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك اللهم اسقني بكاس محمد
صلى الله عليه وسلم شربة لا اظما بعدها ابدا فاذا بلغ الركن الشامي قال اللهم اجعله
حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم
وتجاوز عما تعلم انك انت الاعز الاكرم فاذا بلغ الركن اليماني قال اللهم اني اعوذ بك من الكفر
واعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات واعوذ بك رب
من الخزي في الدنيا والاخرة ويقول بين الركن اليماني والحجر الاسود اللهم ربنا آتنا
في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار فاذا بلغ الى الحجر الاسود
قال اللهم اغفر لي برحمتك اعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب
القبر فعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة اشواط ويدعو بهذه الادعية
في كل شوط الرابع ان يرمل في ثلثة اشواط ويمشي في الاربع الاخر على الهيئة المعتادة
ومعنى الرمل الاسراع في المشي مع تقارب الخطا وهو دون العدو وفوق المشي المعتاد و
المقصود منه ومن الاضطباع اظهار الشطارة والجلادة والقوة هكذا كان المقصود اولا
قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة والافضل الرمل مع الدنو من البيت فان لم
يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد افضل فليخرج الى حاشية المطاف وليرمل ثلثا ثم ليقرب
الى البيت في المزدحم وليمش اربعا فان امكنه استلام الحجر في كل شوط فهو الاحب وان

منعته الرحمة شأن باليد نحوه وقبل يده وكذلك استلام الركن اليماني مستحب من بين سائر
الاركان روي انه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الركن اليماني ويقبله ويضع خده عليه ومن
اراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر في الركن اليماني على الاستلام اعني المس باليد فهو الاولى
انه هو الاشهر في الرواية الخامس اذا تم الطواف سبعا فليات الملتزم وهو بين الحجر والباب
وهو موضع استجابة الدعوة وليلتزق بالبيت وليتعلق بالاستار وليلصق بطنه با
لبيت وليضع خده الايمن عليه وليبسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل اللهم يا رب البيت
العتيق اعتق رقبتي من النار واعذني من الشيطان الرجيم واعذني من كل سوء وقنعني
بما رزقتني وبارك لي فيما اتيتني اللهم ان هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام
العائذ بك من النار اللهم اجعلني من اكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا في هذا
الموضع وليصل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع
بحوائجه الخاصة وليستغفر الله عز وجل من ذنوبه كان بعض السلف في هذا الموضع
يقول لمواليه تنحوا عني حتى اقر لربي بذنوبي السادس اذا فرغ من ذلك ينبغي
ان يصلي خلف المقام ركعتين يقرا في الاولى قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص
وهما ركعتا الطواف قال الزهري مضت السنة ان يصلي لكل سبع ركعتين وان قرن
بين اسابيع وصلى ركعتين جاز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل اسبوع
طواف وليدع بعد ركعتي الطواف وليقل اللهم يسر لي اليسرى وجنبني العسرى واغفر لي
في الاخرة والاولى اللهم اعصمني بالطافك حتى لا اعصيك واعني على طاعتك بتوفيقك
وجنبني معاصيك واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين
اللهم حببني الى ملائكتك ورسلك والى عبادك الصالحين اللهم وكما هديتني الى الاسلام
فثبتني عليه بالطافك وولايتك واستعملني بطاعتك وطاعة رسولك واجرني من
مضلات الفتن ثم ليعد الى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف قال صلى الله عليه وسلم من طاف
بالبيت اسبوعا وصلى ركعتين فله من الاجر كعتق رقبة هذه كيفية الطواف والواجب
من جملته بعد شروط الصلوة ان يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وان يبتدئ
بالحجر ويجعل البيت على يساره وان يطوف داخل المسجد وخارج البيت لا على الشاذروان
ولا في الحجر وان يوالي بين الاشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد وما عدا هذه
فهي سنن وهيئات الجملة الخامسة في السعي فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا
وهو في محاذاة الضلع بين الركن اليماني والحجر الاسود واذا خرج من ذلك الباب وانتهى الى الصفا
وهو جبل فيرقى فيه درجات في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل رقي رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى بدت له الكعبة وابتداء السعي من اصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن

بعض

بعض تلك الدرج مستحدثة فينبغي ان لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعي واذا ابتدا
من ههنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات وعند رقيه في الصفا ينبغي ان يقبل على
البيت ويقول الله اكبر الله اكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه
كلها لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء
قدير لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا اله
الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون لا اله الا الله مخلصين له الدين
والحمد لله رب العالمين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات
والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي
ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا
انتم بشر تنتشرون اللهم اني اسالك ايمانا دائما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا
خاشعا ولسانا ذاكرا واسالك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة
ويصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ويدعو الله عز وجل بما شاء من حاجته عقيب هذا
الدعاء ثم ينزل ويبتدي السعي وهو يقول رب اغفر وارحم واعف عما تعلم وانت
الاعز الاكرم اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشي
على هينة حتى ينتهي الى الميل الاخضر وهو على زاوية المسجد الحرام فاذا بقي بينه وبين محاذاة
الميل ستة اذرع اخذ في السير السريع وهو الرمل حتى ينتهي الى الميلين الاخضرين ثم يعود
الى الهينة فاذا انتهى الى المروة صعدها كما صعد الصفا واقبل بوجهه على الصفا ودعا
بذلك الدعاء وقد حصل السعي مرة واحدة فاذا عاد الى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا
ويرمل في موضع الرمل كل مرة ويسكن في موضع السكون كما سبق وفي كل نوبة يصعد الصفا
والمروة فاذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعي وهما سنتان والطهارة مستحبة
للسعي وليست بواجبة بخلاف الطواف واذا سعى فينبغي ان لا يعيد السعي بعد الوقوف و
يكتفي بهذا ركنا فانه ليس من شرط السعي ان يتاخر عن الوقوف وانما ذلك شرط في طواف
الركن نعم شرط كل سعي ان يقع بعد طواف اي طواف كان الجملة السادسة في الوقوف
وما قبله الحاج اذا انتهى يوم عرفة الى عرفات فلا يتفرغ الى طواف القدوم ودخول مكة
قبل الوقوف واذا وصل قبل ذلك بايام وطاف طواف القدوم فيمكث محرما الى اليوم السابع
من ذي الحجة فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويامر الناس بالاستعداد
للخروج الى منى يوم التروية والمبيت بها والغدو منها الى عرفة لاقامة فرض الوقوف
بعد زوال الشمس اذ وقت الوقوف من الزوال الى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغي
ان يخرج الى منى ملبيا ويستحب له المشي من مكة في المناسك الى انقضاء الحج ان قدر عليه

من مسجد ابرهيم عليه السلام الى الموقف افضل واكد فاذا انتهى اليها قال اللهم هذه منى فامنن
علي بما مننت به على ابراهيم خليلك وعلى اوليائك واهل طاعتك وليمكث هذه الليلة بمنى
وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك فاذا اصبح يوم عرفة صلى الصبح فاذا طلعت الشمس
على ثبير سار الى عرفات ويقول اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط واقربها من رضوانك
وابعدها من سخطك اللهم اليك غدوت واياك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك اردت
فاجعلني ممن تباهي به اليوم من هو خير مني وافضل فاذا اتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا
من المسجد ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته ونمرة هي بطن عرنة دون الموقف
ودون عرفة وليغتسل للوقوف فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبة وجيزة وقعد واخذ
المؤذن في الاذان والامام في الخطبة الثانية ووصل الاقامة بالاذان وفرغ الامام مع تمام اقامة
المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر باذان واقامتين وقصر الصلوة وراح الى الموقف
فليقف بعرفة ولا يقفن في وادي عرنة واما مسجد ابرهيم عليه السلام فصدره في
الوادي واخره من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ويتميز
مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم والافضل ان يقف عند الصخرات بقرب
الامام مستقبل القبلة راكبا وليكثر من انواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على
الله عز وجل والدعاء والتوبة ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى على الدعاء ولا يقطع التلبية
يوم عرفة بل الاحب ان يلبي تارة ويكب على الدعاء اخرى ولا ينبغي ان ينفصل من طرف
عرفة الا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار وان امكنه الوقوف يوم الثامن ساعة
عندنا كالغلط في الهلال فهو الحزم وبه الامن من الفوات ومن فاته الوقوف بعرفة
حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج فعليه ان يتحلل عن احرامه باعمال العمرة ثم يريق
دما لاجل الفوات ثم يقضي من قابل وليكن اهم اشغاله في هذا اليوم الدعاء ففي
مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى اجابة الدعوات والدعاء الماثور عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن السلف في يوم عرفة هو اولى ما يدعو به فليقل لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير اللهم
اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي امري ويقول
اللهم ربنا لك الحمد كالذي نقول وخيرا مما نقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك مآبي واليك
تراثي اللهم اني اعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الامر وعذاب القبر اللهم اني اعوذ بك
من شر ما يلج في الليل ومن شر ما يلج في النهار ومن شر ما تهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر اللهم اني
اعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك اللهم
اهدني بالهدى واغفر لي في الاخرة والاولى يا خير مقصود اليه واسنى منزل عليه واكرم

مسؤل مالديه

سؤلنا الدنيا عطاني العيشة افضل ما اوتيت احدا من خلقك مع حاج بيتك يا ارحم الراحمين اللهم
يا رفيع الدرجات ويا منزل البركات ويا فاطر الارضين والسموات ضجت اليك الاصوات بصنوف
اللغات يا الرتي للحاجات وحاجتي اليك ان لا تنسني في دار البلا اذا نسيني اهل الدنيا اللهم
انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شي من امري انا البائس
الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه اسالك مسالة المسكين وابتهل اليك
ابتهال المذنب الذليل وادعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت
لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك انفه اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي
رؤفا رحيما يا خير المسؤلين واكرم المعطين الهي من مدح اليك نفسه فاني لائم لنفسي
الهي اخرست المعاصي لساني فما لي وسيلة من عمل ولا شفيع سوى الامل الهي اني اعلم
ان ذنوبي لم تبق لي عندك جاها ولا اعتذارا اليك وجها ولكنك اكرم الاكرمين الهي ان
لم اكن اهلا ان ابلغ رحمتك فان رحمتك اهل ان تبلغني الهي رحمتك وسعت كل شي
وانا شي الهي ان ذنوبي وان كانت عظاما ولكنها صغار في جنب عفوك فاغفرها لي يا كريم
الهي انت انت وانا انا العواد الى الذنوب وانت العواد الى المغفرة الهي ان كنت لا ترحم الا اهل
طاعتك فالى من يفزع المذنبون الهي تجنبت عن طاعتك عمدا وتوجهت الى معصيتك
قصدا فسبحانك ما اعظم حجتك علي واكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي
وفقري اليك وغناك عني الا غفرت لي يا خير من دعاه داع وافضل من رجاه راج بحرمة
الاسلام وبذمة محمد صلى الله عليه وسلم اتوسل اليك فاغفر لي جميع ذنوبي واصرفني من
موقفي هذا مقضي الحوائج وهب لي ما سالت وحقق رجائي فيما تمنيت الهي دعوتك
بالدعاء الذي علمتنيه فلا تحرمني من الرجاء الذي عرفتنيه الهي ما انت صانع العشية
بعبد مقر لك بذنبه خاشع لك بذله مستكين لك بجرمه متضرع اليك من عمله تائب
اليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل اليك في العفو عنه طالب اليك في نجاح
حوائجه راج لك في موقفه مع كثرة ذنوبه فيا ملجا كل حي ووالي كل مؤمن من احسن فبر
حمتك يفوز ومن اخطا فبخطيئته يهلك اللهم اليك خرجنا وبفنائك انخنا واياك
املنا وما عندك طلبنا ولاحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك اشفقنا واليك بيتك
الحرام حججنا يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يا من ليس معه رب يدعى ويا من
ليس فوقه خالق يخشى ويا من ليس له وزير يؤتى ولا حاجب يرشى يا من لا يزداد على كثرة
السؤال الا كرما وجودا وعلى كثرة الحوائج الا تفضلا واحسانا اللهم انك جعلت لكل
ضيف قرى ونحن اضيافك فاجعل قرانا منك الجنة اللهم لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة
ولكل سائل عطية ولكل راج ثوابا ولكل راغب لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة

ولكل راغب اليك زلفة ولكل متوسل اليك عفو وقد وفدنا الى بيتك الحرام ووقفنا
بهذه المشاعر العظام وشاهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا الهنا
تتابعت النعم حتى اطمانت الانفس بتتابع نعمك واظهرت العبر حتى نطقت الصوامت
بحجتك وظاهرت المنن حتى اعترف اولياؤك بالتقصير عن حقك واظهرت الايات حتى
افصحت السماء والارض بادلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك وعنت
الوجوه لعظمتك اذا اساء عبادك حلمت وامهلت وان احسنوا تفضلت وقبلت وان عصينا
سترت وان اذنبنا عفوت وغفرت وان تولينا عنك دعوت الهنا انك قلت في كتابك
المبين لمحمد خاتم النبيين قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وارضاك عنهم
عنهم الاقرار بكلمة التوحيد مخبتين ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة مخلصين فاغفر لنا بهذه
الشهادة سوالف الاجرام ولا تجعل حظنا فيه انقص من حظ من دخل في الاسلام الهنا انك
احببت التقرب اليك بعتق ما ملكت ايماننا ونحن عبيدك وانت اولى بالتفضل فاعتقنا
وانك امرتنا ان نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وانت اولى بالطول فتصدق علينا ووصيتنا
بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا انفسنا فانت احق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا
انت مولانا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وعذاب القبر وقنا
عذاب النار وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو ان يقول يا من لا يشغله سمع عن سمع
ولا تشتبه عليه الاصوات يا من لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يبرمه
الحاح الملحين ولا يضجره مسئلة السائلين اذقنا برد عفوك وحلاوة رحمتك وليدع
بما بدا له وليستغفر لنفسه ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات وليلح في الدعاء وليعظم
المسئلة فان الله تعالى لا يتعاظمه شيء قال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة اللهم لا ترد الجميع
من اجلي وقال بكر المزني قال رجل لما نظرت الى اهل عرفات ظننت انهم قد غفر لهم لولا اني كنت
فيهم **الجملة السابعة** في بقية اعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمي والنحر و
الحلق والطواف فاذا افاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغي ان يكون على السكينة و
الوقار وليجتنب وجيف الخيل كما يعتاده بعض الناس فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهى عن وجيف الخيل وايضاع الابل وقال اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا لا تطؤا ضعيفا ولا
تؤذوا مسلما فاذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لان المزدلفة من الحرم فليدخلها بغسل فان قدر على
دخوله ماشيا فهو افضل واقرب الى توقير الحرم ويكون في الطريق رافعا صوته بالتلبية
فاذا بلغ المزدلفة قال اللهم ان هذه مزدلفة جمعت فيها السنة مختلفة نسئلك حوائج
مؤتنفة فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته ثم يجمع بين المغرب والعشاء
بمزدلفة في وقت العشاء قاصرا لها باذان واقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة

المغرب والعشاء

المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين وصليا بنا فلة المغرب ثم بنا فلة المغرب للتعقيد
كما في الفريضتين وهكذا الجمع الجامع في السفر فان ترك النوافل في السفر حسن ان طاهر
ودكليف ابقاء بعض الاوقات اضرار وقطع للتبعية بينهما وبين الفرائض فاذا جاز
تودي النوافل مع الفرض بتيمم واحد بحكم التبعية فبان يجوز اداؤهما على حكم الجمع
بالتبعية اولى لانه لا يمنع اولى ولا يمنع من هذا مفارقة النفل للفرض في جواز اداؤه على الراحلة
لما اي ما تاتى اليه من التبعية والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت
نسك ومن خرج منها في النصف الاول من الليل ولم يبت فعليه دم واحيا هذه الليلة
الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم مهما انتصف الليل ياخذ في التاهب للرحيل
ويتزود الحصا منها ففيها احجار رخوة فلياخذ سبعين حصاة قدر الحاجة ولا باس بان
يستظهر بزيادة فربما سقط منه بعضه وليكن الحصا خفافا بحيث يحتوي عليه اطراف البراجم
ثم ليغلس بصلوة الصبح ولياخذ في السير حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام وهو اخر المزدلفة
فيقف ويدعو الى الاسفار ويقول اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن
والمقام بلغ روح محمد صلى الله عليه وسلم منا التحية والسلام وادخلنا دار السلام يا ذا الجلال
والاكرام ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهي الى موضع يقال وادي محسر فيستحب له ان يحرك
دابته حتى يقطع عرض الوادي وان كان راجلا اسرع في المشي ثم اذا اصبح يوم النحر خلط التلبية
بالتكبير فيلبي تارة ويكبر اخرى فينتهي الى منى ومواضع الجمرات وهي ثلاثة فيتجاوز الاولى والثانية
فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهي الى جمرة العقبة وهي على يمين مستقبل القبلة في الجادة و
المرمى مرتفع قليلا في سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ويرمي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس
بقدر رمح وكيفيته ان يقف مستقبل القبلة فان استقبل الجمرة فلا باس ويرمي سبع حصيات
رافعا يده ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصاة الله اكبر على طاعة الرحمن ورغما للشيطان
اللهم تصديقا لكتابك واتباعا لسنة نبيك صلى الله عليه وسلم فاذا رمى قطع التلبية والتكبير
الا التكبير عقيب فرائض الصلوة من الظهر يوم النحر الى عقيب الصبح اخر ايام التشريق ولا يقف في هذا
اليوم للدعاء بل يدعو في منزله وصفة التكبير ان يقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله
كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون
لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله والله اكبر ثم ليذبح الهدي ان كان معه والاولى
ان يذبح بنفسه وليقل بسم الله والله اكبر اللهم منك ولك وبك تقبل مني كما تقبلت من خليلك ابراهيم
عليه السلام والاضحية بالبدن افضل ثم بالبقر ثم بالشاة والشاة افضل من مشاركة ستة في البدنة او البقرة
والضان افضل من المعز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاضحية الكبش الاقرن والبيضاء افضل
من الغبراء والسوداء قال ابو هريرة رضي الله عنه دم البيضاء افضل في الاضحى من دم سوداوين وليأكل منه

ان كان هدي التطوع ولا يضحي بالجدعا والعضبا والقرنا والجربا والشرقا والخرقا والمقابلة
والمدابرة والعجفا والجدع في الانف والاذن القطع منهما والعضب في القرن ونقصان القوائم والشرقا
المشقوقة الاذن من فوق والخرقا من اسفل والمقابلة المخروقة الاذن من قدام والمدابرة من خلف
والعجفا المهزولة التي لا تنقي اي لا مخ لها من الهزال ثم ليحلق بعد ذلك والسنة ان يستقبل
القبلة ويبتدي بمقدم راسه فيحلق الشق الايمن الى العظمين المشرفين على القفا ثم يحلق الباقي
ويقول اللهم اثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بها سيئة وتقبلها مني وارفع لي بها عندك
درجة والمراة تقصر الشعر والاصلع يستحب له امرار الموسى على راسه ومهما حلق بعد رمي الجمرة فقد
حصل له التحلل الاول وحل له كل المحظورات الا النسا والصيد ثم يفيض الى مكة ويطوف كما و
صفنا وهذا الطواف ركن في الحج ويسمى طواف الزيارة واول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر
وافضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له ان يؤخر الى اي وقت شا ولكن يبقى مقيدا
بعلقة الاحرام فلا يحل له النسا الى ان يطوف فاذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام با
لكلية ولم يبق الا رمي ايام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع
للحج وكيفية هذا الطواف مع الركعتين كما سبق في طواف القدوم فاذا فرغ من الركعتين فليسع
كما وصفنا ان لم يكن سعى بعد طواف القدوم وان كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغي ان
يعيد السعي واسباب التحلل ثلثة الرمي والحلق والطواف الذي هو ركن ومهما اتى باثنين
من هذه الثلث فقد تحلل احد التحللين ولا حرج عليه في التقديم والتاخير بهذه الثلث
مع الذبح ولكن الاحسن ان يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للامام في هذا اليوم ان
يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الحج اربع خطب خطبة
يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم النحر وخطبة يوم النفر الاول وكلها عقيب الزوال وكلها
افراد الا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة ثم اذا فرغ من الطواف عاد الى منى للمبيت
والرمي فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لان الناس في غد يقرون بمنى ولا ينفرون فاذا
اصبح اليوم الثاني من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمرة الاولى التي تلي عرفة وهي
على يمين الجادة ويرمي اليها بسبع حصيات فاذا تعداها انحرف قليلا عن يمين الجادة ووقف مستقبل
القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعا ثم يتقدم الى الجمرة الوسطى ويرمي كما رمى الاو
لى ويقف كما وقف للاولى ثم يتقدم الى جمرة العقبة ويرمي سبعا ولا يعرج على شغل بل يرجع
الى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الاول ويصبح فاذا صلى الظهر
في اليوم الثاني من ايام التشريق رمى في هذا اليوم احدى وعشرين حصاة كاليوم الذي قبله ثم
هو مخير بين المقام بمنى وبين العود الى مكة فان خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شي
عليه وان صبر الى الليل لا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمي في يوم النفر الثاني احدى وعشرين

حجراً كما سبق وفي ترك المبيت والرمي اراقة دم للتصدق باللحم وله ان يزور البيت في ليالي
منى بشرط ان لا يبيت الا بمنى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ولا يتركن حضور
الفرائض مع الامام في مسجد الخيف فان فضله عظيم فاذا افاض من منى فالاولى ان يقيم با
لمحصب من منى ويصلي العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة فهو السنة رواه جماعة من
الصحابة رضي الله عنهم وان لم يفعل فلا شيء عليه الجملة الثامنة في صفة العمرة وما
بعدها الى طواف الوداع من اراد ان يعتمر بعد حجه او قبله كيف ما اراد فليغتسل ويلبس
ثياب الاحرام كما سبق في الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها وافضل مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم
ثم الحديبية وينوي العمرة ويلبي ويقصد مسجد عائشة رضي الله عنها ويصلي ركعتين
ويدعو بما شاء ثم يعود الى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد فاذا دخل المسجد ترك التلبية
وطاف سبعاً وسعى سبعاً كما وصفنا فاذا فرغ حلق راسه وقد تمت عمرته والمقيم بمكة
ينبغي ان يكثر الاعتمار والطواف وليكثر النظر الى البيت فاذا دخله فليصل ركعتين بين
العمودين فهو الافضل وليدخل حافياً موقراً قيل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم
فقال والله ما ارى هاتين القدمين اهلا للطواف حول البيت فكيف اراهما اهلا لان اطأ بهما بيت
ربي وقد علمت حيث مشتا والى اين مشتا وليكثر شرب ماء زمزم وليستق بيده من غير
استنابة ان امكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم وارزقني
الاخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له
يشفي ما قصد به الجملة التاسعة في طواف الوداع مهما عن له الرجوع الى الوطن بعد
الفراغ من اتمام الحج والعمرة فلينجز اولا اشغاله وليشد رحاله وليجعل آخر اشغاله وداع
البيت ووداعه بان يطوف به سبعاً كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع فاذا فرغ منه صلى
ركعتين خلف المقام وشرب ماء زمزم ثم يأتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم البيت
بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن امتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني
في بلادك وبلغتني بنعمتك حتى اعنتني على قضاء مناسكك فان كنت رضيت عني فازدد عني رضا
والا فمن الآن قبل تباعدي عن بيتك هذا اوان انصرافي ان اذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك
ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم اصحبني العافية في بدني والعصمة في ديني واحسن منقلبي
وارزقني طاعتك ما ابقيتني واجمع لي خيري الدنيا والآخرة انك على كل شيء قدير اللهم لا تجعل
هذا آخر عهدي ببيتك الحرام وان جعلته آخر عهدي فعوضني عنه الجنة والاحسن ان لا يصرف
بصره عن البيت حتى يغيب عنه الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها قال
صلى الله عليه وسلم من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي وقال صلى الله عليه وسلم من
وجد سعة ولم يفد الي فقد جفاني وقال صلى الله عليه وسلم من جاءني زائراً لا يهمه الا زيارتي

كان حقا على الله سبحانه ان يكون له شفيعا من قصد زيارة المدينة فيصلي على رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصلي عليه كثيرا فاذا وقع بصره على حيطان المدينة واشجارها قال اللهم هذا
حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وامانا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول
من بئر ... وليتطيب وليلبس انظف ثيابه فاذا دخلها فليدخلها متواضعا خاشعا وليقل
بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج
صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي بجنب المنبر ركعتين
ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الايمن ويستقبل السارية التي الى جانبها الصندوق وتكون
الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان
يغير المسجد وليجتهد ان يصلي في مسجده الاول قبل ان يزاد فيه ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه
وسلم فيقف عند وجهه وذلك بان يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو اربعة
اذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر على نحو ويجعل القنديل على راسه وليس من السنة
ان يمس الجدار ولا ان يقبله بل الوقوف من بعد اقرب الى الاحترام فيقف ويقول السلام عليك
يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا امين الله السلام يا حبيب الله السلام عليك
يا صفوة الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا احمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا ابا
القاسم السلام عليك يا ماحي السلام عليك يا عاقب السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك
يا طهر السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا اكرم ولد آدم السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك
يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قائد الخير السلام عليك
يا فاتح البر السلام عليك يا نبي الرحمة السلام عليك يا سيد الامة السلام عليك يا قائد الغر
المحجلين السلام عليك وعلى اهل بيتك الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك
وعلى اصحابك الطيبين وعلى ازواجك الطاهرات امهات المؤمنين جزاك الله عنا افضل
ما جازى به نبيا عن قومه ورسولا عن امته وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل
عنك الغافلون وصلى عليك في الاولين والآخرين افضل واكمل واعلى واجل واطيب
واطهر ما صلى على احد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية
وهدانا بك من الجهالة اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وامينه و
صفيه وخيرته من خلقه واشهد انك قد بلغت الرسالة وأديت الامانة ونصحت الامة
وجاهدت عدوك وهديت امتك وعبدت ربك حتى اتاك اليقين فصلى الله عليك وعلى
اهل بيتك الطيبين وسلم وكرم وشرف وعظم وان كان قد اوصي بتبليغ سلام فيقول
السلام عليك من فلان بن فلان ثم يتأخر قدر ذراع فيسلم على ابي بكر الصديق لان
راسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم وراس عمر رضي الله عنه عند منكب ابي

بكر

بكر ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضي الله عنه ويقول السلام عليكما يا وزيري
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا والقائمين في امته بعده
بامور الدين تتبعان في ذلك اثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ما جزى وزيري نبي عن
دينه ثم يرجع فيقف عند راس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم
ويستقبل القبلة وليحمد الله عز وجل ويمجده وليكثر من الصلوة على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم يقول اللهم انك قلت ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم
الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اللهم انا قد سمعنا قولك واطعنا امرك وقصدنا نبيك متشفعين
به اليك في ذنوبنا وما اثقل ظهورنا من اوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا
وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا صلى الله عليه وسلم فينا وارفعنا بمنزلته عندك
وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين والانصار واغفر لاخواننا الذين سبقونا بالايمان
اللهم لا تجعله اخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا ارحم الراحمين ثم يأتي الروضة
فيصلي فيها ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله صلى الله عليه وسلم ما بين قبري ومنبري
روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي ويدعو عند المنبر ويستحب ان يضع يده على
الرمانة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة ويستحب ان يأتي
احدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء فيصلي الغداة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم يخرج ويعود الى المسجد لصلوة الظهر فلا تفوته فريضة في الجماعة في المسجد ويستحب
ان يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزور قبر عثمان
رضي الله عنه وقبر الحسن بن علي وفيه ايضا قبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد
رضي الله عنهم ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله عنها ويزور قبر ابرهيم بن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقبر صفية عمة رسول الله فذلك كله في البقيع ويستحب ان يأتي مسجد قبا في كل
سبت ويصلي فيه لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج من بيته حتى يأتي مسجد
قبا ويصلي فيه كان له عدل عمرة ويأتي بير اريس يقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تفل
فيها وهي عند المسجد فيتوضا منها ويشرب من مائها ويأتي مسجد الفتح وهو على الخندق
وكذا يأتي ساير المساجد والمشاهد ويقال ان جميع المساجد والمشاهد بالمدينة ثلثون موضعا
يعرفها اهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الابار التي كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتوضا منها ويغتسل ويشرب منها وهي سبعة ابار طلبا للشفاء وتبركا به صلى الله عليه وسلم
وان امكنه الاقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فله فضل عظيم قال صلى الله عليه وسلم لا يصبر على
لأوائها وشدتها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع
ان يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة

ثم اذا فرغ من اشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب ان ياتي القبر ويعيد دعا
الزيارة كما سبق ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسال الله تعالى ان يرزقه العود
اليه ويسال السلامة في سفره ثم يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع قيام
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان زيدت المقصورة في المسجد فاذا خرج فليخرج
رجله اليسرى اولا ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى ال محمد ولا تجعله آخر العهد
بنبيك عليه السلام وحط اوزاري بزيارته واصحبني السلامة في سفري ويسر رجوعي الى
اهلي ووطني سالما يا ارحم الراحمين وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
قدر عليه وليتتبع المساجد التي بين المدينة ومكة فيصلي فيها وهي عشرون موضعا
فصل في سنن الرجوع من السفر كان صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو
او حج او عمرة او غيره يكبر على كل شرف من الارض ثلث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا
حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وفي بعض الروايات وكل
شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون فينبغي ان يستعمل هذه السنة في رجوعه
رجوعه واذا اشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا
ثم ليرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة ولا
ينبغي ان يطرق اهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد المسجد اولا وليصل ركعتين فهو السنة
كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا دخل بيته قال توبا توبا لربنا اوبا لا
يغادر علينا حوبا فاذا استقر في منزله فلا ينبغي ان ينسى ما انعم الله سبحانه عليه من
زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه صلى الله عليه وسلم فيكفر تلك النعمة بان يعود الى
الغفلة واللهو والخوض في المعاصي فما ذلك علامة الحج المبرور بل علامته ان يعود زاهدا في الدنيا راغبا
في الآخرة متاهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت **الباب الثاني في الآداب الدقيقة والاعمال
الباطنة** بيان دقائق الآداب وهي عشرة الاول ان تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من
تجارة فانها تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله عز وجل والقلب مطمئنا
منصرفا الى ذكر الله عز وجل وتعظيم شعائره وقد روي في خبر من طريق اهل البيت اذا
كان آخر الزمان خرج الناس للحج اربعة اصناف سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة
وفقراؤهم للمسئلة وقراؤهم للسمعة وفي الخبر اشارة الى جملة اغراض الدنيا التي يتصور
ان تتصل بالحج فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لا سيما اذا كان متجردا
بنفس الحج بان يحج لغيره باجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون وارباب
القلوب ذلك الا ان يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا باس ان ياخذ

ذلك

ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين الى الدنيا بل بالدنيا الى الدين وعند ذلك ينبغي ان يكون
قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة اخيه المسلم باسقاط الفرض عنه وفي مثله ينزل
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الله سبحانه بالحجة الواحدة ثلثة الجنة الموصي بها
والمنفذ لها ومن حج بها عن اخيه ولست اقول لا تحل الاجرة او يحرم ذلك بعد ان اسقط فرض
الاسلام عن نفسه ولكن الاولى ان لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره فان الله عز وجل
يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا وفي الخبر مثل الذي يغزو في سبيل الله عز وجل
وياخذ اجرا مثل ام موسى ترضع ولدها وتاخذ اجرها فمن كان مثاله في اخذ الاجرة على الحج مثال
ام موسى فلا باس باخذه فانه ياخذ ليتمكن من الحج والزيارة وليس يحج لياخذ الاجرة كما كانت تا
ام موسى لتتيسر لها الارضاع بتلبيس حالها عليهم الثاني ان لا يعاون اعدا الله سبحانه
بتسليم المكس اليهم وهم الصادون عن المسجد الحرام من امرا مكة والاعراب المترصدين
في الطرق فان تسليم المال اليهم اعانة على الظلم وتيسير لاسبابه عليهم فهو كالاعانة بالنفس
فليتلطف في حيلة الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا باس بما قاله ان ترك
التنفل بالحج والرجوع عن الطريق افضل من اعانة الظلمة فان هذه بدعة احدثت
وفي الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية ولا
معنى لقول القائل ان ذلك يؤخذ مني وانا مضطر فانه لو قعد في البيت او رجع من
الطريق لم يؤخذ منه بل ربما يظهر اسباب الترفه فتكثر مطالبته فلو كان في زي الفقرا
لم يطالب فهو الذي ساق نفسه الى حالة الاضطرار الثالث التوسع في الزاد وطيب النفس
بالبذل والانفاق من غير تقتير ولا اسراف بل على الاقتصاد واعني بالاسراف التنعم
باطايب الاطعمة والترفه بشرب انواعها على عادة المترفين فاما كثرة البذل فلا سرف
فيه اذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله
عز وجل والدرهم بسبعمائة درهم قال ابن عمر من كرم الرجل طيب زاده في سفره
وكان يقول افضل الحجاج اخلصهم نية وازكاهم نفقة واحسنهم يقينا وقال صلى الله
عليه وسلم الحج المبرور ليس له جزا الا الجنة فقيل له يا رسول الله ما بر الحج قال طيب الكلام
واطعام الطعام الرابع ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن والرفث اسم جامع
لكل لغو وخنا وفحش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النسا ومداعبتهن والتحدث بشان
الجماع ومقدماته فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعي الى المحظور محظور والفسق
اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة
بما يورث الضغاين ويفرق في الحال الهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفيان من
رفث فسد حجه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع اطعام الطعام

من [illegible] الحج والمماراة تناقض طيب الكلام فلا ينبغي ان يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله
وعلى غيرهم من اصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين الى بيت الله عز
وجل ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الاذى بل احتمال الاذى وقيل سمي السفر
سفرا لانه يسفر عن اخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضي الله عنه لمن زعم انه يعرف رجلا
هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال ما اراك تعرفه الخامس ان
يحج ماشيا ان قدر عليه فذلك افضل اوصى عبد الله ابن عباس رضي الله عنه بنيه عند موته
فقال يا بني حجوا مشاة فان للحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبع مائة حسنة من حسنات
الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة مائة الف والاستحباب المشي في المناسك
والتردد من مكة الى الموقف والى منى اكد منه في الطريق وان اضاف الى المشي الاحرام
من دويرة اهله فقد قيل ان ذلك من اتمام الحج قاله عمر وعلي وابن مسعود رضي الله
عنهم في معنى قوله واتموا الحج والعمرة لله وقال بعض العلماء الركوب افضل لما فيه من الا
نفاق والمؤنة ولانه ابعد عن ضجر النفس واقل لاذاه واقرب الى سلامته وتمام حجه وهذا عند
التحقيق ليس مخالفا للاول بل ينبغي ان يفصل ويقال من سهل عليه المشي فهو الافضل فان
كان يضعف ويؤدي ذلك به الى سوء خلق وقصور عن عمل فالركوب له افضل كما ان الصوم
افضل للمسافر والمريض ما لم يفض الى ضعف وسوء خلق وسئل بعض العلماء عن العمرة المشي
فيها افضل او يكري حمارا بدرهم فقال ان كان وزن الدرهم اشد عليه فالكرا افضل من المشي
وان كان المشي اشد عليه كالاغنيا فالمشي له افضل وكانه ذهب فيه الى مجاهدة النفس وله
وجه ولكن الافضل ان يمشي ويصرف ذلك الدرهم الى خير فهو اولى من صرفه الى المكاري
عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كان لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان
المال فما ذكره غير بعيد فيه السادس ان لا يركب الا زاملة اما المحمل فليجتنبه لما فيه من
ايذا الدابة الا اذا كان يخاف على الزاملة ان لا يستمسك عليها لعذر وفيه معنيان احدها
التخفيف عن البعير فان المحمل يؤذيه والثاني اجتناب زي المترفين والمتكبرين
حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمته
اربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هديه وشمائله وقال صلى الله عليه وسلم
خذوا عني مناسككم وقيل ان هذه المحامل احدثها الحجاج وكان العلماء في وقته
ينكرونها فروى سفين الثوري عن ابيه قال برزت من الكوفة الى القادسية للحج
ووافيت الرفاق من البلدان فرايت الحجاج كلهم على زوامل وجوالقات ورحل
وما رايت في جميعهم الا محملين وكان بن عمر اذا نظر الى ما احدث الحاج من الزي والمحامل
يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر الى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال

هرانم

هذا نعم من الحاج السابع ان يكون رث الهيئة اشعث اغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل
الى اسباب التفاخر والتكاثر فيكتب في المتكبرين والمترفهين ويخرج عن حزب الضعفاء
والمساكين وخصوص الصالحين فقد امر صلى الله عليه وسلم بالشعث والاحتفاء ونهى عن
التنعم والرفاهية في حديث فضالة بن عبيد وفي الحديث انما الحاج الشعث التفل
يقول الله عز وجل انظروا الى زوار بيتي قد جاؤني شعثا غبرا من كل فج عميق وقال
تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث الشعث والاغبرار وقضاؤه بالحلق وقص الاظفار
وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى امراء الاجناد اخلولقوا واخشوشنوا اي البسوا
الخلقان واستعملوا الخشونة في الاشياء وقد قيل زين الحجيج اهل اليمن لانهم على هيئة
التواضع والضعف وسيرة السلف وينبغي ان يجتنب الحمرة في زيه على الخصوص والشهرة
كيف ما كانت على العموم فقد روي انه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فنزل اصحابه منزلا فسرح
الابل فنظر الى اكسية حمر على الاقتاب فقال صلى الله عليه وسلم ى هذه الحمرة قد غلبت
عليكم قالوا فقمنا اليها ونزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل الثامن ان يرفق
بالدابة فلا يحملها ما لا تطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل
عليها كان اهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة عن قعود وكانوا لا يقفون عليها
الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي لاحاديثكم ويستحب
ان ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه اثار عن السلف وكان
بعض السلف يكتري بشرط ان لا ينزل ويوفي الاجرة ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك
محسنا الى الدابة فيكون في حسناته ويوضع في ميزانه لا في ميزان المكاري وكل من اذى
بهيمة وحملها ما لا تطيق طولب به في القيامة قال ابو الدرداء لبعير له عند الموت يا ايها البعير لا
تخاصمني الى ربك فاني لم اكن احملك فوق ما تطيق وعلى الجملة في كل كبد حرى اجر فليراع حق الدابة
وحق المكاري جميعا وفي نزوله ساعة ترويح الدابة وسرور قلب المكاري قال رجل لابن المبارك
احمل هذا الكتاب معك لتوصله فقال حتى استامر الجمال فاني قد اكتريت فانظر كيف تورع من
استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم في الورع فانه اذا فتح باب القليل انجر الى الكثير
يسيرا يسيرا التاسع ان يتقرب باراقة دم وان لم يكن واجبا عليه ويجتهد ان يكون من
سمين النعم ونفيسه وليأكل منه ان كان تطوعا ولا يأكل ان كان واجبا قيل في تفسير قوله
تعالى ومن يعظم شعائر الله انه تحسينه وتسمينه وسوق الهدي من الميقات افضل ان كان
لا يجهده ولا يكده وليترك المكاس في شرائه فقد كانوا يغالون في ثلث ويكرهون المكاس فيهن
الهدي والاضحية والرقبة فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند اهله وروى ابن عمر ان
عمر رضي الله عنه اهدى بختية فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان بيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وذلك لان القليل الجيد خير من الكثير
الدون وفي ثلثمائة دينار قيمة ثلثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم انما
المقصود تزكية النفوس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله عز وجل فلن ينال
الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة كثر
العدد ام قل وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج فقال العج والثج فالعج هو رفع
الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن وروت عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما عمل ادمي يوم النحر احب الى الله عز وجل من اهراقه دما وانها لتاتي يوم القيمة بقر
ونها واظلافها وان الدم يقع من الله عز وجل بمكان قبل ان يقع بالارض فطيبوا بها نفسا وفي
الخبر لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع في الميزان فابشروا
العاشر ان يكون طيب النفس بما انفقه من نفقة وهدي وبما اصابه من خسران ومصيبة في
مال وبدن ان اصابه ذلك فان ذلك من دلايل قبول حجه فان المصيبة في طريق الحج تعدل النفقة
في سبيل الله عز وجل الدرهم بسبع مائة درهم وهو بمثابة الشدايد في طريق الجهاد فله بكل
اذى احتمله وخسران اصابه ثواب فلا يضيع منه شي عند الله عز وجل ويقال ان من علامة
قبول الحج ان يترك ما كان عليه من المعاصي وان يستبدل باخوانه البطالين اخوانا صالحين
وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة **بيان الاعمال الباطنة** ووجه الا
خلاص في النية وطرق الاعتبار بالمشاهدة الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لاسرارها
ومعانيها من اول الحج الى اخره اعلم ان اول الحج الفهم اعني فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق اليه
ثم العزم عليه ثم قطع العلايق المانعة منه ثم شرى ثوب الاحرام ثم شرى ثوب الاحرام
الزاد ثم اكترى الراحلة ثم الخروج ثم السير في البادية ثم الاحرام من الميقات بالتلبية
ثم دخول مكة ثم استتمام الافعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الامور تذكرة للمتذكر
وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق وتعريف واشارة للفطن فلنرمز الى مفاتحها حتى
اذا انفتح بابها وعرفت اسبابها انكشف لكل حاج من اسرارها ما يقتضيه صفا قلبه وطهارة باطنه
وغزارة علمه اما الفهم اعلم انه لا وصول الى الله سبحانه وتعالى الا بالتنزه عن الشهوات والكف
عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات
ولاجل هذا انفرد الرهبان في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال واثروا التوحش
عن الخلق طلبا للانس بالله عز وجل اللذات الحاضرة والزموا انفسهم المجاهدات الشاقة طمعا
في الاخرة واثنى الله عز وجل عليهم في كتابه فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا
يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله
عز وجل وفتروا عنه بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم لاحيا طريق الاخرة وتجديد سنة المرسلين

في صوامعهم فسأله اهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال صلى الله عليه وسلم ابدلنا
الجهاد والتلبية والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال
هم الصائمون فانعم الله عز وجل على هذه الامة بان جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت
العتيق بالاضافة الى نفسه ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما
لامره وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه
على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل اوب سحيق شعثا غبرا متوا
ضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه
عن ان يحويه بيت او يكتنفه بلد ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم واتم في اذعانهم
وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تانس بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها
العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الا
عمال يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكوة ارفاق ووجهه مفهوم وللعقل اليه ميل
والصوم كسر الشهوة التي هي آلة الشيطان عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشوا
غل والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله سبحانه بافعال هي هيئة التواضع وللنفوس فيها
انس بتعظيم الله عز وجل فاما ترددات السعي ورمي الجمار وامثال هذه الاعمال فلا حظ للنفوس
ولا انس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون في الاقدام عليها باعث الا الامر
المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه امر واجب الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه
وصرف النفس والطبع عن محل انسه فان كل ما ادرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما
فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل
ذلك في صلوة وغيرها واذا اقتضت حكمة الله سبحانه ربط نجاة الخلق بان تكون اعمالهم
على خلاف هوى طباعهم وان يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في اعمالهم على سنن
الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى الى معانيه ابلغ انواع التعبدات في تزكية
النفوس وصرفها عن مقتضى الاسترقاق واذا تفطنت لهذا فهمت ان تعجب النفوس من
هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن اسرار التعبدات وهذا القدر كاف في تفهم اصل
الحج **واما الشوق** فانما ينبعث بهذا الفهم والتحقق **واما الشوق** بان البيت
بيت الله عز وجل وانه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد الى الله عز وجل وزائر له وان
من قصد البيت في الدنيا جدير بان لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده المضروب
له وهو النظر الى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث ان العين القاصرة الفانية في دار الدنيا
لا تتهيا لقبول نور النظر الى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث ان العين القاصرة الفانية

١

فهي دار الدنيا لا تتهيا لقبول نور الله تعالى ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها وانها
ان امدت في الدار الاخرة بالبقاء ونزهت عن اسباب التغير والفنا استعدت للنظر والابصار
ولكنها بقصد البيت والنظر اليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق الى لقاء الله عز
وجل يشوقه الى اسباب اللقاء لا محالة هذا مع ان المحب مشتاق الى كل ماله الى محبوبه اضافة والبيت
مضاف الى الله عز وجل فبالحري ان يشتاق لمجرد هذه الاضافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه
من الثواب الجزيل واما العزم فليعلم انه بعزمه قاصد الى مفارقة الاهل والوطن ومهاجرة الشهوات
واللذات متوجها الى زيارة بيت الله عز وجل وليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت
وليعلم انه عزم على امر رفيع شانه خطير امره وان من طلب عظيما خاطر بعظيم وليجعل عزمه خالصا
لوجه الله عز وجل بعيدا عن شوايب الريا والسمعة وليتحقق انه لا يقبل من قصده وعمله الا الخالص
وان من افحش الفواحش ان يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم
وتصحيحه باخلاصه واخلاصه باجتناب كل ما كان فيه ريا وسمعة وليحذر ان يستبدل الذي هو
ادنى بالذي هو خير واما قطع العلايق فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن
جملة المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادي عليه ويقول
الى اين تتوجه اتقصد بيت ملك الملوك وانت مضيع امره في منزلك هذا ومستهين به ومهمل له
ولا تستحي انه تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك فان كنت راغبا في قبول
زيارتك فنفذ اوامره ورد المظالم وتب اليه اولا من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك
عن الالتفات الى ما وراءك لتكون متوجها اليه بوجه قلبك كما انك متوجه الى بيته بوجه ظاهرك فان لم
تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك اولا الا النصب والشقا واخرا الا الطرد والرد وليقطع
العلايق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر انه لا يعود اليه وليكتب وصيته لاهله واولاده
فان المسافر وماله لعلى قلت الا ما وقى الله سبحانه وليتذكر عند قطعه العلايق لسفر الحج قطع
العلايق لسفر الاخرة فان ذلك بين يديه على القرب وما يقدمه من هذا السفر طمع في تيسير
ذلك السفر فهو المستقر واليه المصير فلا ينبغي ان يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا
السفر واما الزاد فليطلبه من موضع حلال واذا احس من نفسه بالحرص على استكثاره و
طلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر ان سفر الاخرة
اطول من هذا السفر وان زاده التقوى وان ما عدا التقوى مما يظن انه زاده يتخلف عنه
عند الموت ويخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذي يفسد في اول منازل السفر فيبقى وقت
الحاجة متحيرا محتاجا لا حيلة له فليحذر ان تكون اعماله التي هي زاده الى الاخرة لا تصحبه بعد
الموت ويفسدها شوايب الريا وكدورات التقصير واما الراحلة اذا احضرها فليشكر الله عز وجل
بقلبه على تسخير الله سبحانه له الدواب لتحمل عنه الاذى وتخفف عنه المشقة وليتذكر

عند ذلك

عند ذلك المركب الذي يركبه الى الدار الآخرة وهي الجنازة التي يحمل عليها فان امر الحج من وجه
يوازي امر السفر الى الآخرة ولينظر ايصلح سفره على هذا المركب لان يكون زادا له لذلك السفر على
ذلك المركب فما اقرب ذلك منه وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل
فركوب الجنازة مقطوع به وتيسير اسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط في اسباب السفر المشكوك
فيه ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل امر السفر المستيقن واما شراء ثوبي الاحرام فليتذكر عنده الكفن
ولفه فيه فانه سيرتدي ويتزر بثوبي الاحرام عند القرب من بيت الله عز وجل وربما لا يتم
سفره اليه وانه سيلقى الله عز وجل ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت الله عز وجل
الا مخالفا عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله عز وجل بعد الموت الا في زي مخالف لزي الدنيا
وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب اذ ليس فيه مخيط ولا محيط واما الخروج من البلد فليعلم
عند ذلك انه فارق الاهل والوطن متوجها الى الله عز وجل في سفر لا يضاهي اسفار الدنيا فليحضر
في قلبه انه ماذا يريد واين يتوجه وزيارة من يقصد وانه متوجه الى ملك الملوك في زمرة الزائرين
له الذين نودوا فاجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فنهضوا وقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق واقبلوا
على بيت الله عز وجل الذي فخم امره وعظم شانه ورفع قدره تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب
البيت الى ان يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر الى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول
والقبول لا ادلالا باعماله في الارتحال ومفارقة الاهل والمال ولكن ثقة بفضل الله عز وجل
ورجاء لتحقيق وعده لمن زار بيته وليرج انه ان لم يصل وادركته المنية في الطريق لقي الله
عز وجل وافدا اليه اذ قال جل جلاله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه
الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما واما طي البادية الى حين يصل الى
الميقات ومشاهدة تلك العقبات فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت الى
ميقات القيمة وما بينهما من الاهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول
سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الافاعي والحيات
ومن انفراده عن اهله واقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف
في اعماله واقواله متزودا لمخاوف القبر واما الاحرام والتلبية من الميقات فليعلم ان
معناه اجابة نداء الله عز وجل فارج ان تكون مقبولا واخش ان يقال لك لا لبيك ولا سعديك
فكن بين الرجاء والخوف مترددا وعن حولك وقوتك متبريا وعلى فضل الله وكرمه متكلا
فان وقت التلبية هو بداية الامر وهو محل الخطر قال سفيان بن عيينة حج علي بن الحسين
رضي الله عنهما فلما احرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقع عليه الرعدة ولم
يستطع ان يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال اخشى ان يقال لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى
غشي ووقع عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه وقال احمد بن ابي الحواري كنت

مع ابي سليمن الداراني حين اراد الاحرام فلم يلب حتى سار ميلا فاخذته كالغشية ثم افاق
وقال يا احمد ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى موسى عليه السلام ان مر ظلمة بني اسرائيل ان
يقلوا من ذكري فاني اذكر من ذكرني منهم باللعنة ويحك يا احمد بلغني ان من حج من غير حله
ثم لبى قال الله عز وجل لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك فما نامن ان يقال لنا ذلك
وليتذكر الملبي عند رفع الاصوات بالتلبية في الميقات اجابته لنداء الله عز وجل اذ قال
واذن في الناس بالحج ونداء الخلق بالنفخ في الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات
القيمة مجيبين لنداء الله عز وجل ومنقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين
في اول الامر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات بحيث لا يدرون ايتيسر لهم اتمام
الحج وقبوله ام لا واما دخول مكة فليتذكر عنده انه قد انتهى الى حرم الله عز وجل امنا
وليرج عنده ان يامن بدخوله من عقاب الله تعالى وليخش ان لا يكون اهلا للقرب فيكون
بدخول الحرم خايبا مستحقا للمقت وليكن رجاؤه في جميع الاوقات غالبا فالكرم عميم والرب رحيم وشرف
البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير مضيع واما وقوع البصر على البيت
فينبغي ان يحضر عند ذلك عظمة البيت في القلب وليقدر عند ذلك كانه مشاهد لرب البيت
لشدة تعظيمه وليرج ان يرزقه الله تعالى النظر الى وجهه الكريم كما رزقه النظر الى بيته
العظيم وليشكر الله تعالى على تبليغه اياه هذه الرتبة والحاقه اياه بزمرة الوافدين عليه وليذكر
عند ذلك انصباب الناس في القيمة الى جهة الجنة امنين لدخولها كافة ثم انقسامهم الى
ماذونين لهم في الدخول ومصروفين انقسام الحاج الى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن
ذكر امور الاخرة في شيء مما تراه فان كل احوال الحاج دليل على احوال الاخرة واما الطواف بالبيت
فاعلم انه صلوة فاحضر قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب
الصلوة واعلم انك بالطواف متشبه بالملئكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله
ولا تظنن ان المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا
لا تبتدي الذكر الا منه ولا تختم الا به كما تبتدي الطواف بالبيت وتختم بالبيت واعلم ان
الطواف الشريف هو الطواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم
الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي في عالم الملكوت كما ان البدن مثال ظاهر في
عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة
مدرجة الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بان البيت
المعمور في السماء بازاء الكعبة فان طواف الملئكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت
رتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بان من
تشبه بقوم فهو منهم والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال ان الكعبة تزوره

يتطوف به على ما رآه بعض المكاشفين لبعض أولياء الله سبحانه وأما الاستلام فاعتقد عنده
أنك مبايع لله عز وجل على طاعته وصمم عزيمتك بالوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق
المقت فقد روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الحجر الأسود يمين الله عز
وجل في الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه وأما التعلق بأستار الكعبة والالتزاق
بالملتزم فلتكن نيتك في الالتزام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة
ورجاء للتحصن من النار في كل جزء لا في البيت ولتكن نيتك في التعلق بالستر الإلحاح في طلب
المغفرة وسؤال الأمان كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب إليه المتضرع إليه في عفوه عنه
المظهر له أنه لا ملجأ منه إلا إليه ولا مفزع له إلا كرمه وعفوه وأنه لا يفارق ذيله إلا بالعفو
وبذل الأمن في المستقبل وأما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فإنه يضاهي تردد العبد
بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد أخرى إظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين
الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول
أو رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم في الثانية إن لم يرحم في
الأولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصات القيمة
وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا
إلى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران وأما الوقوف بعرفة فاذكر بما
ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق أئمتهم
في الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيرا بسيرتهم عرصات القيمة واجتماع الأمم مع
الأنبياء عليهم السلام والأئمة واقتفاء كل أمة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في
ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول وإذا تذكرت ذلك فألزم قلبك الضراعة
والابتهال إلى الله عز وجل فتحشر في زمرة الفائزين المرحومين وحقق رجاءك بالإجابة
فالموقف شريف والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة
من أوتاد الأرض ولا ينفك الجامع عن طبقة من الأبدال والأوتاد وطبقة من الصالحين وأرباب
القلوب فإذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت إلى الله
سبحانه أيديهم وامتدت إليه أعناقهم وشخصت نحو السماء أبصارهم مجتمعين
بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن أنه يخيب أملهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم
رحمة تغمرهم ولذلك قيل إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى
لم يغفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد
هو سر الحج وغاية مقصوده فلا طريق إلى استدرار رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون
القلوب في وقت واحد على صعيد واحد وأما رمي الجمار فاقصد به الانقياد للأمر إظهارا للرق

والعبودية واقتضاء لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه ثم اقتداء به بالتشبيه
بابرهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة او يفتنه
بمعصية فامره الله تعالى ان يرميه بالحجارة طرداً له وقطعاً للامل فان خطر لك ان الشيطان عرض
له وشاهده فلذلك رماه واما انا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان
وانه الذي القاه الى قلبك ليفتر عزمك عن الرمي ويخيل اليك انه فعل لا فائدة فيه وانه يضاهي
اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير في الرمي فيه ترغم انف الشيطان
واعلم انك في الظاهر ترمي الحصا الى العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم
به ظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا بامتثالك امر الله سبحانه تعظيما لمجرد الامر من غير حظ
للنفس والعقل فيه واما ذبح الهدي فاعلم انه تقرب الى الله تعالى بحكم الامتثال فاكمل الهدي
واجزاءه وارجوا ان يعتق بكل جزء منه جزءا منك من النار فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدي
اكبر واجزاؤه اوفر كان فداؤك به من النار اعم واما زيارة المدينة فاذا وقع
بصرك على حيطانها فتذكر انها البلدة التي اختارها الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل
اليها هجرته وانها داره التي فيها شرع فرائض ربه عز وجل وسننه وجاهد عدوه واظهر بها دينه
الى ان توفاه الله عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق من بعده
رضي الله عنهما ثم مثل في نفسك مواقع اقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تردداته
فيها وانها ما من موضع قدم تطاه الا وهو موضع قدمه العزيز فلا تضع قدمك عليه الا على
سكينة ووجل وتذكر مشيه وتخطيه في سككها وتصور خشوعه وسكينته في المشي و
ما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفع ذكره مع ذكره حتى قرنه بذكر نفسه
نفسه واحباط عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته ثم تذكر اصحابه الذين ادركوا
صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه واعظم تاسفك على ما فاتك من صحبته
وصحبة اصحابه الذين صحبوه رضي الله عنهم ثم اذكر انك فاتتك رؤيته في الدنيا وانك
من رؤيته في الآخرة على خطر وانك ربما لا تراه الا بحسرة وقد حيل بينك وبين
قبوله اياك بسوء عملك كما قال صلى الله عليه وسلم يرفع الي اقوام فيقولون يا محمد فاقول
يا رب اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول بعدا وسحقا فان
تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقائق فلا تامن ان يحال بينك وبينه لعدولك
عن محجته وليعظم مع ذلك رجاؤك ان لا يحال بينك وبينه بعد ان رزقك الايمان
واشخصك من وطنك من اجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في الدنيا بل لمحض حبك
له وتشوقك الى ان تنظر الى آثاره والى حائط قبره اذ سمحت نفسك بالسفر لمجرد ذلك لما
فاتتك رؤيته فما اجدرك بان ينظر الله سبحانه اليك بعين الرحمة فاذا بلغت المسجد فا

خشوعه

ذكر انها

كر وانها العرصة التي اختارها الله عز وجل لنبيه عليه السلام ولاول المسلمين وافضلهم عصا
وان فرايض الله تعالى حيا وميتا فليعظم املك فى الله سبحانه ان يرحمك بدخولك اياه فادخل
خاشعا معظما وما اجدر هذا المكان بان يستدعي الخشوع من كل قلب مؤمن كما حكي عن ابي
سليمان انه قال حج اويس القرني ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر
النبي صلى الله عليه وسلم فغشي عليه فلما افاق قال اخرجوني فليس يلذ لي بلد فيه محمد مدفون
وانما الحرسول الله واما زيارة قبره صلى الله عليه وسلم فينبغي ان تقف بين يديه كما وصفنا
وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره الا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا
وكما كنت ترى الحرمة في ان لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلا بين يديه فكذلك
فافعل فان المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود واعلم انه عالم بحضورك وقيامك
وزيارتك وانه يبلغه سلامك فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعا في اللحد بازائك
واحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه
سلام من يسلم عليه من امته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف لمن فارق الوطن وقطع البوادي
شوقا الى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم اذ فاته مشاهدة غرته الكريمة وقد قال صلى الله
عليه وسلم من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا فهذا جزاؤه في الصلوة عليه بلسانه فكيف بالحضور
لزيارته ببدنه ثم ايت منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم صعوده على المنبر ومثل في
قلبك طلعته البهية قايما على المنبر وقد احدق به المهاجرون والانصار وهو عليه السلام يحثهم
على طاعة الله عز وجل بخطبته وسل الله عز وجل ان لا يفرق في القيمة بينك وبينه فهذا
وظيفة القلب في اعمال الحج فاذا فرغ منها كلها فينبغي ان يلزم قلبه الهم والحزن والخوف وانه ليس
يدري اقبل منه حجه واثبت في زمرة المحبوبين ام رد حجه والحق بالمطرودين وليتعرف ذلك من
قلبه واعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا الى الانس بالله تعالى ووجد
اعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فان الله تعالى لا يقبل الا من احبه ومن احبه تولاه
واظهر عليه اثار محبته وكف عنه سطوة عدوه ابليس فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وان
كان الامر بخلافه فيوشك ان يكون حظه من سفره العنا والتعب اعوذ بالله منه ونساله
التوفيق للقبول والعمل به وفضله تم كتاب الحج بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد واله
واصحابه وسلم تسليما كثيرا دايما ابدا انه كريم جواد رحيم كتاب تلاوة القران وهو
الكتاب الثامن من ربع العبادات من كتب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم وكتابه المنزل الذي لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا خلفه حتى اتسع على اهل الافكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص

ملاخبار وانصح بسلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الاحكام وفرق بين
الحلال والحرام شفا الضياء والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفا الصدور من خالفه من الجبابرة
قصمه الله ومن ابتغى من الغرور وفيه شفا الصدور من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى
العلم في غيره اضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الاوفى هو
المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير لا ينقضي عجائبه ولا يتناهى غرائبه ولا يحيط بفوائده
عند اهل العلم تحديد ولا يخلقه عند اهل التلاوة كثرة الترديد هو الذي ارشد الاولين
والآخرين ولما سمعه الجن لم يلبثوا ان ولوا الى قومهم منذرين فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي
الى الرشد فآمنا به فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدى
ومن عمل به فقد فاز وقد قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن اسباب حفظه في القلوب
والمصاحف تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الاعمال
الباطنة والآداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه وتفصيله وتنكشف مقاصده في اربعة ابواب
الباب الاول في فضل القرآن واهله وذم المقصرين في تلاوته الباب الثاني
في آداب التلاوة الظاهرة الباب الثالث في الاعمال الباطنة عند التلاوة الباب
الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي وغيره الباب الاول في فضل القرآن
واهله وذم المقصرين في تلاوته فضيلة القرآن قال صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن
ثم رأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظمه الله وقال صلى الله عليه ما من شفيع
افضل منزلة عند الله يوم القيمة من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره وقال صلى الله عليه لو كان
القرآن في اهاب ما مسته النار وقال صلى الله عليه وسلم افضل عبادة امتي قراءة القرآن وقال
ايضا صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قرأ طه ويس قبل ان يخلق الخلق بالف عام فلما سمعت
الملائكة قالت طوبى لامة ينزل عليهم هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تنطق
بهذا وقال صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه وقال صلى الله عليه وسلم يقول
الله تعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي اعطيته افضل ثواب الشاكرين وقال
صلى الله عليه وسلم ثلثة يوم القيمة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب
حتى يفرغ ما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وام به قوما وهم به راضون
وقال صلى الله عليه وسلم اهل القرآن اهل الله وخاصته وقال صلى الله عليه وسلم تلاوة القرآن
تذكر الموت وقال صلى الله عليه وسلم الله اشد اذنا الى قارئ القرآن من صاحب القينة الى قينته
الآثار قال ابو امامة الباهلي رضي الله عنه اقرؤا القرآن ولا يغرنكم هذه المصاحف المعلقة
فان الله لا يعذب قلبا هو وعاء القرآن وقال ابن مسعود رضي الله عنهما اذا اردتم العلم فا
قرؤا القرآن فان فيه علم الاولين والآخرين وقال ايضا اقرؤا القرآن فانكم تؤجرون عليه

بكل حرف

بكل حرف منه عشر حسنات اما اني لا اقول الم حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف
وقال ايضا لا يسال احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله
عز وجل ومن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله وقال عمرو بن العاص القرآن
درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم وقال ايضا من قرا القرآن فقد ادرجت النبوة
بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه وقال ابو هريرة رضي الله عنه ان البيت الذي يتلى فيه كتاب
الله اتسع باهله وكثر خيره وحضرته الملئكة وخرجت منه الشياطين وان البيت الذي
لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق باهله وقل خيره وخرجت منه الملئكة وحضرته الشيا
وقال احمد بن حنبل رايت الله عز وجل في المنام فقلت يا رب ما افضل ما تقرب به المتقربون
اليك قال بكلامي يا احمد قال قلت يا رب بفهم او بغير فهم فقال بفهم وبغير فهم وقال
محمد بن كعب القرظي اذا سمع الناس القرآن من الرحمن تعالى يوم القيمة فكانهم لم يسمعوه قط
وقال الفضيل بن عياض ينبغي لحامل القرآن ان لا يكون له الى احد حاجة ولا الى الخلفاء فمن
دونهم وينبغي ان تكون حوائج الخلق اليه وقال ايضا حامل القرآن حامل راية الاسلام لا ينبغي
ان يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن
وقال سفيان الثوري رضي الله عنه اذا قرا الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه وقال
عمرو بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلي الصبح فقرا منه مائة آية رفع الله له عمل جميع اهل الدنيا
ويروى ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرا علي فقرا عليه
ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الاية فقال له اعد فاعاد فقال والله ان له
لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر وقال
الحسن والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرا خاتمة
سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قراها حين يمسي
ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النسا
ههنا احد تستانس به فمد يده الى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا وقال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ثلث يزدن في الحفظ ويذهبن البلغم السواك وقراءة القرآن في ذم تلاوة الغا
فلين قال انس بن مالك رضي الله عنه رب تال للقرآن والقرآن يلعنه وقال انس بن مالك
رضي الله عنه رب تال للقرآن والقرآن ميسرة الغريب هو القرآن في جوف الفاجر وقال ابو
سليمان الداراني الزبانية اسرع الى حملة القرآن الذين يعصون الله تعالى منهم الى عبدة الاوثان
حين عصوا الله بعد القرآن وقال بعض العلماء اذا قرا ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد فقرا قيل
له ما لك ولكلامي وقال ابن الرماح ندمت على استظهاري القرآن لاني بلغني ان اصحاب
القرآن يسالون عما يسال عنه الانبياء يوم القيمة وقال ابن مسعود رضي الله عنه ينبغي لحامل

القرآن ان يعرف بليله اذ الناس نائمون وبنهاره اذ الناس يفطرون وبحزنه اذ الناس
يفرحون وببكائه اذ الناس يضحكون وبصمته اذ الناس يخوضون وبخشوعه
اذ الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن ان يكون مستكينا لينا ولا ينبغي له ان يكون جافيا
ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا وقد قال صلى الله عليه وسلم اكثر منافقي هذه الامة
قراؤها وقال صلى الله عليه وسلم اقرأ القرآن ما نهاك فاذا لم ينهك فلست تقرؤه
وقال صلى الله عليه وسلم ما آمن بالقرآن من استحل محارمه وقال بعض السلف ان العبد
ليفتتح سورة فتصلي عليه حتى يفرغ منها و ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ
منها فقيل فكيف ذلك فقال احل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته وقال
بعض العلماء ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقرأ الا لعنة الله على
الظالمين وهو ظالم لنفسه الا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال الحسن انكم اتخذتم
قراءة القرآن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها
بالنهار وقال ابن مسعود انزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان
احدهم ليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به
وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما وحديث جندب لقد عشنا دهرا واحدنا يؤتى الايمان
قبل القرآن فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها
وزاجرها وما ينبغي ان يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان
فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي ان
عنده منه ينثره نثر الدقل يا عبدي اما تستحيي مني
كتاب من بعض اخوانك في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله
وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا شيء منه وهذا كتابي انزلته اليك انظر كم
فصلت . القول فكم كررت عليك فيه لتتامل طوله وعرضه ثم انت معرض عنه
افكنت اهون عليك من بعض اخوانك يا عبدي يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل
عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم او شغلك شاغل عن
حديثه اومأت اليه ان كف وها انا ذا مقبل عليك ومحدث لك وانت معرض بقلبك عني
افجعلتني اهون عندك من بعض اخوانك

الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة الاول في حال القارئ

وهو ان يكون على الوضوء واقفا على هيئة الادب والسكون اما
قائما واما جالسا مستقبل القبلة مطرقا رأسه غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة
التكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي استاذه وافضل الاحوال ان يقرأ في الصلاة
قائما وان يكون في المسجد فذلك من افضل الاعمال فان قرأ على غير وضوء او كان مضطجعا

في الفراش فله ايضا فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى الذين يذكرون الله قعودا
وعلى جنوبهم فاثنى على الكل ولكن قدم القيام الى الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا وقال
علي كرم الله وجهه من قرا القرآن وهو قائم في الصلوة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرا
القرآن وهو قاعد في الصلوة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قراه وهو جالس في الصلوة فله
بكل حرف خمسون حسنة ومن قراه في غير صلوة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن
قراه على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو افضل لانه افرغ للقلب وقال
ابوذر الغفاري ان كثرة السجود بالنهار وان طول القيام بالليل الثالث في مقدار
القراءة وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار فمنهم من يختم في اليوم والليل
مرة وبعضهم مرتين وبعضهم الى ثلث ومنهم من يختم في الشهر مرة واولى ما يرجع اليه في التقديرات
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام من قرا القرآن في اقل من ثلث لم
يفقهه وذلك لان الزيادة على ذلك يمنع الترتيل فقد قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت
رجلا يهذ القرآن هذا ان هذا ما قرا القرآن ولا سكت وامر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله
بن عمر ان يختم القرآن في سبع وكذلك كان جماعة من الصحابة يختمون القرآن في كل جمعة
كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وابي بن كعب ففي الختم اربع درجات يوم وليلة
وقد كرهه جماعة والختم في كل شهر في كل يوم من ثلثين وكانه مبالغة في الاقتصار
كما ان الاول مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان احداهما في الاسبوع مرة والثانية
في الاسبوع مرتين تقريبا من الثلث والاحب ان يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل
ختمة النهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر او بعدهما ويختم ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي
المغرب او بعدهما ليستقبل بختمته اول النهار واول الليل فان الملائكة تصلي عليه ان كانت
ختمته ليلا حتى يصبح وان كان نهارا حتى يمسي فتشمل بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل
في مقدار القراءة انه ان كان من العابدين السالكين لطريق العمل فلا ينبغي ان ينقص عن
ختمتين في الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر او من المشتغلين
بنشر العلم فلا باس ان يقتصر في الاسبوع على مرة وان كان نافذ الفكر في معاني القرآن
فقد يكتفي في الشهر بمرة حاجته الى الترديد الثالث في وجه القسمة اما من ختم
في الاسبوع القرآن سبعة احزاب فقد حزب الصحابة احزابا
فروي ان عثمان رضي الله عنه كان يفتتح ليلة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت
بالانعام الى هود وليلة بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى
وفرعون وليلة الثلثا بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعا بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس
وابن مسعود رضي الله عنه كان يقسمه اقساما لا على هذا الترتيب وقيل احزاب القرآن

سبعة فالحزب الاول ثلث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع
تسع سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس ثلث عشرة سورة والسابع المفصل من
ق فهكذا حزبه الصحابة وكانوا يقرؤنه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهذا قبل ان تعمل الاخماس والاعشار والاجزاء فما سوى هذا محدث
في الكتابة يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا باس بالنقط والعلامات با
الحمرة وغيرها فانها تزيين وتبيين وصد عن اللحن والخطا لمن يقرؤه وقد كان الحسن
وابن ... ان الاخماس والعواشر والاجزاء وروي عن الشعبي وابراهيم كراهية
بالحمرة وا ... الاجر على ذلك وكانوا ... ن جردوا القرآن والظن بهم
انهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من ان يؤدي الى احداث ... ات حسما للباب و
شوقا الى حراسة القرآن عما يطرق ... تغييرا واذا لم يؤد الى محذور واستقر
الامر فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا باس به ولا يمنع من ذلك كونه محدثا فكم من
محدث حسن كما قيل في اقامة الجماعات في التراويح انها من محدثات عمر رضي الله عنه وانها بدعة
حسنة وانما البدعة المذمومة ما يضاد السنة القديمة او يكاد يفضي الى تغييرها
وبعضهم كان يقول اقرا في المصحف المنقوط ولا انقط بنفسي وقال الاوزاعي عن
يحيى بن ابي كثير كان القرآن مجردا في المصاحف فاول ما احدثوا فيه النقط على البا
والتا وقالوا لا باس به فانه نور له ثم احدثوا بعده نقطا كبارا عند منتهى الآي فقالوا لا
باس به يعرف به راس الآية ثم احدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح وقال ابو بكر الهذلي
سالت الحسن عن تنقيط المصاحف بالاحمر فقال وما تنقيطها قلت يعربون الكلمة بالعربية
قال اما اعراب القرآن فلا باس به وقال خالد الحذاء دخلت على ابن سيرين فرايته
يقرا في ... منقوط وقد كان يكره النقط وقيل ان الحجاج هو ... احدث
ذلك واحضر القراء حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسوى ... وقسمه الى
ثلثين جزءا والى اقسام اخر الخامس الترتيل هو المستحب في هيئة القراءة
لانا سنبين ان المقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه ولذلك نعتت ام سلمة رضي
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا وقال ابن عباس
لان اقرا البقرة وال عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرا القرآن كله هذرمة وقال
ايضا لان اقرا اذا زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الي من ان اقرا البقرة وال عمران تهذيرا
وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في الصلوة فكان قيامهما واحدا الا ان احدهما قرا البقرة
فقط وقرا الاخر القرآن كله فقال هما في الاجر سواء واعلم ان الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر
فان العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له ايضا في القراءة الترتيل والتؤدة لان ذلك

اقرب الى التوقير والاحترام واشد تاثيرا في القلب من الهذرمة والاستعجال السادس البكاء
مستحب مع القراءة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وقال
صلى الله عليه وسلم من لم يتغن بالقرآن وقال صالح المري قرات القرآن على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في المنام لي يا صالح هذه القراءة فاين البكا وقال ابن عباس اذا قراتم
ثم فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك
طريق تكليف البكا ان يحضر قلبه الحزن فمن الحزن وقال صلى الله عليه وسلم ان القرآن
نزل بحزن فاذا قراتموه فتحازنوا ووجه احضار الحزن ان يتامل ما فيه من التهديد والوعيد
والمواثيق والعهود ثم يتامل تقصيره في اوامره وزواجره فيحزن لذلك لا محالة
ويبكي فان لم يحضره حزن وبكى كما يحضر ارباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكا
فان ذلك اعظم المصائب السابع ان يراعي حق الآيات فاذا مر باية سجود سجد وكذلك
اذا سمع من غيره سجدة اذا سجد التالي ولا يسجد الا اذا كان على الطهارة وفي القرآن اربع
عشرة سجدة وفي الحج سجدتان وليس في ص سجدة واقل السجود ان يسجد بوضع جبهته
على الارض واكمله ان يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قراها مثل ان
يقرا قوله تعالى خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلني من
الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك او
تك واذا قرا قوله تعالى ويخرون للاذقان ويزيدهم خشوعا فليقل
اللهم اجعلني من ين اليك الخاشعين لك وكذلك في كل سجدة ويشترط في هذه
وط الصلوة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب
ن من الحدث والخبث ومن لم يكن على الطهارة عند السماع فاذا سجد وقد
قيل في كماله انه يكبر رافعا يديه للتحريم ثم يكبر للانحطاط ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زايدون
التشهد ولا اصل لهذا الا القياس على سجود الصلوة وهو بعيد فانه ورد الامر بالسجود
فليتبع فيه الامر وتكبيرة الهوي اقرب للبداية وما عدا ذلك ففيه بعد ثم الماموم
ينبغي ان يسجد عند سجود الامام ولا يسجد لتلاوة نفسه اذا كان ماموما الثامن
ان يقول في مبتدا قراءته اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك
من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون وليقرا قل اعوذ برب الناس و
سورة الحمد وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله تعالى وبلغ رسوله الكريم اللهم
انفعنا وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحي القيوم وفي اثناء القراءة
اذا مر باية تسبيح سبح وكبر وان مر باية دعاء واستغفار دعا واستغفر وان مر بمرجو
سال وان مر بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه فيقول سبحان الله

تعالى نعوذ بالله اللهم لا ترفعنا اللهم ارحمنا قال صليت رسول الله صلى
الله عليه وسلم القراءة سورة البقرة باية اب الا
استعاذ ولا باية رحمة الا سال ولا باية تنزيه الا سبح واذا فرغ قال ما كان صلى
الله عليه وسلم عند ختم القرآن اللهم ارزقني بالقرآن لى اماما ونورا وهدى
ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت و منه ما جهلت وارزقني تلاوته اناء
الليل واطراف النهار واجعله حجة لي يا رب العالمين . في الجهر بالقراءة
ولا شك في انه لا يجهر به الى حد يسمع نفسه لان القراءة عبارة عن تقطيع
الصوت بالحروف ولا بد من صوت واقله ما يسمع نفسه وان لم يسمع نفسه لم تصح
صلاته فاما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر ويدل
على استحباب الاسرار ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضل قراءة السر على
قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وفي لفظ آخر الجاهر بالقرآن
كالجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة وفي الخبر العام يفضل
تفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم
خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وفي الخبر لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة
بين المغرب والعشاء وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم بن عبد العزيز يجهر بالقراءة وكان الصوت
فقال الغلام اذهب الى هذا . انا يخفض من صوته فقال
المسجد ليس لنا وللرجل فيه . فرفع سعيد صوته وقال يا ايها المصلي
ان كنت تريد الله عز وجل فاخفض وان كنت عمر وخففه كعت
فلما سلم اخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ امير المدينة ويدل على استحباب الجهر ما
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع جماعة من اصحابه يجهرون في صلوة الليل
فصوب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته
فان الملائكة وعمار الدار يستمعون الى قراءته ويصلون بصلاته ومر صلى الله عليه
وسلم على ثلثة من اصحابه مختلفي الاحوال فمر على ابي بكر رضي الله عنه وهو يخافت فسأله
عن ذلك فقال ان الذي اناجيه هو يسمعني ومر على عمر وهو يجهر فسأله عن ذلك
فقال اوقظ الوسنان وازجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ اي من هذه السورة فسأله
عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال صلى الله عليه وسلم كلكم قد احسن واصاب
فالوجه في الجمع بين هذه الاحاديث ان الاسرار ابعد عن الرياء والتصنع فهو افضل في
حق من يخاف ذلك على نفسه فان لم يخف ولم يكن في ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر

فضل لان العمل فيه اكثر ولان فائدته تتعلق بغيره والخير المتعدي افضل من اللازم
ولان الجهر يوقظ قلب القاري ويجمع الفكر فيه ويصرف اليه سمعه ولانه يطرد
النوم برفع الصوت ولانه ط للقراءة ويقلل من كسله ولانه يرجو بجهره تيقظ
نائم فيكون هو سببا لحياته ولانه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق الى
الخدمة فمتى حضر شيء من هذه النيات فالجهر افضل وان اجتمعت هذه النيات تضاعف
الاجر وبكثرة النيات تزكوا اعمال الابرار وتتضاعف اجورهم فان كان في العمل الواحد عشر
نيات كان فيه عشر اجور ولهذا نقول قراءة القرآن في المصحف افضل اذ يزيد عمل البصر
وتامل المصحف وحمله فيزيد الاجر بسببه وقد قيل الختمة في المصحف بسبع لان النظر في المصحف
ايضا عبادة وقد خرق عثمن رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما وكان كثير من الصحابة
يقرؤن من المصحف ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف ودخل بعض فقهاء مصر
على الشافعي رضي الله عنه في السحر وبين يديه المصحف فقال شغلكم الفقه عن القرآن
اني لاصلي العتمة واضع المصحف بين يدي فما اطبقه حتى الصبح العاشر تحسين القراءة
وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم القرآن باصوا قال صلى الله عليه وسلم ما اذن الله
تعالى لشيء الصوت بالقرآن وقال صلى الله عليه وسلم ليس منا من
لم يتغن بالقرآن فقيل اراد به الاستغنا وقيل اراد به الترنم وترديد به وهو اقرب
عند اهل اللغة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظر عائشة رضي الله عنها
فابطت عليه فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حبسك فقالت يا رسول الله كنت استمع
قراءة رجل ما سمعت صوتا احسن منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع اليه طويلا ثم رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد لله الذي جعل في امتي مثله
واستمع ايضا ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلا
ثم قال من اراد ان يقرأ القرآن غضا كما انزل فليقرأه على قراءة ابن ام عبد وقال صلى الله عليه
وسلم لابن مسعود اقرأ فقال يا رسول الله اقرأ وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري
فكان يقرأ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع وعيناه تفيضان واستمع صلى الله عليه وسلم الى
قراءة ابي موسى فقال لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير داود فبلغ ذلك ابا موسى فقال يا رسول الله
لو علمت انك تسمع لحبرته تحبيرا ورأى الهيثم القاري النبي صلى الله عليه وسلم في
المنام قال فقال لي انت الهيثم الذي تزين القرآن بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيرا
وفي الخبر ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امروا احدهم ان
يقرأ سورة من القرآن وقد كان عمر رضي الله عنه يقول لابي موسى ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت

الصلوة ان يتوسط فقال يا امير المؤمنين الصلوة الصلوة فيقول او لست في صلوة اشارة الى قوله
تعالى ولذكر الله اكبر وقال صلى الله عليه وسلم من استمع الى اية من كتاب الله تعالى كانت له نورا
يوم القيمة وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم اجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان
شريكا في الاجر الا ان يكون قصده الريا والتصنع **الباب الثالث** في اعمال الباطن في التلاوة
وهي عشرة فهم اصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي
عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم التاثر ثم الترقي ثم التبري **الاول** فهم عظمة
الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام خلقه
فلينظر كيف لطف بخلقه في ايصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته الى افهام خلقه
وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز البشر
عن الوصول الى فهم صفات الله تعالى الا   صفات   ولولا استتار كنه جلالة كلامه
بكسوة الحروف   لسماع كلامه عرش ولا ثرى   ما بينهما من عظمة
وسبحات نوره ولولا تثبيت الله تعالى موسى صلى الله عليه وسلم   لما اطاق سماع كلامه كما لم
يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار   ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام الا بامثلة على حد
فهم الخلق ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال ان كل حرف من كلام الله تعالى في اللوح اعظم
من جبل قاف وان الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد ان يقلوه ما اطاقوه حتى ياتي اسرافيل
وهو ملك اللوح فيرفعه ويقله باذن الله تعالى ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله تعالى طوقه
ذلك واستعمله به ولقد تانق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في ايصال معاني الكلام
مع علو درجته الى فهم الانسان وتثبيته مع قصور رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه وذلك
انه دعا بعض الملوك الى شريعة الانبياء حكيم فسأله الملك عن امور فاجاب بما يحتمله فهمه فقال
له الملك ارايت ما ياتي به الانبياء اذا ادعيت انه ليس بكلام الناس وانه كلام الله فكيف يطيق الناس
حمله فقال الحكيم انا راينا الناس   لما ارادوا ان يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من
تقديمها وتاخيرها واقبالها وادبارها وراوا الدواب يقصر تمييزها   اوصلوا مقاصدهم
الى بواطن البهائم باصوات يضعونها لائقة بها من النقر والصفير والاصوات القريبة من
اصواتها التي   حملها فكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله سبحانه بكنهه وكمال
صفاته فصاروا بما تراجعوا بينهم من الاصوات التي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر
والصفير الذي سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوءة في تلك الصفات
من ان يشرف الكلام اي الاصوات لشرفها ويعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا
والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما ان اجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك اصوات الكلام
تشرف للحكمة التي فيها والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل

وهو القاضي

وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى يامر وينهى ولا طاقة للباطل ان يقوم بين يدي
كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم بين يدي شعاع الشمس ولا طاقة للبشر ان ينفذوا
غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من عين
الشمس ما تحيا به ابصارهم ويستدلون   حوائجهم فقط فالكلام كالملك المحجوب
الغائب وجهه الشاهد امره وكالشمس العزيزة الظاهر مكنونها   رها وكالنجوم الزا
هرة التي قد يهتدي بها من لا يقف على   فهو مفتاح الخزائن النفيسة وباب للمنازل
العالية ومرتقى الدرجات الشريفة وشراب الحيوة الذي من شرب منه لم يمت ودواء الاسقام
الذي من سقي منه لم يسقم فهذا الذي ذكره الحكيم   من تفهيم بعض الكلام بالزيادة
عليه لا يليق بعلم المعاملة فينبغي ان يقتصر عليه الثاني التعظيم للمتكلم فالقاري عند
البداية بتلاوة القرآن ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقرأه ليس من كلام البشر
وان في تلاوة كلام الله غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما ان جلد المصحف
وورقه يحرس عن بشرة اللامس الا اذا كان متطهرا فباطن معناه ايضا بحكم عزه وجلاله محجوب
عن باطن القلب الا اذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير وكما لا
يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ولمثل
هذا التعظيم كان عكرمة بن ابي جهل اذا نشر المصحف   ويقول هو كلام ربي هو كلام
ربي فتعظيم الكلام بتعظيم المتكلم   عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته و
له وافعاله فاذا خطر بباله العر   الكرسي والسموات والارض وما بينهما
من الجن والانس   الاشجار وعلم ان الخالق لجميعها والقادر عليها و
احدا وان الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته
ان انعم فبفضله وان عاقب فبعدله وانه الذي يقول هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في
لا ابالي وهذا غاية العظمة والتعالي فبالتفكر في امثال هذا يحضر تعظيم المتكلم
ثم تعظيم الكلام الثالث حضور القلب وترك حديث النفس قيل في تفسير قوله
تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي بجد واجتهاد واخذه بالجد ان يكون متجردا له عند قراءته
منصرف الهم اليه عن غيره وقيل لبعضهم اذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء فقال او شيء
احب الي من القرآن احدث به نفسي كان بعض السلف اذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها اعادها
ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به
ويستانس به ولا يغفل عنه ففي القرآن ما يستانس به القلب ان كان التالي اهلا له
الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج في المتنزهات
لا يتفكر في غيرها فقد قيل ان في القرآن ميادين وبساتين ومقا

القراءة بسا والراآت ميادين القرآن فالميمات وخانات رياضا بح د وعرائس

والحاملات مقاصيره والمسبحات عرائس القرآن والحاميمات ديباج القرآن والمفصل رياضه

والخانات ما سوى ذلك فاذا دخل القارئ في الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير

وشهد العرائس ولبس الديباج وتنزه في الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله

عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره **الرابع** التدبر وهو وراء حضور القلب فانه

قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود

من القراءة التدبر ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن

قال علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا بترديد فليردد

الا ان يكون خلف امام فانه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الامام باية اخرى كان مسيئا مثل من

يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه وكذلك اذا كان في تسبيح

الركوع في آية قراها فهو وسواس فقد روي عن عامر بن عبد قيس انه قال

يعتريني في الصلوة نقيل لهن امر الدنيا ان يختلف الاسنة في صدري

ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي واني كيف انصرف لك وسواسا

وهو كذلك فانه يشغله عن ما هو فيه انه لا يقدر على مثله الا بان يشغله

بمهم ديني ولكن لمنعه به عن لما ذكر ذلك الحسن فقال ان كنتم صادقين عنه

فما اصطنع الله ذلك عندنا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم

فرددها عشرين مرة وانما رددها ليتدبر صلى الله عليه وسلم في معانيها وعن ابي ذر قال قام

رسول الله صلى الله عليه وسلم في معانيها وعن ابي ذر قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم

فينا ليلة فقام باية يرددها وهي ان تعذبهم فانهم عبادك الآية وقام تميم الداري ليلة

بهذه الآية ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات

الآية وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقال

بعضهم اني لافتتح السورة فيوقفني بعض ما اشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع

الصبح وكان بعضهم يقول كل آية لا افهمها ولا يكون قلبي فيها لا اعد لها ثوابا وحكي

عن ابي سليمان الداراني انه قال اني لاتلو الآية فاقيم فيها اربع ليال او خمس ليال ولولا اني اقطع الفكر

فيها ما المعنى وعن بعض السلف انه بقي في سورة هود ست اشهر يكررها

ولا يفرغ من التدبر فيها وقال العارفين لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة

وفي كل ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات

تدبره وتفتيشه وكان هذا يقول اقمت نفسي مقام الاجراء فانا اعمل مياومة ومشاهرة

ومسانهة **الخامس** التفهم وهو ان يستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القرآن

يشتمل على ذكر

149

يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر احوال انبيائه وذكر احوال المكذبين لهم وذكر افعاله
وانهم كيف هلكوا وذكر اوامره ونواهيه وذكر الجنة والنار اما صفات الله تعالى فكقوله تعالى ليس
كمثله شيء وهو السميع البصير وكقوله الملك القدوس السلام المهيمن العزيز الجبار المتكبر فليتا
مل هذه الاسماء والصفات لينكشف له اسرارها فتحتها معاني مدفونة لا تنكشف الا للمو
فقين واليه اشار علي رضي الله عنه بقوله ما اسر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كتمه
عن الناس الا ان يؤتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم وقال ابن مسعود
من اراد علم الاولين والآخرين فليتدبر القرآن واعظم علوم القرآن تحت اسماء الله وصفاته اذ
لم يدرك اكثر الخلق منها الا امورا   لم يعثروا على اغوارها واما افعاله فكذكره
خلق السموات والارض وغيرها   الذي منها صفات الله سبحانه وتعالى وجلاله اذ
الفعل يدل على الفاعل فتدل   عظمته فينبغي ان يشهد في الفعل الفاعل
دون الفعل فمن عرف الحق   كل شيء اذ كل شيء فهو منه واليه وبه وله فهو الكل
ومن لا يراه في كل ما يراه فكانه ما عرفه ومن عرفه سبحانه   كل شيء
ما خلا الله باطل وان كل شيء هالك الا وجهه لا انه سيبطل في ثاني الحال بل هو الآن باطل اذا اعتبر ذاته
من حيث هو الا ان يعتبر   من انه موجود بالله تعالى وبقدرته فيكون له بطريق التبعية
ثبات وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدا من مبادي علم المكاشفة ولهذا ينبغي
اذا قرا التالي قوله تعالى افرايتم ما تحرثون افرايتم الماء الذي تشربون افرايتم النار التي
تورون افرايتم ما تمنون فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمني بل يتامل في المني وهو
نطفة متشابهة الاجزاء ثم ينظر في كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعروق والعصب
وكيفية تشكل اعضائها بالاشكال المختلفة من الراس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها
ثم الى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيره ثم الى ما ظهر فيه من
الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكفر والجهل   والمجادلة كما قال
تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين فيتامل هذه العجائب
ليترقى منها الى عجب العجائب وهي الصفة التي صدرت منها هذه   فلا يزال ينظر الى
الصنعة فيرى الصانع واما احوال الانبياء   الذي عليهم جميعهم فاذا سمع منها
انهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم من ذلك صفة استغناء الله تعالى عن الرسل
والمرسل اليهم وانه لو اهلك جميعهم لم يؤثر ذلك في ملكه وانه اذا سمع نصرتهم
آخر الامر فليفهم قدرة الله تعالى وارادته لنصرة الحق واما احوال المكذبين كعاد وثمود وما
جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوة الله تعالى ونقمته وليكن
حظه من ذلك الاعتبار في نفسه وانه ان غفل واساء الادب واغتر بما امهل فربما تدركه النقمة

وتنفذ فيه القصير وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وساير ما في القرآن فلا يمكن استقصا
ما يفهم من ذلك لان لا نهاية له وانما لكل عبد منه بقدر رزقه ولا رطب ولا يابس الا في كتاب
مبين قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا
بمثله مددا ولذلك قال علي رضي الله عنه لو شيت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة
الكتاب فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق . فاما الاستقصا فلا مطمع
فيه ومن لم يكن له فهم ولو في ادنى الدرجات قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك
حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم . آنفا وقال تعالى اوليك
الذين طبع الله على قلوبهم والطابع التي سنذكرها من الفهم وقد قيل لا يكون
مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد
التخلي عن موانع فان اكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لاسباب
وحجب الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجايب اسرار القرآن قال صلى الله عليه وسلم
لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات ومعاني القرآن
من جملة الملكوت وكلما غاب عن الحس ولم يدرك الا بنور البصيرة فهو من الملكوت وحجب
الفهم اربعة اولها ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا
يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن معاني كلام الله تعالى فلا يزال يحملهم على
ترديد الحروف ويخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تامله مقصورا على مخارج
الحروف فانى تنكشف له المعاني واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس
ثانيها ان يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد في نفسه التعصب له بمجرد
الاتباع للمسموع من الوصول اليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن ان يجاوزه
فلا يمكنه ان يخطر بباله غير معتقده . نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق
على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة
. يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى ان ذلك غرور من
الشيطان فيتباعد عنه ويحترز عن مثله ولمثل هذا قالت الصوفية ان العلم حجاب وارادوا
بالعلم العقايد التي استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها
المتعصبون للمذاهب والقوها اليهم فاما العلم الحقيقي الذي هو الكشف والمشاهدة بنور
البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا كمن
يعتقد من الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له مثلا في القدوس انه المقدس
عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من ان يستقر ذلك في نفسه ولو استقر في نفسه لانجر
الى كشف ثان وثالث ولتواصل ولكن يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد

يكون

يكون حقا ويكون ايضا ما تخامنا الفهم والكثر لان الحق الذي ظن الحاق اعتقاده له مراتب
درجات وله مبدا ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع الوصول الى الغور الباطن
كما ذكرناه في   العلم الظاهر والباطن في قواعد   ب العقائد ثالثها ان يكون
مصرا على ذنب او متصفا بكبر او مبتلى على   بهوى في الدنيا   فان ذلك
سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على   يمنع جلية الحق من ان يتجلى فيه وهو
اعظم حجاب للقلب وبه حجب الاكثرون وكلما كانت الشهوات اشد تراكما كانت معاني
اشد احتجابا وكلما خف عن القلب اثقال الدنيا قرب تجلي المعنى فيه فالقلب مثل المرآة والشهوات
مثل الصدا ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة والرياضة للقلب باماطة الشهوات
مثل تصقيل الجلاء للمرآة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدينار والدرهم
نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركة الوحي قال الفضيل يعني حرموا
فهم القرآن وقد شرط الله الانابة في الفهم والتذكر فقال تعالى تبصرة وذكرى لكل عبد
منيب وقال تعالى انما يتذكر اولوا الالباب وقال عز وجل وما يتذكر الا من ينيب فالذي آثر
غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الالباب ولذلك لا تنكشف له اسرار الكتاب رابعها
ان يكون قد قرا   ظاهرا واعتقد انه لا معنى لكلمات   ان الا ما تناوله النقل
عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وان   ذلك تفسير بالرأي وان من فسر القرآن برأيه
فقد تبوأ مقعده   النار فهذا ايضا من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالرأي
في الباب الرابع وان ذلك لا يناقض قول علي رضي الله عنه الا ان يؤتي الله عبدا فهما في
القرآن وانه لو كان المعنى هو الظا   لما اختلف الناس فيه السابع التخصيص
وذلك ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في القرآن فان سمع امرا او نهيا قدر انه المنهي والمأمور
وان سمع وعدا او وعيدا فكمثل ذلك وان سمع قصص الاولين والانبياء علم ان السمر غير
مقصود وانما المقصود الاعتبار به فليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج اليه فما من
قصة في القرآن الا وسياقها لفائدة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وامته ولذلك قال
الله تعالى ما نثبت به فؤادك فليقدر العبد ان الله يثبت فؤاده بما يقصه عليه من احوال الانبياء
وصبرهم على الاذى وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله وكيف لا
يقدر هذا والقرآن ما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة بل هو شفا
وهدى ونور للعالمين ولذلك امر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال عز وجل واذكروا
نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة وقال عز وجل وانزلنا اليك الذكر
لتبين للناس ما نزل اليهم لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقال عز وجل   انزل
اليكم من ربكم وقال تعالى هذا بصائر للناس   ورحمة لقوم يوقنون وقال تعالى هذا

ويضرب الله للناس امثالهم

بيان للناس وهدى ورحمة للمتقين واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد
فهذا الواحد القارئ مقصود فما له ولسائر الناس فليقدر انه المقصود قال تعالى واوحي
الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكانما كلمه الله
عز وجل فاذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرؤه كما يقرا العبد كتاب مولاه الذي
كتبه ليتامله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض العلماء هذا القرآن رسائل اتتنا من قبل ربنا
عز وجل بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات
بالسنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القرآن في قلوبكم يا اهل القرآن
ان القرآن ربيع المؤمن كما ان الغيث ربيع الارض وقال قتاده لم يجالس هذا القر
الا قام بزيادة او نقصان قال الله تعالى هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين
الا خسارا الثامن   وذلك انه يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف
فيكون له بحسب كل فهم حال و   به قلبه من الحزن والخوف و   وغيره
ومهما تمت   الخشية اغلب الاحوال على   فان التضييق غالب على آيات
فلا ترى ذكر [illegible]   مغفرة الا مقرونا بشروط يقصر العارف
كقوله عز وجل واني لغفار ثم اتبع ذلك باربع شي   تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى
وقوله عز وجل والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر ذكر اربعة شروط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال ان رحمة الله قريب من
المحسنين فالاحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القرآن من اوله الى آخره ومن فهم ذلك فجدير
بان يكون حالته الخشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ما اصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به الا كثر
حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته وقال
وهيب بن الورد نظرنا في هذه الاحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا ارق للقلوب ولا اشد
استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره فتأثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة
الآية   الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كانه يموت
وعند التوسيع ووعد المغفرة يستبشر كانه يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله تعالى
واسمائه يتطاطا خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله كذكرهم
لله ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح   لهم وعند وصف
الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها ولما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرا علي قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا رايت عينيه تذرفان بالدمع
فقال لي حسبك الآن وهذا لان مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية ولقد كان من الخائفين

من خر مغشيا

من مغشيا عليه عند سماع آيات الوعيد ومنهم من مات في سماع الآيات فيتمثل هذه الاحوا
يخرج عن ان يكون حاكيا في كلامه فاذا قال اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فاذا لم
يكن خائفا كان حاكيا واذا قال ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ولم يكن حاله
التوكل والانابة كان حاكيا واذا قرا ولنصبرن على ما اذا   فليكن حاله الصبر او العزيمة
عليه حتى يجد حلاوة   فاذا لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد   هذه
الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح   نفسه في قوله تعالى الا
لعنة الله على الظالمين وفي قوله   الله ان تقولون ما لا تعلمون وفي قوله
عز وجل فهم في غفلة   وفي قوله فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا
الحياة   وفي قوله عز وجل ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون الى   من
الآيات وكان ذلك داخلا في معنى قوله عز وجل ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني يعني
الا التلاوة المجردة وفي قوله تعالى وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها
معرضون لان القرآن هو المبين لتلك الآيات في السموات والارض ومهما تجاوزها ولم يتأثر
بها كان معرضا عنها ولذلك قيل ان من لم يكن متصفا باخلاق القرآن فاذا قرا القرآن ناداه
الله عز وجل ما لك ولكلامي وانت معرض عني دع عنك كلامي ان لم تتب اليّ ومثال العاصي اذا قرا
القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب اليه في عمارة مملكته وهو
مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة مع المخالفة لكان
ابعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت ولذلك قال يوسف بن اسباط اني لاهم بقراءة القرآن
فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فاعدل الى   الاستغفار والمعرض عن العمل به اريد
بقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم
فاذا اختلفتم فلستم تقرؤونه وقال تعالى   اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت
عليهم آياته زادتهم ايمانا وقال صلى الله عليه وسلم ان احسن الناس صوتا بالقرآن الذي اذا
سمعته يقرا رايت انه يخشى الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم لا يسمع القرآن من احد
اشهى منه ممن يخشى الله عز وجل فالقرآن يراد لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب والعمل
به والا فالمؤنة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة ولذلك قال بعض القراء قرات القرآن على
شيخ لي ثم رجعت لاقرا ثانيا فانتهرني وقال جعلت القراءة علي عملا اذهب فاقرا على الله فا
نظر بما ذا يامرك وماذا ينهاك ولهذا كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في الاحوال والاعمال
فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين الفا من الصحابة لم يحفظ   منهم
الا ستة اختلف منهم في اثنين وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي

يحفظ البقرة والانعام من علمائهم ولما جاء واحد ليتعلم القرآن   انتهى الى قوله تعالى فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال يكفيني هذا وانصرف فقال النبي
صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه وانما العزيز مثل تلك الحالة التي يمن الله بها على
القلب عقيب فهم الآية فاما مجرد   اللسان فقليل الجدوى بل التالي المعرض عن العمل
جدير بان يكون هو المراد بقوله عز وجل ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره
يوم القيامة اعمى وبقوله تعالى كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي تركتها ولم
تنظر اليها ولم تعبا بها فان المقصر في الامر يقال له انه نسي الامر وتلاوة القرآن حق تلاوته
ان يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ
العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار فاللسان يعظ
والعقل مترجم والقلب متعظ   الدرجة واعني به ان يترقى الى ان يسمع
الكلام من الله عز وجل لا من نفسه فدرجات القراءة ثلثة ادناها   لعبد كانه يقرأ
على الله تبارك وتعالى واقفا بين يديه وهو ناظر   ومستمع منه فيكون حاله عند
هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع وا   ان يشهد بقلبه كان عز وجل
يخاطبه بالطافه   بانعامه واحسانه فمقامه عند هذا الحياء والتعظيم
ن الفهم ثالثها ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات   فلا ينظر الى
نفسه ولا الى قراءته ولا الى تعلق الا   من حيث انه منعم عليه بل يكون مقصور الهم
على المتكلم   الفكر عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجات المقربين
وما قبله درجات اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهي درجات الغافلين وعن الدرجة العليا
اخبر جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه فقال والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه في كلامه ولكنهم
لا يبصرون وقال ايضا وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه
قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي
لمعاينة قدرته ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال
بعض الحكماء كنت اقرأ القرآن فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم   على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كاني اسمعه
من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانا الآن
اسمعه من المتكلم به عز وجل فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه وقال   وحذيفه
لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وا   ذلك لانها بالطهارة تترقى الى مشاهدة
المتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة   به عشرين
سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلا لقوله تعالى ففروا الى الله ولقوله

عز وجل

عز وجل ولا تجعلوا مع الله الها آخر فمن لم يرى في كل شيء فقد راى غيره وكل ما التفت اليه
العبد تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص ان لا يرى في كل شيء الا الله
سبحانه وتعالى العاشر التبري واعني به ان يتبرا من حوله وقوته والالتفات الى نفسه بعين
الرضى والتزكية فاذا تلى آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد
نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوق ان يلحقه الله بهم واذا تلى
آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا
ولذلك كان عنه يقول اللهم اني استغفرك لظلمي وكفري فقيل له هذا
الظلم فما بال الكفر فتلا قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار وقيل ليوسف بن اسباط اذا
قرات القران بما تدعو فقال بماذا ادعوا استغفر الله عن تقصيري سبعين فاذا
راى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من اشهد البعد
في القرب له بالخوف حتى درجة اخرى في القرب وراها ومن
اشهد القرب في بالامن الذي يقتضي الدرجة اخرى في البعد اسفل مما
ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضى صار محجوبا بنفسه واذا ٧١
لتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله في قراءته انكشف له الملكوت قال ابو سليمان الداراني
وعد ابن ثوبان اخا له ان يفطر عنده فابطا عليه حتى طلع الفجر فلقيه اخوه من الغد فقال له
وعدتني انك تفطر عندي فاخلفت فقال لولا ميعادك ما اخبرتك بالذي حبسني عنك
اني لما صليت العتمة قلت اوتر قبل ان اجيئك لاني ما آمن ما يحدث من الموت فلما كنت
كنت في الدعاء من الوتر رفعت لي روضة خضراء فيها انواع الزهر من الجنة فما زلت
انظر اليها حتى اصبحت وهذه المكاشفات لا تكون الا بعد التبري عن النفس وعدم الا
لتفات اليها والى هواها ثم تخصيص هذه المكاشفات بحسب احوال المكاشف فحيث
يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كانه
يراها عيانا وان غلب عليه كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله
يشتمل على السهل اللطيف والشديد فبالمرجو المخوف وذلك بحسب اوصافه
اذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات
يتقلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بما يناسب
تلك الحالة ويقاربها اذ يستحيل ان يكون حال واحدا والمسموع مختلفا اذ
فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان
متعطف لا يهمل الباب الرابع في فهم القران وتفسيره بالراي من غير نقل لعلك
تقول عظمت الامر فيما سبق في فهم اسرار القرآن وما ينكشف لارباب القلوب الزكية

من معانيها فكيف يستجيب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برايه فليتبوأ مقعده
من النار وعن هذا شنع اهل العلم بظاهر التفسير على اهل التصوف من المنسوبين الى التصوف
في تاويل كلمات القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا الى انه كفر فان
صح ما قاله اهل التفسير فما معنى فهم القرآن تفسيره وان لم يصح ذلك
فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برايه فليتبوأ مقعده من النار فاعلم ان من
زعم ان لا معنى للقرآن الا جمة ظاهر التفسير فهو حد نفسه وهو مصيب
عن نفسه ولكنه مخطئ في الح الخلق كافة التي هي حده ومحطه
بل الاخبار و تدل على ان القرآن متسعا لارباب الفهم قال علي رضي الله
عنه الا ان الله عبدا فهما في القرآن فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك
وقال صلى الله عليه وسلم ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا ويروى ايضا عن ابن مسعود
موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع وقال علي رضي
الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فما معنى ذلك وتفسير
ظاهرها في غاية الاختصار وقال ابو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقد
قال بعض العلماء لكل آية ستون الف فهم وما بقي من فهمها اكثر وقال آخرون القرآن يحوي سبعة
الف علم ومائتي علم اذ لكل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك اربعا اذ لكل واحد ظاهر وباطن وحد
ومطلع وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين
مرة لا يكون الا لتدبره باطن معانيه والا فترجمته وتفسيره ظاهر لا يحتاج مثله صلى الله
عليه وسلم الى تكريره وقال ابن مسعود رضي الله عنه من اراد علم الاولين والآخرين فليتدبر
القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في افعال
الله وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وافعاله وصفاته وهذه العلوم لا ية لها
وفي القرآن اشارة الى مجامعها والمقامات في التعمق في ه راجع الى فهم
القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى ذلك بل كلما اشكل على النظار واختلف فيه الخلائق
في النظريات والمعقولات ففي القرآن رموز اليه ودلالات تختص اهل الفهم بدركه
فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن
والتمسوا غرائبه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث علي رضي الله عنه والذي بعثني بالحق
لتفترقن امتي على اصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يد
عون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله فان فيه نبأ ما كان قبلكم ونبأ ما ياتي
بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله
وهو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه

لا يعوج ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق كثرة الرد الحديث وفي حديث
لما اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت
يا رسول الله فما تامرني ان ادركت ذلك   تعلم كتاب الله واعمل بما
المخرج من ذلك قال فاعدت   ذلك   فقال ثلثا تعلم كتب الله واعمل
بما فيه ففيه النجاة وقال على رضي الله عنه من   فهم جمل العلم اشار به الى ان
القرآن يشير الى مجامع العلوم كلها وقال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ومن يؤتى
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا يعني الفهم في القرآن وقال تعالى ففهمناها سليمان
وكلا اتينا حكما وعلما فسمى ما اتاهما علما وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم
الفهم وجعله مقدما على العلم والحكمة فهذه الامور تدل على ان في فهم معاني القرآن
مجالا رحبا ومتسعا بالغا وان المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه فاما قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برأيه ونهيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقول
ابي بكر رضي الله عنه اي ارض تقلني واي سماء تظلني اذا قلت في القرآن برأيي الى غير ذلك
مما ورد في الآثار والاخبار من النهي عن تفسير القرآن بالرأي فلا يخلو اما ان يكون
المراد به   اخرا باطل قطعا ان يكون المراد به ا   حد في القرآن
الا ما سمعه لوجوه احدها انه يشترط   ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومسندا اليه   مما لا يصادف الا في بعض القرآن فاما ما يقوله ابن عباس
ابن مسعود من انفسهم فينبغي ان لا يقبل ويقال هو   لانكم لم
تسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك   من الصحابة والثاني
ان الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها اقاويل مختلفة لا
يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد
مسموعا منه صلى الله عليه لترك الباقي فتبين على القطع ان كل مفسر قال في المعنى بما
ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف التي في اوائل السور سبعة اقاويل مختلفة فقيل الر
هي حروف من حروف الرحمن وقيل ان الالف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل
غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعا والثالث انه رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فان كان
التاويل   مسموعا ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك والرابع ان الله
عز وجل قال لعلمه الذين يستنبطونه منهم اثبت لاهل العلم استنباطا ومعلوم ان
الاستنباط وراء السماع وجملة   من الآثار في فهم القرآن   عن
الخيال فبطل ان يشترط السماع بالتاويل وجاز لكل واحد   ان يستنبط من القرآن بقدر

موهمه وصدقه واما النهي فا   على احد وجهين احدهما ان يكون له في الشيء راي واليه ميل
من طبعه وهواه فيتاول القرآن على وفق رايه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك
الراي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذي يحتج
ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم انه ليس المراد بالاية ذلك وهو يلبس بذلك
على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن اذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي
يوافق غرضه ويترجح ذلك الجانب برايه وهواه فيكون قد فسر القرآن برايه اي رايه
الذي حمله على ذلك التفسير ولولا رايه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد
يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعو
الى الاستغفار بالاسحار فيستدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم تسحروا فا   بركة
ويزعم ان المراد به التسحر بالذكر وهو   ان المراد به الاكل وكالذي يدعو الى   القلب
القاسي فيقول قال الله تبارك وتعالى اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى قلبه ويومي الى
انه المراد بفرعون   ... في المقاصد الصحيحة
للكلام في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم الى   الباطل فينزلون
القرآن على وفق رايهم ومذهبهم على امور يعلمون قطعا انها غير مرادة به فهذه الفنون احد
وجهي المنع من التفسير بالراي ويكون المراد بالراي الراي الفاسد الموافق للهوى دون
الاجتهاد الصحيح والراي يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى وقد يخصص
باسم الراي والوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار
بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الالفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه
من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى
استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالراي فا
لنقل والسماع لا بد منه في   التفسير اولا ليتقي به مواقع الغلط ثم
بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم الا بالسماع كثيرة
ونحن نرمز الى جمل منها ليستدل بها   امثالها ويعلم انه لا يجوز التهاون بحفظ
التفسير الظاهر اولا ولا مطمع في الوصول الى الباطن   احكام الظاهر ومن ادعى
فهم اسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعي بلوغ الى صدر البيت
قبل مجاوزة الباب او يدعي فهم مقا   الاتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك
فان ظاهر التفسير يجري مجرى تعلم اللغة التي لا بد منها للفهم ولا بد فيها من
استماع فنون كثيرة منها الايجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى وآتينا ثمود الناقة
مبصرة فظلموا بها معناه آية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية

بظن

يظن ان المراد به ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولا يدري انهم بماذا ظلموا فانهم ظلموا غيرهم
او انفسهم وقوله واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل فحذف الحب وقوله تعالى اذاً لا
ذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي ضعف عذاب الاحياء وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب
واسند الاحياء والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز في فصيح اللغة وقوله تعالى واسأل القرية
التي كنا فيها والعير التي   القرية واهل العير فالاهل فيها محذوف
قوله تعالى ثقلت في السموات والارض فاسد الله   بر واقيم في مقام على
محذوف وقوله تعالى   رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم وقوله تعالى
عن نا على   اي على السنة رسلك فحذف الالسنة   تعالى انا انزلناه في
ليلة القدر اراد القرآن وما سبق له ذكر قوله تعالى حتى توارت بالحجاب اراد الشمس وما سبق
ذكره فقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر اراد القرآن وما سبق له ذكر وقوله تعالى والذين اتخذوا
من دونه اولياء ما نعبدهم اي يقولون ما نعبدهم وقوله تعالى فما لهؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك معناه لا
يفقهون حديثا يقولون ما اصابك فانه لم يرد هذا كان مناقضا لقوله قل كل من عند الله
ويسبق الى الفهم منه مذهب القدرية ومنها المنقول المنقلب كقوله تعالى وطور سينين
اي طور سيناء وقوله سلام على آل ياسين اي على الياسين وقيل ادريس لان في حرف ابن
مسعود سلام على ادراسين ومنها المكرر   الكلام في الظاهر كقوله
كقوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن معناه وما يتبع
الذين يدعون من دون الله شركاء الا الظن وقوله عز وجل قال الملأ الذين استكبروا من
قومه للذين استضعفوا معناه قال الذين لمن آمن من الذين استضعفوا ومنها المقدم
والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل
مسمى معناه ولولا كلمة واجل مسمى لكان لزاما   لكان نصبا كالالزام وقوله ويسألونك
كانك حفي عنها اي يسألونك عنها كانك حفي وقوله تعالى لهم مغفرة ورزق كريم كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق فهذا الكلام غير متصل وانما هو عائد الى قوله السابق قل الانفال لله
والرسول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق اي فصارت انفالك لا نعام لك اذا فاعترض بخروجك
وهم كارهون فاعترض بين الكلام الامر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله تعالى حتى يؤمنوا
بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان مثل كلمة وحروف
اما الكلمة فكالشيء والقرين والامة والروح ونظائرها قال الله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا
يقدر على شيء اي الدعاء النفقة مما رزق وقال الله تعالى وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر
على شيء اي الامر بالعدل   قال تعالى فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك

منه ذكرا اراد به من صفات الربوبية وهي العلوم التي لا تحل السوال عنها حتى يهتدي بها العارف
فاوان الاستحقاق وقال تعالى ام خلقوا من غير شيء اي من غير   بما توهم
به انه يدل على انه لا خلق شيئا الا من شيء واما العرض فقوله تعالى وقال قرينه هذا ما لدي عتيد
اراد به الملك الموكل به واما الامة فيطلق على ثمانية اوجه الامة الجماعة كقوله تعالى وجد عليه
امة محمد صلى الله عليه وسلم والامة الرجل الجامع للخير المقتدى به كقوله عز وجل ان ابراهيم
كان امة قانتا لله والامة الدين كقوله عز وجل انا وجدنا اباءنا على امة والامة الحين والزمان
تعالى الى امة معدودة وقوله وادكر بعد امة والامة القامة يقال فلان حسن الامة
اي القامة وامة رجل منفرد بدينه لا يشركه فيه احد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث زيد
بن عمرو بن نفيل امة وحده والامة الام يقال هذه امة زيد اي ام زيد واما الروح فقد ورد ايضا
في القرآن لمعان كثيرة فلا نطول في ايرادها وكذلك قد يقع الابهام في الحروف مثل
فوسطن به نقعا فوسطن به جمعا فالهاء الاولى كناية عن الحوافر وهي انها   اثرن بالحوافر
نقعا والثانية كناية عن الاغارة وهي المغيرات صبحا فوسطن به جمعا جمع المشركين فاغاروا
بجمعهم وقوله عز وجل فانزلنا به الماء الهاء يعني السحاب فاخرجنا به من كل الثمرات يعني
امثال هذا في القرآن لا ينحصر   التدريج في البيان وقوله تعالى شهر رمضان الذي
انزل فيه القرآن اذ لم يظهر به انه   نهار او ليل وقوله عز وجل انا انزلناه في ليلة مباركة
ولم يظهر   اي ليلة فظهر بقوله عز وجل انا انزلناه في ليلة القدر وربما يظن في
الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات فهذا وامثاله لا يغني فيه الا النقل والسماع والقرآن من اوله
الى آخره غير خال عن هذا الجنس لانه انزل بلغة العرب فكان مشتملا على اصناف كلامهم من ايجاز و
تطويل واضمار وحذف وابدال وتقديم وتاخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا في حقهم
فكل من اكتفى بظاهر العربية وبادر الى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماع والنقل في هذه الامور
فهو داخل فيمن فسر القرآن برايه مثل ان يفهم من لفظ الامة المعنى الاشهر منه فيميل طبعه
ورايه اليه فاذا سمعه في موضع آخر مال برايه الى ما سمعه منه من مشهور معناه وترك تتبع
النقل في كثرة معانيه فهذا ما يمكن ان يكون منهيا عنه دون التفهم لاسرار المعاني كما سبق
فاذا حصل السماع بامثال هذه الامور   التفسير وهو ترجمة الالفاظ لا يكفي ذلك في فهم
حقائق المعاني ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو ان الله تعالى
قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فانه
اثبات للرمي   ونفي وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه
ومن الوجه الذي لم يرم رماه الله تعالى وكذلك قال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاذا كانوا
هم المقاتلين كيف يكون الله هو المعذب وان كان الله تعالى هو المعذب بتحريك ايديهم فما معنى

امرهم

امرهم بالقتال وتحقيق هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغني عنه ظاهر التفسير هو
لم يعلم وجه ارتباط الافعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة الحادثة بقدرة
الله حتى ينكشف بعد ايضاح امور كثيرة غامضة صدق قول الله تعالى وما رميت اذ
رميت ولكن الله رمى ولعل العمر لو انفق في استكشاف اسرار هذه المعاني وما يرتبط
بمقدماته ولواحقه لانقطع العمر قبل استيفا جميع لواحقه   من القرآن
الا وتحقيقها يحوج الى مثل ذلك وانما ينكشف   في العلم من اسراره بقدر غزارة
علومهم وصفا قلوبهم وتوفر دواعيهم على   بر وتجردهم للطلب ويكون لكل
واحد حد في الترقي الى   فاما الاستيفا فلا مطمع   ولو كان البحر مدادا
ت الله والاشجار اقلاما فاسرار كلمات الله   ي لها فتنفد   قبل
ان تنفد كلمات الله فمن هذا الوجه يتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة
ظاهر التفسير وظاهر   لا يغني عنه ومثاله فهم بعض ارباب القلوب من قوله
صلى الله عليه وسلم في سجوده اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك
واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك انه صلى الله عليه وسلم قيل له
واسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر الى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض
فان الرضا والسخط وصفات ثم زاد قربه فاندرج القرب الاول فيه فرقى الى الذات وقال اعوذ
بك منك ثم زاد قربه بما استحيى به عن الاستعاذة على بساط القرب فالتجا الى الثنا فاثنى
بقوله صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك ثم علم ان ذلك قصور فقال انت كما اثنيت على
نفسك فهذه خواطر   بالقلوب ثم لها اغوار وراء هذا وهو فهم   القرب
واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به واسرار ذلك كثيرة ولا
يدل تفسير ظاهر اللفظ عليها وليس هو مناقضا لظاهر التفسير   واستكمال به
ووصول الى لبابه عن ظاهره فهذا ما نريده   لمعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله اعلم
بالصواب آداب التلاوة والحمد لله رب العالمين وصلى الله عليه وسلم وخاتم النبيين وعلى اله   واصحبه اجمعين

كتاب الاذكار والدعوات وهو الكتاب التاسع من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الشاملة رافته العامة رحمته الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تعالى
اذكروني اذكركم ورغبهم في السؤال والدعا بامره فقال ادعوني استجب لكم فاطمع المطيع
والعاصي والداني والقاصي في الانبساط الى حضرة جلاله برفع الحاجات والاماني بقوله فاني
قريب اجيب دعوة الداع اذا دعاني والصلوة على محمد سيد انبيائه وعلى اله واصحابه خيرة
اصفيائه وسلم كثيرا اما   بعد تلاوة كتاب الله تعالى عبادة تؤدى باللسان

افضل من ذكر الله عز وجل يرفع للحاجات بالادعية الخاصة الى الله تعالى فلابد من شرح
فضيلة على الجملة على التفصيل في اعيان الاذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه
وادبه وننقل الماثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة
لسؤال المغفرة والا ذة او غيرها ويتحرر المقصود من ذلك بذكر ابواب الباب
الاول في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا الباب الثاني في فضيلة الدعاء وادابه
وفضيلة الاستغفار والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم الباب الثالث في ادعية
ماثورة معزية الى اصحابها واسبابها الباب الرابع في ادعية مستحبة الاسناد من الادعية
منتخبة محذوفة الاسانيد الباب الخامس في ادعية ماثورة عند حدوث الحوادث
الباب الاول في فضيلة الذكر على الجملة والتفصيل من الاخبار والاثار ويدل على
فضيلة الذكر على الجملة قوله تعالى فاذكروني اذكركم وقال ثابت البناني رحمه الله اني
لاعلم متى يذكرني ربي ففزعوا منه فقالوا كيف تعلم ذلك فقال اذا ذكرته ذكرني وقال تعالى اذكروا
الله ذكرا كثيرا وقال تعالى فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه
كما هداكم الاية وقال فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا وقال
تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقال تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا
الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن عباس رضي الله عنهما اي بالليل والنهار في البر
والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى في
ذم المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا وقال الله عز وجل واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة
ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين وقال الله تعالى ولذكر الله اكبر قال
ابن عباس رضي الله عنهما هو على وجهين احدهما ان ذكر الله لكم اكبر من ذكركم اياه والاخر ان ذكر الله
اكبر من كل عبادة سواه الى غير ذلك من الايات والاخبار فقد قال عليه السلام ذكر الله في
الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم وقال الذاكر لله في الغافلين كالمقاتل عن الفارين
وقال ذاكر الله في الغافلين كالحي بين الاموات وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا مع
عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وقال عليه السلام ما عمل ابن آدم من عمل انجى له من عذاب الله قالوا ولا الجهاد
في سبيل الله من الجذاب من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في
سبيل الله ان تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع
وقال صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله . رسول الله
صلى الله عليه السلام اصبح وامس ولسانك رطب بذكر الله لذكر الله بالغداة والعشي
افضل من حطم في سبيل الله ومن اعطاء المال سحا وقال عليه السلام قال
الله اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير من

156

ملائه وان تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا وان
مشى للجمعات اليه يعني بالهرولة سرعة الاجابة وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم
الله في ظله يوم لا ظل الا ظله ومن جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية
الله وقال ابو الدرداء رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم
وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم فعها
من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله
قال ذكر الله دائما وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته
اعطي السائلين الاثر وقال الفضيل بلغنا ان الله عز وجل قال يا ابن آدم اذكرني
الصبح ساعة وبعد العصر ساعة اكفك فيما بينهما وقال يا ابن آدم اذكرني
بعض العلماء ان الله عز وجل قال اطلعت على قلب عبد فرايت الغالب التمسك
بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال الحسن رحمه الله الذكر
ذكران ذكر الله بين نفسك الله ما احسنه واعظم اجره وافضل من ذلك ذكر الله
عند ما حرم الله ويروى ان كل نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله وقال معاذ بن
جبل ليس يتحسر اهل الجنة على شيء الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها
فضيلة مجالس الذكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله
عز وجل الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده وقال
عليه السلام ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم
منادي من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات وقال ايضا عليه السلام
ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله تعالى فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان
عليهم يوم القيامة وقال داود عليه السلام الهي اذا رايتني اجاوز مجالس الذاكرين الى
مجالس الغافلين فاكسر رجلي دونهم فانها نعمة تنعم بها علي وقال النبي صلى الله عليه وسلم
المجلس الصالح يكفر عن المؤمن الفي الف مجلس ومن رواية يكفر عن المؤمن سبعين مجلسا سبعين مجلسا
من مجالس السوء وقال ابو هريرة رضي الله عنه ان اهل السماء ليتراءون بيوت اهل الارض
التي يذكر اسم الله فيها كما يترايا النجوم وقال سفيان بن عيينة اذا اجتمع
قوم يذكرون الله عز وجل اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا الا ترين ما
يصنعون فتقول الدنيا دعهم فانهم اذا تفرقوا اخذت باعناقهم اليك وعن ابي هريرة
رضي الله عنه انه دخل السوق وقال اراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم
في المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا ابا هريرة ما راينا اينا
شيئا يقسم فقال فما ذا رايتم قالوا راينا قوما يذكرون الله تعالى ويقرؤون القرآن قال

فذلك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم وروى الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة وابي سعيد
الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى ملائكة سياحين في الارض
فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله   الى بغيتكم
فيجيبون فيحفون بهم الى السما الدنيا فيقول الله تعالى على اي شي تركتم   يضعون
فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك فيقول الله سبحانه وتعالى وهل راوني فيقولون   ويسبحونكم
فيقول كيف لو راوني فيقولون لو راوك لكانوا اشد تسبيحا   فيقول لهم
اي شي يتعوذون فيقولون من النار فيقول   تعالى هل راوها فيقولون
لا فيقول سبحانه فكيف لو راوها   اشد هربا منها واشد نفورا فيقول سبحانه
واي شيا   فيقولون الجنة فيقول تعالى هل راوها فيقولون لا فيقول سبحانه
كيف لو راوها فيقولون ولو راوها لكانوا اشد عليها حرصا فيقول سبحانه اني اشهدكم
اني قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم انما جا لحاجة فيقول هم القوم
القوم لا يشقى بهم جليسهم فضيلة التهليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل ما
قلته انا والنبيون قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال صلى الله عليه وسلم من قال
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير في كل يوم مائة مرة
كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت حرزا
من الشيطان يومه حتى يمسي ولم يات احد بافضل مما جاء به الا احد عمل باكثر من ذلك
وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد توضا فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب
الجنة يدخل من   شا وقال ايضا ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في
النشور وكاني انظر اليهم عند الصيحة ينفضون روسهم من التراب فيقولون الحمد
لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور   وقال صلى الله عليه وسلم لابي هريرة
رضي الله عنه يا ابا هريرة   ان كل حسنة يعملها توزن يوم القيمة الا شهادة   لا
اله الا الله فانها لا توضع في ميزان لانها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا ووضعت
السموات السبع والارضون السبع وما فيهن كان لا اله الا الله ارجح من ذلك وقال عليه
عليه السلام ولو جاء قائل لا اله الا الله صادقا بقراب الارض ذنوبا لغفر الله له وقال عليه السلام
يا ابا هريرة   الق في شهادة ان لا اله الا الله فانها تهدم الذنوب هدما قلت يا رسول
الله هذه للموتى فكيف للاحياء فقال هي اهدم واهدم وقال عليه السلام من قال لا اله الا الله
مخلصا دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لتدخلن الجنة كلكم الا من ابى وشرد على الله
شرود البعير على اهله فقيل يا رسول الله من ذا الذي يابى على الله فقال من لم يقل لا اله الا الله فاكثروا

فيقول

فاذكروا من قول لا اله الا الله قبل ان يحال بينكم وبينها فانها هي كلمة الاخلاص وهي كلمة
التقوى كلمة التوحيد وهي كلمة الطيبة وهي كلمة التقوى وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى
وهي ثمن الجنة وقال الله عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقيل الاحسان في الدنيا
قول لا اله الا الله وفي الاخرة الجنة وكذا قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وروى البراء
ابن عازب انه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو
على كل شيء قدير عشر مرات كان له عدل   او نسمة وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
انه صلى الله عليه وسلم قال من قال في يوم مائتي مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
وهو على كل شيء قدير لم يسبقه احد كان قبله ولا يدركه احد كان بعده الا من جاء بافضل
من عمله وقال عمر من قال في سوق من الاسواق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير كتب له الف الف حسنة ومحيت عنه الف الف سيئة
بني له بيت في الجنة ويروى ان العبد اذا قال لا اله الا الله اتت الى صحيفته ولا تمر على
خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس الى جنبها وفي الصحيح عن ابي ايوب عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على شيء قدير عشر مرات
كان   اعتق اربع انفس من ولد اسماعيل عليه السلام وفي الصحيح ايضا عن عبادة
بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد وسبحان الله والله اكبر ولا
حول ولا قوة الا بالله وقال اللهم اغفر لي   استجيب له فان توضأ وصلى
قبلت صلوته فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الاذكار وقال صلى الله عليه
وسلم من سبح دبر كل صلوة   او ثلثين وحمد ثلثا وثلثين وكبر ثلثا وثلثين
ختم المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت
ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده
في اليوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وروي ان رجلا جاء الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاين انت من صلوة الملائكة وتسبيح الخلائق يرزقون بها قال فقلت
وماذا يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة ما بين
طلوع الفجر الى ان تصلي الصبح تاتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله تعالى من كل كلمة ملكا يسبح
الله تعالى الى يوم القيمة لك ثوابه وقال صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين
السموات والارض فاذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء السابعة الى الارض فاذا قال
الحمد لله الثالثة وقال عز وجل سل تعطه وقال رفاعة الزرقي كنا يوما نصلي وراء رسول الله

صلى الله عليه وسلم فلما رفع راسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا
لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه   فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
صلوته قال لقد رأيت بضعة وثلثين ملكا يبتدرونها ايهم يكتبها اول وقال صلى الله عليه وسلم
لباقيا •   الحات هن لا اله الا الله وسبحان الله والله اكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة
الا بالله وقال صلى الله عليه وسلم ما على الارض رجل يقول لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله
والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر رواه ابن عمر
وروى النعمان بن بشير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الذين يذكرون من جلال
الله وتسبيحه وتهليله وتحميده ينعطف حول العرش له دوي كدوي النحل يذكر بصاحبه
ولا يحب احدكم ان لا يزال عند الله عز وجل شيء يذكر به وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الي مما طلعت عليه الشمس
وفي رواية زاد ولا حول ولا قوة الا بالله وقال خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله
عليه وسلم احب الكلام الى الله عز وجل اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر لا يضرك با   رواه سمرة بن جندب وروى ابو مالك الاشعري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقول الطهور شطر الايمان والحمد لله   وسبحان
الله والله اكبر يملان ما بين السماء والارض   نور والصدقة برهان والرضاء
والقرآن حجة لك او   كل الناس يغدو فبايع   نفسه فمعتقها او موبقها
وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان
ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو
ذر رضي الله عنه قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الكلام احب الى الله تعالى قال
ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر فاذا قال العبد سبحان الله كتبت له عشرون حسنة وحط عنه عشرون
سيئة واذا قال الله اكبر فمثل ذلك وذكر الى آخر الكلمات وعن جابر بن عبد الله رضي الله
عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده   له نخلة
في الجنة وعن ابي ذر انه قال ان ناسا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور
يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم فقال صلى الله عليه وسلم
او ليس قد جعل الله لكم   ما تصدقون ان لكم بكل   وبكل تحميدة صدقة
تهليلة صدقة وبكل تكبيرة   وامر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة وفي
لقمة في اهله فهي له   وفي   صدقة قالوا يا   الله يا

احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال صلى الله عليه وسلم لو وضعها في حرام اكان عليه
فيها وزر كذلك ان وضعها في الحلال كان له فيها اجر وقال ابوذر قلت يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبق اهل الاموال بالاجر يقولون كما نقول وينفقون ولا
ولا ننفق فقال صلى الله عليه وسلم افلا ادلك على عمل اذا انت فعلته ادركت
من قبلك وفتّ من بعدك الا من قال مثل قولك تسبح بعد كل صلوة ثلثا و
ثلثين وتحمد ثلثا وثلثين وتكبر اربعا وثلثين وروت بسيرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن
واعقدن بالانامل فانها مسئولات مستنطقات يعني بالشهادة في القيمة
رايته صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح وقد قال صلى الله عليه وسلم
فيما شهد عليه ابو هريرة وابو سعيد الخدري رضي الله عنهما انه اذا شهد انه
عليه السلام قال اذا قال العبد لا اله الا الله والله اكبر قال الله صدق عبدي
لا اله الا انا وانا اكبر واذا قال العبد لا اله الا الله وحده لا شريك له قال الله
عز وجل صدق عبدي لا اله الا انا لا شريك لي واذا قال العبد لا اله الا الله ولا
حول ولا قوة الا بالله يقول الله صدق لا حول ولا قوة الا بي ومن
المدت لم تمسه النار وروت مصعب بن سعيد عن ابيه عن صلى الله
عليه وسلم انه قال العجز احدكم ان يكسب كل الف فقيل له كيف ذلك
فقال صلى الله عليه وسلم تسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة ويحط
عنه الف سيئة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله بن قيس او يا ابي
موسى الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوة الا بالله وقال
ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم الا من كنز الجنة من تحت العرش قول لا حول
ولا قوة الا بالله يقول الله تعالى اسلم عبدي واستسلم وقال صلى الله عليه وسلم من
قال حين يصبح رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقران اماما وبمحمد صلى الله عليه وسلم
نبيا كان حقا على الله ان يرضيه يوم القيمة وفي رواية من قال ذلك رضي الله عنه
وقال مجاهد اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله هديت فاذا
قال توكلت على الله قال الملك وكفيت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال الملك
وقيت فيتفرق عنه الشياطين فيقولون لا سبيل لكم اليه قد هدي وكفي ووقي
وابالذكر الله خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار افضلها وانفع
من جملة السادات مع كثرة المشقات فاعلم ان تحقيق هذا لا الا بعلم
المكاشفات والقدر يسمح بذكره في علم فلما ان النافع هو

هو الذكر المجتمع على الدوام مع حضور القلب فاما الذكر والقلب لاه فهو قليل الجدوى
وفي الاخبار ما دل عليه وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله مع الاشتغال
بالدنيا ايضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله على الدوام او في اكثر الاوقات هو
المتقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات
العملية وللذكر اول واخر فاوله يوجب الانس والحب واخره يوجبه الانس والحب
فيصدر عنه والمطلوب ذلك الانس والحب فان المريد في بداية الامر قد يكون متكلفا بصرف
قلبه ولسانه عن الوسواس الى ذكر الله عز وجل فان وفق للمداومة انس به وانغرس
في قلبه حب المذكور ولا ينبغي ان يتعجب من المشاهد في العادات ان
تذكر غائبا غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق
بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق بكثرة الذكر المتكلف اولا يضطر الى كثرة الذكر اخرا
بحيث لا يصبر عنه فان من اكثر من ذكر ومن اكثر ذكر شيء وان كان متكلفا احبه
فكيف اول الذكر متكلفا الى ان انس بالمذكور والحب الصبر عنه اخرا
فيصير موجبا والمثمر مثمرا وهذا التي قول القرآن
من سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم الا من الانس والحب
ولا يصدر الانس الا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير
المتكلف طبعا وكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الانسان تناول طعام يستبشعه
اولا ويكابد اكله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى لا يصبر عنه فا
لنفس معتادة متحملة لما تكلف وقد قيل في النفس ما عودتها تتعود اي
ما كلفتها اولا يصير لها طبعا اخرا ثم اذا حصل الانس بذكر الله عز وجل
انقطع عن غير الله سبحانه وما سوى الله تعالى هو الذي يفارقه عند الموت
فلا يبقى معه في القبر اهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى الا ذكر الله عز وجل
فان كان قد انس به تلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه اذ
ضرورات الحاجات في الحيوة تصد عن ذكر الله سبحانه ولا يبقى بعد الموت
عائق وكانه خلي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن
كان ممنوعا فيه عما انسه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان روح
القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه اراد به كل ما يتعلق
بالدنيا فان ذلك يفنى في حقه . فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو
الجلال والاكرام وانما تفنى الدنيا بالموت في حقه الى ان يفنى في نفسه عند
بلوغ الكتاب اجله وهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله

عز وجل

عز وجل ويترقى من الذكر الى اللقاء وذلك بعد ان يبعث ما في القبور ويحصل ما في الصدور
ولا ينكرن بقاء ذكر الله معه بعد الموت فيقول انه عدم فكيف يبقى معه ذكر الله تعالى فانه لم يعدم
عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت والى ما ذكرنا
الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض
الجنة وبقوله عليه الصلوة والسلام ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تطير بهم وبقوله لقتلى
يا فلان يا فلان وقد سماهم النبي اني قد وجدت ما وعدني ربي حقا
فهل ما وعدكم ربكم حقا فسمع عمر قوله فقال يا رسول الله كيف يسمعون واني
يجيبون وقد جيفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما انتم باسمع
ولكنهم لا يقدرون ان يجيبوا والحديث في الصحيح هذا قيل
كيف واما المؤمنون شهداء فقد قال صلى الله عليه وسلم ان ارواحهم في حواصل
خضر معلقة تحت وهذه لانها في ذكر الله عز
وجل وقال عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون
فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف
عليهم ولا هم يحزنون ولاجل شرف ذكر الله تعالى عظمت رتبة الشهادة لان المطلوب
الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله عز وجل والقلب مستغرق بالله تبارك
وتعالى منقطع العلائق عن غيره فان قدر عبد على ان يكون همه مستغرقا بالله تعالى فلا يقدر
فلا يقدر على ان يموت على تلك الحالة الا في صف القتال فانه قطع الطمع عن مهجته واهله
وماله وولده بل من الدنيا كلها فانه يريدها لحياته وقد هون على قلبه حياته بالله
عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله اعظم من ذلك ولذلك عظم امر الشهادة وورد فيها
من الفضائل ما لا يحصى فمن ذلك انه لما استشهد عبد الله الانصاري يوم احد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لجابر ابنه الا ابشرك يا جابر قال بلى بشرك قال ان الله عز
وجل اباك فاقعده بين يديه بينه وبينه ستر فقال تعالى سلني يا
عبدي ما شئت فقال يا رب ترجعني الى الدنيا حتى فيك وفي نبيك
فقال عز وجل سبق القضاء مني بانهم اليها لا يرجعون ثم القتل سبب الخاتمة على
مثل هذه الحالة فانه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا فغلب ما استولى على قلبه
من ذكر الله عز وجل ولهذا عظم خوف اهل المعرفة من الخاتمة فان القلب وان الزم ذكر الله عز وجل
فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات الى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه فاذا تمثل في آخر
الامر في قلبه امر الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك ان يبقى استيلاؤه
عليه فيحن بعد الموت اليه ويتمنى الرجوع الى الدنيا وذلك لقلة حظه في الآخرة اذ يموت المرء

على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه فاسلم الاحوال عن هذا الخطر   الشهادة اذا
لم يكن قصد الشهيد نيل مال او ان يقال شجاع او غير ذلك كما ورد به الخبر بل حب الله سبحانه
داعل   فهذه الحالة هي التي عبر عنها بان   من المومنين   واموالهم
بان لهم الجنة ومثل هذا الشخص هو البايع للدنيا بالاخرة فحالة   يوافق معنى
قولك لا اله الا الله فانه لا مقصود له سوى الله وكل مقصود معه وكل معبود اله فهذا
قايل بلسان حاله لا اله الا الله فا   له سوى الله عز وجل ولا معبود له سواه
افصح   ان المقال اذ لا مقصود له سواه ومن يقول ذلك بلسانه ولم
يساعده حاله فامره في مشية الله عز وجل ولا يومن في حقه الخطر ولذلك فضل قول لا اله
الا الله على ساير الاذكار وذكر ذلك مطلقا في مواضع الترغيب ثم ذكر في بعض المواضع الصدق
والاخلاص فقال مرة من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة ومعنى الاخلاص ساعدة الحال المقال
فنسال الله تعالى ان يجعلنا في الخاتمة من اهل لا اله الا الله حالا ومقالا وظاهرا وباطنا حتى نودع
الدنيا غير ملتفتين اليها بل متبرمين بها ومحبين للقا الله عز وجل فان من احب لقا الله
عز وجل احب الله لقاه ومن كره لقا الله عز وجل كره الله لقاه فهذه مراتب المحاسن

الباب الثاني في اداب الدعا وفضله وفضل بعض الادعية الماثورة فضيلة
الدعا قال الله عز وجل واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان
فليستجيبوا لي وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وقال عز وجل
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما   فله الاسما الحسنى وقال تعالى وقال ربكم ادعوني
استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وروى
النعمن بن بشير ان النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الدعا هو العبادة ثم قرا ادعوني
استجب لكم وقال صلى الله عليه وسلم الدعا مخ العبادة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه
وسلم قال ليس شي اكرم عند الله من الدعا وقال عليه السلام ان العبد لا يخطيه من الدعا
احدى ثلث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما خير يدخر له وقال ابو ذر يكفي من الدعا مع
البر ما يكفي مع الطعام من الملح وقال صلى الله عليه وسلم سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسال و
افضل العبادة انتظار الفرج بالصبر   وهي عشرة   ان يترصد
لدعايه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الشهور ويوم الجمعة
ووقت السحر من ساعات الليل قال الله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون وقال صلى الله
عليه وسلم ينزل الله كل ليلة الى السما الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول عز وجل
من يدعوني فاستجيب له   من يسالني فاعطيه ومن يستغفرني فاغفر له وقيل ان
يعقوب صلى الله عليه وسلم انما قال استغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر فقيل انه قام وقال

بوعى اوابلاد

يدعوا لاولاد يوسف حما الله اليه اني تتغفرت انبياء
الثاني ان الاعمال الشريفة قال ابو هريرة رضي الله عنه من
الصفوف في سبيل الله عز وجل وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلوة المكتوبة فاغتنموا
الدعاء فيها وقال مجاهد ان الصلوة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات
وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء فيما بين الاذان والاقامة لا يرد وقال صلى الله عليه وسلم الصائم
لا ترد دعوته وبالحقيقة ترجع شرف الحالات ايضا الى وقت السحر وقت صفاء القلب
واخلاصه وفراغته من المشوشات ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار
رحمة الله فهذا احد اسباب شرف الاوقات سوى ما فيها من اسرار لا يطلع البشر عليها
وحالة السجود ايضا احد سبب الاجابة قال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فاكثروا من الدعا وروى عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا اني نهيت اقرء راكعا او ساجدا فاما الركوع فعظموا
فيه الرب واما فيه بالدعاء فانه قمن ان يستجاب لكم الثالث
دعوا مستقبل القبلة يديه حتى يرى بياض جابر بن عبد الله ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى الموقف واستقبل ولم يزل
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم حيي كريم يستحيي من
عبده اذا رفع يديه ان يردهما صفرا وروى انس انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه حتى يرى
بياض ابطيه في الدعاء ولا يشير باصبعيه وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم مر على انسان
يدعو ويشير باصبعيه السبابتين فقال صلى الله عليه وسلم احد احد اي اقتصر على الواحدة
وقال ابو الدرداء ارفعوا هذه الايدي قبل ان تغل بالاغلال ثم ينبغي ان يمسح بهما وجهه في آخر
الدعاء قال عمر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما
حتى يمسح بهما وجهه وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا ضم كفيه وجعل
بطونهما مما يلي وجهه فهذه هيآت اليد ولا يرفع بصره الى السماء قال رسول صلى الله عليه وسلم
لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء او لتخطفن ابصارهم الرابع
خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روي ان ابا موسى الاشعري قال مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما دنونا من المدينة كبر الناس ورفعوا اصواتهم فقال صلى الله عليه وسلم
يا ايها الناس ان الذي تدعون ليس باصم ولا غائب ان الذي تدعون بينكم وبين اعناق ركابكم
قالت عائشة رضي الله عنها في قوله عز وجل ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها اي بدعائك
وقد اثنى الله عز وجل على نبيه زكريا صلى الله عليه وسلم حيث يقول اذ نادى ربه نداء خفيا
وقال عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية الخامس ان لا يتكلف السجع في الدعاء فان حال

الداعي ينبغي ان يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه قال صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون
في الدعآء وقد قال عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين قيل معناه ا
التكلف في الدعا للاسجاع والاولى ان لا يجاوز الدعوات الماثورة فانه قد يعتدي في دعا
يسأله ما لا يقتضيه مصلحته فما كل احد يحسن الدعا ولذلك روي عن معاذ رضي الله عنه ان العلما
يحتاج اليهم في الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا فلا يدرون ن حتى يتعلموا
من العلما وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع في الدعآء بحسب احدكم ان يقول اللهم
اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك وما قرب اليها من قول
سياتي بعدي قوم يعتدون في الدعا والطهور السلف بقاص يدعو بسجع
فقال له اعلى الله تبالغ اشهد لقد حبيبا العجمي يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين
اللهم لا تفضحنا يوم القيمة والناس يدعون من كل ناحية وراءه
وكان يعرف بركة دعائه وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة
والانطلاق ويقال ان العلما والابدال لا يزيد احدهم في الدعا على سبع كلمات فما
دونها ويشهد له اخر سورة البقرة فان الله عز وجل لم يخبر في موضع من ادعية عباده
اكثر من ذلك واعلم ان المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام فان ذلك لا يلائم الضراعة
والذلة والا ففي الادعية الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها
غير متكلفة كقوله صلى الله عليه اسالك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين
الشهود والركع السجود الموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما
تريد وامثال ذلك فليقتصر على الماثور من الدعوات او ليلتمس بلسان الذلة والتضرع من غير
سجع وتكلف فالتضرع هو عند الله تعالى السادسة التضرع والخشوع و
الرهبة كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا و
تضرعا وخفية وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب ابتلاه حتى يسمع تضرعه
السابع ان بالاجابة ويصدق رجاءه وقال صلى الله عليه وسلم
اذا دعا اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسئلة
[illegible] فانه لا مكره له وقال صلى الله عليه وسلم اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة فان الله لا
يتعاظمه شيء وقال صلى الله عليه وسلم ادعوا الله عز وجل وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله
عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل وقال سفيان بن عيينة لا يمنعن احدكم من الدعاء ما يعلم
من نفسه فان الله عز وجل اجاب دعاء شر الخلق ابليس اذ قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال
فانك من المنظرين الثامن ان يلح في الدعاء ويكرره ثلثا قال ابن مسعود كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا دعا دعا ثلثا واذا سال سال ثلثا وينبغي ان لا يستبطئ الاجابة لقوله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي فاذا دعوت
فاسال الله كثيرا فانك تدعو كريما وقال بعضهم انى اسال الله منذ عشرين سنة حاجة وما
اجابني وانا ارجو الاجابة سالت الله ان يوفقني لترك ما لا يعنيني وقال صلى الله عليه وسلم اذا
دعا احدكم ربه مسئلة فعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن
ابطا عنه من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال **التاسع** ان يفتتح الدعا بذكر الله عز
وجل فلا يبدا بالسؤال قال سلمة بن الاكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا
استفتحه بقول سبحان ربي الاعلى الوهاب وقال ابو سليمان الداراني من اراد ان يسال الله
حاجة فليبدا بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسال حاجته ثم يختم بالصلوة
عليه فان الله عز وجل يقبل الصلاتين وهو اكرم من ان يدع ما بينهما وروي في الخبر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سالتم الله عز وجل حاجة فابدوا بالصلوة على فان
الله تعالى اكرم من ان يسال حاجتين فيقضي احداهما ويرد الاخرى رواه ابو طالب المكي **العاشر**
وهو الادب الباطن وهو الاصل في الاجابة التوبة ورد المظالم والاقبال على الله عز وجل بكنه
الهمة فذلك هو السبب القريب في الاجابة فروي عن كعب الاحبار انه قال اصاب الناس
قحط شديد على عهد موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج موسى ببني
اسرائيل يستسقي لهم فلم يسقوا ثم خرج ثلاث مرات فلم يسقوا فاوحى الله عز وجل
الى موسى صلى الله عليه وسلم اني لا استجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام فقال موسى
يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فاوحى الله عز وجل اليه يا موسى
صلى الله عليه وسلم يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فقال موسى لبني اسرائيل
توبوا باجمعكم من النميمة فتابوا فارسل الله تعالى عليهم الغيث وقال سعيد بن جبير
قحط الناس في زمن ملك من ملوك بني اسرائيل فاستسقوا فقال الملك ليرسلن
الله علينا السماء او لنؤذينه قيل وكيف تقدر ان تؤذيه وهو في السماء فقال اقتل
اولياءه واهل طاعته فيكون ذلك اذى له فارسل الله عز وجل السماء وقال سفيان الثوري
بلغني ان بني اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى اكلوا الميتة من المزابل واكلوا الاطفال
وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال يبكون ويتضرعون فاوحى الله عز وجل الى انبيائهم لو مشيتم
الي باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ ايديكم عنان السماء وتكل السنتكم عن الدعاء
فاني لا اجيب لكم داعيا ولا ارحم لكم باكيا حتى تردوا المظالم الى اهلها ففعلوا فمطروا
من يومهم وقال مالك بن دينار اصاب الناس في بني اسرائيل قحط فخرجوا مرارا فاوحى الله
عز وجل الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجون الي بابدان نجسة وترفعون الي اكفا قد سفكتم بها الدماء
وملاتم بطونكم من الحرام الان قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني الا بعدا وقال منفكتم

الصدوق الناجي خرج سليمن عليه السلام يستسقي فمر بنملة   ظهرها

رافعة قوائمها الى السما   ولا غنا بنا عن رزقك فلا تهلكنا

بذنوب غيرنا فقال سليمن صلى الله عليه ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم وقال الاوزاعي

خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا معشر من

حضر الستم مقرين بالاساءة فقالوا اللهم نعم قالوا اللهم انا سمعناك تقول ما على المحسنين من

سبيل وقد اقررنا بالاساءة فهل يكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا

فرفع يديه ورفعوا ايديهم فسقوا وقيل لمالك بن دينار الا تدع لنا ربك فقال انتم تستبطئون المطر

وانا استبطئ الحجارة ويروى ان عيسى صلى الله عليه وسلم خرج يستسقي فلما اصحروا

قال لهم عيسى صلى الله عليه وسلم لما خرج يستسقي فلما اصحروا قال من اصاب منكم ذنبا فليرجع

فرجعوا كلهم ولم يبق معه في المفازة الا رجل واحد فقال له عيسى صلى الله عليه وسلم ما لك

من ذنب فقال والله ما اعلم من شي غير اني كنت   فمرت بي امراة

فنظرت اليها بعيني هذه فلما جاوزت   اصبعي في عيني فانتزعتها واتبعت

المراة بها فقال عيسى صلى الله عليه وسلم فادع الله حتى اؤمن على دعائك قال فدعا

فتجللت السما   ثم صبت فسقوا   على عهد داود

النبي صلى الله عليه وسلم فاختار والثلثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا فقال احدهم

اللهم انك انزلت في توراتك ان نعفوا عمن ظلمنا اللهم انا قد ظلمنا انفسنا فاعف

عنا وقال الثاني اللهم انك انزلت في توراتك ان نعتق ارقادنا اللهم انا ارقاك

فاعتقنا وقال الثالث اللهم انك انزلت في توراتك ان لا ترد المساكين اذا وقفوا با

بوابنا اللهم انا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعانا قال فسقوا وقال عطا السلمي

منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فاذا نحن بسعدون المجنون في المقابر فقال يا

عطا هذا يوم النشور او بعثر ما في القبور فقلت لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي

فقال هيهات يا عطا قل للبهرجين لا تبهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق بطرفه

الى السماء وقال الهي وسيدي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالمكنون من اسمائك

وما وارت الحجب من الائك الا ما سقيتنا ما غدقا تحيي به العباد   تروي به البلاد يا من

هو على كل شي قدير قال عطا فما استتم الكلام حتى ارعدت السماء وابرقت وجاءت

كافواه القرب فتولى وهو يقول شعر

يخم الزاهدون العابدونا ⁂ اذ لمولاهم اجاعوا لونا

اسهروا الاعين ا سهرا فيه ⁂ فانقضى ليلهم و   ونا

شغلتهم عباد الله حتى ⁂ قلب في الناس

وقال

وقال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون وخرجت
معهم اذ اقبل غلام اسود عليه قطعتا خيش قد اتزر باحداهما والقى الاخرى على عاتقه فجلس
الى جنبي فسمعته يقول اللهم اخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوي الاعمال وقد
احتبست عنا غيث السما لتؤدب عبادك بذلك فاسالك يا حليما ذا اناة يا من لا يعرف عباده
منه الا الجميل ان تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السما
بالغمام واقبل المطر من كل مكان فقال ابن المبارك فجئت الى الفضيل فقال لي مالك كئيبا فقلت
سبقنا اليه غيرنا فتولاه دوننا فقصصت   فصاح الفضيل وخر مغشيا
وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس رضي الله عنه فلما
قال العباس رضي الله عنه اللهم انه لم ينزل بلاء من   ب ولن يكشف الا
بتوبة وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه ايدينا اليك
بالذنوب ونواصينا   توبة وانت الراعي لا تهمل   ولا تدع الكسير بدار
ع الضيعة فقد ضرع الصغير   ورق الكبير   وارتفعت الشكوى
فرهون
قل   انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكا
قال فما تم كلامه حتى ارتفعت السما مثل الجبال فضيلة الصلوة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفضله عليه السلام قال الله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها
الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وروي انه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى
ترى على وجهه فقال صلى الله عليه وسلم انه جاءني جبريل صلى الله عليه وسلم فقال اما ترضى
يا محمد ان لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا
سلمت عليه عشرا وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلت عليه الملائكة ما صلى علي
فليقلل عبد   او ليكثر وقال صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس علي صلوة وقال
صلى الله عليه وسلم بحسب المؤمن من البخل ان اذكر عنده فلا يصلي علي وقال صلى الله عليه
وسلم من صلى علي من امتي   عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات وقال صلى
الله عليه وسلم من قال حين يسمع الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة
القا   اعط الوسيلة والفضيلة والشفا
يوم القيمة حلت له شفاعتي وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة
يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب وقال صلى الله عليه وسلم ليس احد يسلم علي
الا رد الله عز وجل علي روحي حتى ارد عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم ان في الارض
ملائكة سياحين يبلغون عن امتي السلام وقيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نصلي
عليك فقال صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وازواجه وذريته كما باركت

على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع
بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي ويقول بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان
كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا فحن الجذع
بفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن لي بالحنين عليك لما فارقتهم بابي
انت وامي بلغ من فضيلتك عنده ان جعل طاعتك طاعته فقال
من يطع الرسول فقد اطاع بابي انت وامي يا قد بلغ
من فضيلتك عنده بالعفو عنك فقال عز وجل عفا الله
عنك لم اذنت لهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك اخر الا
نبيا فذكرك في اولهم فقال عز وجل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح وابراهيم فقال عز وجل واذ اخذنا الاية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من
فضيلتك عنده ان بعثك ان اهل النار يودون ان يكونوا قد اطاعوك وهم بين اطباقها
يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا بابي انت وامي يا رسول الله
لان كان موسى بن عمران اعطاه الله عز وجل حجرا تنفجر منه الانهار فما ذاك باعجب من
اصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان سليمان
اعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فما ذاك باعجب من البراق حين
عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح ليلة بالابطح صلى الله عليك بابي انت وامي
يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم ه الله تعالى احيا الموتى فما ذاك باعجب من
الشاة كلمتك في مشويتها فقالت لا تاكلني فاني لا بابي انت
وامي يا رسول الله دعا نوح على قومه فقال على الارض من الكافرين
ديارا ولو دعوت علينا كنا كلنا فقد وطئ ظهرك
انت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
بابي انت وامي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع
نوحا في كبر سنه وطول عمره ولقد من بك الكثير وما امن معه الا القليل
بابي انت وامي يا رسول الله لو لم تجالس الا كفوا ما جالستنا ولو لم تنكح الا كفوا
ما نكحت الينا ولو لم تؤاكل الا كفوا لما واكلتنا فلقد والله واكلتنا و جا
ونكحت الينا ولبست الصوف وركبت الحمار وادفت خلفك ووضعت طعامك بالارض
ولعقت اصابعك تواضعا منك صلى الله عليك تفضيله السلام وقال بعضهم كنت
اكتب الحديث واصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ولا اسلم فرايت النبي صلى الله
عليه وسلم في المنام فقال صلى الله عليه وسلم اما تتم الصلاة علي في كتابك فما كتبت

بعد ذلك

وسلم

بعد ذلك الا الطيب وسلم وقد روى عن ابي الحسن الشافعي قال رايت النبي صلى الله عليه
في قلت يا رسول الله بما جزى الشافعي عنك حيث يقول في كتاب الرسالة وصلى الله
على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون فقال صلى الله عليه وسلم
عني انه لا يوقف للحساب **فضيلة** الاستغفار قال الله عز وجل والذين
فاحشة ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم قال علقمة
والاسود قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في كتاب الله عز وجل آيتان ما اذنب
عبد ذنبا فقراهما فاستغفر الله عز وجل الا غفر الله له والذين اذا فعلوا فاحشة
او ظلموا انفسهم الآية وقوله عز وجل ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله
يجد الله غفورا رحيما وقال الله عز وجل والمستغفرين بالاسحار وقال تعالى
فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وكان صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول
سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك انت التواب الرحيم وقال صلى الله عليه
وسلم من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من
حيث لا يحتسب وقال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله سبحانه واتوب اليه
في اليوم سبعين مرة هذا مع انه صلى الله عليه وسلم كان قد غفر له ما تقدم من
ذنبه وما تاخر وقال صلى الله عليه وسلم على قلبي حتى اني
لاستغفر الله في اليوم وقال صلى الله عليه وسلم من قال يا
وى الى فراشه استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم مرات غفر
الله له ذنوبه وان مثل زبد البحر او عدد رمل على
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث اخر من قال ذلك
غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف وقال حذيفة كنت ذرب اللسان على
اهلي فقلت يا رسول الله لقد خشيت ان يدخلني لساني النار فقال النبي صلى الله
عليه وسلم فاين انت عن الاستغفار فاني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة
وقالت عايشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت
الممت فاستغفري الله فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار وكان
صلى الله عليه وسلم يقول في الاستغفار اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي
في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطائي وعمدي
وكل ذلك عندي اللهم لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما
اعلنت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير
وقال علي رضي الله عنه كنت رجلا اذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا نفعني الله بما شاء ان ينفعني منه واذا   من اصحابه استحلفته فاذا حلف
صدقته قال وحدثني   ابو بكر وصدق ابو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما
عبد يذنب   فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل الا غفر الله
تعالى له ثم تلى قوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة الآية وروي ابو هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع
واستغفر صقل قلبه منها فان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الرين الذي ذكر الله عز وجل
في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله سبحانه وتعالى ليرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول يا رب اني لي هذه فيقول الله عز
وجل باستغفار ولدك لك وروت عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم
اجعلني من الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساؤوا استغفروا وقال صلى الله عليه وسلم اذا
اذنب العبد ذنبا فقال   اغفر لي فيقول الله عز وجل اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا
ياخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدي اعمل ما شئت فقد غفرت لك وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم   وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا
لم يعمل خيرا قط   السماء فقال الذي له يا رب اغفر لي فقال الله تعالى اعمل ما شئت
غفرت لك وقال صلى الله عليه وسلم من اذنب ذنبا فعلم ان الله تعالى قد اطلع عليه غفر له وان لم يستغفر
وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا عبادي كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفروني
اغفر لكم ومن علم اني ذو قدرة على ان اغفر له غفرت له ولا ابالي وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحانك
ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت غفرت ذنوبه ولو كانت كدبيب النمل وروي
ان افضل الاستغفار اللهم انت ربي وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من
شر ما صنعت ابوء اليك بنعمتك علي وابوء على نفسي بذنبي فقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي
فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما اخرت انه لا يغفر الذنوب جميعا الا انت وقال خالد بن معدان
قال الله تعالى عز وجل ان احب عبادي الي المتحابون بحبي والمعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالا
سحار اولئك الذين اذا اردت اهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم وقال
قتادة القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم   فالذنوب واما دواكم فالاستغفار وقال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه العجب ممن   ومعه النجاة قيل وما هي قال الاستغفار وكان يقول
ما   سبحانه عبدا   تفضل بقول العبد استغفر الله
تفسيرها اقلني وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما الا الحمد والاستغفار
وقال الربيع بن خثيم لا يقولن احدكم استغفر الله واتوب اليه فيكون ذنبا وكذبا ان لم يفعل
ولكن ليقل اللهم اغفر لي وتب علي وقال الفضيل الاستغفار بلا اقلاع توبة الكذابين وقال

يابعد

رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير وقال بعض الحكماء قدم الاستغفار على
الندم كان مستهزئا على الله وهو لا يعلم وسمع اعرابي وهو متعلق باستار الكعبة وهو يقول
اللهم ان استغفاري مع اصراري للوم وان تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز فكم
تتحبب الي بالنعم مع غناك عني وابتغض اليك بالمعاصي مع فقري اليك يا من اذا وعد وفا واذا
توعد عفي ادخل عظيم   فعظيم عفوك برحمتك يا ارحم الراحمين قال ابو عبد الله الكوفي ان
لو كان عليك مثل عدد   ذنوبا لغفر ذنوبا لمحيت عنك اذا دعوت به لتخلصا يملك
الدعا انشاء الله تعالى اللهم اني استغفرك من كل ذنب قلت اليك منه ثم عدت   استغفرك
من كل ما وعدتك في نفسي ثم لم اف لك به واستغفر الله من كل عمل   الكريم
فخالطه غيرك واستغفرك من كل نعمة انعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك واستغفرك
يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب اتيته في ضياء النهار وسواد الليل في ملا وخلا وسر وعلانية
يا حليم ويقال انه استغفار الخضر عليه السلام وقيل انه استغفار آدم عليه السلام الباب الثالث
في ادعية ماثورة معزية الى اسبابها واربابها مما يستحب ان يدعو بها المريد صباحا ومساء وفي
تعقيب كل صلوة فمنها دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس بعثني ابي
العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي
من الليل فلما صلى الركعتين قبل صلوة الفجر قال اللهم اني اسالك رحمة من عندك تهدي بها
قلبي وتجمع قال اللهم اني اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها
شعثي وترد بها الفتن عني وتصلح بها ديني وتحفظ بها غايبي و   بها شاهدي و
تبيض بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من   اللهم اعطني
ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة   شرف كرامتك في الدنيا والاخرة اللهم اني
اسالك الفوز   ومنازل الشهدا وعيش السعدا والنصر على الا   الا
نبيا اللهم اني ا   حاجتي وان ضعف راي وقلت حيلتي وقصر عملي وافتقرت الى رحمتك
فاسالك يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة
الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه راي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وامنيتي
من خير وعدته احدا من عبادك او خير انت معطيه احدا من خلقك فاني ارغب اليك فيه واسالكه
يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك سلما لاوليائك
نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعا وعليك الاجابة
وهذا الجهد وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ذا
الجلال .   الامر الرشيد اسالك الامن يوم الوعيد والجنة   الخلود مع المقربين
الشهود والركع السجود الموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد سبحان الذي

وتعطف بالعز وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي
الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكلام سبحان الذي احصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل نورا
ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا ونورا في دمي ونورا في
عظامي ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني
يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا واجعل
لي نورا والله اعلم عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة
رضي الله عنها بالجوامع الكوامل قولي اللهم اني اسالك من الخير كله عاجله واجله ما علمت منه وما لم
اعلم واعوذ بك من الشر كله عاجله واجله ما علمت منه وما لم اعلم واسالك الجنة وما قرب اليها من
قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل واسالك من الخير ما سالك عبدك ورسولك
محمد صلى الله عليه وسلم واستعيذك مما استعاذ بك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم
واسالك ما قضيت لي من امر ان تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا ارحم الراحمين دعاء فاطمة
رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة ما منعك ان تسمعي ما اوصيك به ان
تقولي يا حي يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله يا ارحم
الراحمين دعاء ابي بكر الصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر
الصديق رضي الله عنه ان تقول اللهم اني اسالك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى كليمك
وعيسى كلمتك وروحك وبتوراة موسى وانجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد صلى الله
عليه وسلم وكل وحي اوحيته او قضاء قضيته او سائل اعطيته او غني افقرته او فقير
اغنيته او ضال هديته واسالك باسمك الذي انزلته على موسى عليه السلام واسالك باسمك الذي
تثبت به ارزاق العباد واسالك باسمك الذي وضعته على السموات فاستقلت واسالك باسمك
الذي وضعته على الارض فاستقرت واسالك باسمك الذي وضعته على الجبال فارست واسالك
باسمك الذي استقل به عرشك واسالك باسمك المطهر الطاهر الاحد الصمد المنزل
في كتابك من لدنك من النور المبين واسالك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل
فاظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك ان ترزقني القران والعلم وتخلطه بلحمي ودمي
وسمعي وبصري وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بك يا ارحم
الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم دعاء الاسلمي روي انه قال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بريدة الا اعلمك كلمات من اراد الله به خيرا علمهن اياه ثم لم
ينسهن اياه ابدا قال قلت بلى يا رسول الله قال قل اللهم اني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ
الى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى رضائي اللهم اني ضعيف فقوني واني ذليل فاعزني
واني فقير فاغنني قبيصة بن المخارق اذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم علمني كلمات

ينفعني الله عز وجل بها فقد كبر سني وعجزت عن اشيا كنت اعملها فقال له رسول الله صلى الله عليه
اما لدنياك فاذا صليت الغداة فقلت ثلث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده ولا
حول ولا قوة الا بالله فانك اذا قلتهن امنت من كل غم وجذام وبرص وفالج واما الاخرة فقل اللهم
اهدني من عندك وافض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك وانزل علي من بركاتك ثم قال
صلى الله عليه وسلم اما انه اذا وافي بهن عبد يوم القيمة لم يدعهن فتح له اربعة ابواب من الجنة
يدخل من ايها شاء   الدرداء قيل لابي الدرداء يا ابا الدرداء احترقت دارك
وكانت النار   في محلته فقال ما كان الله ليفعل ذلك فقيل له ذلك ثلثا ثم اتي
فقال له يا ابا الدرداء   دنت من دارك طفيت فقال له علمت فقيل له ما ندري
قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال هؤلا
الكلمات في ليل او نهار لم يضره شي وقد قلتهن وهي اللهم انت ربي لا اله الا انت عليك توكلت
وانت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن اعلم ان الله
على كل شي قدير وان الله قد احاط بكل شي علما اللهم اني اعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة انت
آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم دعا ابرهيم الخليل صلى الله عليه وسلم كان يقول
اذا اصبح اللهم هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني
فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي انك غفور رحيم
ودود كريم ومن دعا بهذا الدعا اذا اصبح فقد ادى شكر يومه وصلى الله على سيدنا محمد
وآله عيسى صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اني اصبحت لا استطيع دفع ما اكره ولا املك
نفع ما ارجو واصبح الامر بيد غيري   مرتهنا بعملي فلا فقير افقر مني اللهم لا تشمت
صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل   ولا تسلط
علي من لا يرحمني وصلى الله على سيدنا محمد وآله دعا   عليه السلام فقال ان الخضر
والياس عليهما السلام اذا   في كل موسم لم يفترقا الا عن هذه الكلمات بسم الله
ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف
السوء الا الله فمن قالها ثلثا اذا اصبح امن من الحرق والغرق والسرق وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم   معروف الكرخي رحمه الله قال محمد بن حسان قال لي معروف الكرخي رحمه الله
الا اعلمك عشر كلمات خمسة للدنيا وخمسة للاخرة من دعا الله عز وجل بهن وجد الله تعالى عنده
قلت اكتبها قال لا ولكن اردها عليك كما ردها علي بكر بن خنيس حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي
حسبي الله الكريم   لما همني حسبي الله لمن بغى علي حسبي الله الحليم القوي لمن بغى علي
حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤوف عند
المسئلة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف عند الميزان حسبي الله القدير

ولا تفقرني

عند صلواتها حسبي الله الذي لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وروي عن ابي الدرداء
انه قال من قال في كل يوم سبع مرات فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب
العظيم. اهمه ما اهمه من امر آخرته صادقا كان بها او كاذبا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه وسلم دعاء عتبة الغلام ورئي عتبة الغلام في المنام بصومعة فقال دخلت
الجنة بهذه الكلمات اللهم يا هادي المضلين وراحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ارحم
عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا مع الاحياء المرزوقين الذين انعمت عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين امين يا رب العالمين دعاء آدم صلى الله
عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها لما اراد الله ان يتوب على آدم عليه السلام طاف بالبيت
سبعا وهو يومئذ ليس ببنى بل ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم
سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي
اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبته علي ورضني
بما قسمته لي فاوحى الله عز وجل اليه اني قد غفرت لك ولن ياتي احد من ذريتك يدعوني بمثل
الذي دعوتني به الا غفرت له وكشفت همومه ونزعت الفقر من بين عينيه و
اتجرت له من كل تاجر واتته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها دعاء عن رضي الله
عنه رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل يمجد نفسه كل يوم ويقول
اني انا الله لا اله الا انا رب العالمين اني انا الله لا اله الا انا الحي القيوم اني انا الله لا اله الا انا العلي
العظيم اني انا الله لا اله الا انا لم الد ولم اولد اني انا الله لا اله الا انا العفو الغفور مبدئ كل
شيء واليه يعود العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار
الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة
الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الكبير
المتعالي المقتدر القاهر الحكيم الكريم اهل الثناء والمجد اعلم السر واخفى
الرزاق فوق الخلق والخليقة وذكر قبل كل كلمة اني انا الله لا اله الا انا كما ذكرنا في الاول فمن دعا
بهذه الاسماء فليقل انك انت الله لا اله الا انت الحي القيوم كذا وكذا فمن دعا بهن كتب من
المخبتين الذين يجاورون محمدا وابراهيم وموسى وعيسى والنبيين في دار الجلال و
ثواب العابدين في السموات والارضين دعاء ابي المعتمر وهو سليمن التيمي تسبيحا
روي ان يونس بن عبيد راى رجلا في المنام ممن قتل بالجماجم فقال له ما افضل ما رايت
ثم من الاعمال قال رايت تسبيحات ابي المعتمر من الله بمكان وهي هذه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة
ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سمواته وملء ارضه ومثل ذلك واضعاف ذلك

وهو دخلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه وحتى يرضى واذا رضي وعدد
ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم
وليلة وساعة من الساعات ونسم ونفس من ابد الى ابد ابد الدنيا والآخرة واكثر من ذلك
لا ينقطع اوله ولا ينفد آخره دعاء ابرهيم بن ادهم رحمة الله عليه روى ابرهيم بن بشار
خادمه انه كان يقول هذا الدعاء في يوم الجمعة اذا اصبح واذا امسى مرحبا بيوم المزيد
والصبح الجديد والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتب لنا ما نقول بسم الله الحميد
المجيد الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد اصبحت بالله مؤمنا وبلقائه مصدقا و
بحجته   ذنبي مستغفرا ولربوبية الله عز وجل خاضعا ولسوى الله عز وجل في الا
لهية جاحدا قال الله سبحانه نقيبه لعجاله   والى الله عز وجل منيبا
ورسله وحملة عرشه ومن خلقه وما هو خالقه بانه هو الله لا اله الا هو وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وان الجنة حق والنار حق والحوض
والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها
وان الله يبعث من في القبور على ذلك احيى وعليها اموت وعليها ابعث ان شاء الله تعالى عز وجل
اللهم انت ربي لا رب لي الا انت خلقتني وانا عبدك على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ
بك اللهم من شر كل ذي شر اللهم اني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت
واهدني لاحسن الاخلاق فانه لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها فا   ف
عني سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير كله بيديك انا لك واليك استغفرك واتوب اليك امنت
اللهم بما ارسلت من رسول وامنت اللهم بما انزلت من كتاب وصلى الله   النبي و
آله وسلم كثيرا خاتم كل نبي ومن قبله وعلى انبيائه ورسله اجمعين آمين يا رب العالمين
اللهم اوردنا حوضه واسقنا بكاسه   رويا سائغا هنيا لا نظما بعده ابدا واحشرنا
في زمرته غير خزايا   كثين ولا مرتابين ولا   ولا مغضوب ولا
ضالين اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووفقني لما تحب وترضى واصلح لي شاني كله و
ثبتني بالقول الثابت في الحيوة الدنيا والآخرة ولا تضلني وان كنت ظالما سبحانك سبحانك
يا علي يا عظيم يا بار يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحت له السموات باكنافها سبحان من
سبحت له الجبال باصواتها سبحان من سبحت له البحار بامواجها سبحان من سبحت له الحيتان بلغا
تها سبحان من سبحت له النجوم في السماء بابراجها وسبحان من سبحت له الاشجار باصولها
نظارتها وسبحان من سبحت له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن
سبحان من سبح له كل شيء من مخلوقاته تباركت وتعاليت سبحانك يا حي يا حليم سبحانك لا اله
الا انت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وانت حي لا تموت بيدك الخيرات على كل شيء قدير

الباب الرابع في ادعية ماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم
مخزونة الانيقة منتخبة من جملة ما جمعه ابو طالب وابن خزيمة وابن المنذر رحمهم
الله فيستحب لمن يحيا اذا اصبح ان يكون اخر اوراده الدعاء كما سياتي بالاوراد فان كنت من
المريدين لحرث الاخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما دعاء به نقل
سبحان ذي العلى الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا و
بمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ثلث مرات وقل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة رب كل شيء ومليكه اشهد ان لا اله الا انت اعوذ بك من نفسي ومن شر الشيطان
وشركه وقل اللهم اني اسالك العفو والعافية في ديني ودنياي واهلي ومالي اللهم استر
عوراتي وامن روعاتي واقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن
شمالي ومن فوقي واعوذ بك ان اغتال من تحتي اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا
ترفع ... ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين وقل اللهم انت ربي لا اله الا
انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت
ابوء بنعمتك ... بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وقل اللهم عافني في
بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا اله الا انت ثلاث مرات وقل اللهم اني اسالك
الرضى بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك ... فالى لقائك من
غير ضراء ... ولا فتنة مضلة واعوذ بك ان اظلم او اظلم او اعتدي او يعتدى علي او اكتسب
خطيئة او ذنبا لا تغفره اللهم اني اسالك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد اسالك شكر
نعمتك وحسن عبادتك واسالك قلبا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا
واسالك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا
اعلم وانت علام الغيوب اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت فانك
انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير وانت على كل غيب شهيد اللهم اني اسالك
ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم في اعلى
جنة الخلد اللهم اني اسالك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين اسالك
اسالك حبك وحب من احبك وحب كل عمل يقرب الى حبك وان تتوب علي وتغفر لي وترحمني
اذا اردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق
احيني ما كانت الحيوة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة ... خيرا لي اسالك خير الحيوة وخير الحيوة
واعوذ بك من شر ما بينهما واسالك خير ما بينهما ... ... احيني حيوة السعداء حيوة
من يحب بقاءه وتوفني وفاة الشهداء وفاة ... يا ارحم الراحمين

وارحم الراحمين

يا ارحم الراحمين اسالك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضى والغضب
والقصد في الغنى والفقر ولذة النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك واعوذ
بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين
اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا
به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم املا وجوهنا منك
حيا وقلوبنا منك خوفا واسكن نفوسنا من عظمتك وذلل جوارحنا لخدمتك
واجعلك احب الينا مما سواك واجعلنا اخشى لك ممن سواك اللهم اجعل اول
يومنا هذا صلاحا واوسطه فلاحا واخره نجاحا اللهم اجعل اوله رحمة واوسطه
نعمة واخره تكرمة الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع
كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته واظهر
كل شيء لحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه اللهم صل على محمد وعلى اله وازواجه وذريته
وبارك على محمد وعلى ال محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم وال ابراهيم في العالمين
حميد مجيد اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك
الامين واعطه المقام المحمود يوم الدين اللهم اجعلنا من اوليائك المتقين
وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا لمرضاتك ووفقنا لمحابك وصرفنا
بحسن اختيارك لنا نسالك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك
من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم بقدرتك علي تب علي انك انت التواب
الرحيم وبحلمك عني اعف عني انك انت الغفار وبعلمك بي ارفق بي انك انت الرحمن
وبملكك لي ملكني نفسي ولا تسلطها علي انك انت الجبار سبحانك وبحمدك لا اله الا انت
عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي انك ربي انه لا يغفر الذنوب الا انت
اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي اللهم ارزقني حلالا لا تعاقبني عليه وارزقني
قنعني واستعملني به صالحا تقبله مني اسالك العفو والمعافاة وحسن
اليقين والمعافاة في الدنيا والاخرة يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب
لي ما لا يضرك واعطني ما لا ينقصك افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين توفني مسلما
والحقني بالصالحين ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب
لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك
المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم
ربنا ربنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤف رحيم ربنا

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
وقنا عذاب النار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا
وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة انك لا
تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من
قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين
رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات
الاحياء منهم والاموات رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانك انت الاعز الاكرم وانت خير الراحمين
وانت خير الغافرين وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم حسبنا الله
ونعم الوكيل **انواع الاستعاذة المأثورة** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ
من البخل واعوذ ارد الى ارذل العمر واعوذ بك من فتنة الدنيا واعوذ
بك من عذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من طمع يهدي الى طبع ومن طمع من غير مطمع وحين لا مطمع اللهم
اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع ومن الجوع فانه بئس
الضجيع ومن الخيانة فانها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن ومن الهرم ومن ان
ارد الى ارذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم انا نسألك قلوبا
اواهة مخبتة منيبة في سبيلك اللهم انا نسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من
كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم اني اعوذ بك من التردي و
اعوذ بك من الغم والغرق والهدم واعوذ بك من ان اموت في سبيلك مدبرا واعوذ بك ان
اموت لطلب دنيا اللهم اني اعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم اعلم اللهم جنبنا منكرات الاخلاق
والاعمال والادواء والاهواء اللهم اني اعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة
الاعداء اللهم اني اعوذ بك من الكفر والدين والفقر واعوذ بك من عذاب واعوذ بك من فتنة
الدجال بتصرف ومن شر اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي ومن بصري ومن شر
اني ومني
اني اعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فان جار البادية يتحول اللهم اني اعوذ بك من القسوة و
الغفلة والعيلة والذلة والمسكنة واعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق
والسمعة والرياء واعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيء الاسقام اللهم اني
اعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجاءة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم اني
اعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر ومن شر فتنة الغنى ومن شر فتنة
الفقر ومن شر فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من المغرم والمأثم اللهم اني اعوذ بك من نفس لا تشبع و
قلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب واعوذ بك من شر العمر وفتنة الصدر اللهم اني
اعوذ بك من غلبة الدين وشماتة الاعداء وغلبة العدو فالادعية المأثورة

عذ للحادث

188

كل حادث من الحوادث اذا اصبحت وسمعت الاذان فيستحب له جواب المؤذن وقد ذكرنا ما تقوله عند
دخول الخلاء والخروج منه وادعية الوضوء في كتاب الطهارة فاذا خرجت الى المسجد فقل اللهم
اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي لساني نورا واجعل في بصري نورا واجعل من خلفي
نورا ومن امامي نورا واجعل من فوقي نورا اللهم اعطني نورا وقل ايضا بحق السائلين عليك
وبحق ممشاي هذا اليك لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء
مرضاتك فاسالك ان تنقذني من النار وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت واذا خرجت
من المنزل لحاجة فقل بسم الله رب اعوذ بك ان اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي بسم الله الرحمن
لا حول ولا قوة الا بالله والتكلان على الله فاذا انتهيت الى المسجد تريد دخوله فقل اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد وسلم اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وقدم رجلك اليمنى بالدخول فاذا رايت في المسجد
من يبيع او يبتاع فقل لا اربح الله تجارتك واذا رايت من ينشد ضالة
في المسجد فقل لا رد الله عليك امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا صليت ركعتي الصبح فقل اللهم اني
اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الى آخر الدعاء كما اوردناه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ركعت فقل في ركوعك اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت
ولك اسلمت وعليك توكلت انت ربي خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظامي وما استقلت به قدمي
لله رب العالمين وان احببت فقل سبحان ربي العظيم ثلث مرات وسبوح قدوس رب الملائكة
والروح فاذا رفعت راسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء
الارض وملء ما شئت من شيء بعد اهل الثناء والمجد كلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما
منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد فاذا سجدت فقل اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك اسلمت
سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره فتبارك الله احسن الخالقين اللهم سجد لك سوادي وخيالي
وبك آمن فؤادي ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي وهذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر
الذنوب الا انت او تقول سبحان ربي الاعلى ثلث مرات فاذا فرغت من الصلوة فقل اللهم انت
السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام وتدعو   التي ذكرناها فاذا
قمت من المجلس واردت الدعاء بكفارة لغو المجلس قل سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت
استغفرك واتوب اليك عملت سوءا وظلمت نفسي فا   فانه لا يغفر الذنوب الا انت واذا د
السوق فقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو
بيده الخير وهو على كل شيء قدير بسم الله اللهم اني اسالك   وهذه السوق وخير ما
فيها اللهم اني اعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم اني اعوذ بك ان اصيب فيها يمينا فاجرة او
صفقة خاسرة فان كان عليك دين فقل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك
فاذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد اسالك من خيره وخير ما صنع

واذا رايت شيئا من الطير تكرهه فقل اللهم لا ياتي بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيئات الا انت
لا حول ولا قوة الا بالله واذا رايت الهلال فكبر الله ثلثا فقل اللهم اهله علينا بالامن والايمان و
والسلامة والاسلام ربي وربك الله ويقول هلال رشد وخير اللهم اني اسالك خير هذا الشهر وخير
القدر واعوذ بك من شر يوم الحشر فاذا هبت الريح فقل اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا اللهم
اني اسالك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما ارسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما ارسلت به فاذا
بلغك وفاة احد فقل انا لله وانا اليه راجعون وانا اليه لمنقلبون اللهم اكتبه في المحسنين
واجعل كتابه في العليين واخلفه على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا
وله ويقول عند التصدق ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ويقول عند الخسران عسى ربنا ان
يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون ويقول عند ابتداء الامور ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ
لنا من امرنا رشدا رب اشرح لي صدري ويسر لي امري ويقول عند النظر الى السماء ربنا ما خلقت في
السماء بروجا الاية واذا سمعت صوت الرعد والصواعق فقل اللهم لا تقتلنا بغضبك و
لا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته فانه كعب
فاذا امطرت فقل اللهم اجعله غيثا مغيثا سيبا هنيئا وصيبا نافعا اللهم اجعله سيب رحمة
ولا تجعله سيب عذاب واذا غضب فقل اللهم اغفر لي واذهب غيظ قلبي واجرني من الشيطان
الرجيم واذا احببت قوما فقل اللهم اغفر لي واذهب غيظ قلبي واجرني انا لحبك كانت عضدي
وبصري وبك اقاتل واذا طنت اذنك فصل على محمد وليذكر الله من ذكرني بخير فاذا رايت ما يحب
دعائك فقل الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات واذا ابطات الاجابة فقل الحمد لله على كل
حال فاذا سمعت اذان المغرب فقل اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك واصوات
وحضور صلاتك اسالك ان تغفر لي فاذا اصابك هم فقل اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن امتك نا
صيتي بيدك ماض في حكمك نافذ في قضاؤك اسالك بكل اسم سميت به نفسك او انزلته في كتابك او
اعطيته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري
وجلاء غمي وذهاب حزني وهمي وقال عليه السلام ما اصاب احدا حزن فقال ذلك الا اذهب الله غمه وهمه
وابدله مكانه فرحا فقيل يا رسول الله افلا نتعلمها فقال ينبغي لكل من سمعها ان يتعلمها واذا وجدت
وجعا في جسدك وفي جسد غيرك فارقه برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى الانسان
قرحة او جرحا وضع سبابته على الارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة ارضنا بريقة
بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا واذا وجدت وجعا في جسدك فضع يدك على الموضع الذي يالم من
جسدك وقل بسم الله ثلثا وقل سبع مرات اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر
فاذا اصابك كرب فقل لا اله الا الله العلي الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات
ورب العرش الكريم فاذا اردت النوم فتوضأ وضوءك للصلاة ثم مستقبل القبلة ثم

كبيرالله

كبر الله اربعا وثلثين وسبحه ثلثا وثلثين واحمده ثلثا وثلثين ثم قال اللهم اني اعوذ بك برضاك
من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك اللهم لا استطيع ان
ابلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن انت كما اثنيت على نفسك اللهم باسمك احيى وباسمك اموت
اللهم رب السموات ورب الارض ورب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والا
نجيل والفرقان اعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها انت الاول فليس
قبلك شيء وانت الآخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس
دونك شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر اللهم انت خلقت نفسي وانت تتوفاها لك مما
تها ومحياها اللهم ان امتها فاغفر لها وان احييتها فاحفظها اللهم اني اسالك العافية باسمك اللهم
وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك اللهم اسلمت نفسي اليك
وفوضت امري اليك والجأت ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا منجا ولا ملجا منك الا اليك امنت بكتابك
الذي انت ونبيك الذي وليكن هذا آخر دعائك فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك وليقل قبل ذلك اللهم ايقظني في احب الساعات اليك واستعملني باحب الاعمال اليك
تقربني اليك زلفى وتبعدني عن سخطك بعدا اسالك فتعطيني واستغفرك فتغفر لي وادعوك
فتستجيب لي واذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه
النشور اصبحنا واصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله اصبحنا على فطرة
الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة ابينا ابراهيم حنيفا وما كان
من المشركين اللهم بك اصبحنا وبك امسينا وبك نحيى وبك نموت واليك النشور اللهم انا
نسالك ان تبعثنا في هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك ان نجترح فيه سوءا او نجره الى مسلم فانك
انت قلت وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى
اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اسالك خير هذا اليوم وخير ما
فيه واعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله
ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا و
نبيا ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير فاذا امسى قال ذلك الا انه يقول امسينا ويقول مع
ذلك اعوذ بكلمات الله التامات واسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر كل
دابة ربي آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم واذا نظرت الى المرآة فقل الحمد لله الذي سوى
خلقي فعدله وكرم صورة وجهي وحسنها وجعلني من المسلمين واذا اشتريت خادما او غلاما او دابة
فخذ بناصيتها وقل اللهم اني اسالك خيره وخير ما جبل عليه واعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه واذا
هنيت بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير واذا قضيت الدين فقل للمقضي له
بارك الله في اهلك اذ قال عليه السلام انما جزاء السلف الحمد والاداء فهذه ادعية لا

اذ قال عليه السلام [illegible] وما سوى ذلك من ادعية السفر والصلوة والوضوء فقد ذكرناه في
كتاب الحج والصلوة والطهارة فان قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له فاعلم ان من القضاء رد البلاء
بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم والماء سبب في
الخروج   من الارض فكما ان الترس   فيتدافعان فكذلك الدعاء
والبلا يتعالجان وليس من   الاعتراف بقضاء الله عز وجل ان لا يحمل السلاح وقد قال الله تعالى خذوا حذركم
وان لا يسقي الارض بعد بث البذر فيقال ان سبق القضاء بالنبات نبت البذر بل ربط الاسباب با
المسببات هو القضاء الاول الذي هو كلمح البصر او هو اقرب وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الاسباب
على التدريج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدر لدفعه
سببا فلا تناقض بين هذه الامور عند من انفتحت بصيرته ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في
الذكر فانه يستدعي حضور القلب مع الله تعالى وهو منتهى العبادات ولذلك قال عليه السلام الدعاء مخ
العبادة والغالب على الخلق انه لا تنصرف قلوبهم الى ذكر الله تعالى الا عند المام الحاجة وارهاق ملمة ولان
الانسان اذا مسه الشر فذو دعاء عريض والحاجة تحوج الى الدعاء والدعاء يرد القلب الى الله تعالى بالتضرع
والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو اشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالانبيا ثم الاوليا
ثم الامثل فالامثل لانه يرد القلب بالافتقار والتضرع الى الله عز وجل ويمنع نسيانه واما الغنى فسبب
البطر في غالب الامر فان الانسان ليطغى ان راه استغنى فهذا ما اردنا ان نورده من جملة الاذكار و
الدعوات والله الموفق للخير واما بقية الدعوات في الاكل والشرب والسفر وعيادة المريض
وغيرها فسيأتي في مواضعها ان شاء الله تعالى تم كتاب الاذكار والدعوات

كتاب
ترتيب الاوراد في الاوقات وتفصيل احياء الليل
وهو الكتاب العاشر من ربع العبادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله تعالى على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر في القلب استكبارا ولا نفورا
شكورا ونصلي على محمد نبيه الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله وصحبه الاكرمين
الذين اجتهدوا في عبادة الله غدوة وعشيا وبكرة واصيلا حتى اصبح كل واحد منهم نجما
في الدين هاديا وسراجا منيرا اما بعد فان الله تعالى جعل الارض ذلولا لعباده لا ليستقروا في
مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها محترزين من مصايدها ومعاطبها ويتحققون
ان العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس في هذا العالم سفر واول منازلهم المهد
وآخرها اللحد والوطن هو الجنة او النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره
فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطواته وطاعته بضاعته واوقاته رؤس امواله وشهواته
وشهواته واغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم

ونشكره اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا

المقيم وخسرانه

المقيم وخسرانه المبين الذي الانكال والاغلال والعذاب الاليم في دركات الجحيم فالعاقل من نفسه
انفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه الى الله زلفى فمن تعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما
لها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية
ملاذ النفس واغتنموا بقايا الاعمار ورتبوا بحسب تكرار الاوقات وظائف الاوراد حرصا
على احياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي الى دار القرار فصار من مهمات
علم طريق الآخرة **تفصيل القول** في كيفية الاوراد وتوزيع العبادات
التي سبق شرحها على مقادير الاوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين **الباب الاول**
في فضيلة الاوراد وترتيبها في الليل والنهار **الباب الثاني** في كيفية احياء الليل
وفضيلته وما يتعلق به **الباب الاول** في فضيلة الاوراد وترتيبها واحكامها
فضيلة الاوراد وترتيبها واحكامها فضيلة الاوراد وبيان ان المواظبة هي
الطريق الى الله تعالى اعلم ان الناظرين بنور البصيرة لا نجاة الا في لقاء الله عز وجل
وانه لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محبا لله عز وجل وعارفا بالله تعالى وان المحبة والانس
لا تحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وان المعرفة به لا تحصل الا بدوام الفكر فيه
وفي صفاته وافعاله وانه ليس في الوجود سوى الله عز وجل وافعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر الا بوداع
الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم الا باستغراق
اوقات الليل والنهار في وظائف الاذكار والافكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال
لا تصبر على فن واحد من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد من
الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد اظهرت له الملال والاستثقال
وان الله عز وجل لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى فن
ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم
بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الاوراد قسمة مختلفة والذكر والفكر ينبغي ان
يستغرقا جميع الاوقات او اكثرها فان النفس بطبعها مائلة الى ملاذ الدنيا فان صرف العبد
شطر اوقاته الى تدبيرات الدنيا وشهواته المباحة مثلا والشطر الآخر الى العبادات
رجح جانب الميل الى الدنيا لموافقتها الطبع اذ يكون الوقت متساويا فاني يتقاومان والطبع لا
لاحدهما مرجح اذ الظاهر والباطن يتساعدان على امور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرد
واما الرد الى العبادات فمتكلف ولا يسلم اخلاص القلب وحضوره الا في بعض الاوقات فمن اراد
ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته في الطاعة ومن اراد ان تترجح كفة حسناته
وتثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا وآخر سيئا فامره
مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله عز وجل منتظر فعسى الله ان يغفر له بجوده

ولكن فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فان لم تكن من اهله فانظر الى خطاب الله تعالى
لرسوله صلى الله عليه وسلم واقتبسه بنور الايمان فقد قال تعالى لاكرم عباده اليه
واوسعهم درجة لديه ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا
وقال تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال تعالى وسبح
بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود وقال تعالى و
سبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وقال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد
وطاء واقوم قيلا وقال تعالى ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقال تعالى
واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ثم انظر كيف وصف
القانتين من عباده وبماذا وصفهم فقال عز وجل امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر
الاخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى تتجافى
جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما
وقال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال الله فسبحان
حين تمسون وحين تصبحون المستظهرين اى فسبحوا الله حين تمسون وحين تصبحون
وقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فهذا كله
يبين لك ان الطريق الى الله عز وجل مراقبة الاوقات وعمارتها بالاوراد على سبيل الدوام
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس و
القمر والاظلة لذكر الله تعالى وقد قال تعالى والشمس والقمر بحسبان وقال عز وجل الم تر الى
ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا
قبضا يسيرا وقال عز وجل والقمر قدرناه منازل وقال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم
لتهتدوا بها فلا تظنن ان المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان منظوم مرتب ومن
خلق الظل والنور والنجوم ان يستعان بها على امور الدنيا بل لتعرف بها مقادير الاوقات
فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للاخرة ويدلك على ذلك قول الله تعالى وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اى يخلف احدهما الاخر ليتدارك
في احدهما ما فات في الاخر وبين ان ذلك للذكر والشكر لا لغيره وقال تعالى وجعلنا
الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم
وانما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة **بيان** ترتيب الاوراد واعدادها **اعلم**
ان اوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح الى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس الى
الزوال وردان وما بين الزوال الى وقت العصر وردان وما بين العصر الى الغروب وردان
والليل ينقسم الى اربعة اوراد وردان من المغرب الى وقت نوم الناس ووردان في النصف الاخير

من الليل الى طلوع الصبح فلنذكر وظيفة كل ورد وفضيلته وما يتعلق به ثم ورد خامس وهو
ورد النوم يختص بالاذكار   الادعية فالورد الاول من طلوع الصبح الى طلوع الشمس
وقت شريف ويدل على فضله وشرفه اقسام الله عز وجل به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه
به اذ قال فالق الاصباح حتى قال عز وجل قل اعوذ برب الفلق واظهار القدرة بقبض الظل فيه
اذ قال ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو وقت قبض الظل وبسط نور الشمس وارشاد الناس
الى التسبيح فيه بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وبقوله تعالى فسبح بحمد
ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وقوله ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار وقوله تعالى
واذكر اسم ربك بكرة واصيلا واما ترتيبه فليأخذ من وقت انتباهه من النوم فاذا انتبه
ينبغي ان يبدا بذكر الله عز وجل فيقول الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى
آخر الادعية والآيات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ في كتاب الدعوات وليلبس ثوبه
وهو في الدعاء وينوي به ستر عورته امتثالا لامر الله تعالى واستعانة على عبادته من غير قصد
رياء ورعونة ثم يتوجه الى بيت الماء ان كانت به حاجة ويدخل اولا رجله اليسرى ويدعوا بالادعية
التي ذكرناها في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج ثم يستاك على السنة كما سبق ويتوضأ
مراعيا لجميع السنن والادعية التي ذكرناها في كتاب الطهارة فانا قدمنا احاد العبادات لكن
نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب في ترتيب فقط فاذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الصبح
اعني السنة في منزله كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرأ بعد الركعتين
اذا اداهما في البيت او المسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس ويقول اللهم اني اسالك رحمة من
عندك تهدي بها قلبي الى آخر الدعاء ثم يخرج من البيت متوجها الى المسجد ولا ينسى دعاء
الخروج الى المسجد ولا يسعى الى الصلوة بل يمشي وعليه السكينة والوقار كما ورد به الخبر ولا
يشبك بين اصابعه ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء الماثور لدخول المسجد
ثم يطلب من المسجد الصف الاول ان وجد متسعا ولا يتخطى الرقاب ولا يزاحم كما سبق في كتاب
الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر ان لم يكن صلاهما في المنزل ويشتغل بالدعاء المذكور بعدهما وان
كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظرا للجماعة والاحب التغليس بالجماعة
فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يغلس بالصبح ولا ينبغي ان يدع الجماعة في الصلوة عامة
وفي الصبح والعشاء خاصة فان لهما زيادة فضل فقد روى انس بن مالك رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى صلوة الصبح متوضيا ثم توجه الى المسجد يصلي فيه
الصلوة كان له   بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة بعشر امثالها فاذا صلى ثم انصرف
عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع
كتب له بكل ركعة الفا الف حسنة ومن صلى العتمة بالجماعة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة

وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر وقال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع
الفجر فلقيت ابا هريرة رضي الله عنه قد سبقني فقال يا ابن اخي لاي شيء خرجت من منزلك هذه الساعة
فقلت لصلوة الغداة فقال ابشر فانا كنا نعد قعودنا وخروجنا في المسجد في هذه الساعة
بمنزلة غزوة في سبيل الله او قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم انه طرقه وفاطمة رضي الله عنهما فقال الا تصلون فقال علي رضي الله عنه
قلت يا رسول الله انما انفسنا بيد الله عز وجل فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول وكان الانسان اكثر شيء جدلا
ثم ينبغي ان يشتغل بعد ركعتي الفجر ودعائه بالاستغفار والتسبيح الى ان تقام الصلوة
فيقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه سبعين مرة وسبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ثم يشتغل بالفريضة فيصلي ركعتي الفرض مراعيا جميع ما ذكرناه
من الاداب الباطنة والظاهرة في الصلوة والقدوة فاذا فرغ منها فيقعد في المسجد الى طلوع الشمس
في ذكر الله كما سنرتبه فقد قال صلى الله عليه وسلم لان اقعد في مجلس اذكر الله فيه من صلوة الغداة
الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعض الاخبار ويصلي ركعتين اي بعد الطلوع
وقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى وروى الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكر من
رحمة ربه عز وجل يقول انه قال يا ابن آدم اذكرني من بعد صلوة الفجر ساعة ومن بعد صلوة العصر
ساعة اكفك ما بينهما فاذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم الى طلوع الشمس بل ينبغي ان يكون
وظيفته الى الطلوع اربعة انواع ادعية واذكار يكررها في سبحة وقراءة وتفكر اما
الادعية فكلما يفرغ من صلوته فليبدأ وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم انت السلام
ومنك السلام واليك يعود السلام فحينا ربنا بالسلام وادخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال
والاكرام ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحان ربي الاعلى
الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير
وهو على كل شيء لا اله الا الله اهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه
مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ثم يبتدئ بالادعية التي اوردناها في الباب الثالث والرابع
من كتاب الادعية فيدعو بجميعها ان قدر عليها او يحفظ من جملتها ما يراه اوفق لحاله وارق
لقلبه واخف على لسانه واما الاذكار المكررة فهي كلمات ورد في تكرارها فضائل لم نطول بايرادها
واقلها ينبغي ان يكرر كل واحدة منها ثلثا او سبعا واكثرها مائة او سبعون واوسطها عشر
فليكررها بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الاكثر اكثر والاوسط الاقصد ان يكررها
عشر مرات فذلك اجدر ان يدوم عليه وخير الامور ادومها وان قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة

على كثيرها

على كثيرها لفضيلتها مع المداومة مدة متصلة واشد تاثيرها في القلب من كثيرها ومثال القليل
الدائم مثال قطرات من ماء تتقاطر على الارض على التوالي فتحدث فيها حفرة ولو وقع ذلك على
الحجر ومثال الكثير المتفرق مثال ماء يصب دفعة واحدة او دفعات متفرقات متباعدة الاوقات
فلا يبين لها اثر ظاهر فهذه الكلمات العشر الاولى قول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شي قدير الثانية قوله سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله الثالثة قوله سبوح قدوس
رب الملائكة والروح الرابعة قوله سبحان الله العظيم وبحمده الخامسة قوله استغفر الله
العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم واساله التوبة السادسة قوله اللهم لا مانع لما اعطيت
ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد السابعة قوله لا اله الا الله الملك الحق المبين
الثامنة قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم التاسعة
قوله اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آل محمد العاشرة قوله اعوذ بالله
السميع العليم من الشيطان الرجيم اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان
يحضرون فهذه العشر كلمات اذا كرر كل واحد عشر مرات حصل له مائة مرة فهو افضل من
ان يكرر ذكرا واحدا مائة مرة لان لكل واحدة من هذه الكلمات فضلا على حياله وللقلب بكل واحد
نوع تنبه وتلذذ وللنفس في الانتقال من كلمة الى كلمة نوع استراحة وامن من الملال فاذا فرغ
يستحب له قراءة جملة من الآيات التي وردت الاخبار بفضلها فهو ان يقرأ سورة الحمد وآية
الكرسي وخاتمة البقرة من قوله تعالى آمن الرسول وشهد الله وقل اللهم مالك الملك الآيتين وقوله
عز وجل لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخرها وقوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الى آخرها
وقوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية وخمس آيات من اول الحديد وثلث آيات من آخر سورة الحشر
وان قرأ المسبعات العشر التي اهداها الخضر عليه السلام الى ابرهيم التيمي ووصاه ان يقولها
غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الادعية المذكورة فقد
روي عن كرز بن وبرة وكان من الابدال قال اتاني اخ من اهل الشام فاهدى لي هدية وقال يا كرز
اقبل مني هذه الهدية فانها نعم الهدية فقلت يا اخي من اهدى لك هذه الهدية قال اعطانيها
ابرهيم التيمي قلت افلم تسال ابرهيم من اعطاه فقال بلى فقال كنت جالسا في فناء الكعبة وانا
في التهليل والتسبيح والتمجيد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم ار في زماني احسن منه
وجها ولا احسن منه ثيابا ولا اشد بياضا ولا اطيب ريحا منه فقلت يا ابا عبد الله من انت ومن
اين جئت فقال انا الخضر فقلت في اي شي جئتني فقال جئتك للسلام عليك وحبا لك في الله عز وجل
وعندي هدية اريد ان اهديها اليك فقلت ما هي فقال هي ان تقول قبل طلوع الشمس وانبساطها
على الارض وقبل الغروب سورة الحمد سبع مرات وقل اعوذ برب الناس وقل اعوذ برب الفلق سبع

سورٍ وقل هو الله احد وقل يا ايها الكافرون واية الكرسي كل واحد سبع مرات وتقول سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبعا وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر
للمؤمنين والمؤمنات سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك سبعا وتقول اللهم يا رب افعل
بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا يا مولاي ما نحن له
اهل انك غفور رحيم جواد كريم رؤف رحيم سبع مرات وانظر ان لا تدع ذلك غدوة و
عشية فقلت احب ان تخبرني من اعطاك هذه العطية فقال اعطانيها محمد صلى الله عليه
وسلم فسله عن ثوابه فانه يخبرك بذلك فذكر ابرهيم التيمي انه رأى ذات يوم في منامه كان
الملائكة جاءته فاحتملته حتى ادخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف امورا عظيمة مما رآه في
الجنة قال فسألت الملائكة فقلت لمن هذا كله فقالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر انه اكل من ثمارها
وسقوه من شرابها قال فاتاني النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من
الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق الى المغرب فسلم علي واخذ بيدي فقلت يا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الخضر اخبرني انه سمع منك هذا الحديث فقال صلى الله عليه وسلم صدق الخضر صدق
الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم اهل الارض وهو رئيس الابدال وهو من جنود الله
عز وجل في الارض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا او عمله ولم ير مثل الذي رأيت في منامي
هل يعطى شيئا مما اعطيته فقال والذي بعثني بالحق نبيا انه ليعطى العامل بهذا وان
يرني ولم ير الجنة فانه ليغفر له جميع الكبائر التي عملها ويرفع الله سبحانه عنه غضبه
ومقته ويأمر صاحب الشمال ان لا يكتب عليه شيئا من السيئات الى سنة والذي
بعثني بالحق نبيا ما يعمل بهذا الا من خلقه الله عز وجل سعيدا ولا يتركه الا من خلقه
الله عز وجل شقيا وكان ابراهيم التيمي يمكث اربعة اشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان
بعد هذه الرؤيا فهذه وظيفة القراءة فان اضاف اليها شيئا مما انتهى اليه ورده من
القرآن او اقتصر عليه فحسن فالقرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما
ذكرنا فضله وآدابه في كتاب التلاوة واما الافكار ذلك احدى وظائفه وسيأتي
تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكر من ربع المنجيات ولكن مجامعه ترجع الى
فنين الفن الاول ان يتفكر فيما ينفعه في المعاملة بان يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره
ويرتب وظائف يومه الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن
الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق اليه الخلل من اعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة
في اعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين الفن الثاني فيما ينفعه في علم المكاشفة وذلك
بان يتفكر مرة في نعم الله عز وجل وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر
شكره عليها او في عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الله عز وجل واستغنائه وتزيد

خوفه

خوف منها ولكل واحد من هذه الامور شعب كثيرة يتسع الفكر فيها على بعض الخلق دون البعض وانما
يستقصى ذلك في كتاب التفكر ومهما تيسر التفكر فهو اشرف العبادات اذ فيه معنى الذكر لله
سبحانه وزيادة امرين احدهما زيادة المعرفة اذ التفكر مفتاح المعرفة والكشف والثاني زيادة
المحبة اذ لا يحب القلب الا من اعتقد تعظيمه ولا ينكشف عظمة الله سبحانه وجلاله الا بمعرفة
صفاته ومعرفة قدرته وعجائب افعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن
التعظيم المحبة والذكر ايضا يورث الانس وهو نوع من المحبة والتعظيم ولكن المحبة التي
سببها المعرفة اقوى واثبت واعظم ونسبة محبة العارف الى انس الذاكر من غير تمام
الاستبصار نسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن اخلاقه وافعاله
وفضائله الحميدة بالتجربة الى انس من كرر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه با
لحسن في الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته له كمحبة المشاهد
وليس الخبر كالمعاينة والعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان الذين صدقوا بما
جاءت به الرسل بالايمان التقليدي ليس معهم من صفات الله سبحانه الا امورا
جمليا اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال
والجمال بعين البصيرة الباطنة التي هي اقوى من البصر الظاهر لان احدا لم يحط بكنه جلاله
وجماله فان ذلك غير مقدور لاحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب
ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها وانما عدد حجبها التي استحقت ان تسمى نورا
وكاد يظن الواصل اليها انه قد تم وصوله الى الاصل فهي سبعون قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل ما ادرك بصره وتلك الحجب
ايضا مرتبة وتلك الانوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو
في الاول اصغرها ثم ما يليه وعلى ذلك اول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لابراهيم
عليه السلام في ترقيه وقال لما جن عليه الليل اي اظلم عليه الامر رأى كوكبا اي وصل الى حجاب
من حجب النور فعبر عنه بالكوكب وما اريد به هذه الاجسام المضيئة فان آحاد العوام لا يخفى
عليهم ان الربوبية لا يليق بالاجسام بل يدركون ذلك باوائل نظرهم فما لا يضلل العوام لا
يضلل الخليل عليه السلام والحجب انوارا ما اريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل اريد
بها ما اريد بقوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية ولنتجاوز
هذه المعاني فانها خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل الى حقائقها الا الكشف التابع للفكر
الصافي وقل من ينفتح له بابه والمتيسر على جماهير الخلق الفكر فيما يفيد في علم المعاملة وذلك
ايضا مما تعزيه ويعظم نفعه فهذه الوظائف الاربعة اعني الدعاء و
القراءة والذكر ينبغي ان يكون وظيفة المريد بعد صلاة الصبح بل في كل ورد وبعد الفراغ

من وظيفة الصلوة تليق بعد الصلوة وظيفة سوى هذه الاربع ويتقوى على ذلك بان ياخذ سلاحه
و جنته والصوم هو الجنة التى تضيق مجارى الشيطان المعادى الصارف له عن سبيل الرشاد
وليس بعد طلوع الصبح صلوة سوى ركعتى الفجر وفرض الفجر الى طلوع الشمس كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم يشتغلون فى هذا الوقت بالاذكار فهو الاولى الا
ان يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع الا بالصلوة فلو صلى لذلك فلا باس به الورد الثانى
ما بين طلوع الشمس الى ضحوة النهار واعنى بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال
وذلك بمضى ثلث ساعات من النهار اذا فرض النهار اثنتى عشرة ساعة وهو الربع وفى هذا
الربع من النهار وظيفتان زائدتان احدهما صلوة الضحى وقد ذكرناها فى كتاب الصلوة ان الاولى
ان يصلى ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قيد نصف رمح ويصلى
اربعا او ستا او ثمانيا اذا ارمضت الفصال وضحيت الاقدام بحر الشمس فوقت الركعتين
هو الذى اراده الله تعالى بقوله يسبحن بالعشى والاشراق فانه وقت اشراق الشمس وهو
ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والغبارات التى على وجه الارض فانها
تمنع اشراقها التام ووقت الركعات الاربع هو الضحى الاعلى الذى اقسم الله عز وجل به فقال
والضحى والليل اذا سجى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم يصلون
عند الاشراق فنادى باعلى صوته الا ان صلوة الاوابين اذا رمضت الفصال فلذلك نقول
اذا كان يقتصر على مرة واحدة فى الصلوة فهذا الوقت افضل لصلوة الضحى وان كان اصل
الفضل يحصل بالصلوة بين طرفى وقت الكراهية وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف
رمح بالتقريب الى ما قبل الزوال فى ساعة الاستوا واسم الضحى ينطلق على الكل وكان ركعتى
الاشراق تقع فى مبدا وقت الاذان فى الصلوة وانقضا الكراهة اذ قال صلى الله عليه وسلم
ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها فاقل ارتفاعها ان ترتفع
عن بخار الارض وغبارها وهذا يراعى بالتقريب الوظيفة الثانية فى هذا الوقت
الخيرات المتعلقة بالناس التى جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة
ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وما يجرى مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها
فان لم يكن شىء من ذلك عاد الى الوظائف الاربع التى قدمناها من الادعية والذكر
والقراءة والفكر او الصلوات المتطوع بها ان شاء فانها مكروهة بعد صلوة الصبح وليست
مكروهة الان فتصير الصلوة قسما خامسا من جملة وظائف هذا الوقت لمن اراده واما ما بعد
فريضة الصبح فتكره كل صلوة لا سبب لها وبعد الصبح الاحب ان يقتصر على ركعتى الفجر و
تحية المسجد ولا يشتغل بالصلوة بل بالاذكار والقراءة والدعاء والفكر والذكر الورد الثالث
من ضحوة النهار الى الزوال ونعنى بالضحوة المنتصف وما قبله بقليل وان كان بعد ثلث

ساعات بعد الطلوع فعندها وقبيل مضيها صلوة الضحى فاذا مضت ثلث اخرى فالظهر
فاذا مضت ثلث اخرى فالعصر فاذا مضت ثلث اخرى فالمغرب ومنزلة الضحى بين الزوال
والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب الا ان الضحى لم يفرض لانه وقت اكباب الناس على
اشتغالهم فخفف عنهم والوظيفة في هذا الوقت الاقسام الاربعة وزيادة امر آخر هو الاشتغال
بالكسب وتدبير المعاش وحضور السوق فان كان تاجرا فينبغي ان يتجر بصدق وامانة وان كان
صاحب عمل فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله عز وجل في جميع اشغاله ويقتصر من
الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على ان يكتسب في كل يوم لقوته فاذا حصلت كفاية
يومه فليرجع الى بيته بعد ذلك وليتزود لآخرته فان الحاجة الى زاد الآخرة اشد والتمتع
به ادوم فالاشتغال بكسبه اهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل لا يوجد المؤمن
الا في ثلثة مواطن مسجد يعمره او بيت يستره او حاجة لا بد منها وقل من يعرف القدر فيما
لا بد منه بل اكثر الناس يقدرون فيما عنه بد انه لا بد لهم منه وذلك لان الشيطان يعدهم
الفقر ويأمرهم بالفحشاء فيصغون اليه ويجمعون ما لا يأكلون خيفة الفقر والله يعدهم
مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه الامر الثاني القيلولة وهي سنة
يستعين بها على قيام كما ان السحور سنة يستعين بها على صيام النهار فان كان
لا يقوم بالليل ولكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط اهل الغفلة وتحدث معهم
فالنوم احب له اذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع الى الاذكار والوظائف المذكورة اذ في النوم
الصمت والسلامة وقد قال بعضهم يأتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه افضل اعمالهم
وكم من عا احسن احواله النوم وذلك اذا كان يرائي بعبادته ولا يخلص فيها فكيف
بالغافل الفاسق قال سفيان الثوري كان يعجبهم اذا تفرغوا ان يناموا طلبا للسلامة
فاذا نام على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل فنومه قربة ولكن ينبغي ان يتنبه قبل
الزوال بقدر الاستعداد للصلوة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلوة فان ذلك
من فضائل الاعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلوة والذكر فهو افضل
اعمال النهار لانه وقت غفلة الناس عن الله تعالى واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب المتفرغ
لخدمة ربه عز وجل عند اعراض العبيد عن بابه جدير بان يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه
ومعرفته وفضل ذلك كفضل احياء الليل فان الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة
باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا معنى قوله تعالى وهو الذي جعل الليل و
النهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي يخلف احدهما الآخر في الفضل او الثاني انه
يخلفه فيتدارك فيه ما فات في احدهما الورد الرابع ما بين الزوال الى الفراغ من صلوة
الظهر وراتبته وهو اقصر اوراد النهار وافضلها فاذا كان توضأ قبل الزوال وحضر المسجد

ثم اذا زالت الشمس وابتدا المؤذن بالاذان فلينصرف الى الفراغ من جواب اذانه ثم ليقم الى احيايا بين الاذانين فهو وقت الاظهار الذي اراد الله عز وجل بقوله وحين تظهرون ويصلي في

هذا الوقت اربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليم وهذه الصلوة وحدها من بين ساير الصلوات النهار نقل انه كان صلى الله عليه وسلم بتسليمة واحدة لكن طعن في تلك الرواية هكذا قال بعض العلماء ومذهب الشافعي رحمه الله انه يفصل بتسليمتين مثنى مثنى كساير النوافل وهو الذي صحت به الاخبار وليطول هذه الركعات اذ فيها تفتح ابواب السماء كما اوردنا الخبر فليطول هذه الركعات اذ فيها تفتح ابواب السماء كما اوردناه فيه في باب صلوة التطوع وليقرأ فيها سورة البقرة او سورتين من المثين او اربعا من المثاني فهذه ساعة يستجاب فيها الدعاء واحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرفع له فيها عمل ثم يصلي الظهر في جماعة بعد اربع ركعات طويلة كما سبق او قصيرة ولا ينبغي ان يدعها ثم ليصلي بعد الظهر ركعتين ثم اربعا اذ كره ابن مسعود ان الفريضة بمثلها من غير فاصل ويستحب ان يقرأ في هذه النافلة آية الكرسي وآخر البقرة والآيات التي اوردناها في الورد الاول ليكون ذلك جامعا له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلوة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت

الورد الخامس ما بعد ذلك الى العصر ويستحب فيه العكوف الى في المسجد مشتغلا بالذكر والصلوة وفنون الخير فيكون انتظار الصلوة معتكفا فمن فضايل الاعمال انتظار الصلوة بعد الصلوة وكان ذلك سنة السلف كان الرجل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دوي كدوي النحل من التلاوة فان كان بيته اسلم لدينه واجمع لهمه فالبيت افضل في حقه واحيا هذا الورد ايضا وهو وقت غفلة الناس كاحيا الورد الثالث في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال اذ يكره نومتان بالنهار قال بعض العلماء ثلث يمقت الله عز وجل عليها الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع ونوم بالنهار من غير سهر بالليل والحد في النوم ان الليل والنهار اربع وعشرون ساعة فالاعتدال في نومه ثمان ساعات في الليل والنهار جميعا فان نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وان نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم ان عاش ستين سنة ان ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثماني ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذا للروح كما ان الطعام غذا للبدن وكما ان العلم والذكر غذا للقلب لم يكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضي الى اضطراب البدن الا من يتعود السهر تدريجا فقد تمرن عليه نفسه من غير اضطراب وهذا الورد من اطول الاوراد واسعها للعباد وهو احد الآصال ذكرها به عز وجل اذ قال الله عز وجل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال فاذا سجد لله

عرض من الجمادات

عز وجل الجمادات فكيف يجوز ان يغفل العبد العاقل عن انواع العبادات السادس اذا دخل وقت
العصر خل وقت الورد السادس وهو الذي اقسم الله عز وجل به اذ قال والعصر هذا احد معنى
الآية وهو المراد بالآصال في احد التفسيرين وهو العشي المذكور في قوله وعشيا وفي قوله بالعشي و
الاشراق وليس في هذا الورد صلوة الا اربع ركعات بين الاذانين كما في الظهر ثم يصلي الفرض
ويشتغل بالاقسام الاربعة المذكورة في الورد الاول الى ان ترتفع الشمس الى رؤس الحيطان وتصفر
والافضل فيه اذ منع عن الصلوة تلاوة القرآن بتدبر وتفهم اذ يجمع ذلك معنى الذكر والدعاء و
الفكر فيندرج في هذا   اكثر مقاصد الاقسام الثلثة الورد السابع اذا اصفرت
الشمس بان تقرب من الارض بحيث يغطي نورها الغبارات والبخارات التي على وجه الارض و
يرى صفرة في ضوئها فيدخل هذا الورد وهو مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لانه
قبل الغروب كما ان ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون وهذا الطرف الثاني المراد بقوله واطراف
النهار قال الحسن كانوا اشد تعظيما للعشي منهم لاول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون
اول النهار للدنيا وآخره للآخرة فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكرنا
في الورد الاول مثل ان يقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه واسأله التوبة
وسبحان الله العظيم وبحمده ومن قوله واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار والاستغفار
الذي على الاسماء التي في القرآن احب كقوله تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا استغفروا انه كان توابا
رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين واغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين   ان يقرأ قبل
الطلوع والغروب والشمس وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين ولتغرب الشمس عليه وهو في الا
ستغفار فاذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك كما سبق ثم يجيب المؤذن
ويشتغل بصلوة المغرب بالغروب قد انتهت اوراد النهار فينبغي ان يلاحظ العبد احواله ويحاسب
نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فهل ساوى يومه امسه فيكون مغبونا او كان شرا
ملعونا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرا فان راى نفسه
متوفرا على الخير جميع نهاره ورفعها عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله عز وجل على توفيقه
وتسديده اياه لطريقه وان تكن الاخرى فالليل خلفة للنهار فليعزم على تلافي ما سبق من تفر
فان الحسنات يذهبن السيئات وليشكر لله على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول الليل ليشتغل
بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه ان نهار العمر له آخر فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعد طلوع
بعد ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الا اياما معدودة تنقضي لا محالة
جملتها بانقضاء آحادها بيان اوراد الليل وهي خمسة الورد الاول اذا غربت
الشمس صلى المغرب واشتغل باحياء ما بين العشائين وآخر هذا   غيبوبة الشفق يعني

الحمرة التي بغيبوبتها يدخل وقت عشاء الآخرة وقد اقسم الله عز وجل به فقال عز وجل فلا اقسم
بالشفق والصلوة في ذلك الوقت هي ناشئة الليل لانه اول نشوء ساعاته وهي هو آني صلاة
المذكور في قوله عز وجل ومن آناء الليل فسبح وهي صلوة الاوابين وهو المراد بقوله تعالى تتجافى
جنوبهم عن المضاجع روى ذلك عن الحسن واسنده ابن ابي الزناد الى النبي صلى الله عليه وسلم
انه سئل عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم الصلوة ما بين العشائين ثم قال صلى الله عليه
وسلم عليكم بالصلوة بين العشائين فانها تذهب بملاغاة النهار وتهذب آخره والملاغاة جمع
ملغاة من اللغو وسئل انس عمن ينام بين العشائين فقال لا تفعل فانها الساعة المعنية
بقوله عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع وسيأتي فضل احياء ما بين العشائين في الباب
الثاني وترتيب هذا الورد ان يصلي بعد المغرب ركعتين اولا يقرأ فيهما قل يا ايها الكافرون
وقل هو الله احد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام وشغل ثم يصلي اربعا يطيلها
ثم يصلي الى غيبوبة الشفق ما تيسر له فان كان المسجد قريبا فلا بأس ان يصليها
في بيته ان لم يكن عزمه على العكوف في المسجد وان عزم على العكوف في انتظار العتمة فهو
الافضل اذا كان آمنا من التصنع والرياء **الورد الثاني** بدخول وقت العشاء الآخرة
الى حد نوم الناس وهو اول استحكام الظلام وقد اقسم الله تعالى به اذ قال والليل وما وسق اي
ما جمع من ظلمته وقال تعالى الى غسق الليل فهناك اي غسق الليل ويستوسق ظلمته وترتيب هذا
الورد بمراعاة ثلثة امور **الاول** ان يصلي سوى فرض العشاء عشر ركعات اربع قبل الفرض
احياء لما بين الاذانين وستة بعد الفرض ركعتين ثم اربعا ويقرأ فيها من القرآن الآيات
المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسي واول الحديد وغيرها **الثاني** ان يصلي ثلث عشرة ركعة
آخرهن الوتر فانه اكثر ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بها من الليل والاكياس
ياخذون اوقاتهم اول الليل والاقوياء من آخره والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ او
يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة له فآخر الليل افضل ثم ليقرأ في هذه الصلوة قدر
ثلثمائة آية من السور المخصوصة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل
يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة فان لم يصل
فلا يدع قراءة هذه السور بعضها قبل النوم فقد روي في ثلث احاديث ما كان يقرأه
النبي صلى الله عليه وسلم في كل ليلة اشهرها السجدة وتبارك الملك وفي رواية الزمر وبني
اسرائيل وفي اخرى انه كان صلى الله عليه وسلم يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيها آية افضل
من الف آية وكان العلماء يجعلونها ستا ويزيدون سبح اسم ربك اذ في الخبر ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب سبح اسم ربك الاعلى وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ في ثلث
ركعات الوتر ثلث سور سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وسورة الاخلاص فاذا

فرغ قال

ثم قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح ثلث مرات   الوتر وليوتر
قبل النوم ان لم تكن عادته القيام قال ابو هريرة رضي الله عنه اوصاني خليلي صلى الله عليه
وسلم ان لا انام الا على وتر وان كان معتادا الصلوة في الليل فالتاخير افضل قال صلى الله عليه
وسلم صلوة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقالت عايشة رضي الله عنها
اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الليل واوسطه وآخره وانتهى وتره الى السحر وقال
علي رضي الله عنه الوتر على ثلثة انحا ان شئت   اول الليل ثم صليت ركعتين
ركعتين يعني انه يصير وترا لما مضى وان شئت اوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت الماضي
اليها اخرى ثم اوترت من اخر الليل وان شئت اخرت الوتر ليكون آخر صلوتك هذا ما روي عنه
صلى الله عليه وسلم والطريق الاول والثالث لا باس به واما نقض الوتر فقد صح فيه نهي فلا ينبغي
ان ينقض وروى مطلقا انه صلى الله عليه وسلم قال لا وتران في ليلة ولمن يتردد في استيقاظه
تلطف استحسنه بعض علماء وهو ان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند النوم كان النبي
صلى الله عليه وسلم يزحف الى فراشه ويصليهما ويقرا فيهما اذا زلزلت والهاكم التكاثر لما
فيهما من التحذير والوعيد وفي رواية قل يا ايها الكافرون لما فيهما من التنزيه وافراد
العبادة لله عز وجل وقيل ان استيقظ قامتا مقام ركعة واحدة وكان له ان يوتر في آخر
صلوته فكانه صار بما مضى شفعا بهما وحسن استيناف الوتر فاستحسن هذا ابو طالب المكي وقال
فيه ثلثة اعمال قصر الامل وتحصيل الوتر والوتر آخر الليل وهو كما ذكره لكن ربما يخطر انهما لو
شفعتا ما مضى لكان كذلك وان لم يستيقظ لبطل وتره الاول فكونه شافعا ان استيقظ
غير شافع ان نام فيه نظر الا ان يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم ايتاره قبلهما واعادة
الوتر فيفهم منه ان الركعتين شفع   وترهما فيحسب ان استيقظ
شفعا ان لم يستيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر ان يقول سبحان الملك القدوس
رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة و
قهرت العباد بالموت وروي   صلى الله عليه وسلم ما مات حتى كان اكثر صلوته جالسا الا المكتوبة
وقال صلى الله عليه وسلم للقاعد نصف اجر القائم وللنائم نصف اجر القاعد وذلك يدل
على صحة النافلة نائما الورد الثالث النوم ولا باس ان يعد ذلك في الاوراد فانه اذا روعيت
ادابه احتسب عبادة فقد نقل انه اذا نام العبد على طهارة ذاكرا لله عز وجل يكتب مصليا حتى
يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فان تحرك في نومه فذكر الله عز وجل دعا له الملك واستغفر له
وفي الخبر انه اذا نام العبد على طهارة رفع روحه الى العرش هذا في العوام فكيف في العلماء
وارباب القلوب الصافية فانهم يكاشفون بالاسرار في النوم ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح وقال معاذ لابي موسى رضي الله عنهما كيف تصنع في قيام الليل

فقال اقوم الليل اجمع فلا انام منه شيئا واتفوق القرآن فيه تفوقا وقال معاذ اقوم
واحتسب في نومتي ما احتسب في قومتي فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ افقه منك **وآداب النوم**
عشرة **الاول** الطهارة والسواك قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا نام العبد على طهارة ع
عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ
فتلك المنامات اضغاث احلام لا تصدق وهذا اريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا و
طهارة الباطن هي المؤثرة في انكشاف حجب الغيب **الثاني** ان يعد عند راسه سواكه و
طهوره وينوي القيام للعبادة عند التيقظ وكلما تنبه يستاك كذلك كان يفعل بعض
السلف وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة و
عند التنبه منها وان لم يتيسر له الطهارة فيستحب مسح الاعضاء بالماء فان لم يجد فليقعد
وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر في آلاء الله عز وجل وقدرته فذلك
يقوم مقام قيام الليل قال صلى الله عليه وسلم من اتى فراشه وهو ينوي ان يقوم ويصلي
من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى
الثالث ان لا يبيت من له وصية الا ومكتوبة عنده فانه لا يامن القبض في النوم فقال ان
من مات من غير وصية له في الكلام بالبرزخ الى يوم القيامة تتزاور الاموات
ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات عن غير وصية وذلك
مستحب خوفا من موت الفجاءة وموت الفجاءة تخفيف الا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل
الظهر بالمظالم **الرابع** ان ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه
احد لا يعزم على معصية ان استيقظ قال النبي صلى الله عليه وسلم من اوى الى فراشه
لا ينوي ظلم احد ولا يحقد على احد غفر له ما اجترم **الخامس** ان لا يتنعم بتمهيد الفرش
الناعمة بل يترك ذلك او يقتصد فيه وكان بعض السلف يكره التمهيد ويرى ذلك تكلفا للنوم
وكان اهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا واليها نرد
وكانوا يرون ذلك ارق لقلوبهم واجدر لتواضع نفوسهم فمن لا تسمح بذلك نفسه فليقتصد
السادس ان لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه الا اذا قصد به الاستعانة على قيام
الليل في اخر الليل فقد كان نومهم غلبة واكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بانهم كانوا
قليلا من الليل ما يهجعون فان غلبه النوم عن والذكر وصار لا يدري ما يقول فلينم حتى
يعقل ما يقول كان ابن عباس رضي الله عنه يكره النوم قاعدا وفي الخبر لا تكابدوا الليل وقيل للنبي
صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلي بالليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى صلى الله عليه وسلم
عن ذلك وقال ليصل احدكم من الليل ما تيسر فاذا غلبه النوم فليرقد وقال صلى الله عليه وسلم

تكلفوا

فتكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وقال صلى الله عليه وسلم خير هذا الدين
ايسره وقيل له ان فلانا يصلي فلا ينام ويصوم فلا يفطر فقال صلى الله عليه وسلم لكني اصلي وانام واصوم وافطر
هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني وقال صلى الله عليه وسلم لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن
يشاده يغلبه ولا تبغض الى نفسك عبادة الله عز وجل **السابع** ان ينام مستقبل القبلة
والاستقبال على ضربين احدهما استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله ان يكون
بوجهه واخمصاه الى القبلة والثاني استقبال اللحد وهو ان ينام على جنب بان يكون وجهه اليها
مع قبالة بدنه اذا نام على الشق الايمن **الثامن** الدعاء عند النوم فيقول باسمك اللهم
وضعت جنبي وباسمك ارفعه الى آخر الدعوات المأثورة التي اوردناها في كتاب الدعوات
ويستحب ان يقرأ الآيات مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيرها ويقرأ قوله تعالى والهكم
اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم الى قوله تعالى لآيات لقوم يعقلون يقال انه من قرأها عند
النوم حفظ عليه القرآن فلم ينسه ويقرأ من سورة الاعراف هذه الآيات ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام وآخر بني اسرائيل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الآيتين فانه
يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه يستغفر له ويقرأ المعوذتين وينفث بهما في يديه ويمسح بهما
وجهه وجسده كذلك روي من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليقرأ عشرا من اول سورة
الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآي للاستيقاظ لقيام الليل وكان علي رضي الله عنه يقول ما
ارى ان رجلا مستكملا عقله ينام قبل ان يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين
مرة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ليكون مجموع هذه الكلمات مائة مرة
التاسع ان يتذكر عند النوم ان النوم نوع وفاة واليقظة نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فسماهما توفيا وكما ان المستيقظ ينكشف له مشاهدات
لا تناسب احواله في النوم فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر قط بباله ولا شاهده حسه ومثل
النوم بين الموت والحياة مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة وقال لقمان لابنه يا بني ان كنت
تشك في الموت فلا تنم فكما انك تنام فكذلك تموت وان كنت تشك في البعث فلا تنتبه بعد
نومك فكما انك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك وقال كعب الاحبار اذا نمت
فاضطجع على شقك الايمن واستقبل القبلة بوجهك فانها وفاة وقالت عائشة رضي
الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو
يرى انه ميت في ليلته تلك اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء
ومليكه الدعاء الى آخره كما ذكرناه في الدعوات فحق على العبد ان يفتش عن قلبه عند نومه انه
على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله وحب لقائه او حب الدنيا وليتحقق انه يتوفى على ما هو
الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فان المرء مع من احب ومع ما احب **العاشر** الدعاء عند

التنبه فليقل في تيقظاته وتقلباته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اله
الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار وليجتهد ان يكون
آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى واول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى
فهو علامة الحب ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين الا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه به
فانها علامة تكشف عن باطن القلب وانما استحبت هذه الاذكار ليستتبع القلب الحب لذكر الله عز وجل
فاذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى آخر ما اوردناه
عند التيقظ **الورد الرابع** يدخل بمضي النصف الاول من الليل الى ان يبقى من الليل سدسه وعند
ذلك يقوم العبد للتهجد فيختص باسم الهجود وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد
الذي بعد الزوال وهو وسط النهار وبه اقسم الله تعالى فقال والليل اذا سجى اي اذا سكن وسكونه
هدوه في هذا الوقت فلا تبقى عين الا نائمة سوى الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم
وقيل اذا سجى اذا استطال وقيل اذا اظلم وسئل النبي صلى الله عليه وسلم اي الليل اسمع
فقال جوف الليل وقال داود صلى الله عليه وسلم الهي اني احب ان اتعبد لك فاي وقت افضل
فاوحى الله عز وجل اليه لا تقم اول الليل ولا آخره فانه من قام اوله نام آخره ومن قام آخره لم
يقم اوله ولكن قم وسط الليل ى تا خلا بي وارفع الي حوائجك وسئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي الليل افضل فقال نصف الليل الغابر يعني الباقي وفي آخر الليل وردت
الاخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار الى سماء الدنيا وغير ذلك
من الاخبار وترتيب هذا الورد انه بعد الفراغ من الادعية التي للاستيقاظ يتوضأ وضوءه
كما سبق بسننه وآدابه وادعيته ثم يتوجه الى مصلاه ويقوم مستقبل القبلة ويقول الله
اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثم يسبح عشرا ويحمد عشرا ويهلل عشرا
وليقل الله اكبر ذو الملك والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات
فانها ماثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد انت نور السموات
والارض ولك الحمد انت بهاء السموات والارض ولك الحمد انت رب السموات والارض ولك الحمد انت
قيام السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن انت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق
والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت
وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت انت المقدم وانت
المؤخر لا اله الا انت اللهم آت نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها
اللهم اهدني لاحسن الاعمال فانه لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف سيئها
الا انت اسألك مسألة البائس المسكين وادعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلني بدعائك
رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما يا خير المسؤولين ويا اكرم المعطين وقالت عائشة رضي الله عنها

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلوته وقال اللهم رب جبرئيل وميكائيل
واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ثم
يفتتح الصلوة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر ان لم يكن
قد صلى الوتر ويستحب ان يفصل بين الصلوتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد
نشاطه للصلوة وقد صح في صلوة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل انه صلى اولا ركعتين
خفيفتين ثم يصلي ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقتصر
بالتدريج الى ثلث عشر ركعة وسئلت عائشة رضي الله عنها اكان يجهر النبي صلى الله عليه
وسلم في صلوة الليل ام يسر فقالت ربما جهر وربما اسر وقال النبي صلى الله عليه وسلم صلوة الليل
مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقال صلوة المغرب اوترت صلوة النهار فاوتروا
صلوة الليل واكثر ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ثلث عشر ركعة ويقرا
في هذه الركعات من ورده من القرآن او من السور المخصوصة ما خف عليه وهو في حكم هذا
يد المتقرب من السدس الاخير من الليل **الورد الخامس** السدس الاخير من الليل وهو وقت
السحر قال الله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب
للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل واقبال ملائكة النهار وقد امر بهذا الورد سلمان اخاه
ابا الدرداء رضي الله عنهما ليلة زاره في حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل ذهب ابو الدرداء
ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له نم فنام فلما كان عند الصبح قال له
سلمان قم الآن فقاما وصليا فقال ان لنفسك اليوم عليك حقا وان لزوجك عليك حقا
وان لضيفك اليوم عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه وذلك ان امراة ابي الدرداء اخبرت
سلمان انه لا ينام الليل فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال صلى الله عليه وسلم
صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب السحور وذلك عند خوف طلوع الفجر
والوظيفة في هذين الوردين الصلوة فاذا طلع الفجر انقضت اوراد الليل ودخلت اوراد
النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله فسبحه وادبار النجوم ثم يقرا شهد الله
انه لا اله الا هو والملائكة الى آخرها ثم يقول وانا اشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت
له ملائكته واولوا العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عنده وديعة واساله
حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احطط بها عني وزرا واجعلها لي عندك ذخرا واحفظها
علي وتوفني عليها حتى القاك بها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب الاوراد للعباد وقد كانوا
يستحبون ان يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين اربعة امور صوم وصدقة وان قلت وعيادة
مريض وشهادة جنازة ففي الخبر من جمع بين هذه الاربعة في يوم غفر له وفي رواية دخل

الجنة وان اتفق بعضها وعجز عن الآخر كان له اجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون ان ينقضي
اليوم ولم يتصدقوا فيه ولو بتمرة او ببصلة او كسرة خبز لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
الرجل   صدقته حتى يقضى بين الناس ولقوله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق
تمرة ودفعت عائشة رضي الله عنها الى سائل عنبة واحدة فاخذها فنظر بعض الحاضرين
الحاضرين الى بعض فقالت ما لكم ان فيها لمثاقيل ذر كثيرة وكانوا لا يكرهون رد السائل اذ
كان من اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم انه ما سأله احد شيئا فقال لا ولكنه صلى الله عليه وسلم
ان لم يقدر على شيء سكت وفي الخبر يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني
المفصل وفي جسده ثلثمائة وستون مفصلا وامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر
صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق صدقة واماطتك الاذى صدقة
حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى تاتي على ذلك كله او تجمع لك ذلك **بيان
اختلاف** الاوراد باختلاف الاحوال اعلم ان المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة
احوال فانه اما عابد واما عالم واما متعلم واما والي واما محترف واما موحد مستغرق بالواحد
الصمد عن غيره **الاول** العابد وهو المتجرد للعبادة الذي لا شغل له اصلا
ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب اوراده ما ذكرناه نعم لا يبعد ان تختلف وظائفه
بان يستغرق جميع اوقاته اما في الصلوة واما في القراءة او في التسبيحات فقد كان في
من ورده في اليوم اثنا عشر الف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلثون الفا وكان
منهم من ورده ثلثمائة والى الف ركعة واقل ما نقل من اورادهم من الصلوة مائة
ركعة في اليوم والليلة وكان بعضهم اكثر ورده القرآن فكان يختم الواحد منهم في
اليوم مرة وروي مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضي اليوم والليلة في التفكر في
آية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة فكان يطوف كل يوم سبعين اسبوعا
وفي كل ليلة سبعين اسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك
فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل اسبوع ركعتين فذلك مائتان وثمانون ركعة وختمتا
وعشرة فراسخ فان قلت فما الاولى ان يصرف اليه اكثر الاوقات من هذه الاوراد فاعلم ان قراءة
القرآن في الصلوة قائما مع التدبر والخشوع يجمع الجميع ولكن ربما تعسر المواظبة على ذلك
فالافضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الاوراد تزكية القلب وتطهيره و
تحليته بذكر الله عز وجل وايناسه به فلينظر المريد قلبه فما يراه اشد تاثيرا فيه
فليواظب عليه فاذا احس بملالة منه فلينتقل الى غيره ولذلك نرى الاصوب لاكثر الخلق
توزيع هذه الخيرات المختلفة   الاوقات كما سبق والانتقال من نوع منها الى نوع لانه
الملال هو الغالب على الطبع واحوال الشخص الواحد في ذلك تختلف ولكن اذا فهم منه

فقه الاوراد وسرها فليتبع المعنى فان سمع تسبيحه مثلا واحس لها موقعا في قلبه فليواظب على
تكرارها ما دام يجد لها وقعا وقد روي عن ابرهيم بن ادهم عن بعض الابدال انه قام ذات ليلة يصلي
شاطى البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير احدا فقال من انت اسمع صوتك ولا ارى
شخصك فقال انا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر اسبح الله عز وجل بهذا التسبيح منذ خلقت فقلت
ما اسمك فقال مهليهائيل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده
من الجنة او يرى له والتسبيح قوله سبحان الله العلي الاعلى سبحانه وتعالى سبحان الله شديد الاركان سبحان
من يذهب بالليل وياتي بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحان الحنان المنان سبحان
الله المسبح في كل مكان فهذا وامثاله اذا سمعه المريد ووجد له في قلبه وقعا فيلازمه مهما
وجد قلبه عنده ويفتح له فيه خير فليواظب عليه **الثالث** العالم الذي ينتفع الناس بعلمه
في فتوى او تدريس او تصنيف فترتيبه للاوراد يخالف العابد فانه يحتاج الى المطالعة للكتب
والى التصنيف والافادة ويحتاج الى مدة لذلك لا فان امكنه استغراق الاوقات فيه ويحتاج اوقات
في ذلك فهو افضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه
في فضيلة التعليم والتعلم في كتاب العلم وكيف لا يكون ذلك وفي العلم المواظبة على ذكر الله
تعالى وتامل ما قاله سبحانه وقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه منفعة الخلق وهدايتهم
الى طريق الآخرة ورب مسالة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها
لكان سعيه ضايعا وانما نعني بالعلم المقدم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الاخرة
ويزهدهم في الدنيا او العلم الذي يعينهم على سلوك طريق الآخرة اذا تعلموه على قصد الا
ستعانة به على السلوك دون العلوم التي تزيد الرغبة في المال والجاه وقبول الخلق والاولى
بالعالم ان يقسم اوقاته ايضا فان استغراق الاوقات في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغي
ان يخصص ما بعد الصبح الى طلوع الشمس بالاذكار والاوراد كما ذكرناه في الورد الاول وما
بعد الطلوع الى الضحوة في الافادة والتعليم ان كان عنده من يستفيد علما لاجل الآخرة وان لم
يكن عنده فيصرفها الى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فان صفا القلب من
الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعينه على التفطن للمشكلات ومن الضحا الى العصر
للتصنيف والمطالعة لا يتركها الا في وقت اكل وطهارة او مكتوبة وقيلولة خفيفة ان
طال النهار ومن العصر الى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرا بين يديه من تفسير او حديث او علم
نافع ومن الاصفرار الى الغروب يشتغل بالاستغفار والتسبيح فيكون ورده الاول قبل طلوع
الشمس في عمل اللسان وورده الثاني في عمل القلب الى الضحوة وورده الثالث من الضحوة
الى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة وورده الرابع بعد العصر في عمل السمع ليروح
العين واليد بالمطالعة والكتابة بعد العصر بما اضر ذلك بالبصر وعند الاصفرار يعود الى الذكر

اللسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل بالجوارح مع حضور القلب في الجميع واما بالليل
فيعد ورد المغرب واحياء ما بين العشائين وصلوة العتمة يقسم الليل فاحسن قسمة فيه
قسمة الشافعي رضي الله عنه اذ كان يقسم الليل ثلثة اجزاء ثلث للمطالعة وترتيب العلم
وهو الاول وثلث للصلوة وهو الاوسط وثلث للنوم وهو الاخير وهذا يتيسر في ليالي الشتا
واما الصيف فربما لا يحتمل ذلك الا اذا كثر النوم بالنهار فهذا ما يستحبه من ترتيب اوراد العالم
الثالث المتعلم والاشتغال بالتعلم افضل من الاشتغال بالذكر والنوافل فحكمه حكم
العالم في ترتيب الاوراد لكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة وبالتعليق
والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف وترتيب اوقاته كما ذكرناه وكلما ذكرناه في فضيلة
التعلم والتعليم يدل على ان ذلك افضل بل ان لم يكن متعلما على معنى انه يعلق ويحصل
عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والعلم والوعظ افضل من الاشتغال بالاوراد
التي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي ساير الاوقات ففي حديث ابي ذر رضي الله عنه
حضور مجلس علم افضل من صلوة الف ركعة وشهود الف جنازة وعيادة الف مريض وقال
النبي صلى الله عليه وسلم اذا رايتم رياض الجنة قال حلق الذكر وقال كعب الاحبار لو ان ثواب
المجالس بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي امارة امارته وكل ذي سوق سوقه وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة
فاذا سمع كلام العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف الى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا
مجالس العلماء فان الله عز وجل لم يخلق على وجه الارض تربة اكرم من مجالس العلماء وقال
رجل للحسن اشكو اليك قساوة في قلبي فقال ادنه من مجالس الذكر وراى عمار الراهب مسكينة
الطفاوية في المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقال مرحبا يا مسكينة فقالت هيهات
هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى فقال هيه فقالت ما تسأل عمن ابيح لها الجنة بحذافيرها
قال وبم ذلك قالت بمجالسة اهل الذكر وعلى الجملة فما تحلل من القلب قيده من عقد
حب الدنيا بقول ... حسن الكلام زكي السيرة اشرف وانفع من ركعات كثيرة مع اشتمال
القلب على حب الدنيا **الرابع** المحترف الذي يحتاج الى الكسب لعياله فليس له ان يضيع
العيال ويستغرق الاوقات في العبادات بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والا
شتغال بالكسب ولكن ينبغي ان لا ينسى ذكر الله عز وجل في صناعته فيواظب على التسبيحات
والاذكار وقراءة القرآن فان ذلك يمكن ان يجمع الى العمل وانما الذي لا يتيسر مع العمل الصلوة
الا ان يكون ناطورا فانه لا يعجز عن اقامة اوراد الصلوة مع ذلك ثم مهما فرغ من كفايته
ينبغي ان يعود الى ترتيب الاوراد وان دام على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فكان افضل
من ساير الاوراد التي ذكرناها لان العبادة المتعدية فايدتها انفع من اللازمة والصدقة والكسب

الخيرة

النية عبادة له في نفسه تقربه الى الله تعا لا يحصل لها ثانية للغير ويجر اليه بركات دعوات
المسلمين فيتضاعف له الاجر الخامس الوالي مثل الامام والقاضي والمتولي في امر من امور المسلمين
فقيامه بحاجة المسلمين واغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص افضل من الاوراد المذكورة فحقه
ان يشتغل نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الاوراد المذكورة بالليل كما كان عمر
رضي الله عنه يفعله اذ قال ما لي وللنوم لو نمت بالنهار لضيعت امر المسلمين ولو نمت بالليل لضيعت
نفسي فقد فهمت مما ذكرناه انه يقدم على العبادات البدنية امران احدهما العلم والاخر الرفق
بالمسلمين لان كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه وعبادة تفضل سائر العبادات
تتعدى فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين على سائر العبادات السادس الموحد
المستغرق بالواحد الصمد الذي اصبح وهمه هم واحد فلا يحب الا الله عز وجل ولا يخاف الا منه ولا
يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شيء الا ويرى الله عز وجل فيه فمن ارتفعت رتبته الى هذه
الدرجة لم يفتقر الى تنويع الاوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات وردا واحدا وهو
حضور القلب مع الله عز وجل في كل حال فلا يخطر بقلبه امر ولا يقرع سمعه قارع ولا يلوح لبصره
لائح الا كان له فيه عبرة وفكر ومزيد فلا محرك له ولا مسكن الا الله تعا فهؤلاء جميع احوالهم يصلح ان
تكون سببا لازديادهم فلا تتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا الى الله تعا كما قال عز وجل
لعلكم تذكرون ففروا الى الله وتحقق فيهم قوله تعا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا
الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته واليه الاشارة بقوله اني ذاهب الى ربي سيهدين
وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول اليها الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها دهرا
طويلا فلا ينبغي ان يغتر المريد بما يسمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظائف عبادته
فذلك علامته ان لا يهجس في قلبه وسواس ولا يخطر في القلب معصية ولا تزعجه هواجم
الاحوال ولا يستفزه عظائم الاشغال وانى يرزق هذه الرتبة كل احد فيتعين على الكافة
ترتيب الاوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق الى الله سبحانه وتعالى قال الله تعا قل كل يعمل على
شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فكلهم مهتدون وبعضهم اهدى وقال بعض العلماء
الايمان ثلث وثلثون وثلثمائة طريقة من لقي الله تعا بالشهادة على طريقة الجنة وقال
بعضهم ثلثمائة وثلث عشر خلقا بعدد الرسل فكل مؤمن هو على خلق منها فهو سالك الطريق الى
الله تعا فاذا الناس وان اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصراط المستقيم اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب وانما يتفاوتون في درجات القرب لا في اصله
واقربهم الى الله عز وجل اعرفهم به واعرفهم به لا بد ان يكون اعبدهم له فمن عرفه لم يعبد غيره
والاصل في الاوراد في حق كل صنف من الناس المداومة فان المراد منها تغيير صفات الباطن
واحاد الاعمال تقل اثارها بل لا يحس له باثارها وانما يترتب الاثر على المجموع فاذا لم يعقب العمل

الواحد اشتد الحرص ولم يتصف بثانى وثالث على القرب الحق اثر الاول وكان كالفقيه الذى يريد
ان يكون فقيه النفس فانه لا يصير فقيه النفس الا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة فى التكرار وترك شهرا
او اسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالى المتواصلة لاثر
فيه ولهذا السر قال النبى صلى الله عليه وسلم احب الاعمال الى الله تعالى ادومها وان قل وسئلت عائشة
رضى الله عنها عن عمل النبى صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وكان اذا عمل عملا اثبته
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عوده الله عز وجل عبادة فتركها ملالة مقته الله عز
وجل وهذا هو السبب فى صلاته صلى الله عليه وسلم بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين شغله
عنهما الوفد ثم لم يزل صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن فى منزله لا فى المسجد
كى لا يقتدى به روت ذلك عائشة وام سلمة رضى الله عنهما فان قلت فهل لغيره ان يقتدى
به فى ذلك مع   قت وقت كراهية فاعلم المعانى الثلثة التى ذكرناها فى الكراهية فى الاحتراز
عن التشبه بعبدة الشمس او السجود وقت ظهور قرن الشيطان او الاستراحة عن العبادة
حذرا من الملال لا يتصور ذلك فى حقه ولا يقاس عليه صلى الله عليه وسلم فى ذلك غيره
ويشهد لذلك فعله لهما فى غير المسجد حتى لا يقتدى به الباب الثانى فى الاسباب
الميسرة لقيام الليل وفى الليالى التى يستحب احياؤها وفى فضيلة احيا الليل وما بين
العشائين وكيفية قسمة الليل فضيلة احيا ما بين العشائين قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما روت عائشة رضى الله عنها ان افضل الصلوات عند الله عز وجل صلوة المغرب
لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلوة الليل وختم بها صلوة النهار فمن صلى المغرب وصلى
بعدها ركعتين بنى الله عز وجل له قصرين فى الجنة قال الراوى ولا ادرى من ذهب او من
فضة ومن صلى بعدها اربع ركعات غفر الله عز وجل له ذنب عشرين سنة او قال اربعين
سنة وروت ام سلمة عن ابى هريرة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
من صلى ستة ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة او كانه صلى ليلة القدر   وروى سعيد
بن جبير عن ثوبان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء
فى مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلوة او قران كان حقا على الله ان يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة
كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وقال صلى الله عليه
وسلم من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بنى له قصر فى الجنة فقال عمر رضى الله
عنه اذا تكثر قصورنا يا رسول الله فقال الله اكبر وافضل وقال الطيب وعن انس بن مالك قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى المغرب فى جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يتكلم
بشئ فيما بين ذلك بشئ من امر الدنيا ويقرا فى الاولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من اول البقرة وآيتين
من وسطها والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان فى خلق السموات والارض الاية وقد

هو الله

هو الله احد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد فاذا قام الى الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية
الكرسي والآيتين بعدها الى قوله اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وثلث آيات من آخر البقرة
من قوله لله ما في السموات الى آخرها وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ووصف من ثوابها في
الحديث ما يخرج عن الحصر وقال كرز بن وبرة   من الابدال قلت للخضر عليه السلام علمني شيئا
اعمله في ليلي فقال اذا صليت المغرب فقم الى صلوة العشاء مصليا من غير ان تكلم احدا واقبل على صلوتك
التي انت فيها وسلم في كل ركعتين واقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد ثلث مرات
فاذا فرغت من صلاتك انصرف الى منزلك ولا تكلم احدا وصل ركعتين واقرأ فيهما فاتحة الكتاب وقل
هو الله احد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله سبع مرات وقل سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع
راسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا اله الاولين والآخرين
يا رب يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم نم حيث
شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي صلى الله عليه وسلم وادم الصلوة عليه حتى يذهب
بك النوم فقلت له احب ان تعلمني ممن سمعت هذا فقال اني حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم
حيث علم هذا الدعاء واوحي اليه به وكنت عنده وكان ذلك بمحضر مني فتعلمته ممن علمه اياه
ويقال ان هذا الدعاء وهذه الصلوة من داوم عليهما بحسن يقين وصدق نية راى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في منامه قبل ان يخرج من الدنيا وقد فعله بعض الناس فراى انه ادخل
الجنة فراى فيها الانبياء وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه وعلى الجملة ما ورد
في فضل احياء ما بين العشائين كثير حتى قيل لعبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بصلوة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء
فتلك صلوة الاوابين وقال الاسود ما اتيت ابن مسعود في هذا الوقت الا رايته يصلي
فسالته فقال نعم هي ساعة الغفلة وكان انس يواظب عليها ويقول هي ناشئة الليل ويقول
فيه نزل قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان اصوم
النهار واتعشى ما بين المغرب والعشاء احب اليك او افطر بالنهار واحيي   فقال اجمع ما
بينهما فقلت ان لم يتيسر فقال افطر وصل ما بينهما **فضيلة** قيام الليل اما من الآيات فقوله
عز وجل ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل الآية وقوله تعالى ان ناشئة الليل هي
اشد وطأ وقوله سبحانه وتعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقوله عز وجل امن هو قانت آناء
الليل الآية وقوله عز وجل والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقوله تعالى واستعينوا بالصبر
والصلوة قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر على مجاهدة   ومن الاخبار قال النبي صلى الله عليه وسلم
يعقد   على قافية احدكم اذا هو نام ثلث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل

نار قد فان استيقظ وذكر الله عز وجل انحلت عقده فان توضأ انحلت عقده فان صلى فأصبح
نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث النفس كسلان وفي خبر آخر انه ذكر عنده صلى الله عليه وسلم
رجل نام كل الليل حتى اصبح فقال ذلك بال الشيطان في اذنه وفي الخبر ان للشيطان سعوطا
ولعوقا وذرورا فاذا اسعط العبد   فاذا لعقه ذرب لسانه بالشر واذا ذر
نام الليل حتى يصبح وقال صلى الله عليه وسلم ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الاخير
خير له من الدنيا وما فيها ولولا ان اشق على امتي لفرضتهما عليهم وفي الصحيح عن جابر بن
عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله
فيها خيرا الا اعطاه اياه وفي رواية اخرى يسأل الله خيرا من الدنيا والآخرة وذلك كل ليلة
وقال المغيرة بن شعبة قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه فقيل له يا رسول الله
قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون   شكورا ويظهر من هذا
ان ذلك كناية عن زيادة الرتبة فان الشكر سبب المزيد قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم
وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة اتريد ان تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا
ومبعوثا قم من الليل فصل وانت تريد رضى ربك يا ابا هريرة صل في زوايا بيتك
يكون نور في بيتك من السماء كنور الكواكب والنجوم عند اهل الدنيا وقال صلى الله عليه
وسلم عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة الى الله
تعالى وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال صلى الله
عليه وسلم ما من امرئ تكون له صلاة بالليل فغلبه عليها نوم الا كتب له اجر صلاته
وكان نومه صدقة عليه وقال صلى الله عليه وسلم لابي ذر رضي الله عنه لو اردت
سفرا لاعددت له عدة فكيف سفر طريق القيامة الا انبئك يا ابا ذر بما ينفعك ذلك
اليوم قال بلى بابي انت وامي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل
لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الامور وتصدق بصدقة على مسكين او كلمة
حق تقولها او كلمة شر تسكت عنها وروي انه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم
رجل اذا اخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يا رب
النار اجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا كان كذلك فآذنوني
فلما اصبح قال يا فلان هلا سألت الجنة قال يا رسول الله اني لست هناك ولا يبلغ
عملي ذلك فلم يلبث الا يسيرا حتى نزل جبريل صلى الله عليه وسلم فقال اخبر فلانا ان
الله عز وجل قد اجاره من النار وادخله الجنة وروي ان جبريل صلى الله عليه وسلم قال
للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فاخبره النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك فكان يداوم بعد على قيام الليل قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع

اسحرنا فيقول

اسحرنا فيقول لا فيقوم لصلاته ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول نعم فيقعد فيستغفر الله حتى يطلع
الفجر وقال علي بن ابي الحسن شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى اصبح
فاوحى الله اليه يا يحيى اوجدت دارا خيرا لك من داري ام وجدت جوارا خيرا لك من جواري فوعزتي
يا يحيى لو اطلعت على الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت الى
جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الحديد بعد المسوح وقيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالليل فاذا اصبح سرق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سينهاه ما يقول وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم ايقظ امرأته
فقامت فصلت فان ابت نضح في وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم ايقظت
زوجها فيصلي فان ابى نضحت في وجهه الماء وقال صلى الله عليه وسلم من استيقظ من الليل
وايقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال صلى الله عليه
وسلم افضل الصلوة بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه
وسلم من نام عن حزبه او شيء منه بالليل فقرأه ما بين صلوة الفجر والظهر كتب له كانما قرأه من
الليل الاثار يروى ان عمر رضي الله عنه كان   يمر في ورده من الليل فيسقط حتى يعاد
منها اياما كثيرة كما يعاد المريض   بن مسعود رضي الله عنه اذا هدأت العيون قام
فيسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح ويقال ان سفين الثوري شبع ليلة فقال ان الحمار اذا
زيد في علفه زيد في عمله فقام تلك الليلة حتى اصبح وكان طاوس اذا اضطجع على فراشه
يتقلى عليه كما تتقلى الحبة في المقلاة ثم يثب ويصلي الى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم
العابد   قال الحسن ما نعلم عملا اشد من مكابدة الليل ونفقة   فقيل ما بال
المتهجدين من احسن الناس وجوها قال انهم خلوا بالرحمن تعالى فالبسهم نورا من نوره وقدم
بعض الصالحين من سفره فمهد له فراش فنام عليه حتى فاته ورده فحلف ان لا ينام بعده على فراش
ابدا وكان عبد العزيز بن ابي رواد اذا جن الليل يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول انك للين
والله ان في الجنة الين منك فلا يزال يصلي الليل كله وقال الفضيل اني لاستقبل الليل من
اوله الى اخره فيهولني طوله فافتتح القرآن فاصبح وما قضيت نهمتي وقال الحسن ان الرجل
ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وقال الفضيل اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار
فاعلم انك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن اشيم يصلي الليل كله فاذا كان في السحر قال
الهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن اجرني برحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكماء اني
لاضعف عن قيام الليل فقال له يا اخي لا تعص الله بالنهار ولا تقم بالليل وكان الحسن بن
صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت يا اهل الدار الصلوة
الصلوة فقالوا اصبحنا اطلع الفجر فقالت وما تصلون   الا المكتوبة فقالوا نعم فرجعت الى الحسن

الحكماء

فقالت يا مولاي بعثتني من قوم لا يصلون بالليل ولا في فرضها وقال الربيع بت في منزل الشافعي رحمه الله
ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل الا اليسير وقال ابو الجويرية لقد صحبت ابا حنيفة رحمه الله ستة
اشهر فما فيها ليلة وضع جنبه على الارض وكان ابو حنيفة يحيي نصف الليل فمر بقوم فسمعهم
ويقولون ان هذا يحيي الليل كله فقال اني اوصف بما لا افعل فكان بعد ذلك يحيي الليل كله
ويروى انه ما كان له فراش بالليل ويقال ان مالك بن دينار قام يردد هذه الآية ليلة حتى اصبح
ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وقال
المغيرة بن حبيبة رمقت ليلة مالك بن دينار فتوضا بعد العشاء ثم قام الى مصلاه فقبض على
لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول اللهم حرم شيبة مالك بن دينار على النار الهي قد علمت ساكن
الجنة من ساكن النار فاي الرجلين مالك واي الدارين دار مالك فلم يزل ذلك دابه حتى طلع
الفجر وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردي ونمت فاذا انا في المنام بجارية كاحسن ما يكون
وفي يدها رقعة فقالت لي اتحسن ان تقرا فقلت نعم فدفعت الي الرقعة فاذا فيها الهتك اللذائذ
والاماني   البيض الاو   في الجنان تعيش مخلدا لا موت فيها وتلهو في الجنان مع الحسان
ومن منامك ان خيرا من النوم التهجد بالقرآن ومدلج سرق فابات ليلة الا ساجدا ويروى
عن ازهر بن مغيث وكان من القوامين انه قال رايت في المنام امراة لا تشبه نساء اهل الدنيا
فقلت لها من انت فقالت الحوراء فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني الى سيدي وامهرني
فقلت وما مهرك فقالت طول التهجد وقال يوسف بن مهران بلغني ان تحت العرش ملكا على
صورة ديك براثنه من لؤلؤ وصيصيته من زبرجد خضر فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه
وزقا وقال ليقم القائمون فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المتهجدون فاذا
مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المصلون فاذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وقال ليقم
الغافلون وعليهم اوزارهم ويقال ان وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه الى الارض ثلثين سنة
وكان يقول لان ارى في بيتي شيطانا احب الي من ان ارى وسادة لانها تدعو الى النوم وكانت
له مسورة من آدم اذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع الى القيام وقال
بعضهم رايت رب العزة جل جلاله في المنام فسمعته وهو يقول وعزتي وجلالي لاكرمن مثوى
سليمان التيمي فانه صلى لي الغداة بوضوء العشاء الاخيرة اربعين سنة ويقال كان مذهبه ان
النوم اذا خالط القلب بطل الوضوء ويروى ان الله عز وجل يقول ان عبدي الذي هو عبدي
حقا الذي لا ينتظر بقيامه صياح الديك **بيان** الاسباب التي يتيسر بها قيام الليل اعلم ان
قيام الليل عسير على الخلق الا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا فاما الظاهر
فاربعة امور الاول ان لا يكثر الاكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض
الشيوخ وهو ابو سليمان الداراني يقف على المائدة كل ليلة ويقول معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا

فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا عند الموت كثيرا وهذا هو الاصل الكبير وهو تخفيف المعدة
عن ثقل الطعام الثاني ان لا يتعب نفسه بالنهار في الاعمال التي تعيى بها الجوارح وتضعف
بها الاعصاب فان ذلك ايضا مجلبة للنوم الثالث ان لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة للا
ستعانة على القيام بالليل الرابع ان لا يحتقب الاوزار بالنهار فان ذلك يقسي على القيام بالليل
القلب ويحول بينه وبين اسباب الرحمة قال رجل للحسن يا ابا سعيد اني ابيت [illegible] واحب قيام
الليل واعد طهوري فما لي لا اقوم قال ذنوبك قيدتك وكان [illegible] فسمع لغطهم ولغوهم
يقول اظن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب
اذنبته قيل وما ذلك الذنب قال رايت رجلا يبكي فقلت في نفسي هذا مراء وقال بعضهم دخلت
على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت له اتاك نعي بعض اهلك قال اشد فقلت وجع يؤلمك فقال اشد
فقلت وما ذاك فقال بابي مغلق وستري مسبل ولم اقرا حزبي البارحة وما ذاك الا بذنب احد
ثته وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر الى
الكثير ولذلك قال ابو سليمن الداراني لا يفوت احد صلوة الجماعة الا بذنب وكان يقول الا
حتلام بالليل عقوبة والجنابة البعد وقال بعض العلماء اذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر
وعلى اي شي تفطر فان العبد ليأكل الاكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود الى حالته الاولى فالذنوب
كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل واخصها بالتاثير تناول الحرام ويؤثر اللقمة الحلال
في تصفية القلب وتحريكه الى الخير ما لا يؤثر غيرها ويعرف ذلك اهل المراقبة للقلوب بالتجربة
بعد شهادة الشرع لذلك فلهذا قال بعضهم   اكلة منعت قيام الليل وكم من نظرة منعت
قراءة سورة فان العبد ليأكل اكلة ويفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكما ان الصلوة تنهى عن
الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلوة وساير الخيرات وقال بعض السجانين كنت سجانا
نيفا وثلثين سنة اسال عن كل ماخوذ بالليل هل صلى العشا في جماعة
فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على ان بركة الجماعة تمنع من تعاطي الفحشاء والمنكر واما الميسرات الباطنة
فاربع الاول سلامة القلب   على الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم
                اهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وان قام لا يتفكر في صلوته الا في مهماته ولا
يجول الا في وساوسه وفي مثله يقال نام اذا استيقظت ايضا فنائم الثاني خوف غالب يلزم القلب
مع قصر الامل فانه اذا تفكر في اهوال الاخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاوس
ان ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكي ان غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له
سيدته ان قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال ان صهيبا اذا ذكر النار لا ياتيه النوم وقيل لاخر
وكان يقوم كل الليل مثل ذلك فقال اذا ذكرت النار اشتد خوفي واذا ذكرت الجنة اشتد شوقي
فما اقدر ان انام وقال ذو النون المصري شعر

منع القرآن بوعده ووعيده مقل العيون بليلها ان تهجعا فهموا عن الملك الجليل كلامه فرقابهم ذلت له تخضعا

وانشدوا

يا طويل الرقاد والغفلات ... كثرة النوم تورث الحسرات
ان في القبر ان نزلت ... لرقادا يطول بعد الممات
ومهادا ممهدا لك فيه ... بذنوب عملت او حسنات
[illegible] ... الموت فكم نال آمنا بيات

وقال ابن المبارك رحمة الله عليه

اذا ما الليل اظلم كابدوه ... فيسفر عنهم وهم ركوع
اطار الخوف نومهم فقاموا ... واهل الامن في الدنيا هجوع

الثالث ان يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والآثار والاخبار التي اوردناها حتى يستحكم بذلك رجاؤه وشوقه الى ثوابه فيهيجه الشوق الى طلب المزيد والرغبة في درجات الجنان حكي عن بعض الصالحين رجع من غزاة غزاها فلما كان بالليل مهدت امراته فراشها وجلست تنتظره فدخل المسجد فلم يزل يصلي حتى اصبح اصبح قالت له زوجته لم يكن لنا فيك حظ قال والله ما اذكر لقد كنت اتفكر في حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل طول الليل شوقا اليها الرابع وهو اشرف البواعث الحب لله عز وجل وقوة الايمان بانه لا يتكلم في قيامه بحرف الا وهو مناج به ربه عز وجل وهو مطلع عليه مع شاهدة ما يخطر بقلبه وان تلك الخطرات خطاب من الله تعالى معه فاذا احب الله عز وجل احب الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام لا ينبغي ان يستبعد هذه اللذة اذ يشهد لذلك النقل والعقل فاما العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله او لملك بسبب انعامه واموال انه كيف يتلذذ بالخلوة به ومناجاته حتى لا ياتيه النوم طول الليلة فان قلت ان الجميل يتلذذ بالنظر اليه وان الله سبحانه لا يرى فاعلم انه لو كان المحبوب الجميل وراء ستر او كان في بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطمع في امر اخر سوى ذلك وكان يتنعم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه وان كان ذلك ايضا معلوما عنده فان قلت انه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله عز وجل فاعلم انه ان كان يعلم انه لا يجيبه ويسكت عنه فاللذة باقية له ايضا في عرض احواله عليه ورفع سريرته اليه كيف والمؤمن الموقن يسمع من الله عز وجل كل ما يرد على خاطره في اثناء مناجاته فيتلذذ بذلك وكذا الذي يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته في جنح الليل يتلذذ بذلك في رجاء انعامه والرجاء في حق الله سبحانه وتعالى اصدق وما عند الله سبحانه خير وابقى وانفع مما عند غيره فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات واما النقل فيشهد له احوال قوام الليل في تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم

لهم استقصار

لذلك يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف انت والليل قال ما راعيته قط يريني وجهه
ثم ينصرف وما تاملته بعد وقال اخر انا والليل فرسا رهان فمرة يسبقني الى الفجر ومرة يقطعني عن
وقيل لبعضهم كيف الليل عليك قال ساعة   فيها بين حالتين افرح بظلمته اذا جاء واغتم
بفجره اذا طلع ما تم فرحي به قط ولا استشفيت منه قط وقال علي بن بكار منذ اربعين سنة ما احزني
شي سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض اذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربي واذا
طلعت حزنت لدخول   علي وقال ابو   الليل في الجنة   ولولا
الليل ما احببت البقا في الدنيا وقال ايضا لو عوض الله سبحانه اهل الليل من ثواب اعمالهم ما يجدونه
من اللذة لكان ذلك اكثر من اعمالهم وقال بعض العلما ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم اهل
الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجات وقال بعضهم
لذة المناجاة ليست من الدنيا انما هي من الجنة   الله لاوليائه لا يجدها سواهم وقال ابن المنكدر
ما بقي من   الدنيا الا ثلث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلوة في جماعة   بعض العارفين
ان الله عز وجل ينظر بالاسحار الى قلوب المستيقظين فيملاها انوارا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير
ثم تنتشر من قلوبهم الصوالح الى قلوب الغافلين وقال بعض العلما ان الله عز وجل اوحى الى
بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم
ويذكروني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت
عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون
الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها فاذا جنهم الليل واختلط الظلام و   كل حبيب
بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوني بانعامي فمن
بين صارخ وباك وبين متاوه وشاك بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشكون من حبي
اول ما اعطيهم اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات
والارض وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت
بوجهي عليه ايعلم احد ما اريد ان اعطيه وقال مالك بن دينار اذا قام العبد يتهجد من الليل قرب
منه الجبار عز وجل قال فكانوا يرون ما يجدون في قلوبهم من الرقة والحلاوة والانوار من قرب
الرب عز وجل من القلب وهذا له سر وتحقيق سياتي في الاشارة اليه في كتاب المحبة وفي الاخبار عن
الله تعالى اي عبدي انا الله الذي اقتربت لقلبك وبالغيب رايت نوري وشكى بعض المريدين
الى استاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجتلب بها النوم فقال الاستاذ يا بني ان لله
عز وجل نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطي القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات
فقال يا استاذ تركتني لا انام بالليل و بالنهار اعلم ان هذه النفحات بالليل ارجى لما في قيام الليل
واندفاع الشواغل وفي الخبر الصحيح عن جابر بن عبد الله   صلى الله عليه وسلم انه قال ان من

من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها خيرا من امر الدنيا والآخرة الا اعطاه اياه وذلك كل
ليلة وطلوب القايمين تلك الساعة وهي مبهمة في جميع الليل كليلة القدر في رمضان وكساعة يوم الجمعة
وهي ساعة النفحات المذكورة طرق القسمة لاجزاء الليل اعلم ان احيا الليل من حيث المقدار له سبع
مراتب الاولى احيا كل الليل وهذا شأن الاقويا الذين تجردوا للعبادة عز وجل وتلذذوا بمناجاة
وصار غذا لهم ...اة لقلوبهم بطول الظلم وردوا المنام الى النهار في وقت اشتغال الناس
بامور الدنيا وقد كا... طايفة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء حكى ابو طالب المكي
انه ذلك حكي على سبيل الاشتهار عن اربعين من التابعين وكان منهم من واظب على ذلك اربعين سنة
منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب الورد المكيان وطاوس
ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خثيم والحكم الكوفيان وابو سليمان الداراني وعلي بن بكار
الشاميان وابو عبد الله الخواص وابو عاصم العبادانيان وحبيب ابو محمد وابو جابر السلماني الفارسيان
ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن ابي البكا البصريون و
كهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقراه مرة اخرى
وايضا من اهل المدينة ابو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم الثانية ان يقوم نصف
الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف واحسن طريق انه ينام الثلث الاول من الليل
والسدس الاخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الافضل الثالثة ان يقوم ثلث
الليل ... لانه يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والشهرة به
فلو قام اكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه قالت عائشة رضي الله عنها كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وتر من آخر الليل فان كان به حاجة الى اهله دنا منهن والا
اضطجع في مصلاه حتى ياتيه بلال فيوذنه للصلوة وقالت ايضا ما الفيته السحر الا نايما حتى قال
بعض السلف هذه الضجعة قبيل الصبح سنة منهم ابو هريرة وكان نوم هذا الوقت سبب
المكاشفة والمشاهدة من وراء حجب وذلك لارباب القلوب وفيه استراحة تعين على
الورد الاول من النهار وقيام ثلث الليل من الاخير ونوم السدس الاخير قيام
داود عليه السلام الرابعة ان يقوم سدس الليل او خمسه وافضل ذلك ان يكون في النصف الاخير
وقبل السدس الاخير منه الخامسة ان لا يراعي التقدير فان ذلك انما يتيسر لنبي يوحى اليه او لمن
يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم ولكنه يقوم
من اول الليل الى ان النوم فينام فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون
الليل نومتان وقومتان وذلك من مكابدة الليل وقد
كان هذا من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي طريقة ابن عمر رضي الله عنه واولو العزم
من الصحابة وجماعة من التابعين وكان بعض السلف يقول في اول نومه فان انتبهت ثم عدت

الى النوم

الى النوم فلا انام الله عينيه فاما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب
واحد بل ربما كان يقوم نصف الليل او ثلثه او ثلثيه او سدسه يختلف ذلك في الليالي ويدل ذلك
قول الله عز وجل في الموضعين من سورة المزمل ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه و
ثلثه فادنى من ثلثي الليل كانه نصفه ونصف سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين
وثلثيه فيقرب من الثلث والربع وان نصب كان نصف الليل وثلثه وقد قالت عائشة رضي الله عنها
كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم اذا سمع الصارخ يعني الديك وهذا يكون السدس فما دونه وروى
عن بعض الصحابة انه قال رقبت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا
ثم استيقظ فنظر في الافق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار حتى بلغ انك لا تخلف
الميعاد ثم استل من فراشه سواكا فاستاك وتوضأ وصلى حتى قلت قد صلى مثل ما نام ثم اضطجع حتى
قلت قد نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال مثل ما قال اولا وفعل مثل ما فعل اول مرة السادسة وهي
الاقل ان يقوم مقدار اربع ركعات او ركعتين او يتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة
ساعة مشتغلا بالذكر والدعا فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء في الاثر صل
من الليل ولو قدر حلب شاة فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه ما راه ايسر عليه وحيث
يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي ان يهمل احيا ما بين العشائين والورد الذي بعد
العشا ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما ويقوم بطرفي الليل وهذه
السابعة ومهما كان النظر في المقدار فترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره واما في الرتبة الخامسة
والسابعة فلم ينظر فيهما الى المقدار وليس يجري امرهما في التقدم والتاخر على الترتيب المذكور
اذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة والله اعلم بيان
الليالي والايام الفاضلة اعلم ان الليالي المخصوصة بمزيد الفضل الذي يتأكد فيها استحبا
ب الاحيا في السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغي ان يغفل المريد عنها خيرات ومظان الزيادات
للتجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضائل الاوقات لم ينجح فستة من
هذه الليالي في شهر رمضان خمس في اوتار العشر الاخير اذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من
رمضان فهي ليلة صبيحة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيها كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير هي ليلة القدر
واما التسع الاخر فاول ليلة من المحرم وليلة عاشورا واول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع
وعشرين منه وهي ليلة وفيها صلاة ماثورة وقال النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة
حسنات مائة سنة فمن صلى اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة الكتاب وسورة من القرآن
ويتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة
ويستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من امر
دنياه وآخرته ويصبح صائما فان الله سبحانه يستجيب دعاءه كله الا ان يدعو فاما الليلة

النصف من شعبان فيصلي فيها مائة ركعة يقرأ في كل ركعة سورة الاخلاص عشر مرات

كانوا لا يتركونها كما امرحناه في صلوة التطوع وليلتي عرفة وليلتي العيدين قال

النبي صلى الله عليه وسلم من احيى ليلتي العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب واما الايام الفاضلة

فهي تسعة عشر يستحب مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبع وعشرين من

رجب فله خطر روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صام يوم سبعة وعشرين من

من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي هبط فيه جبرئيل على محمد

صلى الله عليه وسلم تسليما بالرسالة ويوم سبعة وعشرين من شهر رمضان وهو يوم وقعة بدر

ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة العيدين والايام المعلومات وهي عشر من ذي الحجة

والايام المعدودات وهي ايام التشريق وقد روى عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه

قال اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة وقال بعض العلماء من اخذ

شهادة مهنة في الايام الخمسة لم ينل مهناة في الآخرة واراد به العيدين والجمعة وعرفة ويوم عاشوراء

ومن فواضل الايام في الاسبوع الخميس ويوم الاثنين يرفع فيهما الاعمال الى الله تعالى

وقد ذكرنا فضائل الاشهر والايام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة الى

عادة والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

وسلم وقد فرغ من نساخته في اليوم الثاني عشر

من شهر شوال بعونة الله

سبحانه وتعالى

تمت تمام

